محمد جلال كشك

قراءة في فكر التبعية

تقديم الأستاذ الدكتور
عبد الصبور شاهين

- سلامه موسى .. أخطر عملاء الغزو الفكري
- على عبد الرازق .. من الجهل للنفاق!
- نصر أبو زيد .. أكبر فضيحة في تاريخ الجامعة
- العشماوي .. الرابع .. مضحكات وتخرصات!

مع ملحق تعليق على محاضرة صمويل هنتنغتون عن حرب الحضارات

مكتبة التراث الإسلامي
٨ شارع الجمهورية عابدين ت: ٣٩١١٣٩٧

محمد جلال كشك

قراءة في فكر التبعية

تقديم الأستاذ الدكتور

عبد الصبور شاهين

- سلامه موسى .. أخطر عملاء الغزو الفكري
- علي عبد الرازق .. من الجهل للنفاق !
- نصر أبو زيد .. أكبر فضيحة في تاريخ الجامعة
- العشماوي .. الرابع .. مضحكات وتخرصات !

مع ملحق تعليق على محاضرة صمويل هنتنغتون عن حرب الحضارات

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م



مكتبة التراث الإسلامي
٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت : ٣٩١١٣٩٧ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

مقدمة

بقلم الأستاذ الدكتور/ عبد الصبور شاهين

هذا الكتاب من نوادر الفكر النقدى الإسلامى المعاصر فهو نادر فى موضوعه، نادر فى ظروفه التى يخرج فيها إلى قرائه، **فأما عن الموضوع** فإنه المعركة الدائرة بين الإسلام المعاصر، وأعدائه من المتنسبين إليه إفكا، يعلنون الإسلام، ويبطنون رفضه، والسعى إلى الإجهاز عليه، يتسمَّوْن بأسماء الإسلام، ويطفحون سموم بغضه، ويشوهون حقائقه، قالوا: إنهم مسلمون، وما أسلموا إلا للشيطان، وما تعبدوا إلا فى محرابه، وإذا كان من بينهم النصرانى سلامه موسى، فإن سلوكياتهم لا تختلف عنه فيما سطرت أقلامهم، أو أفرزت أمخاخهم ﴿ **وما تخفى صدورهم أكبر** ﴾.

لقد اختار المؤلف ـ رحمه الله ـ لموضوع دارسته أربعة من (العتاولة) أعداء الحق فيما جاء به الإسلام، وعهدنا بالكتب أن تتصدى لعدو واحد تدفع كيده، وتكشف زيفه، ولكنه ـ وهو الفارس المغوار ـ لم يقنع بأن يواجه على الحلبة غريما واحداً، بل جاء بأربعة غرماء دفعة واحدة، لينازلهم، ويسدد سهام قلمه إلى أكبادهم، فكان هذا الكتاب عن أعمال نشرها كل منهم بطريقته، والله أعلم بالجهات التى تمول هذه المنشورات.

إذا كان الأولان قد رحلا عن عالم الأحياء، فما أحسب أنهما يختلفان عن الآخَرَيْن، **فالكل موتى** إذا اعتبرنا الموت بموت الحق فى النفس، وغيبة التقوى عن الضمير، **والكل عدم** إذا عدم العدل فى الحكم، وهيمن الجهل والغش على حيثياته. والكل عُمْىٌ إذا نظرنا إلى عَمى البصيرة، وما تغنى العين حين تكون مجرد مرايا مذعورة فى الوجوه، وما تغنى الآذان، إن كانت مجرد غضاريف معلقه على الأصداغ، وما تغنى القلوب، إذا كانت مجرد مقالب لنفايات الضلال وصدق الله **﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لا**

يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ - ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ - ﴿ وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور إن أنت إلا نذير ﴾. ﴿ وقالوا قلوبنا غلف، بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ﴾.

هذا عن الموضوع، وأما عن الظروف التى يظهر من خلالها الكتاب فما أحسب أن كاتبا أفضى بآخر أنفاسه على صدر كتاب كما أراد الله مثل **محمد جلال كشك**، لقد ظل يدافع عن الحق، ويناضل سهام الباطل، حتى فاضت روحه إلى بارئها وهو يزفر بأنفاسه الحارقة فى وجه الجهل والكذب، وشَاهَ الوجهُ الكذوب، ورجعت النفس الزكية إلى ربها راضية مرضية.

إن هذا الكتاب تعرية كاملة لرموز (التزوير والتنويم) المعروف فى بعض الأوراق بالتنوير، وهو نذير لهم بين يدى عذاب شديد سوف يواجهونه **﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾**.

وإن كنا نظن أنهم لا يحسبون حساب هذا اليوم وهم يقذفون بالغيب من كل مكان، تحديا لله ورسوله، ورفضًا أو تأويلا لما أنزل الله من الكتاب والحكمة.

وهذا الكتاب دراسة موثقة لفترة من فترات التاريخ المصرى المعاصر، فى وقت قلت العناية بالتاريخ ، حين قر فى وعى المثقفين ما زعمه بعضهم من أن بداية التاريخ المصرى كانت (يوليو ١٩٥٢) ، وما سبقها فهو داخل فى زمان ما قبل التاريخ، على الرغم من أن حلقات التاريخ المصرى متشابكة، تلد كل حلقة تاليتها، وتمنحها صفاتها، وما شخوص اليوم إلا إفرازات الأمس، وما الاختلاف إلا بصمات الأسلاف، فلا فرق كبيراً بين ما يقوله العشماوى، وتخرصات عبد الرازق، ولابين ما يهدف به أبو زيد وفحيح سلامة موسى، حتى إنى أحيانا أتصور أن المرحوم جلال كشك لم يمت بالأزمة القلبية كما أذيع، بل لقد مات بالاختناق نتيجة العفونات التى ظل يتنفسها فى كتابات هؤلاء (الأربعة)، وما كان له أن يتحمل لمدة طويلة هذا

التلوث، فقضى رحمه الله نحبه، بعد أن أدلى بمواصفات الجناة، ودل على معاطنهم.

ولا غرابة أن ينتصب بعض الأغرار لمحاربة الإسلام الذى أحسن إليهم، ومنحهم هويتهم، فكثيراً ما يعض اللئام اليد التى تمتد إليهم بالإحسان، ولقد جنى كل منهم فيضًا من إحسان الإسلام إليه، ما فى ذلك شك، ولكنه الطبع الخبيث يأبى إلا أن يكون لئيماً.

ومن المؤكد أن المؤلف لم يقدم هذه الدراسة النقدية الساخنة على أنها نهاية المطاف فى جهود التصدى للتهجم على الإسلام، ولكنها كما قلنا نماذج وعينات لمن يتربعون فى بعض المواقع، والمناصب الثقافية، لايفرزون إلا فضلات مختلطة بوباء (الإيدز) الثقافى، وهم بالطبع عدد من الصحفيين والمشتغلين بالكتابة والصحف، ولكنهم بالقطع مروا على أجهزة الثقافة، وهم فى طريقهم إلى نشر المرض.

وعهدنا بمن يدعون إلى اتجاه أو مبدأ أن يكونوا حزبا أو جماعة ذات فكر وفلسفة، ولكنهم فيما رأيناهم أوشاب لفقتها ظروف الانتهازية السياسية الراهنة، حين أغلقت فى وجوههم أبواب التربخ والارتزاق والماركسية، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، حتى انكشفت السوءات، فطفقوا يخصفون عليهم من فلوس الثقافة وميزانياتها، ورضوا لأنفسهم أن يكونوا أنواعا من (البودى جارد) لحراسة منابع الإيدز الثقافى، ولو أنهم كانوا قادرين على إنشاء حزب أو تكوين ناد يضمهم، ويكون منبرا لهم - لفعلوا، ولكنهم هكذا نشأوا على علاقات الخلايا والسلوكيات التحت أرضية، والعمل حسب الطلب ممن يملك العطاء، فعلى جبين كل منهم لافته مكتوب عليها (ضمير للإيجار).

إن لكل عصر عيناته الوبيئة، التى تتمثل فى إعداد جهلاء، وإذا كنا قد وقعنا فى هذه العينة على النصاب المغامر، أو المتعالم بلا كرامة، أو الجاهل الدعىّ، أو المغرور المأجور، فإنهم وإن اختلفوا ملتقون على قاسم مشترك بينهم هو الحقد على الإسلام الذى لم يسبق أن قتل آباءهم، ولكنه للحق حرم عليهم أن يعيشوا حياة بوهيمية، أو أن يتاجروا بالنفاق، أو أن يقولوا الزور فى محكمة الفكر. فأما الهراء فهو مرتعهم

الطليق، لاحرج عليهم فيه ولا تثريب.

والغريب أن يتصور هؤلاء أنهم قادرون على مناهضة تيار الإسلام الهادر، ولقد سبقتهم عصور وأجيال شهدت أمثالهم ممن حاولوا التصدى للحق، فما قدروا على شئ مما أرادوا، وانتهوا إلى النهاية المحتومة، وصاروا أصفارا يسارية لاحساب لها.

وكذلك هى العاقبة التى تنتظر هؤلاء ، أن يظفروا بالخيبة، وأن يؤولوا إلى الفشل، وأن يسكنوا مخزن المهملات التاريخية، وحسبهم أن يقرأوا قول الله تعالى: **﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾.**

رحم الله جلال كشك فقد كان شجاع العقل فى حياته، وكان مقاتلا فى نهايته، حتى لحق بموكب الشهداء، وقول شوقى أمير الشعراء:

إن الشجاعة فى القلوب كثيرة ووجدت شجعان العقول قليلا

وإنا لله، والموعد الله لمن كان يرجو لقاء الله

عبد الصبور شاهين

مقدمة المؤلف

هذه كلمات بعضهـا كتب من ثلاثين سنة «سلامه موسى» وبعضها عـالجته بعجالة من أربع سنوات وأفضت فيه هذا العام «على عبـد الرازق» وبعضه جديد اعالجه لأول مرة وإن كنت قد تناولتـه بتعليقات عابرة فى الصـحافة «أبوزيد والمستشـار وصمويل» وكلها تدور حول نفس القضية: المواجهة بين العالم الإسلامى والغرب وما يتفرع عنها من قضايا تدور أساسا حول كيف نتقدم، كيف نبنى المجتمع المدنى، ونلحق بالعصر، كيف نتحـرر من موقع التابع المهزوم المتلقى.. وهى قضايا أزلـية، وكل ما أرجوه أن لا يضطر اولادى او حتى احفادى لتكرار نفس القـول، لأننا ندور فى حلقة مفرغة منذ أن استيقظنا على مدافع الحملة الفرنسية، لنكتشف أننا فقدنا التفوق على الفرنجة واننا اذا لم نمتلك مدافعهم فسندفع الثـمن فادحا.. ولم نمتلك المدفع ودفعنا وما زلنا ندفع.. ذلك اننا منعنا وفشلنا فى اكتشاف الجواب الصحيح على سؤال كيف نمتلك المدفع..

تفاوتت الاجوبة من المتخلفين الذين ناموا عـشرة قرون على التراث وأفاقوا يقولون لا حاجة لامتلاك المدفع، لأننا اذا حملنا حجابا من التراث فلن تصيبنا طلقات المدافع، واذا اصابتنا فلن تضـرنا اذ لا يعقل أن الكافر حليف او عميل الشـيطان يهزم المسلم الذى تقاتل معه الملائكة!

لم يكونوا ينطقـون باسم التراث ولا يستندون اليـه بل ينامون عليه - مع الاعـتذار للنين او لعله ستالين الذى قال ما معناها؟ لا هم فهموا التراث ولا هم ادركوا حقائق العصر.

فالنبى صلوات الله عليه كان يتنزل عليه الوحى، وتقـاتل معه الملائكة حقا وصدقا ولكنه اذا خرج للقتال لـبس درعين يحميانه من سهام الأعـداء، وحفر الخندق حول المدينة ليـمـنع خـيلهم من ان تصل الـى المسلمـين. ولما اخطأ جنـده ولم يلتـزمـوا بضرورات الحرب ونظمها، اصابته السـهام صلوات الله عليه حتى كسرت اسنانه وسال دمه الطاهر بأبى وأمى. وعندمـا جاءه جبريل يخبـره ان اليهود يتآمرون لإلقـاء حجر عليه أثناء جلوسه مـستندا الى حائط حصنهم. لم يقل له جـبريل ستغطيه غـمامة أو سأصد عنك بجناحى بل أمره بأن يقوم من مجلسه لكى لا يسقط الحجر عليه!

فكيف ينسب أو ينتسب للاسلام من يتوهم انه اذا حمل حجابا او قطعة من الحجر باركها شيخ فلن تصيبه مدافع الهاون . . ؟! ليس هذا من التراث ولا من الإسلام إنما هو من التخلف . .

فشل هؤلاء فى حماية امتنا وفشلوا فى اكتشاف الحل وان كانوا لم يقصروا فى الاستشهاد دفاعا عن هذا الوطن .فلم يفرطوا فى الشرف وإن فاتهم النصر ! صدقوا النية وأخطأوا الاجتهاد فأخطأهم التوفيق ولخص مأساتهم. أليكسى هيلى عندما ثار العبيد وامتلكوا السفينة واعتقلوا كل الضباط والبحارة البيض واهملوا صبيا فى الثانية عشرة استطاع ان يتسلل للمدفع ففتك بهم واعادهم صاغرين لسلاسل العبودية وسوط السيد الابيض الذى بدا لهم فى غالب الوقت لا يتفوق عليهم الا بهذا المدفع وكانوا بالطبع مخطئين فى التشخيص، فأخطأوا العلاج. . فقد كان المدفع نظريا ملكا لهم عندما سيطروا على السفينة بضع ساعات. . ولم يفكروا فى استخدامه او حتى تعطيله ولا كان بوسعهم .وحتى لو عرفوا تشغيله تكنيكيا فقد كانت نتيجة المعركة محسومة بفعل قرنى التقدم فى اوربا والتى كانت محصلتها مركزة فى الصبى الذى تصرف بتأثيرها. .

حتى لما حصل الهنود الحمرعلى البنادق والخمر عجل ذلك بالقضاء عليهم !وهو نفس ما يحدث لنا كلما اندفعنا فى استيراد السلاح من الغرب اذ يتناسب حجم هزيمتنا طرديا مع زيادة تسلحنا . .

صحيح أن التكنولوجيا هى الأداة المباشرة فى قهرنا ولكن الحصول عليها قضية مختلفة تماما عن امتلاكها ، بل هناك مقومات إذا امتلكتها الأمة تصبح اكثر تفوقا ولو كانت أقل تقدما فى التكنولوجيا. فالفيتنامى كان أكثر تفوقا بمعداته البسيطة من الامريكى بترسانته التى تحولت الى قيد يشل حركته، او كما قيل كان الهندى بطائرات الروس المتخلفة أقدر على امتلاك التفوق التكنولوجى على الباكستانى بالطائرات الامريكية الشديدة التعقيد. وقد أخطأ فريق من المخلصين الذين حصروا همهم فى استيراد التكنولوجيا ولو حتى فى شكل مصانع .فليست القضية هى الحصول على التكنولوجيا باستيرادها بل امتلاك مقومات التعامل معها .

وعلى الجانب الآخر وجد الذين أخطأوا السؤال والجواب ولكن فى الاتجاه المضاد فقالوا إننا لن نمتك المدفع الا اذا تخلينا عن ديننا وحاكينا الفرنجة فى كل شىء. . وكان بعض هؤلاء من المخلصين الطيبين الذين ضاقوا ذرعا بتخلف مجتمعاتنا وجهل شعوبنا وجمود شيوخنا فكفروا بكل شىء، ولم يحققوا شيئا وأكبر مثال عليهم هو تركيا الكمالية. . بل كل الحركات الإصلاحية فى العالم الاسلامى التى حاولت أن تبطل حجة اوروبا بالسعى الى امتلاك الدستور وتحرير المرأة والانفتاح على الاوربيين واقتباس عاداتهم ففتحوا الباب للاحتلال الاوربى وفقدوا الاستقلال . . وليس مصادفة أن احتلال مصر وتونس هو الذى عصف بالحركة التى كان الافغانى وخير الدين قد نجحا فى خلقها. وإذا كان المصلحان ارادا الديموقراطية لمواجهة مؤامرات اوربا. . فإن بعض البسطاء ظن أن أوربا لا تكره منا الا تخلفنا واستبداد حكامنا . . ليفاجأوا بأن اساطيل اوربا تضرب محاولتهم التقدم وتعصف بما اقاموه او انتزعوه من نظم دستورية وتمثيلية. . حتى استقر فى خاطر العامة أن هؤلاء المصلحين هم الذين تسببوا فى احتلال البلاد بفتنتهم !

وكان بعضهم مجرد عميل صريح للفرنجة تبرأ من اهله او اعتذر بفقرهم وتخلفهم ليتعهر ويبيع روحه للأجنبى !وهؤلاء هم الذين روجوا فكر التبعية والانحلال والانتماء للقوى أو لحضارة العصر وأخيرا للعلمانية البورجوازية والاشتراكية والصهيونية . . أى سيد يقبل استعمالهم واستئجارهم لكى يبعدوا شعوبنا عن الطريق الصحيح لامتلاك المدفع ، بل هم هؤلاء الذين قالوا ان المدفع غير وارد فى القضية من اساسها ، وأن ثورة العبيد من اصله كانت عملا دبره المتطرفون المتعصبون الانغلاقيون ، عملا متخلفا رجعيا يراد به اعادة العبيد الى غابة الرجعية والتخلف فى افريقيا ، بينما وجودهم ولو فى قاع السفينة وفى السلاسل ، انما يعنى انهم جزء من السفينة التى تشكل آخر كلمة فى الحضارة التى هى انسانية وليست غربية فقط ، ومن ثم فهم ـ ولو فى العبودية ـ يواكبون حركة التاريخ ويسمحون للأوربى بنقلهم الى العالم الجديد. وها هو التاريخ يشهد ايهم احسن حالا؟ الذين بقوا أحرارا فى افريقيا ام جيكى جاكسون ومارتن لوثر كنج وغيرهما من مشاهير

الزنوج الامريكيين الذين كان من حظهم أن تفتح أجدادهم للحضارة العالمية فألقيا بأنفسهما عامدين متعمدين فى شبكة صائد العبيد !

وهذا هو المنطق الضال المضلل الذى نناقشه فى هذا الكتاب .

منعنا من امتلاك المدفع هو الهدف الاساسى الدائم منذ ظهور الاستعمار الاوربى الى اليوم. وقد تم ذلك تحت شتى الشعارات وبمختلف التنظيمات من القراصنة والجزويت ومحاكم التفتيش الى الجامعات والمؤسسات الدولية والمعاهدات من الامم المتحدة والبنك الدولى ومؤسسة الطاقة الذرية وعشرات تنظيمات حقوق الانسان. وقبل ذلك كله جهود وكتابات وحكومات من سماهم صمويل هنتنغتون بـ «المتعاونين والمؤمنين بحضارتنا» وصمويل هوالبروفسور الامريكى الذى كشف بصراحة نادرة مخطط الغرب فى استعباد العالم. هؤلاء المتعاونون الذين يعملون لاستمرار سيطرة الغرب واستمرار تخلف أوطاننا يتسترون فى كل مرحلة تحت شعارات علمانية وتقدمية ويسارية وأممية .

وقد تصدينا لقضية التحديث منذ زمن مبكر ربما فى الستينات وانا اول من وضع شعار: «التحديث لا التغريب» وشرحت الفرق بينهما فى النصف الثانى من القرن العشرين، وإن كان قد سبقنا إليه بالطبع بعض الرواد فى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين لأننا كما قلت ندور فى دائرة مفرغة ، تجابه كل جيل نفس المشكلة ونكرر نفس الأجوبة لننتهى جميعا بالفشل .

وإذا كان كتابى « القومية والغزو الفكرى » قد خُصص للرد على عملاء الامبريالية الذين أرادوها قومية معادية للاسلام عميلة للغرب وتوجوا لورنس رائدا لقوميتهم العربية بينما لم يدرجوا جمال الدين الافغانى فى قائمة الشرف. . وأرخوا عروبتهم بثورة لورنس -مكماهون - عوده ابو تايه الذى باع دينه بطقم أسنان ـ الشريف حسين الذى باع ويبيع احفاده أى شىء مقابل عرش أى عرش! اعتمد القوميون العرب هؤلاء وفعلتهم. . واستبعدوا الثورة الوهابية، والسنوسية والمهدية بل وتحفظوا على الثورة العرابية وسموا ثورة ١٩ ثورة الأفندية وأسقطوها من سفر العروبة مع انها كانت محاولة لتحرير اكثر من نصف العرب وقتها !

اقول انه رغم موضوع الكتاب فقد ناقش بالضرورة الحل المنشود .ثم كان كتاب «ودخلت الخيل الازهر» الذى تعتبر مقدمته الى اليوم الاجابة الشاملة فى قضية التحديث والتغريب ولا أظن اننى أتواضع لوقلت أن أحدا من الذين كتبوا فى هذا الموضوع بعد ١٩٦٦ لم يتأثر به. وفى صيف ١٩٦٧كان الكتيب الاشهر : «الطريق الى مجتمع عصرى» الذى كان نقطة تحول فى الفكر الاسلامى المعاصر ، ثم كانت «اخطر من النكسة» و«النكسة والغزو الفكرى» وفى ١٩٦٩ طفت من الجزائرالى لوس انجلوس احاضر المسلمين حول « طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية » الذى صدر فى كتيب وتقرر فى بعض الجامعات ليسحب على عجل .وعندما كنت ألقيه فى قاعة ابن خلدون بالجزائر العاصمة وكان مالك بن نبى حاضرا قال لى انه لأول مرة يشاهد الشباب الجزائرى يتخلى عن تحفظه من فرط تجاوبه وتحمسه . . من هذا ترى اننا معنيون بالثورة الصناعية مهتمون ببناء المجتمع العصرى وليست القضية ابدا هى الحنين لقطع يد السارق او ركوب الناقة. . ذلك تزوير عملاء لا يهدفون ولا يخدمون الا استراتيجية منع قيام المجتمع العصرى فى بلاد المسلمين ومنع المسلمين من انجاز الثورة الصناعية، منع قيام المجتمع المدنى، ذلك المجتمع المدنى الذى عاشت فيه حضارتنا ما يقرب من اربعة قرون ثم سقط بفعل الغزوة الصليبية والاجتياح المغولى فأصبحت حماية الوجود مقدمة على طلب التقدم، وبالتالى نشأت طبقة العسكر المحترفين وتولت الدفاع عن الكيان ثم حكم الكيان وعزلت القيادات المدنية من العلماء والفقهاء والتجار والاعيان. . وأخضعت العامة وشتتت تنظيماتهم وأخفت صوتهم ، بحجة انه لا صوت يعلو على صوت المعركة . . او الجهاد بلغة العصروالذى احتكره العسكر مع ما فى ذلك من مخالفة لتعاليم ديننا ومفاهيم وممارسات الذين صنعوا حضارتنا . فقد كان الجهاد فى مفهومهم يعتمد على الأمة المجاهدة لا الجيش المحترف . . بل لقد ذهبنا فى تفسيرنا لحكمة تشريع الجهاد وفرضه على كل مسلم ومسلمة هو منع قيام طبقة العسكر . .

فلما وقع المحظور وظهرت طبقة المماليك واعلنت ان ليس على العامة خروج. . سقط المجتمع المدنى فى العالم الاسلامى وبدأ ظهوره فى اوربا مما افضنا فى تفصيله

منذ ربع قرن بالتمام. ويأتى اليوم من يدعى اكتشاف قضية المجتمع المدنى . . وبروح التزوير التى تشربوا بها نراهم يزيفون القضية، اذ جعلوا المجتمع المدنى يعنى العلمانى وأنه لا يكون مدنيا الا اذا كان مضادا للدين أو الدولة الدينية . . إلخ

ولو صح زعمهم فنحن اذن ننعم بالمجتمع المدنى من زمان فما هى مشكلتنا وما هى أزمتنا وما هى قضيتهم. . هل يمكن القول انها الدفاع عن المجتمع المدنى القائم فعلا ويتهدده خطر الزحف الدينى الذى سيفقده الطابع المدنى ويخضعه للمؤسسة الدينية. . ؟!

نحن نقول أن المجتمع المدنى بدأ فى التراجع فى مصر أو إن شئت العالم الاسلامى منذ الحروب الصليبية، واستمر تدهوره ومقاومته فى نفس الوقت، فكان ينتعش مع تدهور طبقة العسكر «المماليك». . وابتعاد الخطر الأجنبى، وقدرة البورجوازية المصرية على المقاومة او استعادة واحدة من ارواحها السبعة التى يخنقها العسكر او الحكم الاجنبى فى كل مرة. حتى جاءت الحملة الفرنسية وانهار العسكر، ففر منهم من فر الى الشام، اما الذين أحيط بهم فلجأوا الى خيمة الجنرال بونابرته حيث عملوا فى خدمته كعملاء وكانوا على استعداد لاستئناف ضرب الشعب لحساب سر عسكر الفرنسيس، وعملوا فعلا معه فى ضرب ثورات المصريين ونهب أموالهم. .

وعندما غاب عسكر المماليك من الساحة وسقطت شرعيتهم بتخليهم عن المعركة التى حكموا البلاد باسمها اربعة قرون على الاقل. . خلت الساحة للمجتمع المدنى المصرى ، الذى حمل المواجهة ضدجيش الاحتلال الفرنسى، وخلال ثلاث سنوات نما هذا المجتمع كالنباتات البرية وسيطر على الاحداث فاستهلك قوة الحملة الفرنسية وهزمها وطوى صفحتها، ثم صفى النفوذ العثمانى، وتحدى السلطان فى اهم امتيازاته وهى تعيين الوالى اذ استطاع المشايخ والتجار والاعيان واولاد البلد. . الحرافيش - والزعران طرد والى السلطان وتعيين الذى وقع عليه اختيارهم، لاعتقادهم انه يمكن ان يحقق اهدافهم. ولكنه كان عسكريًا حتى النخاع وإن تعلم من اوربا ان يصبغ بشرته بلون متحضر، اذ سرعان ما حطم قيادات المجتمع المدنى ثم عسكر المجتمع كله

ووضعه فى خدمة الجيش .

ما علينا . . دار تاريخ مصر منذ الحملة الفرنسية الى اليوم فى دائرة مغلقة أو كاتش ٢٢ . . المجتمع المدنى يحـاول ان ينهض فيضرب بيد العسكر سـواءالعسكر المصرى او الاجنبى حتى نصل الى ضربـة عبد الناصر القاتلة . . ورغم ذلك عـاد المجتمع المدنى يطل برأسه مـن جديد فى فتـرة السادات ومـا بعدها وكان ابرز مظاهـر هذه النزعة ، محاولة الاستقلال عن الدولة فى الخدمات والاقـتصاد ، فظهرت الدروس الخصوصية والمدارس الخاصة والمستشفيات الخاصة وشركات توظيف الاموال.

و تطورت الامور الى نوع من الادارة الذاتية كما حـدث فى الزاوية الحمراء وامبابة والمطرية ومعظم بلاد الصعيد . . اما فى مواجهـة البيروقراطية الفاسدة التى لا مفر من طلب اختـامها واوراقهـا ، فقد لجأت الجـماهير الى الحل الذى حـاول فيلم الارهاب والكباب عرضه وفشل . . أعنى إنجاز المعاملة بالسلاح . . مهما اختلفت اشكال التعبير التى اتخـذها ولكن الرسالة كـانت واضـحة . . نحن لا نملك مـا نرشوك به . . انجـز معـاملتنا والا فإن الجمـاعة يستـخلصون حقنا . . ولذلك ارتفـعت الصيحـات تهاجم الذين اقاموا دولة داخل الدولة . . وكان من الطبيعى ان تسحق الدولة الاكبر محاولة التمرد . . على الاقل جـانبها السلمى . . وكل ما نراه من صـراعات وعنف وازمات واصطدامات يمكـن ان ندرجه تحت عنوان واحد هو صـراع المجتمـع المدنى للافلات من قبضة الدولة . . تلك الدولة التى تستمد شرعيتها التاريخية من انقلاب عسكرى ، وتعتمد فى استمرارها وحمايتها فى اللحظات الحاسمة على الاقل على القوات المسلحة والتى تقيم مـجتمعـا يحتل فيه الضـباط المرتبة الاولى بل ويرفضـون تخطى اى مدنى لمستوياتهم.

ولا شك ان طرح القـضيـة على هذا النحـو يدعم حجـة المدنيـين ويجمع حـول قضيتـهم الرأى العام ، ويسهل مهمة تغـيير شكل الدولة وتحقيق الانفـراج الاقتصادى والاجتمـاعى فيحل السـياسى محل العسكرى ورجل الاعـمال محل البيـروقراطى او السيد اللواء مع كل ما يصاحب ذلك من تطوير وتحديث ومقرطة . .

وبالطبع فإن القوى التى تحكم المجتمع المصرى وتستفيد من هذا الحكم لا تقبل التنازل ولا ترضى بتصفية دورها ، وهى تلجأ الى البطش المباشر الذى لم يسبق له مثيل ، وفى نفس الوقت تغطى اهدافها الحقيقية وتخفى طبيعة الصراع باتهام القوى الساعية لإزالتها بشتى الاتهامات ، فهى تصادر شركات توظيف الاموال وتفلس مصانعها وتبدد ممتلكاتها وارصدتها وتنزل بالمودعين خسارة فادحة وعقابا صارما على محاولتهم الافلات من قبضة البيروقراطية ، وتنكل بالذين حاولوا بناء الاقتصاد خارج هذه القبضة ، فتعاملهم كالمجرمين «ينامون على البرش ويبولون فى الجردل »!! ولا يحقق تدخل الدولة الا خسارة المودعين وضياع الايداعات وافلاس ما شيد بهذه الايداعات ووقوع نكسة شاملة للاقتصاد والمجتمع المدنى . .

اما القيادات الفكرية للمحاولة المدنية فتكال لها الاتهامات السياسية والعقائدية والبوليسية ، فإذا حاول مصريون مسلمون الدخول فى صناعة الكمبيوتر ليلحقوا بالعصر ومواجهة الزحف الاسرائيلى الذى يحتكر البرامج العربية . . ويصدر لامريكا مكونات الكمبيوتر . .اذا ما حاول مصريون الدخول فى سوق الكمبيوتر، واصطدموا بالفساد الذى يريد احتكار عمليات الدولة ، ضربوه بزعم انه غطاء لعمل سرى ثورى ارهابى مسلح ويحتفظ باسماء الاعضاءعلى اجهزة الكمبيوتر والبرامج التى يستخدمها . . وبالطبع ان التنظيم المسلح لا يحتاج لشركة كمبيوتر كاملة لكى يحتفظ بدسك عليه اسماء اعضاء التنظيم ، بل يكفى كمبيوتر يعمل فى خمارة بعيداً عن الشبهات. ولا حاجة لهذا التنظيم ان يشهر نفسه تحت اسم اسلامى هو السلسبيل! بل كان المعقول هو ان يبحث لنفسه عن اسم لا يثير الشبهات مثل الصليب الدولى او نجمة داود او اسد يهوذا او الروتارى. . كانت محاولة لحماية الوجود واسم سلسبيل هو مجرد مواجهة او حتى منافسة فى اسواق المسلمين ، لاسم «الاسفار» الذى يتسمى به اشهر برنامج كمبيوتر اسرائيلى وترجمناه او ترجموه لنا باسم "النصوص " . . يا حسرتنا وخيبتنا . .واسرائيل تسند برامج الكمبيوتر للنصوص وابوزيد يتوج منور القرن لأنه يرفض ان يستند الفقه للنصوص !

وقد اقتنعت النيابة بتهافت الاتهام و امرت بالافراج عن كل المتهمين فى قضية الكمبيوتر او سلسبيل . . ولكن هيهات ! لقد ضربت المحاولة ولن تقوم لصناعة الكمبيوتر قائمة فى مصر . .

وفى السنوات الأخيرة اتهمت محاولات البعث الحضارى ، بمحاولة اقامة دولة دينية كهنوتية . .صدر الاتهام من امريكا واسرائيل وتبناه على الفور موظفون مصريو الجنسية يعملون فى مؤسسات امريكية، ويقبضون بالدولار! ولأن هذا الاتهام لا يمكن ان ينهض على ساق لسبب بسيط انه ليس فى الاسلام لا كنيسة ولا رجل دين ولا حاكم باسم الله او نيابة عنه . . لذا لا يجدون سبيلا الا الكذب والافتراء ، وكلما ضاق عليهم الخناق اضطروا لكشف الاقنعة التى يحاولون التستر خلفها واخرهم هذا الذى قال ان الدولة الدينية الثيوقراطية المرفوضة لا تحتاج لكنيسة بل بمجرد انتساب الدولة لدين تصبح دولة دينية فيها وفيها. . !! وهو بذلك يكشف الهدف الحقيقى لكل الدعاوى التى تتستر خلف العلمانية او التقدم او الخوف من الديكتاتورية الدينية .. إلخ أنهم لا يخشون الا الاسلام ولا يعادون الا الاسلام ولا يقبلون اقل من ازالة الاسلام وفرض وضع كذلك الذى فرضه أتاتورك أو حاوله بورقيبة . .

انهم يتشدقون بالديموقراطية وهم يؤيدون ويعملون ويقبضون من احط النظم ديكتاتورية . يؤيدون ديكتاتورية لا شك فيها بزعم التخوف من ديكتاتورية محتملة. . والجماهير لا تعيرهم انتباها فهى تكشف كذبهم ونفاقهم ، والجماهير تعانى من ديكتاتورية وفساد النظم التى يعمل لحسابها هؤلاء ويضربون بسيفها مما لا يترك مجالا لسماع ترهات المثقف العميل . .

ومنذ أن بدأت الغزوة الاوربية المسيحية لبلادنا بدأ معها الغزو الفكرى ، فأول حملة جاءت بالمستشرقين والمطبعة ثم المبشر . . والى اليوم يعمل المبشرون على اخراج المسلمين من دينهم «١»والاثنان المستشرق والمبشر ، استعانا بجيش الاحتلال على تزوير الفكر فى بلاد المسلمين والسيطرة على التعليم لاخراج المسلمين من دينهم وتيسير قبولهم للاستعمار دون حاجة لاستفزاز التنصيرالمباشر . . بل بخلق الاسلام

العيسوى وهو تعبير سُكّ فى اجتماعات المبشرين ونشر علنا فى كتبهم فى النصف الثانى من القرن العشرين فى اطار الهدف الذى اعلنوه وهو القضاء على الاسلام قبل عام ٢٠٠٠. وهو ما يسعون اليه منذ أربعة قرون. فكما يقول برنارد لويس فى مقدمة كتابه «الاسلام والغرب ١٩٩٣»: «لقد تبين الغرب استحالة تنصير المسلمين» وهذاصحيح اما ما لم يقله برنارد فهو ان الغرب قرر تنصير الاسلام نفسه ، بخلق ما يسمونه الاسلام العيسوى ، تجريد الاسلام من كل خصائصه وما يميزه ، تفريغه من محتواه . . .ولا شك ان اهم ما يميز الاسلام هو قضية الحكم. . فالاسلام كما يقول المسلمون ويعرف المستشرقون لم يترك ما لقيصر لقيصر ، بل لم يقبل اساسا استمرار قيصر ، وقد حقق فصل الكنيسة عن الدولة بالغاء الكنيسة و ليس التخلى عن الدولة، فالحكم فى الاسلام قضية اساسية بدونها لا يستقيم دين ولا تصح دنيا . . والدولة فى الاسلام كما قلنا هى المؤسسة الوحيدة المخولة بالدفاع عن المسلم والاسلام . . فضلا عن التطور التاريخى الذى ادى لسقوط بلاد المسلمين تحت سيطرة واحتلال واستعمار الدول المسيحية . . ومن ثم اصبح التمسك باسلامية الدولة هو جوهر وشكل وصيغة الكفاح من اجل استقلال الوطن وتحرر المسلمين . . وقد لجأ قادة الشعوب المسلمة فى استنهاضهم لهمة الجماهير للدفاع عن استقلال بلادهم ، الى اصدار الفتاوى التى تجعل قبول السلطة الاستعمارية والخضوع لها جريمة دينية ابتداء من رفض شيوخ الازهر شارة الاحتلال الفرنسى المثلثة الالوان «٢» الى فتوى شيوخ ايران بتحريم التبغ و اعلان لا ولاية لغير المسلم «٣»الى رفض دفن الجزائرى الذى يتجنس بالجنسية الفرنسية فى مقابر المسلمين الى الحجاب الى التمسك بالخلافة . .

ولم يكن من الصعب على الاستعمار ان يكتشف خطورة الايمان الدينى والشعارات والفتاوى الدينية فى تصعيد المقاومة الوطنية وشحن الجماهير ضد سيطرته، واذا كان قد استعان بالمدفع والبنادق الحديثة والحكومات العميلة فى ضرب الثورات، فقد أدرك ضرورة تجفيف المقاومة من المنبع ، تجريد الحركة الوطنية من اقوى اسلحتها وهو العنصر الدينى . .

كـانت اوربا تخرج فى جـحـافل الغزو والاسـتـعـمـار باسم الدين ترفع الأناجـيل والصلبان على سوارى السـفن ، والقسس يباركون الجند وما يسلبـون ، وكان العدو الذى يقاتلونه فى كل مكان من اسـيا وافريقيا هم المسلـمين . . كان الزحف الاوربى الاسبـانى والبرتغـالى والروسى والهـولندى والبريطانى والفـرنسى ، يقاتل المسلـمين وعلى حساب المسلمـين . . من غرناطة الى جاوه ومن قازان الى عـدن. وحتى القرن التاسع عشر لم يكن هناك من يتصدى لاساطيل الغرب الا اسطول وقلاع المسلمين. . بل كان الاوربيون يعتبرون الكشوف وفتح العالم الجديد جزءا من الجهاد الدينى ضد المسلمـين ، فقد بدأت بـهدف تطويق المسلمـين وانتزاع البـحاروالتجـارة منهم . واول محاولة اوربيـة للوصول للهند كانت على جثة اسطـول مصر. . ويكتب برنارد لويس اكبر مـستشرق على قيـد الحياة واستاذ دراسـات الشرق الاوسط فى جامعـة برنستون وترجمت كتبه الى ٢٢ لغة . . يقول فى كتـابه المطبوع فى جامعة اكسفورد عام ١٩٩٣ حرفـيا : « فى عام ١٩٢٠ كـان يبدو ان انتصـار اوربا على الاسلام هو نصـر نهائى ودائم »«فالملايين التى لا حصر لـها من المسلمين وبلادهم الشاسعة فى اسيـا وافريقيا اصبحت فى قبضة الامبراطوريات الاوربية القوية .» « انظر الغرب والاسلام »

أمـا فى بلادنا فقـد استـأجـروا من يقول لنا . . لا تقـولوا انهـا حرب دينيـة ولا تستصـرخوا الاسلام والمسلمين والا كنتم متخلـفين ومتعصبـين! نفس اللعبة على المستوى التكنولوجى . . كانوا هم يتسابقون للتصنيع ويحرمونه علينا فيقررون ان مصر بلد زراعى ويشرعون ان المصنـع هومكان مقلق للراحة ضار بالصحـة ويعارض رجال الحملة الفرنسية فى اشتغال المصريين فى مصنع الجوخ الذى فتحوه فى مصر خوفا من "ان يتعلم المصـريون سر الصناعة فهم مـعروفون بذكائهم "«٤». . واسرائيـل خليفة الامبريالية الصليبية ، تمنع علينا انتاج القنبلة الذرية وتحتكر هى انتاجها ، وكذلك تقيم هى دولة على اساس الدين وتبعث اللغة العبـرية من الاجداث . . بينما نستأجر عندنا من يدعو لنبـذ اللغة العربية، والكتـابة بحروف لاتينية ، ومن يجعل اى انتـماء للدين تخلفا ورجعية . . حرموا علينا انتاج المدافع ليقتلونا ويستذلونا بها! وكذلك يفعلون .

ومنذ بدأ اعداد المنطقة للامبراطورية الاسرائيلية نشطت الجماعة اياها من جديد تمهد لهزيمة واستسلام العالم العربى والمسلمين وانتصار اسرائيل، وليس هذا الذى نناقشه إلا بعض قديمهم الجديد وجديدهم القديم..

فاقرأه واستوعبه واعمل على أن لا يضطر أولادى لكتابته مرة ثانية لأولادك .. أو حتى العكس!

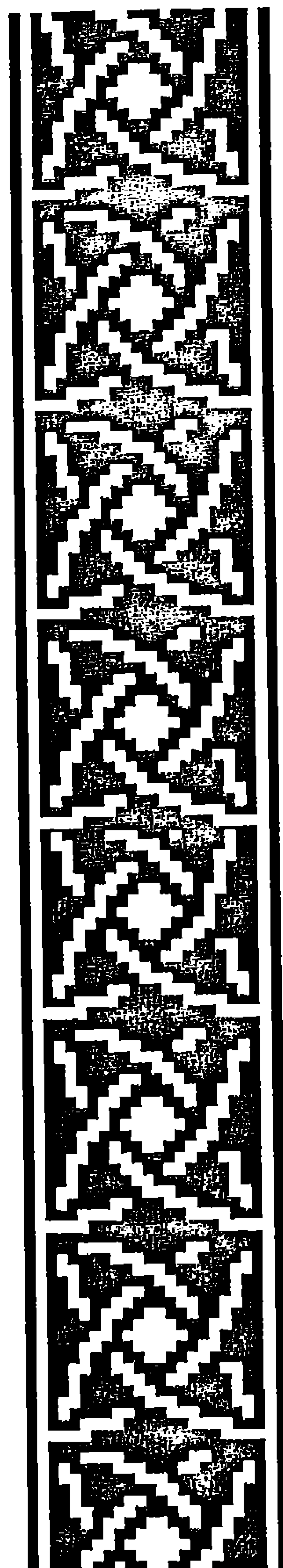
مدريد ٨ نوفمبر ١٩٩٣

١-قبض على مجموعتين من الأمريكان والكنديين يقومون بالتبشير فى مصر وتم ترحيلهم.، لم يتساءل هؤلاء الذين يبشرون بزوال الاسلام وتخلف المؤمنين به ما الذى يدفع هؤلاء لترك مجتمعاتهم المتمدينة المتحضرة العلمانية والمخاطرة فى بلادنا لتنصير المسلم ؟!ولماذا يمنع المسلم من الدفاع عن دينه ازاء هجومهم .. اما الجماهير فتربط على الفور بين نشاط المبشر الخواجة وبين حملات عميله الذى يحمل اسما عربيا وكلاهما يعمل للقضاء على الاسلام باخراج المسلم من دينه .

٢- انظر مناقشتنا فى كتاب « ودخلت الخيل الأزهر »

٣-"لا ولاية لغير المسلم" من القضايا التى أثارتها حديثا قوى الفتنة اذ زعمت انها تمنع المواطن المسيحى فى الدولة الاسلامية من تولى اى عمل على المسلمين من الوزارة فما دونها .وقد فوجئت بسؤال بهذا النص فى مقابلة تليفزيونية جرت وراء البحار. فأجبت على الفور .. ان الولاية المقصودة هى السيادة وهو شعار رفع فى مواجهة السيادة الاوربية على بلاد المسلمين لاسقاط شرعية حكم الاوربيين، وتشريع الثورة ضدهم . أما فى ظل الدولة الاسلامية فإن السيادة تصبح للأمة أو الشعب أو الدولة ممثلة فى مؤسساتها التى يعمل باسمها وتحت سيادتها الموظف بصرف النظر عن الدين .. فالولاية بمعنى السيادة غير واردة بالنسبة للموظف أو الوزير مسلما كان أو مسيحيا أما الولاية بمعنى السلطة فقد كانت للخلفاء وزراء وكتاب من المسيحيين واليهود .

٤- انظر «ودخلت الخيل الازهر» .



الفصل الأول

سلامه موسى

أخطر عملاء الغزو الفكرى

سلامة موسى..

اقليمى.. عدو للعروبة والإسلام.. عميل من أخطر عملاء الغزو الفكرى.. ارادوه أن يمثل دوراً بعينه.. أن يحمل معول الهدم، ليدمر تراثنا العربى، وعقيدتنا الإسلامية.

أرادوه أن يكون هو الأداة التى يحركها المستشرقون والمبشرون والخواجات.. فهو على الأقل يحمل اسماً مصرياً.. وإن يكن فجوره وتوقحه وإغراقه فى عداوة وطنه قد جعل شيخ العملاء «يعقوب صروف» يتشكك فى مصريته ويصر على أن به عرقاً غير مصرى (١).

وما كان غيره يقبل هذا الدور.. التقطوه من على مقاهى الإسكندرية، بلا مؤهلات، فشل فى تعلم القراءة والكتابة حتى سن الحادية عشرة (٢).. رغم تردده على مدارس الأقباط والمسلمين.. وعجزه عن مواصلة الدراسة إلى أبعد من الشهادة الابتدائية.. وأرسلوه إلى أوربا ليدرب ويعد للمهمة التى اختاروه لها.

وفى لحظة حاسمة من تاريخ أمتنا.. ومصطفى كامل يمزق حجب اليأس، وينفث فى الأمة روح الأمل يحاول أن ينسيها مرارة هزيمة الثورة العرابية.. ويدفع فى عروقها بحرارة اليقين، بقوتها، وقدرتها على هزيمة المحتلين.

ويوم شنق شهداء دنشواى، كان يتناول طعامه فى الإسكندرية، فأفسدت شهيته لمدة أسبوع! قرر بعده.. لا الانضمام إلى الحركة الوطنية.. بل الهرب إلى أوربا صاحبة المذبحة.

وقد كان رغم جهود مصطفى كامل، بل وبسبب هذه الجهود «ينظر نظرة تشاؤمية للحركة الوطنية» (٣).

---

(١) سلامة موسي وعصر القلق: فتحي خليل ص ٧٣.

(٢) سلامة موسى المفكر والإنسان: محمود الشرقاوى ص٢٩.

(٣) س.م. وعصر القلق ص٤٢

أخذوه ودربوه.. ليعود فيبشر فينا بأننا جزء منهار من كل من حكم عليه بالفناء والموت.. وأن الغرب هو القوة المسيطرة.. وهو المنتصر.. وكانت بنادق الإنجليز أقوى إقناعاً من كل منطقه.. فخابت بنادقهم وخاب منطقه.

جاء يبشرنا بأن الدين رجعية، وأفكار بالية ومناقض للعلم... والعروبة بداوة وجهل وخرافة.. واللغة العربية هى أبشع لغات العالم، وأحراها بالزوال العاجل.

وكانت أصول اللعبة تقضى أن يحمل معول الهدم من له اسم مصرى.. لأن خبرة الصيادين تعرف أن الفيلة لايقودها إلى سجن الصياد الماكر، إلا فيل عميل أتقن تدريبه، ليتسلل بين القطيع، فيألفه القطيع لأن جلده مثل جلدهم.. ويسمعون له، لأن صوته يشبه صوتهم، فينقل من حقد قلبه المأجور، ما لقن من لفظ مسموم حتى يغرر بهم ويسوقهم إلى حظيرة الصائد، الذى ينتزع أنيابهم ليصنع منها منافض لسجائره، ومقابض لعصيه، وكرات يلعب بها، ويحيلها، من شموس سيدة الغابة، إلى مهرجة فى السيرك ومطية لأطفاله العابثين!!

وقد فهم دوره هذا، فنراه فى الوثيقة التى كتبها إلى وكيل وزارة الداخلية فى حكومة محمد محمود يعرض خدماته بأن يتولى هو إحداث انشقاق فى الأقباط الملتفين حول الوفد ليقودهم لتأييد المعاهدة مع بريطانيا.. ويقول بالحرف الواحد وبخط يده «قد كنت منذ أشهر طلبت الترخيص لى بإصدار جريدة يومية باسم «الدنيا» لكى أخدم الحكومة فى الدعوة لها بين الأقباط».

عاش عدوا للعروبة والإسلام، مبشراً بالحضارة الغربية والنفوذ الغربى.. ورأى زوال السيطرة الغربية وانتصار العروبة والإسلام.. فمرض ومات.. ولم يسر فى جنازته من أهل الكتابة إلا تسعة (١).

وكان أحرى بنا أن نهيل عليه التراب وننساه.. لولا إلحاح البعض على العبث بجيفته.. فى محاولة يائسة لصنع قديس من بقاياه..

---

(١) سلامة موسى المفكر والإنسان: محمود الشرقاوي.

وكل من درس أساطير القديسين والأشباح والعفاريت، يعرف أن ما قاله العفريت أو فعله لا يساوى شيئاً بجانب ما تضفيه الأسطورة عليه وما تحكيه عنه.. ونفس الشئ هو ما يجرى الآن حول «سلامة موسى» على أمل أن يعبد يوماً، مادام أجدادنا قد عبدوا القطط والبقر والكلاب والقردة والتماسيح والخنافس..

ولكى يعبد سلامة موسى.. يجب أن يكفر الجيل الجديد بكل تراثه.. فتعرض «الطليعة» فى دراستها بكل كتابنا «فأغلب المفكرين عندنا كانوا نقلة، أو أدباء يدورون حول حقائق جزئية، وترجع أهمية سلامة موسى إلى أنه المفكر الذى حاول أن يعطينا هذه النظرة الشاملة»(١).

وهو أكبر ناقل.. بل ليس فى كل كتاباته إلا النقل.. قولوا لنا فكرة واحدة بخلاف الجهل والخطأ فى الترجمة والفهم..

ما هى أفكاره؟.. وما الذى أضافه؟.. ما الذى بقى منه؟.. ماالذى عدله قبل موته؟ وماالذى أنكره وما الذى أصر عليه؟.. نسمع كلاما مضحكاً..

إنه أول من دعا إلى تحديد النسل؟.. يقصدون ترجم وروج لأن فكرة تحديد النسل ظهرت قبل أن يقولها هو بنصف قرن.. فهل يعتبر رائداً، من يترجم؟.. أو يكلف بترويج فكرة أشبعت درساً ونقداً فى أوروبا؟.. هل كنا بحاجة إلى تحديد النسل فى مطلع القرن العشرين؟.. لقد دعا سلامة موسى لتحسين النسل إن شئنا الدقة ثم طورها لتحديد النسل.. ولم يزد دوره عن الترويج لما لا يؤمن به لأن زوجته هو أنجبت ثمانية..

إنه أول من دعا للتصنيع..

ودعنا من أول هذه، فهى كذب صريح.. لأن محمد على كان يفهم أهمية التصنيع.. ولكن.. هل التصنيع مذهب؟.. موضة؟ يحتاج لإعلان أو دعاية؟.. هل كانت مشكلة مصر.. هى عدم الإيمان بالتصنيع؟.. نقص الدعاية له؟ هل هناك

(١) الطليعة ص ١٢٧.

أمة من الأمم ملكت مصيرها وتحررت من الأجنبى ولم تتجه لـلتصنيع؟ . . هل كانت مشكلتنا فى الافـتقار إلى داعيـة بليغ مثل سلامـة موسى يبشرنا بالتـصنيع أم إلى قوة جيش مصرى وطنى يقهر ثمانين ألف جندى بريـطانى، يبقون بأسلحتهم فى مصر لمنع تصنيعها؟

هل كان بوسع مـصر لو آمنت وتهوست وتدروشت فى حب الصناعـة. . هل كان بوسعها أن تتصنع قبل خـروج الإنجليز؟ أليس من المضحك المبكى أن يقول البعض أن مشاريعنا الصناعية اليوم هى ثمرة انتصار دعوة سلامة موسى للصناعة؟

الاشتراكية؟ . .

نعم بشر بالاشتراكية فى ظل الاحتلال البريطانى؟ . .

اشتـراكية الفـابيين التى «تصبـر على المشاكل فلا تـعجل حلهـا بالعنف والقوة. . وتعمل على تحـقيق الاشتراكـية بدون تسرع. . بل بالتريث والأناة والروية والـصبر. . أى بالطرق السلمـية والخطوات المنتظمـة البطيئـة». «منهم الفابيـين الإنجليز القـائلين بالتطور التدريجى والمعادين لأسلوب الكفاح الثورى؟ . .(١)

مارأيكم فيمن يبشر بمذهب يعادى الكفاح الثورى فى سنة ١٩١٠؟ ومصر تحتاج لمن يعلمـها صـباح مـساء. . إنه لاحل إلا بالكفـاح الثورى. . أكـان حقـا يمكن تحقـيق الاشتراكية فى مصر الملكية المستـعمرة. . بل وتحت الحماية البريطانية بالتدريج والتطور السلمى والأسلوب المعادى للكفاح الثورى.

كانت الثورة تتجمع بكفاح مصطفى كامل. . والجمعيات السرية، بالإرهاصات التى انفجـرت فى ثورة ١٩١٩ . . فجـاء هذا، يفسق فى عـقول المثقـفين باسم الفـابية. . بالتطور السلمى؟ . .

سـلامة مـوسى اشتـراكى؟ . . وهو الذى يعـيرنا بأننـا «نؤلف عن معـاوية بن أبى سفيان، فى الوقت الذى كان يجب أن نؤلف فـيه عن هنرى فورد، عبرة الصناعة فى

---

(١) ص ٣٥ من سلامة موسى المفكر والإنسان: محمود الشرقاوى.

عصرنا»[1]. هل كانت الكتابة عن هنرى فورد تقودنا للاشتراكية؟.. هل المعجب بهنرى فورد عبرة الاحتكارية الامريكية.. اشتراكى؟

على أية حال.. لقد كنت أوثر أن نوارى سلامة موسى تراب النسيان، عسى أن يغفر الله له ما ارتكبه فى حق أمته.. لولا جهود المبشرين بالمسيخ الدجال.. وقد آليت على نفسى فى هذه الدراسة ألا أنسب إليه إلا ما نسبه إليه تلاميذه وحواريوه والمبشرون به [2].

من هو؟..

أول ما يذكر من صباه.. أنهم أخرجوه للدنيا فى ثياب فتاة، وخرقوا أذنه، ووضعوا فيها حلقاً، حتى استحال على «الرائى المدقق أن يكتشف إذا ما كان أنثى أو ذكراً» [3]. فنشأ معقداً جنسياً مدمناًعلى العادة السرية «إن العناء والعذاب اللذين كان

---

(١) ص ٨ البلاغة العصرية واللغة العربية.

(٢) كل النصوص هنا.. مستمدة من ٣ كتب وضعت فى تمجيده..

سلامة موسى المفكر والإنسان.. محمود الشرقاوى، يصف سلامة موسى: «كان له وجه رجل (!) وذهن شاب، وحكمة فيلسوف وعقل مقتحم، وصبر مكافح، وروح متصوف، ونفس ملاك، وجرأة بطل، وقلب طفل، واستعلاء مؤمن صادق الإيمان». وأضيف أنا.. وضمير مأجور.

والكتاب الثانى: سلامة موسى وأزمة الضمير العربى.. لغالى شكرى: «إنى أحس ارتياحاً عميقاً حين أقرر أن سلامة موسى من عظماء عصرنا».

والكتاب الثالث: سلامة موسى وعصر القلق: فتحى خليل: «إن عام ١٩٥٨ هو العام الذى مات فيه البطل سلامة موسى».

ثم نصوص من ملف خاص أصدرته مجلة الطليعة تمجيداً له وتحية لذكرى وفاته.. ولكنها للأسف لم تجد كاتباً واحداً غير طائفى يشترك فى إعداد الملف.. فأصدرته بدون أسماء ستراً للمهزلة التى فضحها «أنيس منصور» بنشر أسمائهم فى عبارة بارعة عندما قال: «نشرت الطليعة بحثاً عن سلامة موسى بغير توقيع فلان.. وفلان.. وفلان!!

ولاشك أن رواية هؤلاء هى الحد الأدنى من الصدق والاستناد إليها هو أقصى ما يلزم المرء به نفسه من الإنصاف.

(٣) س. م وعصر القلق ص ٢٧، ولعل ذلك ما أحوج صفيه محمود الشرقاوى إلى أن يعدد من مناقبه «إنه كان له وجه رجل».

يلقاهما فى المدرسة الثانوية أوقعاه فى تلك العربدة الجنسية الذاتية التى انغمس فيها للترفيه عن نفسه»[1] وأفضت به العادة السرية إلى العجز الجنسى.. فعندما سافر إلى أوروبا عجز عن معاشرة الفتيات «فقد أذهل سحر بدنها الأسطورى رجولته»[2].

«التعس الجنسى الذى كان يجده عند التعارف بالفتيات حيث كان هذا التعرف الحميم ينتهى بخيبة تكوى القلب والعقل معا.. هذه الخيبة التى لقيها فى الحب والمرأة»[3].

وعكس عجزه الجنسى فى احتقاره للجنس حتى يتنبأ بزوال الشهوة الجنسية فى عصر السوبرمان[4] «وكان يشعر بخجل كبير فى علاقاته الاجتماعية، وخاصة مع المرأة»[5].

ويصب حقد خيبته الجنسية على الأسرة الشرقية.. فيزعم أن سببها هو نشوءه فى مجتمع يفصل الرجال عن النساء.. ولو كان ذلك حقاً لانقرض الشرق كله.. ويرجع الشذوذ الجنسى إلى نفس السبب.. ولا يفسر لنا سر انتشاره فى أوروبا وأمريكا.. حيث يختلط الذكور والإناث إلى حد الامتزاج..

ويصف فقده القدرة الجنسية بأنه شئ لا يؤبه له [6] رغم كل الضجيج الذى أقامه حول الجنس.

كان يقول ويبشر ويثير بغير ما يؤمن.. كان يدعو المسلمين لتحديد النسل وأنجبت زوجته هو ثمانية أطفال [7] وهو رقم قياسى حتى فى مصر..

---

(١) س. م. المفكر والإنسان ص ٣٢.
(٢) س. م. وعصر القلق ص ٦٣.
(٣) س. م. المفكر والإنسان ص ٣٣.
(٤) مقدمة السوبرمان ـ ١٨ ـ ولعله هنا يعود لرأى رجال الكنيسة الأوائل ترتوليان الذى كان يرى أن الجنس هو ثمرة خطيئة حواء وآدم وتوماس الأكوينى الذى عدل هذا الرأى بأننا كنا سنتكاثر فى الجنة بالاتصال الجنسى ولكن بغير لذة لولا خطيئة حواء وآدم.
(٥) س. م. المفكر والإنسان ص ٥٩.
(٦) س. م. المفكر والإنسان ص ٧٠.
(٧) س. م. المفكر والإنسان ص ١٥.

«دعا طول عـمره لأن يعيش الشرقـيون، بل الفلاحـون في بيوت عصرية نظيـفة وعاش حياته كلها في مساكن من بيوت القرن التاسع عشر» (١).

« دعا لأن تكون لـكل فتاة حـرفة . . ولو كـان ديكتاتوراً لاشـترط على كل فـتاة ترشح للزواج أن تكون قد عـملت وكسبت من عمل حـر أو وظيفة حكوميـة خمس سنوات علـى الأقل، بل أزيد على هذا، أن هـذه السنوات الخـمس يـجب أن تمضى سواء في مكتب أو متجر أو مصنع مع الرجال» (٢).

«ومع ذلك لم تعمل واحدة من بناته عملاً، ولم تتـول وظيفة. . زوجهن مبكرات وكل واحدة منهن في بيتها، خير زوجة وأم» (٣).

لأنه كان يريد أن تشـيع الفاحشـة في بناتنا وحدنا. يكثـر من الحديث عن الحب، ولـم يكن قلبه يحـمل إلا الحقد، نفث حـقده في جمـيع كتابنا: «توفـيق الحكيم كان يمارس الفن وفق سخافة الفن للفن». .

«كذلك أحس وأنا أسـمع بعنوان جديد لطه حسين أو عـباس العقاد بأنهـما يؤلفان للتأليف وليس لهدف اجتماعي يخدم الشعب» (٤).

ويكتب ضـدهم بلاغاً إلى الثـورة فيقـول: «إن أدباءنا الكبار إلى بداية الـثورة في ١٩٥٢ لـم يعملوا قط للثورة على الأوضاع الخسيسة التي كان يستند إليها نظام الحكم، فلم يكن بينهم إلا من أيد فاروق أسفل تأييد وأحطه» (٥).

في ١٩٥٠ ومصر تغلي بالثورة والمد الثوري يغري بالتطرف، والصحف تصادر كل يوم بتـهمة العـيب في الذات الملكية والـدعوة لقلب نظام الحكم وعـشرات بل مـئات يدخلون السجن ضـد النظام الملكي، في فدائيـة تنتشر دائـماً قبـيل الثورات. . ولكن

---

(١) نفس المصدر.

(٢) س. م. وأزمة الضمير العربي ص ٢٢١.

(٣) س. م. المفكر والإنسان ص ١٥.

(٤) س.م

(٥) س. م. المفكر والإنسان ص ٧٨.

سلامة موسى «الثائر الرائد» يـقرأ كتاباً شيوعياً على الباخـرة ورقة ورقة. . وكلما قرأ ورقة ألقاها فى البحر حتى لا يضبط معه عند وصوله إلى مصر.(١)

سجن بضعة أيام فى حـياته ـ التى طالت بغير مبرر ـ فـجعلها أسطورة، ولم يكف أبداً عن الحديث عنها. .

وبدلا من موقف البطل محـمد فريد الذى هدد زوجتـه بالطلاق إذا تشفعت له. . نرى زوجة الرائد البطل الشـورى رغم «استعـلاء المؤمن» تذهب فى غير استـعلاء إلى سابا حبشى (٢)

ولماذا سابا حبشى بالذات (٣) الوزير فى وزارة صدقى باشـا ويقبل وزير صدقى أن يتشفع له.

لماذا قبل الوزير اليمينى الرجعى التشفع للمتطرف اليسارى اللادينى اللاطائفى؟ . .

هل لأن؟

أم لأن؟ . .

قد ضاق الصدر بما لا يقال. .

جرئ فى جهله يعـتمد على جهل الآخرين. . ليروج أكـاذيبه وأضاليله وينسب إلى أبى العلاء قوله:

«الشر كل الشر فى. . لبس العمائم والقلانس

والخير كل الخير فى. . هدم الجوامع والكنائس»

وإنه أى شيخ المعرة كان يصعد إلى المآذن وينادى الآلهة:

لقد أسمعت إذ ناديت حياً. . ولكن لا حياة لمن تنادى!!

---

(١) س.م. المفكر والإنسان ص ٤١.

(٢)س.م. المفكر والإنسان ص ٤٧.

(٣) تخلي عن جنسيته المصـرية. . وتجنس بالجنسية الأمريكية ورفع قضية ضـد مصر لأنها أممت قناة السويس.

ويبدو أن الافتراء على سيرة شيخ المعرة.. خطة مدروسة يتوارثونها كابراً عن كابر، ودس الشعر على المعرى أسلوب متفق عليه بينهم أو عند الذين يوجهونهم[1].

ويفشى أسرار المجالس الخاصة، التى كان أعداء العروبة والإسلام ينفثون حقدهم فيها فيستشهد برأى دنئ ليعقوب صروف فى مشايخ الكتاتيب.. ويحرج الرجل فيصدر بياناً يكذبه فيه[2]

يدعى التحرر ومحاربة الأديان.. وهو متدين.. متعصب.. طائفى «رأس تحرير جريدة مصر التى كانت تعبر عن رأى الطائفة القبطية[3]» اشترك فى تحرير جريدة مصر الطائفية التى تصدر فى القاهرة[4].

«استشهد على تعصبه الطائفى من إصداره لجريدة «اليومية» ورئاسته لجريدة مصر، وكلتاهما تميلان إلى مشاكل الأقباط» [5].

ولم يبرر مريدوه، ولا فسروا، كيف أن هذا السوبرمانى الإنسانى الاشتراكى ينغمس فيما يصفونه هم بأنه صحف طائفية؟..

كيف يدعو المسلمين إلى التخلى عن الأديان.. وكما كان يصفه مريده «راح فى مختلف مؤلفاته يلح إلحاحاً شديداً مركزاً على ضرورة الخلاص من أسر الفكر الدينى»[6].

ثم يغرق هو فى الطائفية..

بل إنه يقبل من نيتشه فاشيته ويختلف معه حول المسيح عليه السلام.. «ولعل أحد أسرار العداء» الذى انتهت به العلاقة بين «نيتشة» و «سلامة» هو الحرب الشاذة التى أعلنها الفيلسوف الألمانى بلا هوادة على المسيح» [1].

---

(١) إشارة إلي افتراءات لويس عوض علي المعري.
(٢)س.م. المفكر والإنسان ص١١٣.
(٣) س.م. المفكر والإنسان ص٣٩.
(٤) س.م. المفكر والإنسان ص١٣١.
(٥) س.م. وأزمة الضمير العربي ص٣١.
(٦) س. م. وأزمة الضمير العربي ص ١٣١.
(٧) س. م. وأزمة الضمير العربي ص ٧٢.

ويقول عن نفسه «أومن بالمسيحية والإسلام واليهودية» [1].

والترتيب واضح..

إذن فهو مسيحى.. ومن حقه أن يكون.. ولكن ليس من حقه أن يدلس على الشباب والأغرار فيزعم أنه يدعو «للخلاص من أسر الفكر الدينى» وليس من حق من يسجل هذه المفخرة المسيحية لأستاذه أن يسب «هيكل» لأنه «اجتر من التاريخ الإسلامى أفكاراً بالية» [2] هى «حياة محمد» «وفى منزل الوحى».

يهاجم الإسلام بجهل.. ويفضل عليه المسيحية «ولكن الأديان، للصفة المقدسة التى تتصف بها تقف جامدة لا تقبل تغييراً، فتعمل بذلك لجمود الأمة والأديان تتفاوت فى دخولها فى شئون الناس..

وربما كانت المسيحية أقلها من هذا الوجه.. وقد يعزى بعض الرقى فى الأمم الأوربية إلى ذلك، لأنها لا تدخل فى الأخلاق وليس لها «شريعة» خاصة بالمعاملات.. فالأوروبى حر فى تطوره من هذه الناحية». [3].

وإذا كانت المسيحية لم تنظم شئون الدنيا استناداً إلى النص المنسوب للسيد المسيح بأن يترك لقيصر ما لقيصر.. فإن الكنيسة قد فعلت وفرضت وجهة نظرها على كل صغيرة وكبيرة فى حياة الناس ولا شك أن «الموسوعى» ثقافة كان عليه أنه يعرف أن بغير الكنيسة لا يولد الأوروبى ولا يتزوج ولا يموت..! وإن تاريخ تطور حياة الناس فى أوروبا قد اتخذ شكل الكفاح ضد ما تفرضه الكنيسة عليهم، والحد من تدخلها فى شئونهم..

ولكن هذا الموسوعى يتهوس فى تعصبه حتى يزعم أن «الإسلام نفسه يكاد يكون مذهباً من المسيحية» [4].

---

(١) سلامة موسي المفكر والإنسان ص ١٩٠.

(٢) سلامة موسي وأزمة الضمير ص ٢٠.

(٣) مقدمة السوبرمان ص ٢١ ـ ٢٢.

(٤) ص ٩٦ الشيخ محمود الشرقاوى.. ولا يقول لنا فضيلته ما رأيه فى هذا الكلام.

«وكانت له عاطفة من المحبة والتقدير للسيد المسيح».
بل كان يتحرج من إظهار صورة السيد المسيح أو شخصيته فى السينما والمسرح[1].

وعاد فى حنان إلى الكنيسة «لأنها ـ أى الكنيسة القبطية ـ كانت تمثل «تاريخه المعذب» فأصبح يراها مؤسسة قومية يحس نحوها بالمحبة التاريخية لا الدينية»[2].

ولماذا لم ير هو ولا مريده الأزهرى، فى الأزهر مؤسسة قومية يحسون نحوها بالمحبة؟.. لماذا قبل مريده أن يتتلمذ على كائن يعير الجبرتى بأنه أزهرى؟.. هل الأزهرى قد اختص بالرجعية وحده.. والكنيسة تقدمية؟.. إننا لا نفهم معنى الرجعى والتقدمى عند هؤلاء.. هل هو بالسن؟.. إذن فالكنيسة أقدم من الأزهر بحوالى ألف سنة؟.. لماذا يحب سلامة موسى الكنيسة المحبة التاريخية ويعير الجبرتى بأنه أزهرى.. ويقول عن الأزهر «وربما كان الأزهر أكبر ما عاق تفكيرى الحر» [3].

إننا لا ندعو إلى أكثر من أن يعتبر العربى غير المسلم، الإسلام، تراثه القومى.. تماماً كما يعتبر سلامة «غير المسيحى» فى زعمهم.. الكنيسة تراثاً قومياً.. ومن ثم فلا يحتاج غالى شكرى أن يعتذر عن عداء سلامة موسى للقومية العربية بأن «العروبة فى تلك الأيام «أيام مجاهرته بالعداء» كان يشوبها المعنى الدينى للدعوة الإسلامية..»
وليوقن أنها ستبقى هكذا إلى الأبد.. وبعد الأبد بيوم..

وتعصبه الطائفى هو مفتاح فهم سلوكه المعادى لوطنه وللعروبة.. وهو الذى جعل ولاءه مع الغرب المستعمر لبلاده حتى يدفعه هذا الولاء إلى أن يقول بفحش:

«إن نابليون عندما فتح مصر وحكمها، وهو حاكم مسيحى، أحس الأقباط بشئ من الراحة والحرية» [4].
أليس هذا دسّاً رخيصاً ضد إخواننا الأقباط؟!

---
(١) ص ١٨٨ محمود الشرقاوى.
(٢) ص ١٨٨ محمود الشرقاوى.
(٣) غالى شكرى ص ٢٩١.
(٤) س. م. المفكر والإنسان ص ٢٧.

أليس هذا ترويجاً وضيعاً للحكم البريطاني المسيحى ولعبة بريطانيا الفاشلة فى الاعتماد على الأقليات والتى باءت بالخيبة لوطنية الأقليات المصرية وتعقلها.. ألم يكن هذا دعوة مفضوحة لتفضيل الاستعمار الغربى المسيحى، على الحكم الوطنى الذى ينص فى دستوره على أن دين الدولة الإسلام؟.

أهذا كلام وطنى عصرى تقدمى..؟ يبشر بالسوبرمان والاشتراكية..

لا يرى فى نابليون إلا أنه حاكم مسيحى؟..

ألهذا تنبأ له المستشرق «جب» بأنه سيكون «قوى التأثير على الشباب مسلمين ومسيحيين»؟ فخاب فأل جب (١).

أساتذته الذين آمن بهم وأشاد بهم.. هم:

يعقوب صروف.. فرح أنطون.. شبلى شميل.. كلهم من غير المسلمين.. واسمع صفاتهم من مريدى سلامة موسى..

يعقوب صروف..

لم يكن سلامة موسى يفهم وقتها أنه يواجه واحداً من هؤلاء الذين فروا من وجه طغيان آل عثمان، وبلغ بهم حقدهم على السلطان أنهم تعاونوا مع الإنجليز على تقويض نفوذه.. بالدعاية الصريحة للاحتلال على صفحات المقطم، والدعاية المادية المثيرة على صفحات المقتطف» (٢).

وجهة نظر..

(١) من أقوال جب هذا عن الإسلام والمسلمين التي ينقلها الدكتور م. م. حسين في كتابه الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر.. وحدة الحضارة الإسلامية جعلت العالم الإسلامي كتلة سياسية خطيرة تحيط بأوروبا إحاطة محكمة تعزلها عن العالم.. إن الحركات الإسلامية تتطور بسرعة مذهلة تدعو إلي الدهشة.. فهي تنفجر انفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلي الاسترابة في أمرها.. فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة، لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين جديد..

من كتاب: Whither Islam

(٢) سلامة موسي وعصر القلق ص ٧٣.

منذ أن جعل لويس عوض المعلم يعقوب أول الخونة.. صاحب وجهة نظر فقد أصبح التفريط فى الشرف الوطنى.. وجهة نظر!!

«فرح أنطون» الذى ينقل أحدهم [1] عن أستاذه سلامة موسى أنه كان رائداً من رواد الحرية الفكرية فى الشرق الأوسط..

وفى أوكازيون التزييف الشامل تخلع الطليعة على فرح أنطون لقب مؤسس تيار الرومانسية الثورية فتقول:

«تياران متميزان لعبا دوراً كبيراً فى حياتنا الفكرية المعاصرة، أولهما تيار الرومانسية الثورية الذى نشأ نتيجة لكتابات فرح أنطون على صفحات مجلة الجامعة.. ولا شك أن دعوة كهذه كانت كافية تماماً لزلزلة ذلك الجدار السميك الذى خلقته مجلات مثل «البيان» وقبلها «المؤيد» حول الوجدان المصرى.. لقد استطاعت الجامعة.. أن تواصل العمل الفكرى التقدمى» [2].

مساكين أبناء هذا الجيل الذى نعيشه..

كم منهم يعرفون فرح أنطون.. ومن يعرف المؤيد؟.. قلة هى التى سمعت حتى عن جامع المؤيد وستتخيل شيخاً رجعياً، يواجه تقدمياً رومانسياً ثورياً (حتى ولو لم تفهم معنى رومانسى ثورى ولا كاتبها فى أغلب الظن، إلا أن للكلمة رنينا جميلاً).

ولكن الحقيقة غير ذلك مهما زيفوا ومهما اعتمدوا على الجهل بتاريخنا، وعلى مؤامرات التشويه التى تعرض لها هذا التاريخ فى ظل الاحتلال والحكم الرجعى.

إن «فرح أنطون» كان عميلاً إنجليزياً.. طائفياً متعصباً.. ولا تصدقوا حكاية الرومانسية الثورية.. فقد دخل فى جدال مع الشيخ محمد عبده نفسه (الذى تعتبر الطليعة أن فرح أنطون وسلامة موسى امتداده).

ياللجهل.. والافتراء..

---

(١) الشيخ محمود الشرقاوى صاحب أرجوزة كان له وجه رجل.. الخ.
(٢) ص ١٢٨.

وإذا بفرح أنطون يخلع رومانسيته وثوريته.. ويتهتك معلناً أن حكم المسيحيين أفضل من حكم المسلمين.. أى حكم ملكة بريطانيا المسيحية أفضل من حكم السلطان المسلم أو الخديو المسلم.. أو أى حكومة مسلمة مستقلة .. فينبرى للرد عليه محمد عبده، رغم شدة تسامح الشيخ.

ويعرى محمد عبده فرح أنطون ويفضحه.. حتى تفلس صحيفة «الجامعة» رغم أموال الاحتلال التى كانت تسندها، فتضطر إلى إغلاق أبوابها.. ويهاجر فرح أنطون إلى أمريكا.

هذه الواقعة تحذفها الطليعة وتمحوها من التاريخ.. تاريخ النصب والتدليس الذى روج فى بلادنا لهدم كل القيم ولتسليمنا للغزاة الذين كانوا خلف كل هذا.. وظفروا بنتائج كل هذا.

ولكن مهما زيفوا، فقد وهبنا أعمارنا.. لندفع الزيف عن تاريخ أمتنا، ولن يصبح الخونة أبطالاً ولن يشوه كفاح الأبطال الذين ذادوا عن حمانا فى لحظات حالكة.. فتك اليأس فيها بالنفوس وبدا أن الباطل جبار فى قوته، خالد فى طغيانه.

أما «المؤيد» فلم تقم جداراً سميكاً حول الشعب المصرى.. مهما يكن تطورها بعد ذلك فالمؤيد فى العدد الأول من إصداره ديسمبر ١٨٨٩ يطالب بالجلاء.. ونتحداهم أن يفتشوا فى أعداد الجامعة الرومانسية الثورية الانطوانية الفرحية.. ليجدوا لنا كلمة «جلاء» جيم.. لام ألف.. همزة مفردة.

أى رومانسية.. وأى ثورية.. قليلا من الحياء.. إن كان الوفاء قد ضاع..

سلامة موسى.. كتب تقارير لوكيل وزارة الداخلية فى حكومة صدقى، بخط يده، يستعديه ضد الوفد ويحذر من إلهاب صدور الشعب بالحقد على الوزارة وإشعال نار الوطنية من جديد..

ونشرت رسائله بخط يده بالزنكوغراف فى الصحف طوال شهور.. فلم يجرؤ على تكذيبها أو نفيها أو تبريرها.. بل وأشار إلى هذه الواقعة حواريه (١) فى كتاب

تقديســه. إذ قال بالحـرف الواحد «واتهـمته دار الهـلال بأنه كان عـينا عليهـا لحكومة صدقى باشا. . ونشرت رسائل بخطه إلى المرحوم أحـمد كامل الذى كان وكيلاً لوزارة الداخلية فى عهد تلك الحكومة».

ولم يعقب الشيخ بحـرف. . وهو كان يلازمه ثلاثين عامـاً كاملة ولو كان لديه أى دفاع لقاله. .

هذا هو مفكركم وبطلكم وإنسانكم. . ما الذى يدفع رئيـس تحرير إلى كتابة تقارير لوكيل وزارة الداخليـة. . إلا أن يكون ذلك ثمرة ارتباط طويل بجهـاز المباحث. . أو البوليس السياسى كما كان يسمى. .

ومن كان يرأس البوليس السياسى؟

ومن كان يحكم وزارة الداخلية. . إلا الإنجليز؟.

تعالوا نقرأ ماذا كتب سلامة موسى للبوليس السياسى. . لوزارة الداخلية. . وكيف فضحوه ونشروا صورة تقريره بخط يده. .

فى يوم الجمـعة ٢٤ أبريل ١٩٣١ خرج العـدد ٣٤١ من مجلة المصـور يحمل هذه العناوين داخل برواز اسود:

بخط يده. .

وثائق فاضحة تبين من هو سلامة موسى ـ ١ ـ

نود أن نعتذر إلى قرائنا لأننا شغلنا صفـحة كاملة فى الكلام على سلامة موسى. . ولكننا لم نبح لأنفـسنا ذلك إلا بعـد أن اقتنعـنا أن الكشف عن أمره وعن الأغـراض الخفية التى يرمى إليها أصبح فرضاً يجب علينا تأديته من قبيل محاربتنا للآفات الخلقية والأمراض الاجتماعية.

وقد وفقنا إلى العثور على وثائق تفضح سلامة موسى فضحا ليس بعده ستر. . وهذه الوثائق مكتوبة بخط يده (ووضعت المجلة خطا تحت عبارة «خط يده») ثم تقول:

«ونبدأ اليوم بفقرة واحدة ممهورة بإمضائه وهى من خطاب أرسله سلامة موسى. .

(١) الشيخ محمود الشرقاوى فى كتابه س. م. . المفكر والإنسان ص ٨٣.

النزيه العفيف الأمين إلى موظف كبير بوزارة صاحب الدولة محمد محمود باشا فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٩ أى قبل أن يفصل من دار الهلال «إذ فصل فى أول أكتوبر من السنة نفسها».

اقرأ.. ثم اقرأ.. وتأمل.. ثم تأمل..

بخط اليد:

«فأنا أكتب هذا لسعادتكم وإدارة الهلال تهيئ عدداً خاصاً من «المصور» لسعد زغلول.. استكتب فيه عباس العقاد وغيره من كتاب الوفد.. ومثل هذا العمل يتفق مع التجارة ولكنه لا يتفق مع الدعوة للحكومة الحاضرة ومشروع المعاهدة لأن الاكبار من ذكرى سعد وتخصيص عدد له هو فى الحقيقة إكبار من شأن الوفد ودعوة إليه.. والمصور يرخص له بالصدور أسبوعياً مرة واحدة وليس مرتين.. فأنا أكرر لسيادتكم أنى مستعد للدعوة للمعاهدة.. فهل لى أن أنتظر معاونتكم.

سلامة موسى..

«وبجوار الرسالة المنشورة نشرت المصور صورة زنكوغرافية لنص الرسالة بخط اليد ولكن واضح أنها مقطوعة أى أن رأس الرسالة غير موجود.. والمنشور فى هذا العدد هو ذيل الرسالة..

ثم علقت المجلة:

هل من حاجة إلى التعليق؟.. أجل إن كاتب هذا الخطاب ـ الصحفى النزيه الأمين سلامة موسى.. كان لا يزال حين كتابته موظفاً فى دار الهلال يتقاضى مرتبه منها ويدخلها كل يوم يبتسم فى وجه أصحابها ويظهر لهم الود والإخلاص.. أجل كان كذلك.. وفى نفس الوقت كان يدس لهم ويتجسس عليهم ويرسل التقارير إلى وزارة الداخلية..

ولكن لندع جانباً خيانته للدار التى عمل فيها عشر سنوات ولننظر إلى ما هو أدهى.. لننظر إلى جريمة دار الهلال:

سلامة موسى.. الصحفى النزيه العفيف.. الأمين يتهم دار الهلال بتهمة

خطيرة.. اصغ جيداً أيها القارىء .. هذه التهمة أتدرى ماهى؟

هى أن دار الهلال أصدرت عددا خاصاً من المصـور لذكرى المغفور له سعد زغلول باشا وأنها طلبت إلى الأستاذ العقاد وغيره من كتاب الوفد أن يكتبوا فيه.. وأن نشرها هذا العدد إكبار لذكـرى سعد.. وأن فى إكبار سعد.. إكـباراً من شأن الوفد.. وأن المصـور يرخص له بالصدور اسـبـوعيـاً مرة واحـدة وليس مـرتين.. فلتتـذرع وزارة الداخلية بهذا، لسحب رخصته ومنعه من الصدور..

الله.. الله.. ياسلامة موسى [1]

الله أكبر على النزاهة والعفة والأمانة والأخلاق الشريفة..

ولم يدر بخلدك وأنت اليـوم تتظاهر بالوطنيـة العنيفـة.. والعنيفـة جداً.. أن دار الهـلال تعثـر على دليل ما اقـترفت يداك.. ولـم يمر بذهنك ـ وأنت تتـمسح اليـوم بأعتاب الوفد وتتملق زعماء الوفد ـ أن لدينا البرهان القاطع على تلونك وغدرك..

أجل إنك لممـثل بارع.. ولكن اعلم ـ إن كنت لا تعلم ـ أن أصـحاب الهـلال لا يعجزون عن أن ينصفوا أنفسهم ممن يباديهم بالشر والعدوان..

وليس هذا كل مالدينا من الوثائق، لدينا بعد مـا هو أفضح وأنكى.. لدينا ما يثبت ـ بخط يده أيضاً ـ أن سلامـة موسى كان يعمل للتفريق بين الأقـباط وسواد الأمة.. ويسعى لمحاربة الوفد و «العـدد الكبير من الأقباط الذى يلتف حول الوفـد» كما قال ـ بل كما كتب.. سترى ذلك فيما بعد.. أما الآن فإن ما نشرناه يكفى كدفعة أولى من حساب سلامة موسى لدى أصحاب الهلال الذين خانهم، ولدى الأمة التى يعمل على خداعها وخيانتها».

«ويوم الجمعة أول مايو ١٩٣١ خرج العدد ٣٤٢ من المصور يحمل هذه العناوين»:

بخط يده..

(١) نقـدم للقارئ نص المقـال بأسلوب ذلك العـصر لنثـبت أن سلامـة موسي لم يجـرؤ علي المقاضاة أو التكذيب رغم عنف المقال.

وثائق قاصمة تبين من هو سلامة موسى ـ ٢ ـ والآن نقدم للقراء الوثيقة الثانية من وثائق سلامة موسى ووالله إن نشر هذه الوثائق بل الوسائخ.. بحروفها.. ليغنينا عن إطالة التعليق عليها فاقرأ .. ثم اقرأ.. وتأمل.. ثم تأمل..

سلامة موسى Salama Moussa

٦٤ شارع الفجالة بالقاهرة 64 Faggalah Str, Cairo

٢٢ أغسطس ١٩٢٩

سيدى..

بعد التحية ـ تعرفون سعادتكم أن عدداً كبيراً من الأقباط يلتف حول الوفد ولهذا العدد تأثير كبير فى الانتخابات وقبول المعاهدة أو رفضها. وقد كنت منذ أشهر طلبت الترخيص لى بإصدار جريدة يومية باسم «الدنيا» لكى أخدم الحكومة فى الدعوة لها بين الأقباط.. ولكن لم أظفر للآن بهذا الترخيص والآن ومشروع المعاهدة أمام الأمة أظن أنه من مصلحة الوطن أن يكون الأقباط فى صف الداعين لها.

وإنى أعتقد أنى على شئ من القيمة الأدبية بين الأقباط وإنهم يحسنون الظن بى.. ثم إنى أعتقد أن مصلحة الأمة كلها تقتضى قبول المعاهدة..

ولما كانت البلاد خالية من جريدة قبطية محترمة.. فأنا مستعد لأن أقوم بتحرير جريدة يومية أو أسبوعية للدعوة لها. فلو عاونتمونى فى ذلك لكسبتم الأقباط الذين..»

انتهى النص.. وعلق محرر المجلة:

«أرأيت ما الذى يريده سلامة موسى، الصحفى النزيه الأمين؟ إن الخطاب المتقدم موجه إلى موظف كبير بوزارة صاحب الدولة محمد محمود باشا يطلب معاونته لإصدار جريدة يومية ـ أو أسبوعية.. المقصود «معاونة» والسلام ـ لبث الدعوة للمعاهدة بين الأقباط. فسلامة موسى، الصحفى النزيه الأمين، بل الوطنى العفيف والعفيف جداً، بل والممثل البارع الذى يلتهب اليوم غيرة وحماسة، إنما كان يعمل على الدس والتفريق بين عناصر الأمة ويسعى لتكرار قصة «القبطى وغير القبطى» التى ذاقت البلاد الأمرين من شرها. والله يعلم أن الحركة الوطنية إنما كتب لها النجاح من

ساعـة أن نبذت الفوارق العـنصرية وأصبح الجـميع مصـريين.. ومصـريين قبل كل شئ.. أجل فى حيـن يدعو الزعمـاء والعقـلاء إلى التعاضـد والاتحاد، يريد سـلامة موسى أن يفـرق بين الأقبـاط وغيـر الأقباط ـ بل يـريد أن يفرق بين «الأقـباط الذين يلتفـون حول الوفد» و «الأقبـاط الذين لا يلتفون حول الوفـد» ليستعـين بهؤلاء على أولئك فى الترويج للمعاهدة وطلب «المعاونة» الثمينة التى يطمح إليها ببصره وقلبه.

رأيت فيـما تقدم القـسم الأول من ذلك الخطاب الذى أرسل إلى موظف كبـير فى وزارة صاحب الدولة محمد محمود باشـا.. أما القسم الأخير فهو نفس الذى نشرناه فى العدد الماضى ولابأس من إعادة نشره..»

ثم قدمت المجلة، الجزء الذى نشر فى العدد السابق..

أى أنها بدأت بـنشر الخطاب من ثلثـه الأخير.. ثم نشـرت الثلث الأول.. ولكن يبقى ثلث فى الوسط.. لم ينشر..

ويبدو أن الذين سلمـوهم الخطاب.. إما حذفوه.. وإمـا اتفقوا معـهم على عدم نشره.. والله أعلم ما الذى كان به حتى رأت وزارة الداخلية عدم نشره..

وفى يوم الجمعة ٨ مايو ١٩٣١ صدر العدد التالى من المصور يقول:

«كلما أمـسكنا القلم للكلام عن سلامة مـوسى، فعلنا كارهين مـشمئزين وشـعرنا والله بوجوب الاعتـذار إلى أنفسنا وإلى قرائنا عن خوض هذا الموضـوع لما يكتنفه من رجس وما يفوح منه من قذارة.. ولكننا اقتنـعنا أخيراً بأن الكشف عن أمر هذا الممثل البارع وفضح الأغراض التى يرمى إليها هذا الوصولى الدجال ـ اقتنعنا بأن ذلك أصبح فرضاً يجب علينا تأديته من قبيل محاربتنا للآفات الخلقية التى تهدد سلامتنا المعنوية.. براقش..

فقد سـكتنا.. وسكتنا والله طويلاً.. مع أنه كان فى مقـدرونا نشر تلك الوثائق ـ بل الوسائخ ـ التى ننشرها الآن منذ زمن بعيد..

القنبلة..

ولقد كان وقع الوثيقتين اللتين نشرناهما فى العددين الماضيين أشبه بانفجار قنبلة من العيار الثقيل.. فقد قضت هذه القنبلة على سلامة موسى وعلى دعواه العريضة قضاء ليس بعده قيام..

فهل رأيت فى حياتك - أيها القارىء الكريم كلمات وأسطراً كتلك الكلمات والأسطر التى خطها بيده سلامة موسى.. تفضح كاتبها وتصمه بأشنع الوصمات وتستنفر من يطالعها إلى مجه وتحقيره وازدرائه؟.

سفالة مركزة..

أى والله فى هذه الكلمات القليلة.. وفى هذه الأسطر المعدودة قد اجتمعت صنوف من الخسة والدناءة تكفى للقضاء لا على سلامة موسى وحده بل على مائة سلامة موسى.. ففيها المكر والدس والاستجداء والخيانة والغدر والوشاية والتجسس.. الخ.

أجل إنها سفالة «مركزة».

اقرأ الوثيقتين الأوليين.. أو راجع قراءتهما - وانظر ما تدلان عليه.. إنك تجد فيهما الدليل تلو الدليل على:

١ - أن سلامة موسى كان يفرق بين الأقباط وغير الأقباط.. فهو حتى فى الشئون الوطنية إنما يفكر كقبطى ولم يفكر يوماً كمصرى.

٢ - أنه أراد أن يستعين على الأقباط «الذين يلتفون حول الوفد» بأولئك الذين لا يلتفون حوله.. وأن يحارب أولئك بهؤلاء..

٣ - أنه طلب «المعونة» من حكومة صاحب الدولة محمد محمود باشا للترويج للمعاهدة - والحدق يفهم.

٤ - أنه خان الدار التى يعمل فيها - وهو مازال متصلا بها - وكتب وشايته عليها بيده، التى كان يتسلم بها مرتبه من تلك الدار شاكراً مبتسماً.

٥ - أنه رأى فى إصدار عدد خاص من المصور لذكرى «سعد» يشترك فى تحريره العقاد وغيره من كتاب الوفد .. جريمة كبيرة يستحق عليها المصور التعطيل.

٦ ـ وأن فى إكبار سعد إكباراً من شأن الوفد والدعوة إليه وهذا ـ على حد قوله ـ لا يتفق مع مصلحة الأمة.. بل مصلحة جيبه التى لايستوحى غيرها..

ثم أعيد نشر الوثيقة فى المصور عدد ١٥ مايو ١٩٣١.

ولا شك أن هذه الفضيحة التى لم يجرؤ على الرد عليها أو رفع قضية ضد أصحاب الهلال.. قد جعلت كل أصحاب الصحف يتحاشون التعامل معه.. فمن الذى يرحب بمحرر يكتب التقارير فى الجريدة التى يعمل بها .. بل ويرشد وزارة الداخلية إلى الأسس القانونية التى تستند إليها فى مصادرة المجلة التى يعمل بها.

وكان سلامة موسى قد بدأ يهاجم أصحاب دار الهلال بعد فصله منها، بتهمة أنهم شوام.. وكانت هذه الفئة من المتمصرين تلعب دوراً أساسياً فى تدعيم المصالح الاستعمارية فى مصر.. وبالذات فى حقل الثقافة.. وكانت دار الهلال أكبر قلعة ثقافية للاستعمار والتبشير فى الشرق كله.. فلما بدأ سلامة موسى يهاجمها.. لم تتردد السلطات فى التضحية به.. فقدمت لهم هذه الوثيقة التى أسكتته.

وظل لا يعمل بصحيفة محترمة حتى التقطته أخبار اليوم فعمل بها منذ إنشائها إلى أن توفى.

ألم يكن خيراً لهم، لو لم يخوضوا فى حديثه؟.

ما دوره؟.. ما المهمة التى قام بها؟.. ولماذا هذا الزن على تحويله إلى وثن؟..

ليس من أجله.. فهو لا يساوى شيئاً عندهم.. وقد رأينا أنه لما اختلف مع أصحاب دار الهلال، لم تتردد حكومة الإقطاع والاستعمار فى فضحه والتضحية به فسلمتهم تقاريره بخط يده.. إنما هذا الاهتمام من أجل المفاهيم التى روجها. من أجل الرسالة التى حملها..

فما هى؟

ظهر سلامة موسى.. فى مطلع القرن العشرين والحركة الوطنية تتجمع، يبعثها كفاح الحزب الوطنى بزعامة مصطفى كامل ومحمد فريد..، والأمة العربية تمر بمحنة قاسية .. السلطة العثمانية بجهلها وتخلفها وتسلل اليهود والخونة وعملاء الاستعمار

إلى قلبها.. وهى فى نفس الوقت تمثل الجدار.. وإن يك واهياً ضد الغزو الأوروبى الصليبى المتآمر على العالم الإسلامى والذى كان يستعد بل وشرع فعلا فى التهام الوطن العربى.. للإجهاز على الإسلام.. فى وقت كانت الأحقاد الصليبية تنطق بغير حياء.. حتى يكتب كاتب فرنسى فى «باريس الحرية والثورة» يقترح حلاً للمسألة الإسلامية «القضاء على المسلمين ونبش قبر الرسول الكريم ونقل عظامه إلى متحف اللوفر فى باريس..» (١).

كانت بريطانيا تحتل مصر وتخطط .. بل وتتصرف كأن العرب تحت سيطرتها، بعد أن التهمت الخليج والجنوب كله.

وكانت فرنسا تحتل الجزائر وتونس وتستعد للوثوب على مراكش.. وتعتبر سوريا ولبنان تحت حمايتها وكانت الصهيونية قد بدأت غزو فلسطين.. وتساوم السلطان عليها فيكون رده ضربة من حذائه لشيلوك الذى جاء يساومه.. فيتوعده رسول الصهيونية.. وينفذ وعيده بقوة «الأحرار».. الذين اختاروه هو.. ليبلغ السلطان قرار خلعه.

يهودى يعلن خلع خليفة المسلمين!!

كانت الأمة العربية تحس بالأعاصير التى تحيط بها.. والأنياب المستعدة لالتهامها.. وكان الأمل فى بعث عربى إسلامى.. فى وحدة إسلامية تستطيع أن تبعث الحياة فى هذه الدولة، فتفيق من إغمائها.

وكانت الخطة الاستعمارية تتعارض تمام التعارض مع هذه الروح.. ولم يكن يقلق الإنجليز المحتلين لمصر.. إلا تطلع المصريين للرابطة الإسلامية وكان القادة الوطنيون يحرصون على هذه الرابطة لزعزعة النفوذ البريطانى.. وإذكاء ثورية الشعب من أجل منازلة الاحتلال.

وخلق الإنجليز أحزابا وعملاء تدعى أنها تهادن الإنجليز خوفاً من استبداد القصر.. وأنها تخشى من خروج الإنجليز.. عودة الاستعمار «التركى».. وكانت الحركة

(١) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للمرحوم الدكتور «محمد محمد حسين».

الوطنية تنظر باحتقار لهذه المزاعم.. فالقصر لم يكن إلا دمية في يد الاحتلال ولم يكن يحميه ويبقيه إلا الاحتلال.

كان أبسط طالب فى المدارس الثانوية يعرف أن القصر الملكى لن يبقى ساعة واحدة بعد خروج الإنجليز.. الذين كانوا يبررون وجودهم فى مصر بأنه لحماية العرش.

لم يكن الحديث عن الاستبداد المصرى إلا مكراً إنجليزياً خبيثاً.. وتعللا من عملاء مفضوحين فإن حكم الإقطاع لم يكن يمكنه فى بلادنا إلا الإنجليز.

كان كل طالب يعرف أنه لا يوجد ما يسمى بالخطر التركى.. لأن مصر أقوى من تركيا.. وتركيا لم يخلصها من دخول المصريين اسطمبول، إلا الجيش الروسى والأسطول البريطانى.. تركيا كان سلطانها يخشى أن يرسل جنوده إلى مصر خشية إفسادهم ومطالبتهم بالمدنية الموجودة فى مصر (١).

ولكن ظهر من يعاند «مصطفى كامل» ويحاربه بزعم أنه يدعو لعودة الاحتلال التركى.. الذى لم يكن موجوداً.. هل كان فى مصر جيش تركى عندما احتلها الإنجليز؟ فلماذا يأتى هذا الجيش إذا خرج الإنجليز؟

لا أريد أن أطيل فليس هنا المجال (٢).. المهم أن العمالة الاستعمارية كانت تقوم أساساً على عداء الإسلام والدعوة لقومية عربية علمانية معادية للإسلام فى المناطق التى لم تحتلها بريطانيا وفرنسا بعد..

أى فى آسيا العربية ـ باستثناء الخليج والجنوب!! ـ وفى أفريقيا العربية التى تم «تحريرها» من الاستعمار «التركى» كانت العمالة تقوم على حركات إقليمية معادية للإسلام والعروبة معا.. (٣).

---

(١) إذا أرسلنا جيشا إلى مصر أخشى أن يعجب بأحوال مصر وينجذب إليها فلا يعود ويرتضى إدارتنا «السلطان عبد الحميد من البلاد العربية والدولة العثمانية» ص ١٦٨.

(٢) سنتعرض لذلك بالتفصيل فى دراستنا المقبلة عن تطور الحركة القومية فى مصر.

(٣) تحت عنوان «دفاع عن سلامة موسى» نشرت «الجمهورية» القاهرية كلمة لمدرس بتجارة نوبار الثانوية قال فيها المدافع عن سلامة موسى: «وتحدث عن نظرية النشوء والارتقاء طويلاً، ولم يذكر ـ ربما عن عمد ـ (!) أن العرب بشهادة العلامة «درابر» الأمريكى حسب ما روى عنه الأمام محمد عبده والأستاذ محمد فريد وجدى.. قال: =

لذا كـان من نصيـبنا هذا الهجـوم على الإسلام والعـرب . . وتعيـيرنا بالتـخلف . واستغـلال التقدم الأوروبى فى تحطيم معنوياتنا والطعن فى تراثنا ومـقوماتنا . . وبدلاً من أن نستفيد بكل أسباب التقدم المادى لنبنى حضارتنا وننتزع استقلالنا . . قام أسلوب العملاء على تحطيم معنوية الشرق حتى لا تتكرر التـجربة اليابانية عندما آمن اليابانيون بقوميتهم وحضارتهم وتراثهم . .ونقلوا كل أسباب التقدم الغربى[1] .

كان هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم لخدمة المستعمر وتخريب الحركة الوطنية والتشكيك فى قيمنا وحضارتنا، يغطون مواقفهم الخيانية ببعض القضايا الفكرية التى لاأهمية لها .

سلامـة موسى . . مثلاً . . فى ١٩١٢ . . العـام الذى يصفه حواريه بأنه كـان عام القنابل والمنشورات والدعوة إلى الثورة . . يترجم كتاباً عن «نشوء فكرة الله»[2] .

أهذا عمل يخـدم الثورة؟ . . ما هى الأهميـة التاريخية من إلحـاد المصريين فى هذه الفتـرة . . وفرنسا تغـزو مراكش (١٩١١) وإيطاليـا تغزو ليبـيا (١٩١٢) . . ألم تكن العصبيـة الدينية تلعب دوراً رئيسياً فى كراهيـة المستعمرين . . والاستـشهاد فى الكفاح ضدهم؟ .

= «وإننا لندهش حينما نرى فى مؤلفاتهم من الآراء الـعلمية ما كنا نظنه من ثمرات العلم فى هذا العصر . . من ذلك أن مذهـب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذى يعتـبر مذهباً حديثاً كان يدرس فى مدارسهم وذلك بتطبيقه على المواد المعدنية» .

ولكن الرجل ـ سلامة موسى ـ كان مؤمناً بهذه المبادئ . . كـما كان محباً لوطنه وحسبنا منه ذلك، وقد تكفل حـماة التراث والعقيـدة ممن عاصروا سلامة موسى بزيادة المسـتزيد فجزى الله سلامة موسى خيراً عما صنع» .

فإذا كان ذلك هو رأى المدافـعين عنه فى نواياه . . وإنه كان يخفى عن عمـد مواقف العرب حتى فى مـا يدعم دعواه العلمية؟ . . مما يجـبر حماة التراث والعقـيدة على أن يعلنوا إيمان العرب بنظرية التطور . .

إذن فلم تكن قضية علم ولا إيمان بالتطور بل دس على العرب بدليل أن الشيخ محمد عبده ومحمـد فريد وجدى صاحب التفـسير يعلنان اكتشاف العـرب لنظرية التطور ويخفى ذلك سلامة موسى .

(١) الخطر الحقيقى الآن على اليابان، هو تغريب الحياة اليابانية العمل الذى تمارسه أمريكا بذكاء تام .

(٢) سلامة موسى وعصر القلق ص ٨٠ .

ما جدوى تبشير سلامة موسى.. وتحمسه فى سبيل نشر مترجمات عن نظرية التطور لدارون؟.. هل كان إيمان المصريين بتطورهم عن الأسماك والقردة.. يزيد حماسهم للتحرر الوطنى؟.. هل ثمة مشكلة سياسية أو اجتماعية حول هذه الآراء والنظريات.. هل اختفاء كل نقاش حول هذه النظريات يرجع إلى انتشار مبادئ وتعاليم «سلامة موسى»؟ أم لانتشار التعليم؟ ألم تكن هذه المناقشات حول أصل الإنسان.. يقصد بها تلهية المثقفين وشغل الشعب عن البحث فى أصل الاستعمار.. وتطور الاستغلال؟.

بعض التراجم الإلحادية، وأفكار مخربة عن الاشتراكية ونظريات عنصرية وعرقية فاشية..

تقول الطليعة: فى أغسطس ١٩٥٨ خمدت الأنفاس فى وجدان ثورى أعطى كل حياته للحرية والإنسان والاشتراكية.. [1]

وبالطبع لابد لكل من أراد أن يزيف تاريخاً ويجعل من أعداء الشعوب أبطالها ويفترى على باعث الحركة الوطنية وملهم الوجدان المصرى، لابد من أن يعبث باستهتار فاضح بالألفاظ، وأن يشوه معانيها ويبددها فى سفه فى غير موضعها.. وعلى من لا يستحقها.

سلامة موسى ثورى.

سلامة موسى أعطى حياته للحرية والإنسان والاشتراكية..

من هو الثورى؟..

ليس ثمة ثورى معلق فى الفراغ.. ولا ثورى بذاته.. الثورى ينتمى لثورة ما.. فما مدى انتماء سلامة موسى للثورة التى كانت فى مصر..

وسلامة موسى لا يعنينا بعد ١٩٤٥ .. فقد انحصرت حياته بعد ذلك التاريخ فى العمل عند أصحاب «أخبار اليوم» وتمجيدهم.

وتحاول «الطليعة» أن تخفى فضيحته هذه، فتدعى أن أصحاب «أخبار اليوم» قد استخدموا قلمه لما لمسته «دار أخبار اليوم» من تجاوب عام من جانب المثقفين العرب فى جميع البلاد العربية لكتاباته وبقى فى هذه الدار إلى يوم وفاته فى أغسطس سنة ١٩٥٨[1].

---

(١) الطليعة أغسطس ١٩٦٥.

صدقنا وآمنا . . إن «دار أخبار اليوم» الرجعية الاستعمارية سعت إلى شراء قلم سلامة موسى لجماهيريته وشعبيته ولتستر بثوريته عارها. . ولكى تصل إلى جماهيره فتسرب سمها الخبيث وفكرها الاستعمارى.

صدقنا وشهدنا أن ذلك أسلوب معروف تلجأ إليه كل دور النشر الاستعمارية والرجعية وهو شراء الأقلام الثورية لتضلل بها وتضللها فى نفس الوقت.

صدقنا. . ولكن لماذا قبل الثورى أن يساعد أصحاب «أخبار اليوم» على تنفيذ مآربهم؟ . . كيف قبلوا أن يعطيهم من «سمعته الثورية» ومن «شعبيته الوطنية» ومن «اشتراكيته» ستاراً يخفون به عارهم؟.

أليست هذه صفقة؟ . . باع فيها ثوريته وصلابته؟. .

ثم خبرونا ما هى المقالات الثورية التى نشرها سلامة موسى فى صحف «أخبار اليوم» فى الفترة من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٢ . . عندما كانت صحف «أخبار اليوم» هى أقوى كتيبة فى جيش الرجعية وأقوى قلاع الاستعمار المعادية لنا؟. .

وإذا قلتم أنه نشر مقالات ثورية ووطنية واشتراكية وحرية «من الحرية» . . وإنسانية . . ألا يعود جانب من هذا الفضل لأصحاب الدار الذين نشروا له؟. . هل كانت صحف أخبار اليوم من ٤٥ إلى ١٩٥٢ تنشر اشتراكية ووطنية؟.

فإن قلتم. . نعم لقد نشروا له ذلك للتضليل، ألا يتحمل بطلكم جانباً من مسئولية تضليل الجماهير العربية التى تفترون على مثقفيها، بالزعم أن كتاباته كانت تلقى تجاوباً عاماً منها؟. .

لقد كان اشتغاله فى أخبار اليوم. . سقطة. . وهى إن غفرت لصحفى ناشئ، يأتى بخبر أو يكتب تحقيقا فى عهد لم تكن فيه فرص الاختيار متاحة . . فهى لا تغتفر من رائد ومفكر وثائر. . إلى آخر ما تشينون به الصفات بخلعها عليه. .

هى سقطة كان يجب أن تواروها. . أو أن تواجهوها بشجاعة، فتفتشوا عن أسبابها الحقيقية وهو لم يتعفف عن العمل فى أى صحيفة. . ولكن الصحف هى التى صدت عنه. . كما قلنا بعد فضيحة دار الهلال ولرائحة الطائفية التى كانت تفوح منه.

---

(١) ص ١٢٦ مجلة الطليعة القاهرية عدد أغسطس ١٩٦٥ «ملف الطليعة عن سلامة موسى».

وبعد ١٩٥٢ كانت مهمة سلامة موسى هى ترقيع أفكاره والاعتذار عن بعضها وإخفاء بعضها، حتى لا يضبط بها أمام تحرر إرادة الشعب بزوال القهر الاستعمارى واتضاح شخصيتنا العربية بروحها الإسلامى.

لنبحث إذن عن سلامة موسى قبل ١٩٤٥.. وهو يحدثنا عن نفسه من عام ١٩٠٦.. أى منذ دنشواى.. أى أنه عاش سنوات الثورة الوطنية بجميع مراحلها.. منذ أن كانت جبهة وطنية عريضة تتحرك فيها الأمة ضد الاستعمار المباشر فى أوقح صوره إلى ثورة ١٩١٩ ثم فشل هذه الثوة وانقسام قيادتها وامتزاج الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية الداخلية.. فهل كان سلامة موسى ثورياً..؟ هل كان مع الثوة الوطنية..؟

كانت الثورة الوطنية تنحصر فى قضية واحدة هى تحرير مصر من الاحتلال البريطانى..

فالثورى هو من يعادى الاحتلال البريطانى.. الثورى هو من يحارب الاحتلال ويدعو إلى القضاء عليه ويقود حركة الشعب فى اتجاه الاصطدام معه ومن أجل إزالة الاحتلال.

هذا هو جوهر الحركة الوطنية ولب الثورة.. والمحك الحقيقى لتحديد الثورية..

ولقد تبدو هذه بديهية لا تحتاج لكل هذا الجهد فى إثباتها.. ولكن لسوء حظنا ابتلينا بشر استعمار عرفته البشرية.. الاستعمار البريطانى.. الخبير فى صرف أنظار الثوار وتشتيت قوى الثورة واختراع الدروب الوهمية ليتوه فيها كفاح الجماهير..

وأسلوب الاستعمار البريطانى المفضل هو اصطناع قيادات عميلة تتصدى للقيادة الفكرية والسياسية لتضلل الزحف الثورى.. ولتخرب أجيالاً من بعدها.. فالاستعمار البريطانى لم يخطط أبداً لسنة أو لمرحلة.. ولم يعتمد أبداً على جيل واحد.. أو طبقة حاكمة وحدها.. بل كان يخطط لقرون.. ويضع سياسة لإفساد عدة أجيال.. وربط طبقات عديدة متتالية.. تحل كل منها محل الأخرى عندما ينتهى دور الطبقة العميلة.. وينفضح أمرها ويستحيل عليها أن تستمر فى خدمة أهدافه.

من هنا كان الاستعمار البريطانى يشوه سمعة الوطنيين ويطلق عليهم العملاء،

يثيرون لهم قضايا لا تمت للهدف الرئيسى بصلة . . بل تعوق السعى لهذا الهدف . .

وإذا كان الاستعمار يهمه أن يشيع الارتباك الفكرى وأن تطلق الأسماء على غير مسمياتها . . فإن المثقفين الشرفاء من واجبهم أن يضعوا النقط فوق الحروف . . وأن يسموا الأشياء بأسمائها.

ومن ثم فإن الثورى فى الفترة من ١٨٨٢ إلى ١٩٢٤ هو من يعادى الاحتلال البريطانى ويدعو لإزالة الوجود الاستعمارى فى بلادنا . . وهو من يدعو إلى التحرر من الاستعمار ويعمل على تعبئة الشعب ضد الإنجليز من أجل الصدام المحتوم . . والاشتراكى هو من يعادى الاستعمار أولا وأخيراً باعتباره قمة الاستغلال والقوة المعطلة لأى إصلاح اجتماعى وباعتبار أن الحديث عن تطبيق الاشتراكية والمناقشة فيها فى ظل الحماية البريطانية . .

لغو وثرثرة . . بل وتضليل للجماهير . .

وباعتبار أن هدف الاشتراكيين الحقيقيين فى العالم أجمع حتى فى البلدان الاستعمارية هو تصفية الاستعمار وبالتالى فإن الهدف الأول والأخير للحركة الاشتراكية أو للأفراد الاشتراكيين فى ظل الاحتلال البريطانى هو إخراج الإنجليز . . هو التعبئة للثورة الوطنية . .

العدو . . هو الاستعمار البريطانى.

والهدف . . هو التحرر من الاستعمار البريطانى . .

والسبيل لذلك . . هو الثورة المسلحة . .

فهل كان سلامة موسى ثورياً بهذه المقاييس؟ . . هل اصطدم مع الاستعمار فى هذه الفترة . . هل دعا إلى الثورة الوطنية؟ . . هل آمن بالعمل المسلح . . هل قاد الشعب فى طريق الاصطدام مع الإنجليز؟ . .

وكما ألزمنا أنفسنا فى بداية الحديث . . لن نستشهد ضده إلا بما أقره حواريوه وتلاميذه ومروجوه.

ما من كـاتب ولا مفكر ولا مـشتغل بالقـضايا العـامة فى مصـر لم يسجن بضـعة شهـور، على طول السنوات من دنشواى إلى الحـرب العالمية الثـانية.. حتى السـيدة روز اليوسف.. إلا سلامة موسى.. بل يكاد يكون هو المصرى الوحيد المعروف الاسم الذى لم يسجن ولا نفى.. خـلال ثورة ١٩١٩ (إذا استثنينا الـسلطان فؤاد) وليس له كلمة واحدة ولا مـوقفاً ولا شبه مـوقف خلال هذه الثورة.. وإلا لأشار إليـه سدنته والمبشرون به.. بل نذهب إلى القول بأنه المصرى الوحيد الذى لم يوقع توكيل الوفد.

عاش أحداث دنشواى.. فلم يضطرب له جفن ولا انفعل ولا غـضب «فقد شهيته للأكل لمدة أسبـوع».. بل فكر فى مغادرة الـبلاد.. وتعتـذر عنه الطليعة ببـارد العذر الذى هو أقبح من الذنب فنقـول إن «الطبيعة الحالمة المتـأملة للمفكر غلبت عنده روح المنظم السياسى الثورى المتمرد»..

كأنه موسيقار أو نحات تماثيل..

أما هو فكـان أوضح وأصرح عندما اعـترف أنه كـان متشـائماً من ناحـية الحـركة الوطنية.. كانت مصـر تحس دبيب العافية مع كلمات مصطفى كامل.. ويتـفتح قلبها بالأمل وهى ترى حـركة مصطفى كـامل تذهب بأسى هزيمـة عرابى.. وتعيـد للأمة ثقتها فـى نفسها.

وسلامة موسى وحده كان يتشاءم من الحركة الوطنية التى يقودها مصطفى كامل..

لم يكتب حرفاً ضد دنشواى.. بل كتب يبشرنا بالسوبرمان..

ويتولى الحكم بطرس غالى الذى يبيع السودان وقناة السويس ويتآمر مع الأنجليز.. فلا نقرأ سطـراً لسلامة موسى ضده أو ضـد سياستـه.. بل يكون على صلة بجريدة مصر التى يرأس تحريرها بعد ذلك..

---

(١) صحيفـة مصر التى ارتبط بها سلامـة موسى فترة طويلة من حياته.. وشـهد غالى شكرى ومحمود الشرقاوى بطائفيتها.. أحب أن أنقل بعضا من مقالاتها وكتاباتها التى أشار إليها الدكتور محمـد محمد حسين فى كتابه «الاتجاهات الـوطنية فى الأدب المعاصر» الجزء الأول من صفحة ١١١ وما بعدها.

تصدر وزارة بطرس غالى فى ٢٥ مـارس ١٩٠٩ قراراً بإعادة الـعمل بقانون المطبـوعات، =

وجريدة مصر هى التى تمتدح سلوك «بطرس غالى» فتدافع عنه بل وتطالب بحرمان مصر من استقلالها وسيادتها. . لأن وطنياً وضع حداً لخيانات بطرس غالى(١).

وبدلاً من أن يكتب لنا سلامة موسى فى ذلك كله. . نراه يعلم المصريين نشوء فكرة الله فى ١٩١٢. وإيطاليا تفتح طرابلس. . وفرنسا تبيد شعب مراكش والوطن العربى يستقبل أياماً حالكة. .

وتبدأ نذر الحرب العالمية الأولى. . وتشتد قبضة الحكم الإنجليزى على مصر ويندفع الشباب إلى الجمعيات السرية والقنابل والمسدسات. . باعتبارها الحل الوحيد للمشكلة المصرية. . باستخلاص حريتها بالقوة.

وكانت هذه الإيجابية من الشباب هى التى مهدت لثورة ١٩١٩. . والتى لو كتب

= فتستنكره الأمة وتقوم مظاهرات الاحتجاج من مختلف الطوائف وتصطدم للمرة الأولى برجال البوليس تحت قيادة حكمدار العاصمة الإنجليزى هارفى باشا ولكن صحيفة مصر تنشر مقالاً فى تأييد القانون الذى يحد ـ حسب زعمها ـ من سفه السفهاء الذين يدعون إلى الفتنة.

ويقدم تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة السابق إلى مصر فى مارس ١٩١٠ عن طريق السودان بعد أن ألقى بالخرطوم خطبة سياسية مجد فيها الاحتلال. فيلقى فى الجامعة المصرية بالقاهرة خطبة يعارض فيها حركة المطالبة بالدستور التى كانت على أشدها. ويقابل المصريون خطبته بالاستنكار الشديد. وترسل الاحتجاجات على إدارة الجامعة لسماحها بإلقاء هذه الخطبة . . وينادى المتظاهرون بسقوطه أمام فندق شبرد بالقاهرة حيث كان ينزل. . وفى الأسكندرية عند سفره. ،لكن صحيفة «مصر» تكتب فى تأييده وفى الرد على من يهاجمه فتطالع القراء بافتتاحية عنوانها (الخطاب العظيم. . المستر روزفلت فى الجامعة المصرية) تبدؤها بقولها «لم يدو فى مصر خطاب أبلغ من الخطاب الذى ألقاه جناب المستر روزفلت رئيس جمهورية أمريكاسابقاً فى الجامعة المصرية أمس، ولا أصرح منه عبارة ولا أنفع لها فى الحال والاستقبال. وقد قوبل من جميع الطبقات بالإعجاب التام. . الخ». «إن هذا العظيم والرجل المهاب الذى تنازل أن يلقى علينا الخطاب. . كله مواعظ وحكم وإرشاد. . الخ».وتنشر جريدة مصر سيلاً من البرقيات بعنوان «قلق الأقباط العظيم» وما يجب على الأقباط ومنها ما يطالب بالالتجاء إلى دولة قوية لتكون لهم عضداً فى المستقبل. . ومنها ما يتهم الحزب الوطنى. . «إيغار صدور العامة ضد الحكم الحالى وضد المحتلين والنصارى». . ومن المؤسف أن تردد مجلة الطليعة «الطليعة» نفس الأباطيل ضد الحزب الوطنى فى ١٩٦٧. . ولكن ما الغرابة. . ومدير تحريرها «ميشيل» صهر أكبر صهيونى مصرى؟. .

لها الغلبة على اتجاهات ثورة ١٩١٩، لوسيطرت عقلية الحل المسلح على مقاليد ثورة ١٩١٩ لتغير وجه التاريخ..

إن هذه الجمعيات الإرهابية الفردية كانت عملاً وطنياً إيجابياً سليما.. لأنها تغتال جنود الاحتلال وعملاء الاستعمار.. ومن ثم فهى تجعل عملية الاحتلال عملية مخوفة ومهددة.. وفادحة الثمن.. هى تجعل العمالة ليست عملية مربحة على طول الخط وهى فى نفس الوقت تذكى حماسة الجماهير وتلفت انتباههم للقضية الوطنية.. ولا شك أن الإرهاب قد يفضى إلى اتخاذ السلطات الحاكمة بعض الإجراءات الباطشة ولكن فى مثل تلك الظروف ما كان يمكن أن تزداد وحشية الحكم الإنجليزى عماكانت ترتكبه فعلاً وبلا مقاومة.

إن حالة الاستسلام التى تردت فيها البلاد، قد كبدتها دنشواى، مذبحة الفلاحين المسالمين.. ولكن قيام الحركات الإرهابية الوطنية وانتشار حركة الاغتيالات لم تكبد الشعب مذبحة أخرى كدنشواى..

كانت البلاد تحت الحكم المباشر وأعلنت الحماية البريطانية ثم الأحكام العرفية .. ومن ثم كان الكفاح المسلح هو الحل الوحيد.. وقد بدأ فى مصر البداية الشرعية السليمة فى شكل الجمعيات السرية التى تقوم بالعمل السياسى والعمل المسلح.. وكان المفروض وقد هب الشعب إلى الكفاح المباشر فى ثورة ١٩١٩ أن تنتقل القيادة إلى زعماء وقادة الجمعيات السرية التى تسمى بالإرهابية.. ومن ثم تفرض أسلوبها المؤمن بالعمل الثورى المسلح.. ولو حدث ذلك لتغير تاريخ مصر.. ولكن شاء القدر أن تستولى على قيادة الثورة جماعة القانونيين والسياسيين المحترفين فلول حزب الأمة، الذين لا يؤمنون بالعمل المسلح ويفزعون منه، والذين تولوا تصفيته، مكتفين بمظاهرات الشارع ومناورات الكواليس.. والمذكرات الفقهية التى تثبت حق مصر فى الحرية.. وقدموها لدولة لا تعترف بحق.. ولا تؤمن إلا بالرصاص.

إذا كان الشباب الوطنى..الشباب الثورى، هو الذى يرفض كل حل سلمى.. كل تفكير سلمى، هو الذى يؤمن بالحل المسلح..بالثورة..بالعنف..بالتطور اللاسلمى.

فأين نجد سلامة موسى..

هو وحده دون الشباب الوطنى لم تجذبه جمعية من هؤلاء.. ليكن.. فإن المفكرين لا يطلب منهم دائما حمل السلاح وإن يكن الأشرف منهم يفعلون، لكن أقلامهم تكون أحياناً أخطر من القنابل، لأنها هى التى تفلسف العمل المسلح وتجعل العنف عقيدة ونبلا وغاية يسعى إليها من لا يجيدون صناعة الكلام.

فأين سلامة موسى.. لا نجده فى الجمعيات الثورية.. ولا فى معسكر المؤمنين بها، والداعين إليها، بل يخرج كتاباً عن الاشتراكية، يبشر فيه بمزيج من النيتشوية واشتراكية فابية.

تحدثنا الطليعة عن منهاجه المادى التطورى.. فهو يقسم تطور الحياة إلى ثلاث مراحل:[1]

«فى المرحلة الأولى كان على الأنواع الحيوانية أن تصارع عوامل الفناء.. وترتقى حتى تنجح أصلبها فى الوصول إلى مستوى الإنسان. إنها المرحلة البيولوجية.. وفى المرحلة الثانية كان على الإنسان أن يدخل فى علاقات اجتماعية، نتيجة لاحتياج كل إنسان أن يتبادل مع الآخر منتجاته... الخ».

أهو سلامة موسى الذى قسم؟.. أيصح أن يكتب هذا ونحن قد أصبحت مطبوعاتنا يطلع عليها فى الخارج.. ولا يمكن منع تسرب بعض نسخ من مجلة «الطليعة» إلى القراء المثقفين الشرفاء.

أنقول للناس أن سلامة موسى هو الذى اكتشف هذا النظام؟.. أيصح أن نقول لهم أن ميخائيل أفندى وصفى خوجة الجغرافيا، كان له منهجه فى تنظيم المجموعة الشمسية تدور حولها الكواكب.. وحول الكواكب تدور أقمارها.. وإذا جاز أن يعود الصبى إلى أمه، فيحكى لها هذه النظرية العتيقة وكأنها كشف من ميخائيل أفندى.. أيجوز أن تطبع حكاية الصبى وتصوراته؟.. ألا نكون بذلك مضحكة بين الأمم.. ونجعل من ميخائيل أفندى سخرية أطفال المدارس.. الذين يدرسون هذا النظام منذ أجيال دون أن يعرفوا اسم ميخائيل أفندى.

سلامة موسى لم يكتشف قوانين التطور ولا كان له منهج يصح نسبته إليه.. إنه

(١) ص ١٢٩ الطليعة أغسطس ١٩٦٥.

مجرد مترجم سيئ وناقل يشوه الأفكار والنظريات.

«الطليعة» تقول عنه.. إنه قبل أفكار نيتشة الميتافيزيقية المفرطة فى فرديتها وأفكار ماركس المادية الموضوعية ذات التفسير الاشتراكى للتاريخ.

وتجهد نفسها فى تفسير هذا الخليط المتناقض .. مع أن تفسيره بسيط جداً.. فهو لم يكن مفكراً ولا باحثاً عن الحقيقة، بل يتقمم الأفكار التى تخدم هدفه فى تخريب الفكر العربى.. لا أكثر ولا أقل .. فإذا كانت عنصرية نيتشة وفرديته تبرر تحقير العرب وإهانة الأفريقيين فهو نيتشوى.. بل ويسبق هتلر فى احتقاره للساميين والحاميين.

يعيرنا بأن «الشعر العربى قد سئمنا قوافيه الرتيبة التى تشبه دق الطبل عند السودانيين»(١) وهو فى مقدمة السوبرمان يؤيد سيادة الأبيض على الزنجى وينحط فى تشهيره بالزنوج وإيمانه بالتفرقة اللونية إلى القول بأن «الزنجى كان منذ مائة سنة فقط يأكل الإنسان ومن المستحيل أن تكون مشاعره كمشاعرنا مهما طلى نفسه بآداب السلوك» (٢).

اشتراكى.. هه؟!

«فالمصرى يكتسب إذا تزوج من الأوروبيين ولكنه ينحط إذا مزج دمه بدم الزنوج.. وقد كان الرق البشرى من أهم أسباب انحطاط العرب لأنه هجن دماءهم بما أدخله فيهم من دماء الزنوج لأن أكثر العبيد والإماء كانوا بالطبع من الزنوج ومازلنا فى مصر نجد من الناس من تسقط كرامته فيزوج بناته لمن هو دونهن فى الكفايات الذهنية والجسمية من الشعوب الأخرى(٣).

عار أن يطبع هذا الكلام فى القاهرة عاصمة الوحدة الأفريقية.. وفى عصر انتصار أفريقيا.. وعار أشنع أن يصر البعض على تذكيرنا بمقدمة «السوبرمان».. هذه التى لم

---

(١)س. م. المفكر والإنسان ص ٨١.

(٢) س. م. المفكر والإنسان ص ١٠٥ وحذفها سدنته فى الطبعة التى صدرت بعد وفاته.

(٣) مقدمة السوبرمان طبعة «دار سلامة موسى للنشر والتوزيع».

تزد عن أن تكون صيحة هيستيرية لعنصرى عدو الشعوب.. مستذل الجنس الأبيض.. يشيد بإسماعيل باشا لأنه وزع جاريات شركسيات على الأعيان لتحسين لون بشرة المصريين وليقارب البشرة الأوروبية» (١).

يهاجم التضامن مع الشعوب الأسيوية ويدعو إلى التحالف مع أوروبا فى عبارات بذيئة:

«إن الرابطة الشرقية سخافة.. فما لنا ولهذه الرابطة الشرقية؟.. وأية مصلحة تربطنا بأهل جاوه «أندونيسيا» وماذا ننتفع بهم وماذا ينتفعون بنا؟ إننا فى حاجة إلى رابطة غربية ..كأن نؤلف جمعية مصرية يكون أعضاؤها من السويسريين والإنجليز والنرويجيين وغيرهم.. نقعد معهم فنستفيد من شرعة إصلاحية نفذت فى بلادهم يشرحونها لنا فننتفع بذلك، أو فلسفة جديدة ظهرت يعرفوننا شيئا عنها، أو آلة جديدة اخترعت نتفاوض معهم فى استعمالها عندنا.. مثل هؤلاء الناس النظاف الأذكياء.. نستطيع أن نؤلف رابطة معهم.. ولكن ما الفائدة من تأليف رابطة من الهندى أو الجاوى»(٢).

اشتراكى.. هه؟؟

لقد عاش حتى رأى المؤتمر الأول لشعوب آسيا وأفريقيا يعقد فى القاهرة.. وعرف أن لن يبقى من آرائه «غير النظيفة» إلا رائحتها العفنة، التى يتلذذ بعض مشوهى النفس بتشممها..

وإذا كانت مادية ماركس تشكك الشباب فى دينهم وتضعف إحساسهم القومى فهو ماركسى.. وإذا كانت الفابية تعادى الثورة وتحرف الشباب عن طريق النضال الثورى إلى خرافة التطور البرلمانى وتطعم الحكومة بالاشتراكية .. حكومة كرومر والخديويين.. فهو فابى..

وما هى الفابية؟

اسمعوا - أولاً - وصفها من حوارييه والمبشرين به.. «فقد تأثر على نحو واضح بمنهج الفابيين الإنجليز القائلين بالتطور التدريجى تجاه الاشتراكية والمعادين لأسلوب الكفاح الثورى» (٣).

(١) س. م. المفكر والإنسان ص ٩٥.
(٢) كتاب اليوم والغد.
(٣) الطليعة ١٣٢.

«لقد كان التطرف النيتشوى والاشتراكية الفابية لا يتصفان بالثورية.. إن لم يكونا شيئين رجعيين - سواء فى الفكر الفلسفى أو السياسى الأوروبى فى مطلع القرن العشرين.. إلا أن منهج سلامة موسى الذى أخذ بنفس الاتجاهين المتناقضين فى مصر فى أوائل القرن العشرين كان منهجاً تقدمياً رغم ذلك ودون أدنى شك[1] لأنه إذا كان التطرف النيتشوى بالنسبة لألمانيا وأوروبا تعبيراً فلسفياً عن بزوغ النظام الاحتكارى فى الصناعة الألمانية بصفة خاصة والأوروبية بصفة عامة .. فقد كان بالنسبة لمصر رد الفعل الطبيعى الحاد لما يخيم على بلادنا من ظلام نتيجة العلاقات والقيم الإقطاعية السائدة. وإذا كانت الفابية بالنسبة لبريطانيا وأوروبا قد ترجمت هزيمة فكر القوى العاملة الإنجليزية العلمى فى المعركة ضد الفكر البورجوازى .. فلقد كان النزوع إليها بالنسبة لمصر رد الفعل الطبيعى عند الفئات الصغرى من الطبقة المتوسطة فى وجه الاقتصاد شبه الإقطاعى المتحالف مع رأس المال الأجنبى»[2].

نقلنا الفقرة كاملة رغم أن ما يعنينا فيها هو تسليمهم بأن النيتشوية والفابية «كانتا شيئين رجعيين» فى أوروبا ذاتها.. أما ما بعد ذلك فيحسن إلقاؤه فى أول صندوق للقمامة.. لأنه يعكس جهلاً فاضحا بنيشتة والفابيين.. وتفسير سخيف لطبيعة التطور السياسى والاجتماعى فى مصر فى هذه الفترة...

ماهى الفابية؟.. هى رد فعل المركز الاحتكارى الذى كانت تتمتع به بريطانيا.. الأمن والاسترخاء الذى يحسه أقوى وحوش الغابة.. سيدة البحار.. الامبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس، وناهبة الشعوب.. ومن ثم أكثر الدول الرأسمالية قدرة على رشوة مثقفيها وقياداتها العمالية.. وأيضاً أقل الدول خوفاً من احتمالات التغيير الثورى فى داخلها .. الأمر الذى مكن للتقاليد الديمقراطية والنيابية فيها.. وجعل الإنجليز يقولون أن البرلمان البريطانى يستطيع أن يقرر أى شىء إلا أن يأمر الشمس بالشروق من الغرب.. لسبب بسيط هو اطمئنان الاحتكارية البريطانية إلى أن هذا

(١) أما وقد أصدر البابا قراره. فقد كفت الأرصض عن الدوران بدون أدنى شك.

(٢) ص ١٣٢ (الطليعة ٨) ١٩٦٥.

البرلمان ذا القدرة الخرافية . . لا يمكن أن يـصدر قراراً، ولم يصدر قط، يتعارض مع استعمارها واستغلالها.

وانطلاقـاً مع رسوخ التـقاليـد البرلمانيـة كان الإيمـان بإمكانيـة التطور السلمى . . فالقضية الرئيسية فى الحركة الفابية هى التطور السلمى، هى تجنب الاصطدام ومن هنا اشتقت الفـابية اسمها . . فـهى منسوبة إلى فابيوس القـائد الرومانى الذى كان يؤمن بالالتفاف حول العدو بدلا من الاصطدام به . . وليس معنى هذا أن الفابية وقفت عند هذا التفـسيـر الحرفى لاسمـها . . بل المهم أن مـحورها ونقطة تمـيـزها عن الحـركات الاشتراكية الأخرى هو رفضها للعنف . . رفض الثورة . . رفض الحل الثورى والإيمان بالتطور السلمى . .

فالفابية «تصبر على المشاكل فلا تتعجل حلها بالعنف والقوة . . وتعمل على تحقيق الاشتـراكية بدون تسرع . بل بالتـريث والأناة والروية والصبر . . أى بالطرق السلمـية والخطوات المنتظمة البطيئة» [١].

«الفابيون الإنجليز القائلون بالتطور التدريجى والمعادون لأسلوب الكفاح الثورى»[٢].

ومثل هذه الفلسفة تصفها «الطليعة» مطمئنة بأنها رجعية فى أوروبا . .

فإذا كانت الفابية رجعية فى بريطانيا المستـقلة . . وحيث التقاليد الديمقراطية تسمح بإمكانية التطور البرلمانى بالاشتراكية . . بل وثبت بعد ذلك أن هذا ـ على مايبدو ـ هو الطريق الوحـيد للاشتـراكيـة فى غرب أوروبا . . بعـد الوضع الهزلى الذى صـار إليه الحزب الشيوعى البريطانى وتحوله إلى طابع بريد تذكارى فى السياسة البريطانية.

إذا كانت الفابيـة بشهادة أتباع سلامة مـوسى . . رجعية فى بريطانيا حـيث الطبقة الحاكـمة الذكية المرنة، الراغـبة دائما فى التـسويات والقادرة على الدفع على حـساب الشعوب التى تنهبها . .

---

(١) ص ٣٥ من سلامة موسى . . المفكر والإنسان: محمود الشرقاوى.

(٢) ص ٥ من سلامة موسى وأزمة الضمير: غالى شكرى.

إذا كانت الفابية رجعية فى بريطانيا الاستعمارية . . فهى خيانة فى مصر المستعمرة . . إن الذى يبشر بالتطور السلمى . . بالحل اللاعنفى . . الذى يبشر ضد الثورة ويدعو إلى التطور التدريجى فى ظل الحماية البريطانية . . خائن يجب ضربه بالرصاص دون تردد.

خيانة أن يبشر فى ظل الاحتلال البريطانى حيث مصر بلا برلمان ولا ديموقراطية . . بلا حرية . . ولا حق تقرير مصير . . حيث مصر يحكمها جيش احتلال أجنبى من خلال طبقة عميلة ترفض أى تسوية أو مساومة أو تنازل.

هل كانت مصر بحاجة إلى من يبشرها بالتطور السلمى فى ظل الحماية البريطانية . . كرومر كان يفعل . .

إن الفكرة الفابية تعنى فى ظل هذه الظروف تضليل الشعب، تخدير الجماهير . . وتهبيط ثوريتها . .

وتدور رأس المبشرين بآبيس الجديد . . فيندفعون إلى التزييف الصارخ والدجل غير المعقول عندما تقول الدراسة: «ولقد رأى أن أوضاع مصر (١٩٢٠) تسمح بالانتقال التدريجى إلى الاشتراكية وذلك بتوسيع القاعدة الشعبية وبتغلغل العناصر الاشتراكية فى البرلمان تدريجياً وفى الوقت ذاته تجرى حركة إصلاح مصاحبة لتلك العملية، كمجانية التعليم»، وتوسيع حركة النشر . . وهذا هو الشئ الفريد فى تفكير سلامة موسى . . فهو دائماً «يهضم» الأفكار التى يهتدى إليها خلال سياحاته الذهنية مع مفكرى أوروبا ثم عندما يتأملها ويفكر . . لا يستعيد هذه الأفكار كما هى . . بل يقارن بينها وبين واقعنا . . ثم يتجه إلى تطبيقها وتطويعها لظروفنا ومن هنا . . إصراره على الطريق البرلمانى فى الانتقال إلى الاشتراكية وهى فكرة لم يكتشفها المعسكر الاشتراكى نفسه إلا بعد الحرب العالمية الثانية» [1].

الحق أن هذه الفقرة ذكرتنى بخراش الذى تكاثرت عليه الظباء فلا يدرى ما يصيد . . نعم . . لم يكتشفها المعسكر الاشتراكى إلا بعد الحرب العالمية الثانية . . ومعنى

(١) الطليعة (القاهرة) ١٩٧٦/٨ ص ١٣٠.

العبارة أن سلامة موسى كان رائداً سبق خروشوف وبيريزينيف.. وكم أخطأ لينين فى حق قومه، إنه لم يقرأ مقدمة السوبرمان للسيد «سلامة موسى العفى»..

وهو تزييف وتشويه للتاريخ .. لأنه من المعروف أن الحركة الاشتراكية .. قد انقسمت على نفسها أيام سلامة موسى أى قبيل الحرب العالمية الأولى .. حول البرلمانية.. وكانت الأحزاب الاشتراكية فى غرب أوروبا الاستعمارى لانعدام ثوريتها وخيانتها، نتيجة المركز الممتاز الذى تعيشه الطبقات العاملة فى بلادها بفعل نهب وسرقة شعوب المستعمرات.. لذلك آثرت هذه الأحزاب طريق التطور البرلمانى ورفضت الثورة.

ولكن لينين، لوجوده فى روسيا، حيث الطبقة المالكة ترفض أى إصلاح، ولاسبيل معها إلا الثورة المسلحة، رفض لينين أسلوب الاشتراكيين الديموقراطيين وأصر على أن الثورة هى السبيل الوحيد وأن التطور الثورى البرلمانى.. هو سبيل الخلاص.

فسلامة موسى لم يكتشف بل نقل أسلوب الاشتراكيين فى غرب أوروبا وبالذات أكثرهم انتهازية واستعمارية وقتها الفابيين الإنجليز.. فلا يحق أن يقال إنه كان عبقرياً أدرك ما فات لينين .. وعرف الطريق قبل خروشوف بنصف قرن..

هذا التزييف يكشف أن القشرة الماركسية التى يلتحف بها هؤلاء، ليست الإ طلاء للخداع وأن القلب من الداخل أسود صليبى.. فهم مع لينين ضدنا ولكن مع سلامة موسى ضد لينين..

أما الإشارة إلى اكتشاف المعسكر الاشتراكى لها.. ولو أن كلمة المعسكر الاشتراكى غير دقيقة إذ أن هذه النقطة بالذات هى من أهم مواضيع الخلاف العلنى بين روسيا والصين ومن حولهما..

إلا أن قرارها فى بعض أجزاء المعسكر الاشتراكى ليس نتيجة الرجوع إلى الحق الذى سبق إليه سلامة موسى.. كما توحى عبارة المقال، بل بفعل التطورات العالمية ــ كما يرى الشيوعيون من أنصار موسكو ــ التى جعلت من الممكن أن يتم التطور البرلمانى إلى الاشتراكية. وحتى هذا الفريق يعتبر أن الإصرار على الطريق البرلمانى فى

دول أوروبا فى التاريخ الذى يتحدثون عنه فيما بين الحربين ـ خيانة . . فمابالك بمن يصر عليه فى مصر المستعمرة الإقطاعية.

أكان يمكن حقاً أن «تتغلغل العناصر الاشتراكية فى البرلمان» فى سنة ١٩٢٠ . . ؟!

فى ١٩٢٠ لم يكن لدينا برلمان أصلاً . . وبعد دستور ٢٣ . . أكان يمكن حقاً أن تتغلغل العناصر الاشتراكية فى هذا البرلمان؟ . . البرلمان الذى كان يحل إذا حاول أن يضع قانوناً لانتخاب العمد . . أو إباحة الاجتماعات . . البرلمان الذى فصل عضواً فيه لأنه طالب بتحديد ملكية الأحفاد بـ ٥٠٠ فدان . .

أكان يمكن أن يتسرب لبرلمان الاستعمار والاقطاع عناصر اشتراكية (١).

أثورى جاد . . فضلاً عن أن يكون اشتراكياً من «يصر على الطريق البرلمانى فى الانتقال للاشتراكية». فى بلد كان فيه ثمانون ألف جندى بريطانى . . «إن ثمانين ألف جندى سوفيتى فى المجر لم يجعلوا البرلمانية سبيلاً للانتقال للاشتراكية».

إن معنى اصراره على الطريق البرلمانى . . أنه كان يصر على رفض الثورة . . ولأن الثورة كانت هى الحل الوحيد الممكن لتحقيق التحرر الوطنى وتعبيد الأرض للاشتراكية . . فإصراره كان يعنى رفض التحرر الوطنى . . رفض الاشتراكية . .

ومن ثم فيجب ألا يخدعنا الحديث عن الاشتراكية والضجيج حول الكتابة عنها والزعم بأن الإنجليز كان يقلقهم الكتابة عن الاشتراكية . . أبداً الإنجليز كان يقلقهم الحديث عن الثورة . . الحديث عن الحل الثورى عن الكفاح المسلح.

فالاشتراكيون الحقيقيون فى المستعمرات هم ثوار وطنيون . . وهم قادة الكفاح

---

(١) سؤال . . هل تؤمن مجلة الطليعة أنه من الممكن إنجاز التطور الاشتراكى الآن فى مصر سنة ١٩٦٧ من خلال التطور البرلمانى . . وتغلغل العناصر الاشتراكية فى مجلس الأمة بالانتخابات الحرة . . والجواب من خلال كل ما عانينا قراءته من اعدادها هو النفى الجازم . . إذ لابد من الأسلوب الثورى . . الخ، فكيف من أجل سلامة موسى يزيف العلم والتاريخ ونقول إن ذلك كان ممكناً فى ١٩١٧فى ظل الاحتلال الإنجليزى وحكومة السلطان فؤاد؟ . . شئ من الحياء . . فلم تصبح بعد تحت احتلالكم حتى تقولوا بغير معقب ولا رقيب.

المسلح.. ولم نسمع .. ولا أظن أن أحداً سمع عن اشتراكية فابية فى محمية بريطانية قبل هذا المشعوذ..

إذن فجوهر دعوته كان عملاً معاديا للثورة ولحركة التحرر الوطنى.. ومن ثم لا يمكن أن نصفه بالثورية لأنه دعا إلى هذا التفكير غير الثورى المخرب للكفاح الوطنى.

ولكن هل دعا إلى مفاهيم اشتراكية، بصرف النظر عن فكرة التطور السلمى الخيانية..

أبداً لم يأخذ من الفابية غير التبشير برفض الثورة والدعوة إلى العمل السلمى فى ظل النظام القائم «نظام قصر الدوبارة - عابدين».. أما فيما عدا ذلك فهو فاشى عنصرى.. ينشر اليأس والاستخزاء بين قرائه..

نعود لنتعقب تاريخه.. لنرى مدى صدق ما تصفه به «الطليعة» من الوجدان الثورى.

وفى سنة ١٩٢٥ ترزح مصر تحت نير انقلاب زيور وحكم السراى عميلة الاستعمار فيخرج لنا «أشهر قصص الحب التاريخية» وتقول «الطليعة» إنه منع «لأنه يعرض بفاروق». ومعروف أن «فاروق» كان عمره فى ذلك الحين خمس سنوات.. وقد اعترض على إحدى طبعات الكتاب لأنه يعرض ببعض الأنبياء.. وليس فى حياة فاروق قصة حب واحدة.. بل قصص دعارة.

ولكن الذين خلعوا على صاحبهم صفة الثورية يفزعهم أنه ألف ٤٥ كتاباً.. لم يصادر منها كتاب واحد.. لذا يتشبثون كالغرقى بقشة مصادرة إحدى طبعات كتاب «أشهر قصص الحب فى التاريخ».. ويدعون أنها صودرت لأنها تعرض بحياة فاروق.

وما من كاتب شريف فى هذه الفترة إلا وقد صودر له أكثر من كتاب.. ودخل السجن من أجل مقال.. إلا سلامة موسى..

ونمر بالثلاثينيات، بالأزمة، بالاضطرابات، بالانفجارات الثورية فى الريف وعمال المدن. بالمواجهة السافرة بين الرجعية المصرية والحركة الوطنية.. هذه المواجهة التى كانت تتحول تدريجياً إلى ما يشبه الحرب الأهلية..

ولا يقبض على سلامة موسى ولو ساعة واحدة .. بل نراه يهاجم نظام العمد.. وهم كانوا عصب المقاومة الوطنية فى الريف ضد حكومات السراى.. لأسباب عديدة

لا مجال للخوض فيها الآن.. ثم تدخل مصر الحرب العالمية الثانية ويعتقل من يعتقل ويختفى من يختفى.. ويبقى هو وحده لا تمتد إليه يد ولا تمس شعرة من رأسه.. وقبل أن تنتهى الحرب يكون قد انضم لأسرة «أخبار اليوم» وهى فى ذلك الوقت صحيفة القصر والإنجليز ثم الأمريكان.

وفى سنة ١٩٤٦ وفى حملة هستيرية ضد الشيوعية يشنها صدقى باشا حملة شملت حتى مؤلف كتاب «أفيون الشعوب» يعنى الشيوعية..

حملة لم يكن بين المعتقلين فيها من الشيوعيين أكثر من واحد بالمائة.. اعتقل سلامة موسى بضعة أيام فأصبح بطلاً.. واستشهد بها على أنه كان يحارب الطغيان ويكافح الردة ويقتل الشياطين بسيف مارى جرجس..

بضعة أيام فى حياة «بطل شهيد وثائر» خلال نصف قرن كامل.. منذ أن ظهر كتابه الأول الذى يسب فيه الأديان.. إلى أن مات.

بضعة أيام خلال نصف قرن مرت فيه مصر من عهد المعتمد البريطانى إلى عهد الحماية إلى المندوب السامى.. وأعلنت فيها الأحكام العرفية أربع مرات.. وعطل الدستور وألغى.. وما من مصرى له صفة إلا وسجن ونفى أو حوكم.. إلا هو.. خرج بهذه الأيام فى أحد أقسام القاهرة..

أليس من العار أن يشيروا إليها.. أليس من الغباء أن يذكروها؟..

ولكن لا.. إن عقدة الذنب هى السبب..إنه إحساسهم بسؤال هائل يطاردهم.. لماذا نجا سلامة موسى، الشاب المراهق من الاعتقال؟.. ومصر تغلى سخطاً وألماً عقب حوادث دنشواى؟.

كيف نجا الثائر الاشتراكى فى ١٩١٩ من الاعتقال والمطاردة وكان الباشوات ينفون والبكاوات يعتقلون والأفندية يستشهدون؟..

كيف ولماذا نجا سلامة موسى طوال سنوات الإرهاب الملكى وعبر الحرب العالمية الثانية؟..

إن هذا الإحساس بالذنب هو الذى جعلهم يتشبثون ببضعة أيام قضاها فى أحد أقسام القاهرة بفعل هيستيرية صدقى باشا . .

ومادمتم قد شئتم الحديث وآثرتم السؤال . . فالجواب معروف . . إن السر وراء نجاة سلامة موسى هو دوره المعادى للحركة الوطنية وللثورة . . وأيضاً لأن سلامة موسى كان على صلة بالبوليس السياسى . . صلة لم تعرف كل تفاصيلها . . وإن كشفتها تلك الوثيقة الشهيرة التى كتبها بخط يده إلى سعادة وكيل الداخلية ينصحه ويشى بالحركة الوطنية ويبلغ ضد الوفد وعباس العقاد . . ويعرض خدماته للترويج لإحدى معاهدات الاستعمار التى حطمها الشعب . والذى عرض قلمه وجهوده لخدمة معاهدة محمد محمود فى فبراير ١٩٢٩ . . وما كان لينقلب وطنيا متطرفا فى ١٩٤٦ وما بعدها . . والذى استطاع أن يؤثر السلامة فى ثورة ١٩١٩ . . فلا تمتد إليه يد بسوء . . ما كان ليصبح وطنياً ثورياً بعد ذلك .

هذا العنصر الفاشى ، عدو القومية العربية ، والرابطة الأسيوية ـ الأفريقية كان يؤمن بالاستعمار الغربى «النظيف» ويرى فى حكم نابليون المسيحى لمصر بركة أحس جانب من المواطنين فى ظله «بالحرية والراحة» . . يعيب على ساستنا أنهم عجزوا عن الاتفاق مع بريطانيا . .

يقول المتهم بالاشتراكية والثورية «فى كتاب اليوم والغد من ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧» «أن الزعامة السياسية فى أيدى أناس ليست فيهم الكفاية للقيام بأعبائها ، ودليل ذلك فشلهم العظيم فى عدم الاتفاق (١) مع الإنجليز وفى عدم إدراكهم قيمة اتخاذ القبعة . . ولكن لا أزال مع ذلك متفائلا ، أرى أن الجمهور يسبق الزعماء ، ويجرفهم على السير بخطوات واسعة نحو الاستقلال بجميع أنواعه فشبابنا قد سئم سخافة أدبائنا . . وصار يطلب من الأدب شيئا جديدا مغذيا غير الكلام عن العرب بلغة العرب «هذا هو الاستقلال (٢)!» وشبابنا أيضا يوشك أن يلبس القبعة ، لأنه يجد هواناً من الشذوذ فى

---

(١) فليس الثورى هو من يسب الزعماء فحسب . . بل من أية زاوية . .؟ من زاوية اتفاقهم مع الإنجليز أم عدم اتفاقهم؟ . .

(٢) كل الذين يمجدون سلامة موسى . . إنما ينفثون حقدهم على العرب . .

العالم المتمدين وهو أيضاً قد أبصر أننا إذا أخلصنا النية مع الإنجليز قد نتفق معهم إذا ضمنا لهم مصالحهم وهم فى الوقت نفسه إذا أخلصوا النية لنا فإننا نقضى على مراكز الرجعية فى مصر وننتهى منها.. فلنول وجهنا شطر أوروبا»..

هل حدث قط أن مجدت أمة خائنا؟ وبعد التحرر من الاستعمار؟!..

إذا ضمنا مصالح الإنجليز؟ ماهى مصالح الإنجليز ياحضرة الاشتراكى؟! هل درست ماركس ونيشتة وشو ودارون.. ثم لا تعرف ما هى مصالح الاستعمار.. وأن الشعوب لا تضمنها بل تستحقها..

لو أخلصنا النية مع الإنجليز!..

ولو أخلص الإنجليز لنا النية؟.. ما هذا التفسير «العلمى».. ولماذا هنا فقط تؤمن بالغيبيات والنوايا؟.. وهل صحيح أن كل ما يقلق الإنجليز هو القضاء على الرجعية فى مصر؟! وما هى الرجعية [1] التى يعنيها سلامة موسى؟!!.. إنها الدين.. والدين الإسلامى بالذات.. تكشف عن ذلك عبارته التى يضعها فى آخر الجملة «فلنول وجهنا شطر أوروبا»..

ومعروف أنه كان يتجنب الكلام الفصيح.. لذا تبدو العبارة غريبة على أسلوبه..

---

(١) الرجعية أو اليمينية عند هذه العصابة تعنى الإسلام والعروبة.. وايسار أو التقدمية هى ماعاداهما.. فى دراسة صليبية لأدب نجيب محفوظ يقول غالى شكرى «فى القاهرة الجديدة نلتقى بمأمون رضوان وعلى طه وهما نموذجان يلخصان أزمة اليمين واليسار فى تلك المرحلة السابقة على الحرب العالمية الثانية.. فيقول مأمون «حسنا المبادىء التى أنشأها الله عز وجل» أما على طه فيؤمن «بالعلم بدل الغيب والمجتمع بدل الجنة» «والاشتراكية بدل المنافسة». الدين - إذن - هو المحك الذى يختلف كلاهما بشأنه: إحداهما ناحية اليمين، والآخر ناحية اليسار ويترك الفنان «بداية» الانتماء إلى اليمين، ليذهب إلى «بداية» الانتماء إلى اليسار. فإذا كان الدين قد أغرق المنتمى اليمينى فى دوامة العزلة عن الحركة الوطنية بالالتفاف حول شعار الإسلام والعروبة، فإن الموقف النقيض عند على طه» مأمون يقول بحاسة المعهود «هناك قضية واحدة هى قضية الإسلام والعروبة.. ولكنه لم يظفر بواحد يشاركه حماسه فى الدعوة إلى الإسلام والعروبة» (المنتمى ص ٢٠١).
أرأيت ما هو اليمين واليسار؟!.. أعلمت ما هى الرجعية والتقدمية.. أرأيت كيف تعزل العروبة والإسلام عن الحركة الوطنية؟! أرأيت ماذا يقولون إذا خلوا إلى شياطينهم!..

وإذا كـان بوسعـه أن يقول: فلنتـجه إلى أوروبـا. . أو لنتطلع إلى أوروبا . . ولكن العبارة مقصودة أنه يريد أن يعارض بها الآية: ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة: ١٤٤]

هذا ما أجهد سلامة موسى نفسه والذين حركـوه والذين ورثـوه. . وخابت جهوده وستخـيب جهود أيتـامه. . وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. . فـسنولى وجوهنا شطر المسجد الحرام وحده. .

هذا هو الحلف الذى كان يتـمناه سلامة مـوسى. . يحمى مصـالح الاستعـمار. . ويخلص الاستعمار له النية، ليحول المصريين من المسجد الحرام إلى شطر أوروبا!. .

لم تكن دعوته تهـدف لأكثر من إلحاقنـا بأوروبا. . كما كانت فـرنسا تعتبـر الجزائر أرضا فرنسية، لأهدافها الاستعمارية وليس أبدا بهدف تقدم الجزائر، ولا لمصلحتها.

كان «سـلامة موسى» يبشـر: «يجب علينا أن نخرج من آسيـا وأن نلتحق بأوروبا» ويعلق الدكتور محمد حسين ـ بحق ـ على هذه العبارة. . «إن مصر ليست فى آسيا وبالتالى فهو يقصد «من العروبة» التى تربطنا بآسيا، «ومن الدين» الذى جاءنا من آسيا».

والموقف الخيـانى الذى اتخذه البـعض ضد العـروبة والإسلام خـلال أزمة الدولة العثمـانية يغطى الآن بالرغم أنه كان خـلافاً بين أنصار تركيا وأنصـار الغرب. . ولكن سلامـة موسى يدعـو إلى «إلحاقنا» بأوروبا فى سنوات ٢٥، ٢٦، ٢٧ ولم يـعد هناك دولة عثمانية ولا ولاء عـثمانى ولا خلافة تركية. . بل دعاة الحـركة الإسلامية هم ألد أعداء تركيا الإلحادية. .

وحماس الشيخ (١) لأستاذه، ينسيـه التاريخ فيقول: «كما كان فى فـترة مبكرة جداً من حياته وحياة مـصر السياسية، شديد الحساسيـة نحو كل ما هو مصرى. . فى سنة ١٩١٦ دعا فى جريدة «الأخبار» التى كـان يصدرها «أمين الرافعى» لنزع الطربوش من فوق رؤوس المصريين لأنه شارة الاسـتعمار التركى «الذى كان يخـيم على صدر مصر يوم ذاك» (٢).

(١) محمود الشرقاوي.

(٢) س. م. المفكر والإنسان ص ٢٢١.

ولو أن الشيخ قرأ كتاباً أولياً فى التاريخ بدلا من تبديد عمره فى دراسة الأفاق الذى أتلف عقله.. لعرف أن مصر كانت ترزح تحت الاستعمار البريطانى، الذى يلبس القبعة، منذ سنة ١٨٨٢ وأنه حتى العلاقة الوهمية بتركيا كانت قد قطعت فى ١٩١٤ بإعلان حماية القبعة، فلو كانت حكاية خلع شارة الاستعمار، لكان أولى به أن يرفض شارة الاستعمار الجاثم فعلا.. لا الذى أصبح فى ذمة التاريخ!..

لم يكن الخطر التركى إلا شعارا مفضوحا يعملون من خلفه لخدمة الاستعمار الغربى..

وسلامة موسى، يحقد على «مصطفى كامل» كحقد الذين التقطوه من على المقهى يوم دنشواى وبعثوه ليدربوه فى أوروبا، حتى يعود لتخريب البعث الذى حركه مصطفى كامل، وتخريب الثورة الوطنية التى تجمعت بكفاح مصطفى كامل..

«ثم حدث ارتداد فى الفكرة الوطنية بظهور مصطفى كامل».

تأمل!.. «مصطفى كامل» ردة فى الحركة الوطنية!

لقد تجرع المصريون، مثل هذا الكلام، فى ظل الاحتلال البريطانى، يوم كان المعتمد البريطانى أو المندوب السامى يملك أن يتوجه لرياسة الوزراء على رأس كوكبة من الفرسان ويعلن وصول مدمرتين واحتلال الجمارك.. فما الذى يجبرنا على ترديده، وإعادة طبعه الآن؟.. وتمجيد الخائن الذى قاله؟!..

ماالذى يجبرنا؟!

«وأوشك «مصطفى كامل» ومحررو جريدته أن يحدثوا فتنة بين الأقباط بهذا السخف والهراء»!!..

أهذا ما نعلمه لإخواننا فى الوطن والعروبة؟!.. هل مصطفى كامل زعيم وطنى للمسلمين فقط؟! كيف ندعو المواطنين الأقباط لحبه وتمجيده، والإيمان بالحركة الوطنية التى نادى بها وتوجت بخروج الإنجليز من مصر فى سنة ١٩٥٦؟!

«وقد كان مصطفى كامل لجهله بروح الزمن يخبرنا، ولا يزال فلول المحررين من المؤيد والحزب الوطنى يخبروننا، نحن المصريين، عن الإسلام فى الصين، تحت عنوان «أخبار العالم الإسلامى».

وعندما صنع السامرى لبنى إسرائيل عجلاً له خوار ودعاهم لعبادته. . كان عليهم أن يكفروا أولاً بالله وملائكته ورسله. . بل وبالعقل. . قبل أن يعبدوا العجل الذى له خوار . . ولكى نؤمن ببطولة ووطنية وثورية سلامة موسى يجب أن نكفر بكل قادة تاريخنا الوطنى. .

فتتطاول «الطليعة» على مقام «مصطفى كامل» الخالد فى ضمير أمتنا لكى تبرئ سلامة موسى!!. . فتقول: «مال فى تلك الفترة إلى اتجاه أحمد لطفى السيد، ودعوته على صفحات «الجريدة» لأن تكون «الوطنية» وطنية مصرية لا شأن لها بالعثمانية ولا بدولة الخلافة وسيادة تركيا، كما كان يقول اتجاه مصطفى كامل ورجال الحزب الوطنى فى ذلك الوقت لقد اعتبر لطفى السيد فى تلك الفترة المجدد الأول فى الوطنية المصرية وصاحب وحيه الذهنى فى السياسة والوطنية»(١).

أيصح من أجل سلامة موسى. . أن نعرض بوطنية ومصرية سموه«صب مصر» أى عشيقها!. . الذى علم المصريين حب مصر؟!. .

سلامة موسى أكثر مصرية من قائل «بلادى! بلادى! لك حبى وفؤادى!!» الذى اتهم بالمغالاة بل والمراهقة فى حب مصر؟! والذى ما أظن أن سياسياً مصرياً إلى وقتنا الحاضر قد استخدم لفظ مصر فى خطبه وكتاباته بقدر ما فعل مصطفى كامل (٢).

بل ومن أجل إخفاء عار «سلامة موسى» تعرض «الطليعة بمصطفى كامل » وتلمح لثورية «النبيل عباس حليم»!! فتزعم أن البرنس لم يكن يحظى حينذاك بعطف السلطات.

أى سلطات؟ نعم الوفد كان ضد هذا الاتحاد الذى أنشأته السراى والإنجليز لعزل العمال عن الحركة الوطنية، ووضعهم تحت وصاية البرنس، وليس لخدمة الأهداف السياسية الخاصة للبرنس كما تزعم الطليعة بل لخدمة الأهداف السياسية للاستعمار والسراى برغم التناقضات الشخصية بين أفراد العائلة المالكة والتى كان معظمها يدور حول قضايا جنسية. .

---

(١) الطليعة ص ١٣٢ عدد أغسطس سنة ١٩٦٥.

(٢) حكاية الرابطة العثمانية رددنا عليها فى كتاب القومية والغزو الفكرى (مطبوعات دار الأمل).

وسلامة موسى يتحسر على الحرية التى كانت تتمتع بها مصر أيام الحكم البريطانى المباشر: «وذكرت الحرية التى كنت أتمتع بها فى عام ١٩١٤ «عام إعلان الحماية البريطانية على مصر!!» حين كنت أكتب مقالات فى «المستقبل» لو أن بعضا منها نشر هذه الأيام لقاد إلى السجن [١] نعم أيام كانت المدفعية البريطانية تعطيه حرية قول: «الأجانب يحتقروننا بحق» ونحن نكرههم بلا حق [٢] ويصفنا بانحطاط المستوى الذهنى.. «فإذا كان مستوانا الذهنى أحط مما هو عند غيرنا من الأمم فإن هذا يعزى أكثره إلى حجاب المرأة.. كما يعزى بعضه إلى ظلم الحكام الأتراك» [٣].

أى حماس يتدفق فى عروق الشباب، عندما نقول لهم أن مستوى المصريين الذهنى أحط من باقى الأمم! ونرجع هذا إلى أسباب لا دخل للاستعمار فيها.. الحجاب.. وظلم الأتراك!..

أيام كانت الحرية البريطانية تسمح له بطبع كتاب «مقدمة السوبرمان» يهاجم فيه الله والعروبة والمصريين، ثم ينشئ فصلاً عن الحكومة الجائرة.. لا ترد فيه كلمة واحدة عن الاستعمار!..

ويتحدث عن تأثير الحكومات الجائرة فى مصر فلا يذكر إلا حكم الأتراك وإسماعيل.. أما الإنجليز فلا..!

بل إن كتابه مقدمة «السوبرمان» الذى يحدثون ضجيجاً حول جرأته.. يصدر فى ١٩١٠ فى عنفوان المد الوطنى الذى قاده مصطفى كامل فلا ترد فيه كلمة استعمار.. أ س ت ع م ا ر.. ما هى الجرأة؟ وما هى الثورية؟.. هل فقدت الكلمات معناها؟ هل مصطفى كامل الذى يواجه بريطانيا العظمى رجعى لأنه يشيد بالإسلام؟ والآخر الذى يحتمى بالاستعمار البريطانى، ولا يتعرض له.. ثورى.. لأنه يكتب عبارات «فاجرة» كما وصفها هو ـ ضد الدين والقومية؟!..

---

(١) ص ٤٨ س. م... المفكر والإنسان
(٢) ص ٢١٢ اليوم والغد (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧).
(٣) ص ٢٩ مقدمة السوبرمان (١٩١٠ ـ ١٩٢٧.

وفى ١٩١٢ بدأت فرنسا غزوها لمراكش بعد أن مـلأت الدنيا بالأكاذيب الوقحة عن سوء الأحوال، والتخلف.. ورسالة الشعوب البيضاء فى تحضير الشعوب.. إلى آخر كلام الاستعمار المقيت الذى كان يروجه ضد الدول الشرقية، ليبرر فحشه وفجوره واستعماره..

وقـبيـل الغزو، أرسلوا «سـلامـة مـوسى» لزيارة مـراكش، وعاد يمـهـد الأذهان لاحتلالها عاد يهاجم مراكـش والشرق.. ويشنع عليها، وهى تواجه لحظة خطيرة فى حياتها والمستعمر المتفوق فى كل شئ يشـحذ أنيابه لالتهامها، وبدلاً من أن يثير سلامة موسى حمـاسة العرب لنجدة إخـوانهم، بدلاً من أن يذكى إيمان المراكشـيين والعرب والشـرقيـين بأنفسـهم، بدلاً من أن يفـضح المخطط الاستـعمـارى.. نراه يكتب فى ١٩٠٩ تحت عنوان «اسـبـوعـــان فى المغـرب» وفى مـجلة «المقـتـطف» التى وصف «حواريه» (١) صاحبـها بأنه تعاون مع الإنجليز ودعـا صراحة للاحتلال، كـتـب سلامة يقول: «إن هذه الزيارة فطمته من كل أثر كان باقياً فى نفسه من الولاء للشرق» (٢)..

هل تخلف أهل المرء يدفعه إلى التنـكر لهم؟! ولمن يدين المرء بالولاء إذا فقد ولاءه للشرق.. للغرب طبعا الذى يحكم بلاده ويستعد لحكم بلاده...

وكتب ضد الحكومة المغربية مساهما مع المخابرات الفرنسية التى كانت تؤلب ضدها الرأى العام العـالمى.. كتب سلامة يقـول: «إن الحكومة هناك تبيع الحـشيش للأهالى وتنفذ الشرع.. (٣)..

وكان عدوا للعرب: «كافراً بالشرق مؤمنا بالغرب» (٤).

«إن من مصلحتنا ومصلحة العالم كله أن نغـرس فى أذهان جميع العرب فى مصر والعراق وسوريا وشمال أفريقيا، أنهم أوروبيون سلالة وثقافة وحضارة»(٥)..

فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب».

---

(١) س. م. وعصر القلق.

(٢) س. م. المفكر والإنسان ص ٣٥.

(٣) س. م. المفكر والإنسان ص ٩١.

(٤) س. م. المفكر والإنسان ص ٩١.

(٥) محمود الشرقاوي عن مجلة الهلال ٢٥ يوليو ١٩٢٧.

«نحن لسنا شرقيين.. إن إطلاق اسم الشرق على مصر خطأ فاحش» وكذلك نجد حضارتنا «العربية» هى فى الحقيقة حضارة رومانية [1] حتى الإسلام نفسه يكاد يكون مذهبا من المسيحية»..

«ومن البلاهة البالغة أن يظن أحد أن حضارة بغداد أو القاهرة أو الأندلس كانت تبلغ فى السمو عشرا أو جزءا من ماية مما تبلغه الحضارة الأوروبية الآن [2].

«أما الرابطة الحقيقية التى تثبت ولا تتزعزع فهى رابطة الحضارة والثقافة رابطتنا بأوروبا، لأننا فى حاجة لأن نزيد ثقافتنا وحضارتنا وهما لن تزيدا من ارتباطنا بالشرق[3]..

وكان أمين عثمان يتحدث عن الزواج الكاثوليكى مع بريطانيا..

«الأدب العربى القديم.. أدب غيبى صوفى يمثل ثقافة القرون الوسطى[4].

«ليس من مصلحة الشباب المصرى أن يقف على أدب العرب ويتلمسه مباشرة من الكتب القديمة فأنا لا أحب مثلا أن تقع عين فتى أو فتاة على الأشعار المذكورة فى كتب الأدب، بشأن الغلمان [5].

ليس مصلحة بلادنا الدستورية [6] أن يمدح هارون الرشيد أو المأمون مع أن كلا منهما كان حاكما مستبدا لا يختلف أى اختلاف عن عبد الحميد، الذى خلعه الأتراك عن عرشه [7].

والحكومات العربية فى أرقى وأحسن أوقاتها حكومة استبدادية، ولا عبرة لما يقال بأن الإسلام كان يأمر بالشورى، فإن عمر بن الخطاب نفسه لم يكن يستشير أحداً».

---

(١) محمود الشرقاوي ص ٩٦.
(٢) س. م. المفكر والإنسان ص ٩٧.
(٣) نفس المصدر ص ٩٩.
(٤) نفس المصدر ص ١٣٣
(٥) نفس المصدر ص ١٣٤ وهل هي أفظع مما يكتبه لورنس أو ما يروج الآن في الأدب الغربي والسينما الأمريكية.
(٦) في ظل حكومات (٢٥ ـ ٢٦ ـ ١٩٢٧)!
(٧) نفس المصدر ص ١٣٥.

«لنا من العرب ألفاظهم فقط ولا أقول لغتهم.. بل لا أقول كل ألفاظهم. فإننا ورثنا عنهم هذه اللغة العربية، وهى لغة بدوية لا تكاد تكفل الأداء، إذا تعرضت لحالة مدنية راقية كتلك التى يعيش بين ظهرانيها اليوم.. واللغة العربية لغة شاقة تكد الذهن».

«ولكن تعليم اللغة العربية فى مصر لا يزال فى أيدى الشيوخ الذين ينقعون أدمغتهم نقعاً فى الثقافة العربية أى فى ثقافة القرون المظلمة (١).

إن كتب الأدب العربى هى كتب الملوك والأمراء (٢)..

أما موقفه من اللغة العربية، حجر الزاوية فى القومية العربية، ودعامة الوحدة العربية، فسأعرضه من خلال كتابه «البلاغة العصرية واللغة العربية» لأن هذا الكتاب كما يصفه المبشر به(٣).. هو تسجيل تاريخى لدور سلامة الضخم فى تطوير اللغة العربية، دوره فى بلورة الأسلوب الخالى من الزخارف القديمة والمتلائم مع روح العلم.

وتقول مجلة «الطليعة » عنه : «وأما كتاب «البلاغة العصرية» فهو يضيف أبعادا جديدة إلى اللغة العربية يجعل منها عنصراً حضارياً متقدماً يدفع بنا إلى الأمام، بدلاً من التقيد فى أغلال الأقدمين الذين كان البعض منهم ثوارا فى ذلك الوقت. فسلامة موسى ينظر إلى اللغة العربية كجزء عزيز من حضارتنا وتراثنا (!) يجب تنقيته من كافة الشوائب الموروثة أو المجلوبة أو المفتعلة. ويدعو إلى الانفتاح على لغات العالم المتحضر «يعنى إيه الانفتاح؟!» دون أن نشعر بأى عقد أو مركبات نقص (٤).

وآخر يعتذر عن الكتاب فيقول: «وقد وجد سلامة موسى» أن اللغة العربية بأساليبها التى عرفها وقت تفتحه الذهنى «أى نحو عام ١٩٠٥» كانت ترسف فى أغلال قديمة، فاتخذ منها موقفاً معادياً (٥) وحارب السلفيين الذين كانوا فى نظره عقبة فى سبيل تطويرها، وكان يصفهم بأنهم ينتسبون نفسيا وثقافيا إلى القرن الثالث

(١) نفس المصدر ص ١٣٦.
(٢)نفس المصدر ص ١٤٥.
(٣) غالى شكرى ص ٤٨.
(٤)الطليعة.. أغسطس ١٩٦٥ ص ١٤٠.
(٥) كيف يعادى المرء لغة قومه؟!

الهجرى «ياريت، إنه أعظم قرون النضج الثقافى فى حضارتنا». . والمعتذر عن كتاب سلامة موسى. . يختتم تعليقه بقوله: «وختمه بالمطالبة بتيسير اللغة فى المدارس وتحبيذ دعوة عبدالعزيز فهمى باستخدام الحروف اللاتينية!»

أهذا هو التطوير؟!

من حقنا إذن أن نعتبر مجلة الطليعة موافقة على كتاب اللغة العربية والبلاغة العصرية، وأنه إذا كان نمو الوعى العربى واستقلال مصر يحول دون أن يقولوا صراحة ماقاله «سلامة موسى» فهم يؤمنون بكل حرف قاله. .

فماذا فى كتاب «اللغة العربية والبلاغة العصرية»؟

لقد استوقفتنى سنوات صدور الطبعات الأربع ١٩٤٥، ٥٣، ٥٨، ٦٤.

إنها تستحق التأمل حقاً.

فى ١٩٤٥ كانت نهاية الحرب العالمية الثانية. . وبدأت الشعوب كلها تتحرك من أجل تحديد مصيرها، تتحسس الأرض من تحتها، لتتثبت من جذورها استعداداً لمطاولة السماء، ولفرض وجودها فى هذا العالم الملئ بالاحتمالات والذى كانت تتجاذبه قوتان: القومية الناهضة، والاستعمار المنهار، الذى يتشبث بوجوده الكريه، ويفرض حضارته الباغية بالحديد والنار. .

وكانت أمتنا العربية تقف لحظة حاسمة فى تاريخها، فما كاد الصوت العربى يرتفع مطالباً بحقه فى الحرية والاستقلال، فى ظل انتصار معسكر الديمقراطية، كما كانوا يسمونه حتى انهال عليها الرصاص بوحشية نعرفها فى حضارة الغرب المتمدين، وسقط فى ليلة واحدة ٦٠ ألف شهيد جزائرى، وضربت بيروت ودمشق بالمدافع، وفتحت السجون للأحرار فى مصر والعراق. . وخرج المخطط الصهيونى فى فلسطين من مرحلة التسلل إلى مرحلة الغزو العلنى وصدرت الطبعة الأولى من «البلاغة العصرية واللغة العربية». .

وفى ١٩٥٣. . كان أعداء العروبة قد أفاقوا على إمكانيات الثورة المصرية، وبدأ الالتفاف حولها، فى محاولة لخنقها بقنابل الصوت والدخان، ومحاولات تضليلها باغراقها فى الشعارات والفلسفات لتنتزع من جذورها العربية فتطوحها أعاصير

الاستعمار.. وقد أثبتت تجارب التاريخ أن رعب الاستعمار الأكبر يكمن فى تحرر مصر، لأن ذلك يعنى بعث القومية العربية، وكتاب الغرب أنفسهم يقولون إن عزة العرب تعنى قوة الإسلام..

وكانت الثورة الجزائرية تختمر، والمغرب العربى كله يضطرم بالثورة.. ثورة عربية ضد محاولة الفرنسة أو التغريب.. ضد محاولة إبادة الكيان العربى بقطع لسان العرب، بليِّه حتى ينطق بالفرنسية..

وصدرت الطبعة الثانية من البلاغة العصرية واللغة العربية.

وفى ١٩٥٨ .. كانت الثورة الجزائرية تمر بأعنف لحظاتها.. بعد أن فضحت كل دعاوى وحدة الكفاح المشترك بين الشعب الجزائرى والشغيلة الفرنسيين.. وارتفع لواء القومية العربية الإسلامية ضد دعاة الفرنسية، بل اعتبر المثقفون الجزائريون أنفسهم فى منفى اللغة الفرنسية أو سجناء اللسان الفرنسى.. وكافحوا واستشهدوا للعودة إلى لسانهم العربى..

وكانت معركة التعريب فى تونس والمغرب تمر بمحنة قاسية وسط تأكيدات بالفشل من أعداء العرب والعروبة.. وراية الوحدة العربية ترتفع خفاقة،وسط أعاصير وعواصف من دعاة التشكيك فى قدرة العرب على الوحدة والبعث الحضارى.. تشكيك، حجته الكبرى طعن تاريخنا والافتئات عليه.. فالذين لا تاريخ لهم.. لا مستقبل أمامهم..

وصدرت الطبعة الثالثة من كتاب «البلاغة العصرية واللغة العربية» وهو بحق كما يصفه ناشروه «كفاح هادف».. وهو كتاب يصدر عن وعى كامل بما يريد.. يقول مؤلفه فى التمهيد: «إن أعظم المؤسسات فى أية أمة هى لغتها...» ولا يريد الكتاب أقل من تصفية هذه المؤسسات أو بيعها للمساهمين الأجانب.. وحتى لا نتهم بالتجنى نستعرض إصلاحات «سلامة موسى» المقترحة للغة العربية..

- إلغاء الفصحى واستبدال العامية بها.
- إلغاء الإعراب وقواعد النحو..

○ إدخال الألفاظ الأجنبية ورفض أى محاولة للتعريب.

○ إلغاء الحروف العربيـة واستخدام الحروف اللاتينية كمقـدمة لإلغاء اللفظ العربى أصـلاً. لأن المصـدر اللاتينى أو الإغـريقى يمكن من اسـتخـدام الزوائد والأصـول والمقاطع المشـتقة مـن اللغتين الإغـريقية واللاتيـنية فنخلق المعنى الجديـد من الكلمة القديمة، ولا يعقل أن سلامة موسى كان يقصد إضافة E. R. مثلا لكلمة صنع العربية حتى ولو كتبـها بحروف لاتينية بل كان يهدف إلى الفعل الـلاتينى نفسه.. وحتى تتم تصفية «مـؤسسة» اللغة العربية.. كـال سلامة موسى أعنف حملة ضد اللـغة العربية ومن خلفها العرب وتاريخ العرب والحضارة العربية..

فاللغـة العربية يقـول عنها سلامـة موسى: «هذه اللغة لا ترضى رجـلا مثقـفا فى العصر الحاضر.. إذ هى لا تخدم الأمة ولا ترقـيها، لأنها تعجز عن نقل مائة علم من العلوم التى تصوغ المستقبل»..

«حروفنا الناقصة التى لا تخدمنا الخدمة اللازمة فى عصرنا».

«لغتنا شاذة تحتاج إلى إجراء شاذ».

«لن يمكن التأليف العلمى باللغة العربية بحروفها الحاضرة».

«لأن لغتنا العربية بوضعها الحالى واعتمادها على الحروف العربية لا يمكن أن تؤدى هذه الخدمة».

«ولغتنا خرساء (والخرس هنا أوضح وأخطر) من حيث أننا جعلناها مثل لغة الكهان جامـدة لا تتغير. وكـانت نتيجة ذلك أن فى العـالم مائة وعشـرين علماً وفناً لا تنطق لغتنا العربية إلا بنحو عشرة أو عشرين منها ولكنها خرساء فى سائرها»..

«الجهل لنحو مائة علم وفن لا يمكن أن نعرفها إلا إذا تركنا لغتنا ونطقنا بلغة أخرى».

وبالطبع هو لا يكلف نفسه عناء إحصاء هذه العلوم والفنون التى تعجز لغتنا العربية عن النطق بها.. ونحن أيضا لا يعنينا ذلك، لأننا نعرف أنها كلمات تقال للتهويش..

لغتنا قـادرة على استيـعاب كل العلوم والفنون، وفى ١٩٥٨ عـام الطبعة الثـالثة، صـدر قرار تعـريب التدريس فى كليـات الطب والهندسـة والزراعة.. واليـوم ونحن

نستقبل الطبعة الرابعة نستطيع أن نقول إن التجربة قد نجحت فى مصر وتشق العزيمة الصادقة طريقها فى الجزائر أيضا، وإذا كانت بعض العلوم تدرس بلغات أجنبية فلأن مراجعها أجنبية بسبب تخلفنا العلمى والصناعى لا تخلفنا اللغوى.. فما من منصف يقول أن لغتنا متخلفة عن اليابانية أو الصينية اللتين لم تصلا بعد إلى اكتشاف الحروف. ومع ذلك فقد تعلمت اليابان كل المعارف والعلوم، والصين صنعت قنبلة ذرية وفى طريقها إلى الهيدروجينية دون أن ترطن إحداهما بغير لغة الآباء.. بل حتى إسرائيل التى يشيد بها كتاب «سلامة موسى» فى طبعاته الأربع فيقول عنها: تجاورنا أمة علمية قد أنشأت مجتمعا علميا..

أولا ــ إسرائيل لم تنشئ مجتمعا علميا.. لأن وجودها ذاته يتنافى مع العلم فضلا عن وصفها بأمة علمية كأن هناك أمة علمية.. وأخرى غيبية..

ثانياً ـ هل استخدمت إسرائيل لغة لاتينية متمدينة كما يدعونا سلامة موسى.. أم أخرجت من الحفريات حقا.. لغة تدعوها قومية.. علمت وتعلمت بها؟! لماذا لم تفرض إسرائيل على هذا الخليط من سكان بابل، لغة عصرية كالإنجليزية مثلا.. وقد كان ذلك سهلا ميسورا؟! لماذا اختارت بعث العبرية وفرضتها؟! لأن إسرائيل تعرف خطورة اللسان القومى وسلامة موسى أيضاً يعرف..

لابد من وقفة هنا بخصوص إسرائيل.. فإن «سلامة موسى» الذى كان من أبرز كتاب مجلة «الكاتب» المجلة الصهيونية التى أصدرتها المنظمات الصهيونية فى القاهرة عشية تنفيذ التقسيم وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية.. كان يعلم بغير شك الفكر اليهودى فيما يتعلق باللغة.. وازداد علمه بموقف إسرائيل من موضوع اللغة بعد قيام إسرائيل فى ١٩٤٨.. والطبعة الرابعة من الكتاب ١٩٥٨..

فيخيل إلى أنه مادام يؤمن «بعلمية» المجتمع الإسرائيلى، ويؤمن«بعلمية» الوسائل التى يتقوى بها هذا المجتمع.. فقد كان يدعو لعكس هذه الوسائل العلمية فى بلادنا لكى يتم تدمير المجتمع العربى.. لأنه لم يقل لنا كيف تكون وسائل علمية فى مجتمع وعكسها بالضبط تؤدى نفس الغرض فى مجتمع آخر..

فإسرائيل تقوم على تقديس اللغة العبرية وهذه بعض نصوص من كتاب «فى الفكر اليهودى» مطبوع فى مصر سنة ١٩٣٨ فى دار مجلتى للطبع والنشر..

«إن معرفة اللغة العبرية هى المحور الذهبى الذى يدور حوله كياننا القومى والدينى، فاللغة العبرية الهابطة من جبال الأبدية قد اختارها الله تعالى لنشر الحقائق»(١).

«طالما سنظل يهودا وطالما سننادى بأن التوراة كتابنا، يجب أن نقدس اللغة التى كتبت بها تقديسا لا حد له» (٢)..

«اللغة العبرية هى الخزائن التى أودعنا فيها كل نفيس من حياة إسرائيل الروحية».

«لا يصح أن تعلو الحمرة وجوهنا إذا ما طلب إلينا التعلق بتلك اللغة القديمة التى رافقتنا أثناء شرودنا من أرض إلى أرض والتى تغنى بها شعراؤنا، وتنبأ بها أنبياؤنا، ورفعت بها قلوب آبائنا، مناجاتها إلى الله «فالذين يبعدوننا عن اللغة العبرية يضمرون الشر لشعبنا ومجده الخالد» (٣).

«هنا مخزن فسيح الأرجاء، مملوء كنوزا ومفتاحه اللغة العبرية ــ فى عهدتنا ـ هل يجوز لنا أن نلقى بهذا المفتاح فى محيط النسيان أكثر من ذلك» (٤).

هذا هو موقف إسرائيل من اللغة؟..

وبعد أن قامت إسرائيل ألف كتابها بالعبرية التى اندثرت وأحيوها هم.. بل ونالوا جائزة نوبل بها.. إذن استطاعت العبرية أن تعبر عن أفكار العصر فلماذا تعجز العربية.. أتعرفون الآن لماذا هزم المليون ثم المليونان أربعين مليونا ثم مائة مليون عربى..
لأن هؤلاء صاغوا فكر الشباب الإسرائيلى.. وسلامة موسى صاغ فكر شبابنا..

وتركيا التى يشيد بها ـ رغم غرابة مدح تركيا من متهم بالاشتراكية .. ومتى يمدحها؟. فى سنوات ٤٥، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٤.. وتركيا عبر هذه السنوات كانت مثالاً

(١) سابا توموريس يهودى أمريكى من أصل إيطالى ١٨٧٦.
(٢) موريس جوزيف انجليزي ١٩٠٧.
(٣) سمو لنسكين.
(٤) هلاريتا سزولد ١٨٩٦ ــ كاتبة أمريكية.

للتخلف والانهيار وفقدان الشخصية، والتبعية، بل كانت عدواً رئيسيا للعرب وللجمهورية العربية المتحدة بالذات.

ولكن سلامة موسى يقول: «الواقع أن اقتراح الخط اللاتيني هو وثبة إلى المستقبل، لو أننا عملنا به لاستطعنا أن ننقل مصر إلى مقام تركيا، التي أغلق عليها هذا الخط أبواب ماضيها وفتح لها أبواب مستقبلها» بئس والله مااختار سلامة موسى لقومه. أنحن نتطلع إلى «مقام تركيا»؟ وماذا أعجبه في تركيا. . الأحلاف. . والافلاس؟. . وما هي العلوم التي برزت فيها تركيا منذ أن أغلقت أبواب ماضيها فليذكر لنا خلفاء سلامة موسى اسم عالم تركي، أو مفخرة للأكاديمية التركية. . تغري بأن نحذو حذوها. . فقد فات سلامة موسى أن يذكر ذلك. .

حقا إن تركيا بنبذ الحروف العربية وأشياء أخرى يعرفها سلامة موسى، قد أغلقت أبواب ماضيها، . ولكنها لم تفتح أبداً أبواب مستقبلها. . فلا مستقبل للغربان يحاكون مشية العصفور. . فضلا عن عصفور يقلد مشية الغربان. .

ولا يقول سلامة موسى أنه لم تكن هناك حروف تركية، لأنها لغة غير مكتوبة، بل كانت تكتب بحروف عربية ، استبدلت اللاتينية بها، وهو ما حدث أيضا في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بعد مؤتمر «باكو» ١٩٢٦ الذي يعلق الأستاذ مدثر عبد الرحيم على قراره بإلغاء الحروف العربية بأنه كان «يهدف» إلى ربط تلك الولايات بجهاز الدولة وقطع الصلة بين رعاياهم الترك وبين تراثهم القومي والإسلامي». .

فما من لغة مكتوبة قد استبدلت بحروفها اللاتينية . . وأيضا استطاعت الحروف العربية أن تعبر لا عن لسانها بل عن أكثر من عشر لغات. . ومع ذلك يتهمها بالتخلف والقصور والعجز.

ثم تأمل تأثير هذه الآراء على معركة التعريب في المغرب العربي مثلا. . أي حجج تقدم لأعداء التعريب. . وأي خزي يحس به أنصار التعريب. . وهذه قاهرة الأزهر. . قاهرة المجمع اللغوي. .تنشر مثل هذه الآراء في صيغة الحقائق العلمية بل تسميها «تراث كفاح هادف»؟!

وأمامى الآن فى مـجلة «حوار [1] عدد سبـتمبر/ اكتـوبر ١٩٦٣» مقالة لمن يدعى «وليم زارتان» اسـتاذ امريكـى يتحدث عن مـشاكل التـعريب فى المغـرب، يكاد يردد حجج سـلامة موسى بـحروفهـا. . يقول الأمريكى فى مـجلة حوار: «وتركـيب لغة القرآن يتـجاوز مـعرفة غـالبيـة السكان وإدراكهم، فـهى تكتب دون أحرف صـوتية، وأحرف تبين لفظ أواخر الكلام. . لذلك لا تلفظ كـما تكتب، ولا تمكن قراءتها دون معرفـة أصل الكلمة واشتقـاقاتها، وما إذا كـانت معربة أو غيـر معربة، ومتـصرفة أم جامدة حسب ما تـقتضيه قواعـد اللغة. . هناك مثل عـربى يقول إن المرء فى العـربية يتعلم ليقرأ ولا يقرأ ليتعلم «والكلمات لا يمكن قراءتها بصوت مرتفع». وأخيراً يقول الأمريكى فـى مجلة حوار الصـهيـونية: «إن اللغـة العربية كلـغة حديثـة قد جـمدها التمسك بالماضى، فـهى تعانى من غزارة مفـرداتها المهجورة ومن فقـرها علميا، وهى تعج بمفردات ومـعان عن مظاهر الحياة البـدوية بينما تفتقـر افتقارا تامـا إلى أسماء حاجات الحياة الحديثة ومفاهيمها». .

نفس الكلمات. ومن أضـرار اللغة «وخاصة فى لـغتنا العربية هذه المتـرادفات التى تبعثر المعانى وتبعدنا عن الأحكام فى التعبير» الكلمات لسلامة موسى. .

يخيل للمـرء بعد أن يقـرأ سلامة موسـى وزارتان. . إننا أمة عجـماء. . بل الذى يدهش كيف أننا استطعنا أن نعيش عبر هذه القرون بمثل هذا اللسان الأخرس!!. .

وأذكر أننى كنت فى الصومال سنة ١٩٦٠ وكانـت المعركة الوطنية هناك تدور حول اختيـار حروف كتابة اللغة الصـومالية، الحروف العربية أم الـلاتينية، فلم يكن لأعداء الحروف العربية فى مواجهة الجماهير، من حجـة إلا ماكتبه سلامة موسى وشيعته فى تسفيه العربية وحروفها. .

بل ألم تكن فرنسا تسعى إلى إبادة اللغة العربية لتمحو الشخصية الإسلامية فى الجزائر؟

«جاء [2] فى أحد التعليمات التى أصـدرت فى أوائل أيام الاحتلال، عقب الشروع فى تنظيم إدارة الجزائر، ما يلى:

---

(١) أعلنت نيويورك تايمز أن مجلة حوار تصدر عن المخابرات الأمريكية.

(٢) من كتاب ما هى القومية . . لساطع الحصرى ص ٧١.

«إن إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة «ممتلكة فرنسية» إلا عندما تصبح لغتنا هناك لغة قومية والعمل الجبار الذى يترتب علينا إنجازه هو السعى وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالى ـ بالتدريج ـ إلى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة الآن. . »

وجاء فى تقرير رسمى وضع سنة ١٨٤٩ ما يلى: «لا تنسى أن لغتنا هى اللغة الحاكمة فإن قضاءنا المدنى الجزائرى والعقابى يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون فى ساحته بهذه اللغة. وبهذه اللغة يجب أن تصدر ـ بأعظم ما يمكن من السرعة ـ جميع البلاغات الرسمية وبها يجب أن تكون جميع العقود. وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا. فإن أهم الأمور التى يجب أن يعتنى بها قبل كل شئ، هو السعى وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين ـ الذين عقدنا العزم على استمالتهم إلينا، وتمثلهم بنا، وإدماجهم فينا، وجعلهم فرنسيين».

ويقول الأستاذ «الشريف سيسبان» (١) إن محاولة فرنسا إدماج الجزائر، واعتمادها على تحطيم اللغة القومية لتنفيذ خطتها الاستعمارية، إنما كان نتيجة لإدراكها الواعى بأن بقاء اللغة سيكون العقبة الضخمة فى سبيل تحقيق الإدماج فهى بذلك قد عرفت مقتل الأمة، وسددت ضربة قاضية إلى روح الشعب».

ويقول: إن حجج أعداء التعريب فى الجزائر كانت تقول «إن اللغة الفرنسية لغة متطورة مرنة قادرة على التكوين المنسجم، مستجيبة للضرورات الملحة التى تقتضيها المرحلة التالية» «وإن اللغة العربية متأخرة وعاجزة عن القيام برسالة الثورة وخاصة فى المرحلة العاجلة لفقرها وعدم تفتحها لمفاهيم جديدة وانغلاقها ضمن آثار الماضى البعيد وجمود تفكيرها. . وما بقاء الشرق العربى يزرح فى مشاكل التخلف إلا مظهرا لهذه الناحية برغم المدة الطويلة التى قضاها متمتعاً باستقلاله وسيادته (٢).

أليست هذه هى نفس أهداف سلامة موسى وحججه. . أليست دعوة «تأريب العرب» هى نفسها دعوة «جعلهم أفرنسيين». . أليست محاربة اللغة العربية بالتشريعات وبفرض اللغة الحاكمة تتفق مع محاربتها بالطعن فيها والدعوة إلى نبذها. .

(١) فى مجلة المعرفة ــ الجزائرية عدد صفر ١٣٨٣ ـ يونية ١٦٣.
(٢) يبدو أنهم كانوا من تلامذة سلامة موسى.

ألم تكن تعى أن اللسان العربى هو الرابطة التى تجمع بين الجزائر والأمة العربية وتحول دون اقتطاعها عن إخوتها ومن ثم ابتلاعها فى المحيط الفرنسى؟.. ألم تكن هذه الأهداف هى الأهداف البريطانية من محاربة اللغة العربية ومحاولة التدريس باللغة الانجليزية؟.. هل كان الإنجليز يحاولون تطويرنا ويسعون لتقدمنا بفرض لغتهم «المتقدمة» كما يراها سلامة موسى وتنحية لغتنا المتخلفة؟.. أم كانوا يريدوننا أن نصبح هنوداً بغير لغة، ومالطيين نرطن بما يشبه الإنجليزية، وتتقطع جذورنا بواقعنا وتراثنا؟!. على أية حال .. سلامة موسى يعلنها صراحة ويكشف أن عداءه للغة العربية هو عداء للقومية العربية يقولها بكل صراحة محتميا بالمدفعية البريطانية وقبل أن يصبح للعرب مدفعيتهم التى أجبرته فى أواخر أيامه على اتقاء شرهم بادعاء إيمانه بالقومية العربية..

يقول سلامة موسى فى وقاحة لا يحسد عليها..

«ولكن نكبتنا الحقيقية، هى أن اللغة العربية لا تخدم الأدب المصرى ولا تنهض به، لأن الأدب هو مجهود الأمة .. وثمرة ذكائها وابن تربتها ووليد بيئتها، فهو لا يزكو إلا إذا كانت أداته لغة هذه البيئة التى نبت فيها».

إنها «اللغة العربية» تبعثر وطنيتنا المصرية وتجعلها شائعة فى القومية العربية فالمتعمق فى اللغة الفصحى يشرب روح العرب ويعجب بأبطال بغداد، بدلاً من أن يشرب الروح المصرية ويدرس تاريخ مصر، فنظره متجه أبدا نحو الشرق، وثقافته كلها عربية شرقية مع أننا فى كثير من الأحيان نحتاج إلى الاتجاه نحو الغرب، والثقافة تقرر الذوق والنزعة وليس من مصلحة الأمة المصرية أن ينزع شبابها نحو الشرق..

«اللغة التى لا تزال للآن نرطنها رطنا ولم تشربها بعد نفوسنا، ولا أمل فى أن تشربها لأنها غريبة عن مزاجنا (١).

ومن هنا كانت أهمية الدراسة التاريخية للآراء التخريبية التى تعمل فى ميادين الفكر.. لأننا لا نتوقع أن يتحدث لويس عوض اليوم أو صبيه غالى شكرى كما كان

---

(١) د. نفوسة زكريا عن مقال سلامة موسى فى مجلة الهلال ١٩٢٦..

سـلامة مـوسى يتحـدث فى ظل «كرومـر وغورسـت» والإنذارات البريطانيـة ونظام الحمـاية والقضاء المخـتلط. . يوم لم تكن للقومـية العـربية جيـوش ولا صحف ولا إذاعات. . إن سلامة موسى نفسه فى أواخـر أيامه، اضطر إلى الخجل وإخفاء أهدافه الحقيـقية، بل أعطى تصريحـا يطنون حوله الآن يقول «إنه لا بأس من التضـحية التى نادى بها زمنا فى سبيل الوحدة العربية» قالها فى عام ١٩٥٨. .

واليوم عندمـا نسمع هجوما على اللغـة العربية أو التراث الـعربى أو حديثا سـمجا محمومـا عن الفرعونية وجذورها المصرية، فإننا لا نتـوقع أن يبلغ الجنون بأحدهم ما بلغه بسـلامة موسى فـيعلن صراحة أنه يعـادى اللغة العربيـة والتراث العربى لأنهـما يربطان المصريين بالعرب. . سنسمع عبارات جديدة، وسنقرأ خبثا أشد. . ولكن يجب دائما أن نرد أبناء السفاح إلى أمهاتهم لنعرف أصل البلية وحقيقة الأهداف. .

ويكثر سـلامة موسى من الزن حـول المترادفات فى اللغة العـربية ويعتـبرها «ثرثرة صبيـانية يضيع بها الوقت» وسأكـشف زيفه من كتاب «صبح الأعـشى» للقلقشندى، وهو العالم المصرى الذى كان يبغضه سلامة موسى ويعارض طبع كتبه حتى لا ينفضح جهله وتزييفه. .

القلقشندى فـهم فائدة المترادفات فى ضـبط اللغة ودقة التعـبير فهى ليـست كلمات مـتكررة لمعنى واحـد. . بل كل لفظة لهـا مـعنى خـاص. . فـهى تفـضى إلى الدقـة والاختصار بعكس ما يتصور سلامة موسى، فلو قلنا أن فلانا صفعه. .كان ذلك يعنى أنه ضربه على قفاه. فأين إضاعة الوقت هنا. . ونحن قد عبرنا بلفظة واحدة عن معنى لا يتأتى نقله إلا بثلاثة ألفاظ كذلك لو قلنا لطمه تغنى عن قوله ضربه على وجهه[1].

فإذا كان هذا السلامـة موسى قد عجز عن أن يفهم ما فهـمة القلقشندى فى القرن الخامس عشـر. فلا أقل من أن نواريه كما توارى السنون خـرأها. . أما إذا كان يعلم ويخفى ما علم فإنه فضلا عن اللجام الذى سيلجم به يوم القيامة. . لا يجوز الإشادة به والعودة إلى حديثه لأن الأمم لا تشيد بجهالها ولا بمن يكتمون العلم. .

---

(١) صبح الأعشى ج ١٠ ص١٤٩. .

واللغة العربية عند سلامة موسى.. «هى أس البلاء والمسئولة عن كل الرزايا».. «إن تأخرنا اللغوى فى مصر هو سبب من أعظم الأسباب لتأخرنا الاجتماعى.»

أى تفسير علمى يقدمه المتهم بالاشتراكية والعلمية، للجماهير المصرية فى ١٩٤٥.. إذن ليس الاستعمار ولا الإقطاع ولا النظام الرجعى هى سر تخلفنا.. بل اللغة العربية ولا داعى لإجلاء المحتلين وإسقاط النظام الرجعى.. يكفينا أن نلوى لساننا بغير لغة القرآن لنتخلص من التخلف.

ويمضى سلامة موسى فى تفسيره اللغوى للتاريخ فيقول: «سيادة البريطانيين على الهنود أو المتمدينين على المتوحشين (!!) إلى حد ما سيادة لغوية».

هل المحتل هو المتمدين، والشعب المكافح من أجل حريته متوحش؟.. ومن الذى قال إن انجلترا فتحت الهند بالقواميس.. إذن فالتركية أعظم من اللاتينية والإغريقية لأنها أوصلت الأتراك إلى أسوار فينا والروسية أفضل من الألمانية لأن روسيا تحتل قطعة من ألمانيا.. والهندية أفضل من البرتغالية.. والعربية تتفوق على الإنجليزية والفرنسية لأننا هزمناهم فى بورسعيد..

أهذه آراء تستحق أن تنشر فضلا عن أن تناقش؟..

و«جيته» قال ما قاله لأنه كان يتكلم الألمانية.. يقول سلامة موسى: «لو أن جيته ولد بين زنوج أفريقيا لما استطاع أن ينتج الثمرات الزكية التى نقطفها من مؤلفاته.. لأن اللغة القبلية لم تكن عندئذ لتسعفه بالكلمات.. التى تؤدى معانيه.. وأهل الصعيد تنتشر بينهم جرائم الثأر والعرض والدم لأن هذه الكلمات فى حديثهم أكثر من أهل بحرى»..

وبصرف النظر عن لهجة الاحتقار للافريقيين.. فهذا قلب الحقائق، إذ كأن المعانى موجودة لنحتت ألفاظها.. وليس من يقول بأننا نطلب الطعام لأننا نعرف اسمه أو أن الجنس ينشأ عند البالغين بفعل قراءة القصص الجنسية.. فالأحاسيس والمعانى توجد ثم نسميها.. فالابن لا يولد لأننا سميناه.. بل الأعقل أننا نسميه لأننا ولدناه..

وإلا كنا كتلك الحكومات الرجعية التى كانت تصدر تعليمات بحذف كلمة حرية ودستور من التداول حتى تختفى المطالبة بها. . أو كما يتجنب العامة ذكر ألفاظ سيئة حتى لا تلحقهم شروط مسمياتها.

ولكن الكتاب لا يختص بطعناته لسان العرب وحده، بل يمتد بهجومه إلى الوجود العربى ذاته، والحضارة العربية، والمجتمع العربى. . فهو ليس مجرد تشهير باللغة العربية ودعوة إلى نبذها، وطعنة فى ظهور الداعين إليها، والعاملين من أجل التعريب فى المغرب العربى. . بل هو أيضا هجوم على الحضارة العربية والتاريخ العربى كمجتمع وجنس. .

فاللغة العربية متخلفة كما يقول سلامة موسى «يشارك العرب معظم الأمم البدائية فى اشتقاق الملاحة بمعنى الظرف والصباحة من الملح، لأن الملح كان من الأشياء الثمينة التى لم يكن يحصل عليها غير المترفين». .

أمة المتنبى والفارابى والبيرونى والمعرى، أمة بدائية!!. . وهل يصح أن نقول أن الإنجليزى عندما يصف المحبوب بأنه Sweet Heart فإن ذلك يعكس تخلف أمة الإنجليز التى كانت تستورد الحلوى ولا ينالها إلا المترفون فسموا بها المعشوق؟! سخف لا يستحق أن يناقش.

والمجتمع العربى عند سلامة موسى «كان أوتوقراطيا ارستقراطيا» ولم يلاحظ سلامة موسى أن هذه الكلمات غير عربية الأصل - وهو الذى يورد إحصاء بالكلمات العربية المستوردة من اللاتينية والإغريقية يدس فيها كلمات «الزكاة» و«سدرة المنتهى» - أما ارستقراطية فلا ينتبه إلى أن فى ترجمتها واضطرارنا إلى إدخالها فى لغتنا المكتوبة، يعنى أنها تعبر عن ظاهرة لم يعرفها المجتمع العربى. . فليس فى مجتمعنا العربى الأصيل ارستقراطية بل إننا حكمنا عشرة قرون فلم نخترع الألقاب على كثرة ما اخترعناه. . حتى «بك وباشا» وهى تركية، كانت رتبا عسكرية ولا تورث. . فمن أين جاءتنا الأرستقراطية الأتوقراطية؟! كيف فاته أن يلاحظ عجمة هذه الألفاظ، وهو الذى استدل من حبنا للملح على أننا أمة بدائية؟ وكيف يبيح لنفسه أن يتهم اللغويين العرب بالجهل لأنهم لم يكتشفوا أن الزكاة منقولة عن اللفظ اللاتينى Decat و

«سدرة المنتـهى» هى Sidera Ultima ما أشـبه ذلك بقـولهم شكسـبير هو زبـير. .
والذى يتهم اللغـويين العرب بالجـهل يجهل أن الفعل «زكى» عـربى . . وأن «السدر ورد فى القرآن بمعنى الشجر فى سورة لا تتحدث عن النجوم». .

﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل﴾[1].

ولكن متى كان سلامة موسى يتحرى الدقة العلمية فى كفاحه الهادف. .

يقول: «كان المجتمع العربى القديم يعـيش فى ظل حكومة استبدادية لم تعرف قط معنى البرلمان أو مجلس الأمة». .

«كان ارستقراطياً حزبيا عقائديا». .

وهل ولدت أمة ومعها البرلمان؟! بالعكـس إن الشورى وحكم الجماعة وديكتاتورية الأغلبية قد مارسناها جميعاً قبل أن تعرف أوروبا إذا كان دم سادتها النبلاء أحمر اللون أو أزرقه؟!. .

بل إن سلامة موسى مع جنكيز خان ضد العرب!. .

ثم تأمل هذا الاستخراج أو الافتراء السـلامسى. . «انظر إلى ما ورثناه من المجتمع العربى القديم بشأن المرأة فقد ألغى هذا المجتمع المرأة من الحـياة الاجتماعية إلغاء يكاد يكون تاما. . ومازلنا نستعمل الكلمات القديمة. . فنقول «أم فلان أو حرم فلان» ولا نذكر الاسم الذى هو جزء من الشخصية. . واهماله هو سبة للمرأة. . وإهمالنا لاسم المرأة هو تراث لغوى يحمل إلينا عقيدة اجتماعية يجب أن نكافحها». .

ولن نناقش حكاية مكانة المرأة فى الحيـاة الاجتماعية بل يـكفينا شاهدة من أهله. . الكاتبة الألمانية الشريفة الدكتورة «سيـجمريد هونكة» فى كتابها شمس الله على الغرب ترجمـة الدكتور فـؤاد حسنين على، تقول: إن امـرأة مستـقلة تقف فى الحياة العـامة ومعتركها ألا وهى الأرملة الغنية (خديجـة) فقد رغب إليها النبىﷺ أن تثقف وتتعلم مثلها مثل الرجل. وهناك علماء مشهورون يرشـحون المرأة لوظيفة القضاء. كما زارت المسـجد وألقت المحـاضرات الـعامـة وشرعت. . ومن النسـاء من أصـبحت مـدعيـة

---

(١) سورة سبأ

واشتهرت بلقب نقيبة رجال الشرع فهى «شيخة» وأستاذة وإنها لفخر النساء . . هكذا كانت تكرم العالمة «شهدة» فخر النساء بنت أبى نصر أحمد . . والواقع أن المرأة العربية لم تكن رهينة البيت طالماكانت الارستقراطية العربية هى المهيمنة على المجتمع العربى، وتقول: «فالحجاب والبعد عن الحياة الاجتماعية لم يقل بهما الإسلام». .

بل يكفى أن نكشف الحجة التى يلفقها سلامة موسى ليستدل بها على عزل المرأة العربية من الحياة الاجتماعية. . إننا نتحدى أى إسلامى أن يأتى فى مرجع أجنبى بعدد أسماء النساء المذكورة فى كتاب الأغانى الذى هاجمه سلامة موسى لأنه كتاب رجعى يتحدث عن مجالس الغناء فى القصور!!. .

وأم النبى اسمها آمنة. . وزوجاته كلهم معروفات الأسماء، وردد المسلمون أسماءهن عبر العصور وسجلوها فى كتب التراث. . بينما لاسلامة موسى ولا تلاميذه يعرفون اسم أم شكسبير أو حتى اسم أم جونسون الرئيس الأمريكى المعاصر أو أم بريزينيف. . ومن يدرى اسم زوجة لويس الذى أسرناه فى المنصورة، ولكن الكل يعرف اسم شجرة الدر أم خليل آسرة لويس. . ونحن نقول مسز جونسون، وهى تعنى حرم جونسون، ولم يلفت نظرنا قط أن ذلك يعنى تحقيرا للمرأة أو إلغاء لوجودها فى المجتمع الأمريكى. . بالعكس حرم فلان أفضل اجتماعيا من مسز فلان. . لأن حرم هنا صفة تعادل قولنا زوج فلانة. . أما مسز فهى تعبير عن الوضع القانونى الذى يلحق المرأة بزوجها. . وهو محرم فى الإسلام، فإن كان يجوز قولنا «جاكلين كيندى» فهو حرام فى الإسلام، فلا يقال: عائشة عبد الله. . بل عائشة بنت أبى بكر لأن نسبة المرأة لأبيها أدعى لاحترام إنسانيتها حتى ولو كانت ستنسب لمحمد رسول الله وأشرف الخلق. .

واسم المرأة كان يستخدم فى المجتمع العربى على أوسع نطاق. . أما «أم فلان» فالعرب كانوا يستخدمون الكنية للتعظيم لا للتحقير. . فهم كانوا ينادون النبى بأبى القاسم لا استحياء من اسمه ﷺ، بل توقيرا له. .

ولو أن سلامة موسى، اهتم أن يفتح كتاب «صبح الأعشى» للقلقشندى، بدلا من أن

يهاجمه، ويهاجم إعادة طبعه.. لعرف أن الكنية مطلب عظيم ما كان ليصل إليه.. ولعرف أن استدلاله من الكنية.. على احتقار المرأة، استدلال جاهل بالعرب، أو متجاهل(١).

ففى صبح الأعشى يقـول: القلقشندى.. خلد الله ذكراه، ورضى عنه «واعلم أن الأولين أكثر مـا كانوا يعظمون بعضـهم بعضا فى المخاطبـات ونحوها بالكنى، ويرون ذلك فى غاية الرفـعة ونهاية التعظيم حـتى فى الخلفاء والملوك فيقـال أبو فلان فلان، وبالغوا فى ذلك حتى كنوا من اسمـه فى الأصل كنية فقالوا فى أبى بكر «أبو المناقب» اعتناء بشأن الكنية وربما وقف الأمر فى الزمن القديم فى تكـنية خاصة الخليفة وأمرائه على ما يكنيـه به الخليفة فـيكون له فى الرفعة منتـهى ينتهى إليـه.. على أن التعظيم بالكنى باق فى الخلفاء والملوك فمن دونهم إلى الآن وكذلك الـقضاة والعلماء بخلاف الأمراء والجند والكتاب فإنهم لا عناية لهم بالتكنى..

ثم لا فـرق فى جواز التكنى بين الرجـال والنساء، فـقد كـانت عائشـة أم المؤمنين رضى الله عنها تكنى «بأم عبـد الله» وكذلك غيرها من نساء الصحابـة والتابعين كانت لهن كنى يكنين بها..

وثبت فى الصحيحين أن النبى ﷺ: كتب:

«من محـمد عبـد الله ورسوله إلى هرقل» فـسماه باسـمه ولم يكنه.. وقـد أمرنا بالإغلاظ عليـهم، ولا ينبغى لنا أن نكنيهم، ولا نـرفق بهم، ولا نلن لهم قولا، ولا نظهر لهم وداً ولا مؤالفة» و «إذا كان للمرأة ولد تكنت به ذكرا أو أنثى، كما تقدم فى الرجل وإن كان أولاد تكـنت بأكبرهم مع جـواز الكنية بغـير أولادها كـما فى الرجل أيضا. وفى سنن أبى داود وغـيره بأسانيد صحـيحة عن عاشة رضـى الله عنها قالت: «يارسول الله كل صـواحبى لهن كنى، قال فاكـتنى بابنك عبد الله - يعنى عـبد الله بن الزبير، وهو ابن اختها أسماء» (٢).

(١) أما إبراهيم عامـر فلم يزد على أن لطش كلمات سلامة مـوسى وادعى اكتشافـها.. يقول: وهى لا تملك من نفسـها شيـئا حتى اسمـها وإنما تنسب إلى أبيـها وأخيهـا قبل الزواج، وتنسب إلى ابنهـا أو ابنتهـا البكر بعد الزواج «الهـلال» عدد مـارس ١٩٦٥ - وهكذا يرث الجهلاء تزييف سلامة موسى ويرددونه كأنه الحكمة، لا يخجلون.. من جهلهم ولا من سطوتهم على أفكار، استغفر الله، بل جهل الآخرين..

(٢) صبح الأعشى ج/ ٥ ص ٤٣١ - ٤٣٥..

ولكن فى معـركة سلامة موسـى الهادفة كان يستـباح التدليس والجـهل. . أما وقد خسر السلامسة معركتهم وانتصرت العروبة فلماذا نعيد نشر هذه الأشياء؟. .

يقول سلامة موسى: «فاستقرار الدين أدى إلى استقرار اللغة أى إلى جمودها». .

وماذا عن المسيحـيين العرب الذين استقروا على دينهم، ولكنهم غـيروا لغتهم إلى العربية وماذا عن فارس التى لم تستقر على دينها واستقرت على لغتها. .

على أية حال ذلك يثبت ارتباط اللغة بالدين فى عقل ونوايا سلامة موسى. .

وهو فى هجومه على العربية لا يتورع عن الانحـياز للإنجليز لغة وحضارة، وهو لا يقارن إلا بين تخلف اللغة العربية وتفوق الإنجليزية بل حتى الشعراء. .

«وكان أبو تمام شـاعرا عربيـا. . وكان ملتون شـاعراً إنجليـزيا «لاحظ الحرص على إعلان الجـنسيـة» وقد قـال الأول كلمتـه الكاذبة البشـعة: «السـيـف أصدق انبـاء من الكتب» وقال الثانى: «من يقتـل إنسانا طيبا فإنما يقتل مخلوقـا عاقلا هو صورة الله، ولكن من يهلك كتابا طيبا فإنما يهلك العقل نفسه». .

وقد تكون عجمة سلامة مـوسى، عذرا له فى عدم فهمه معنى «الكتب» فى شطرة أبى تمام كما يسميـها. . فقد حالت عجمته هذه دون فـهم الشعر العربى وتذوقه، هذا الشعر الذى يثبت يوما بعد يوم أنه لا يعطى سره لجامعى أعقاب الثقافة الغربية والذين يقتنصون البيت أو الشطرة لخدمة حربهم المقدسة ضد العربية والعرب. .

ولكن ما عذر ناشرى الكتاب اليوم، إذ جهلوا روعة قصيدة أبى تمام؟ القصيدة التى تعكس تفوق العقل العـربى العلمى على الجهل الرومى. . فقد قـال المنجمون الروم: إن عمورية لا تفتح إلا عند نضج التـين والعنب، ففتحها المعتـصم الذى يمثل حضارة أرقى لا تسأل النجـوم عن المستـقبل، ولا تفتش فى كـتب الطوالع عن انتصـاراتها. . ولكن كـتب الطوالع هذه حولهـا سلامـة موسى إلى الـكتب بمعنى الثقـافة والكلمـة المكتوبة وسـود الصفحـات فى الهجوم عـلى داعية السـيف ضد الثقـافة. . الخ. بل واسـتخدم هذا القلب للحقـائق، فى ترجيح كفـة الإنجليزى على العـربى. . لمصلحة من؟. . نهاجم عروبتنا، ونمجد الإنجليز. . وبحجج مزيفة وأدلة على أحسن الفروض تثبت جهل صاحبها؟!. .

وحملة سلامة موسى على اللغة العربية، يتوفر فيها ركن «سبق الإصرار» لأنه يعرف تماما ماذا يعنى إلغاء العربية.. وهو ما كان يستهدفه الفرنسيون بمحوها من الجزائر، وما حاوله دنلوب فى مصر لولا مقاومة الشعب المصرى الباسلة بقيادة مثقفيه الأشراف، قبل أن نرزأ بسلامة موسى وأتباعه.. كل هؤلاء الذين هاجموا اللغة العربية.. كانوا يستهدفون تذويب الأمة العربية، يقول سلامة موسى: هناك أحافير لغوية كبيرة الضرر على مجتمعنا ومن أسوئها فى مصر، هاتان الكلمتان «شرق وغرب» فإن كلمة شرق توحى إلينا أننا بشر ننتمى إلى آسيا وأفريقيا.. وكأننا على عداء مع أوروبا وأمريكا..

«وكما أن كلمتى شرق وشرقيين تحدث بين بعضنا صدودا عن الحضارة العصرية كأننا فى حرب مع الأوروبيين»..

«ثم يجب ألا ننسى المعنى الإنسانى السامى فى اتخاذ الحروف اللاتينية، معنى الانضمام فى الثقافة إلى ألف مليون إنسان متمدين.. نحيل الانفصال بيننا وبينهم إلى اتصال والخلاف إلى وفاق. وفى كل هذا سلم وحب وإنسانية».

«اتخاذ الخط اللاتينى.. خطوة نحو الاتحاد البشرى»..

نحن نفخر بانتمائنا لآسيا وأفريقيا.. ولا نسعى للتبرؤ منهما إلى حد أن نتخلى عن عروبتنا لكى يسمح لنا بالانتماء لأوروبا!! والقاهرة هى مركز التضامن الأسيوى - الأفريقى.. فلا يعقل أن تنطلق منها هذه الآراء.. وأى سخرية بالثورات التحررية والكفاح البطولى لشعبنا فى سنوات ٤٥، ٥٣، ٥٨ ، ٦٤ (سنوات الطبعات الأربع) أن يقال لها هذا الكلام. وأن يزعم كاتب يوصف ظلما بالتحرر. إن العداء مع أوروبا هو عداء لفظى سببه وجود كلمة شرق فى اللغة العربية، كأنها لا توجد فى اللغات الأوروبية المحترمة أو كأننا.. نحن الذين قلنا «الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا»..

وبعد فما أكثر ما يقال فى هذا الكتاب .. وما أكثر الأخطاء والانحرافات التى لا يتسع لتعدادها المجال.. لكن ما من حجة واحدة تستطيع أن تبرر صدور هذا الكتاب

اليـوم. . وقد كـان الواجب على كل من يعنيـه وجودنـا القومى أن يوارى مـثل هذا الكتاب. . . أو أن يخصف عليه من ورق النسيان كـما فعل آدم وحواء. . فهو والحق يقال. . «سوءة» ثقافة، مكروه النظر إليها فضلاً عن العبث بها وعرضها فى مباهاة(١).

ولكنه بدلا من أن يواروه التراب، وبدلا من أن يقترح البعض أن نبدأ يوم الدراسة فى مدارسنا العـربية المستـقلة بزيارة لقبره نرجـمه ونلعنه ثلاثا حتى يـتطهر أبناؤنا من رجسه بدلا من ذلك نسمع بمن يطالب بإقامة تمثال له! . .

وصحـيح أن «سلامة مـوسى» بعد جلاء جـيش الاحتلال، وقوة سـاعد القومـية العربية بعد أن أصبح للعرب جيوش وشرطة وسجون، قد اضطر إلى إخفاء الكثير من «فجوره» كما وصف نفسه (٢). .

فنجده. . «برغم ما عـرف عنه وقتا ما من دعوته إلى المصرية ـ وهى دعـوة موقوتة

---

(١) وكمثـال للفسق الذى ارتكبه «سـلامة موسى» فى عقـول الشباب، كتب أحـدهم فى مجلة «الفكر المعاصر» يعلق على صلاة جديدة. وضع كلماتها سلامة موسى بالعامية تقول:

ياالله نحن بلاليص فارغة املأنا بنعمتك السماوية. .

ياالله أنت الوابور واحنا العربات، جرجرنا لملكوت السما. .

يارب أنت الحنفية واحنا الجرادل. .

ثم يعلق محـرر المجلة على هذا الشئ بقوله «ويدل هذا الكلام على شدة عناية سـلامة موسى بالمعنى على حسـاب اللفظ. . وهى عناية كان يتوخـاها عامدا، لأن المعنى عنده مقـدم دائما على اللفظ. . فالأدب كـما قال مـرة «ليس حلويات يمضغـها العاطلون الناعـسون وإنما هو كفـاح» وبهذا الأسلوب المستنيـر، عاش سلامـة موسى للحيـاة وأعطى خيـر ما عنده لبنى وطنه». .

هل عـرفتم لماذا انتـكستم. . لأنكم بمثـل هؤلاء وجهـتم الفكر العـربى وناقـشتم الدعـاية الإسرائيلية . . هذا الذى يعلق عليه، فيه تضحية باللفظ لحساب المعنى. . تشبيه الله سبحانه وتعالى بالحنفية. . والعباد بالجـرادل . . والبلاليص. . اهتمام بالمعنى. . أى معنى. . وأى لفظ لا يسقط وهو يعـبر عن هذا المعنى الساقط! . . ومن قال أن اللفـظ لا أهمية له . . إن المعنى يتأثر كـثيرا باللفظ الذى نعبـر عنه. . وصحيح أن اللغـة ليسـت حلويات يمضـغها العاطلون ولكنها أيضا ليست قاذورات يعبث بها بلهاء. . بل يجب أن نضرب على أيديهم كلما امتدت للعفن تعبث به. .

(٢) س. م. المفكر والإنسان ص ١٠٦.

كان يشاركه فيها كثير من المفكرين فى هذا الوقت نفسه كما رأينا ـ برغم جهره بهذه الدعوة وقتا ما نجده يدعو إلى القومية العربية عندما بدأت تظهر ويعلو صوتها بعد ثورة ٢٣ يوليو (١)..

أى والله ياسيدنا الشيخ!.. الدعوة للقومية المصرية دعوة موقوتة.. بماذا؟ وبدأ يدعو للقومية العربية بعدما علا صوتها؟! .. أهذا فعل الرواد أم المرائين؟!..

يحارب العروبة، قبل أن يعلو صوتها .. فحينما يعلو يدعو لها..؟ وهل نصدقه فى هذا الإيمان وقد أدركه الموج؟!.. ألا نقول له كما قال الله تعالى لفرعون: ﴿**الآن وقد عصيت قبل**﴾؟ وهل تصدق أنت ياسى الشيخ.. أنه آمن حقا بالقومية العربية كما تؤمن؟!.. لا بل استمرارا للخط القديم، للقومية المصرية.. فالقومية العربية التى ادعى سلامة موسى الإيمان بها، هى القومية المعادية للإسلام..

لقد عادوا الإسلام يوما، بعداء العروبة.. لأن الدعوة للعروبة وقتها، كانت تحقق الرابطة الإسلامية.. لذلك واجهوا العروبة بالفرعونية.. «وحضارة البحر الأبيض» و «تأريب المصريين»..

أما الآن فإن أحدا لا يستطيع المجاهرة بعداء العروبة، فكان أن طويت القلوب على حقدها القديم.. وبدلا من الفرعونية والانطوائية.. رفعت شعارات العروبة البعثية وتوابعها.. والعدو الأصيل لهم هو الإسلام.. والحرب سجال..

لا أحب أن أطيل فهو حديث كريه من بدايته، حديث عن رجل عاش لا يلقى إلا الازدراء االذى يستحقه من المثقفين الحقيقيين، فلما جرؤ مرة على ترشيح نفسه فى انتخابات نقابة الصحفيين سقط سقوطا مزريا (٢)..

ولما مات مشى فى جنازته تسعة من الصحفيين والأدباء والمشتغلين بالفكر.. حتى جاء اليوم من يسعى لخلق أسطورة حول ذلك الذى نفق.. وهو يكافح ضد العروبة.

---

(١) الشيخ محمود الشرقاوى ص ٢١٨.

(٢) س. م. المفكر والإنسان.

وهيهات..

أما أنت أيهـا العربى المسلم.. فلا يروعك تخلفنا.. هـذا قضاء التاريخ، وعـقابنا على البعد عن روح حضارتنا وديننا..

وقد جاء دورنا.. ولابد أن نتـعلم علم أوروبا كله، وأن نصل إلى ما وصلت إليه من صناعات وفنون.. فبهذه الآلات قهرتنا وأذلتنا وأشمتت فينا كل حقود لئيم.

ولكن.. ليس بنقل المصانع والآلات تبنى الأمم.. ولا تشاد الحـضارات بالاقتباس والتبعية الفكرية، بل بتحرير الروح القومية. ببعث حضارتنا الزاهرة.

لنكن عربا مسلمين يعيشون فى القرن العشرين.

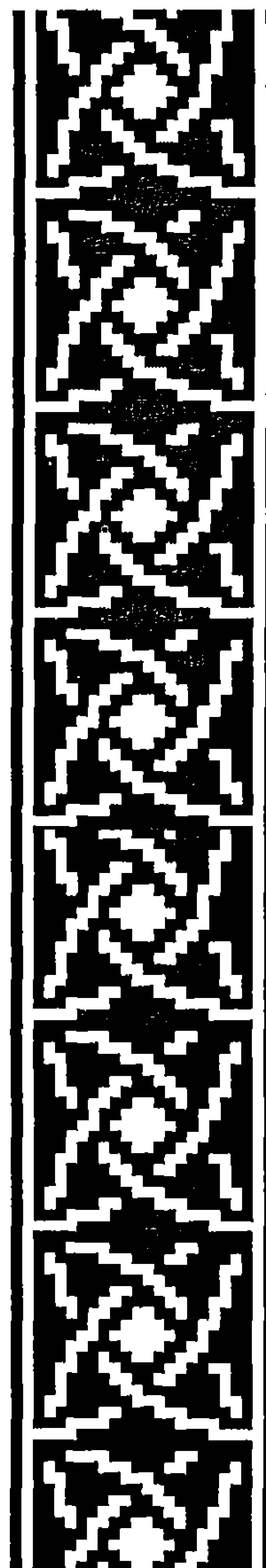
فنحن الذين أصدرنا لائحـة الحقوق المدنية قـبل الكونجرس الأمريكى بأربعـة عشر قرنا.

نحن الذين أعطينا البشرية الكثير.. ومازالت عطشى تنادينا أن نعطيها.

ومازال لك أيها العربى المسلم دور رائع لتؤديه.. لا بالآلات وحدها، ولا باستيراد المبادئ من الشرق والغرب.. بل برسالة السماء..

بدين محمد بن عبد الله..

ابن امرأة كانت تأكل القديد..



الفصل الثانى
على عبد الرازق
من الجهل .. للنفاق

عن الشيخ وكتابه

الشيخ على عبدالرازق هو أحد أئمة التنوير عند الجماعة وقد طبعوا كتابه اليتيم وطرحوه بأقل من سعـر الجريدة ، وجاء نفاد النسخ دليلا على أن اشد المتـحمسين للتنوير هم باعة اللب وصناع الكرتون . . كما دل على أن الـكتاب ليس ممنوعا كما كان يروج بل كان مؤلفـه وورثته يمتنعون عن طبعه خـجلا مما فيه . . ولاشك ان الشيخ الذى أصبح وزيرا لو شاء لطبع كتابه مثنى وثلاث ورباع . .

وكان الجالس على كـرسى طه حسين والمؤتمن على الثقافـة وتوزيع جوائزها قد قال فى اعـلان عن الشيخ انه دافع عن «مـفاهيم الدولة المدنية التى تـبنتها النخـبة الثقـافية التى انتـمى اليها فى حزب الامـة اولا ثم حزب الاحرار الدسـتوريين من خـصوم الاوتوقـراطيـة والثيـوقراطيـة وذلك فى عـدائهم للحكم الفـردى المطلق ودعوتهم الى الديموقـراطية السياسية والحـرية الفكرية وفى عدائهم للحكم الدينى الذى يقوم على كهنوت . . فـثار الملك فؤاد الذى كان يحلم ان يكون خليفـة فجاء الكتاب الذى يبـدد احلامـه واحلام اقرانه فى وراثة الكرسى وهـاج الذين يبررون الحكم المطلق مبررات دينية لأن الكتـاب كان قاطع الدلالة فى ان الاسلام لم يقرر نظاما مـعينا للحكومة بل ترك للمسـلمين الحرية فى تنظيم الدولة وغضب مـشايخ الازهر الذين أمنوا بفكرة الخلافة اتباعا ونقلا فكفروا على عبد الرازق وزندقوه . . وهاجت الجماهير التى حـركها مشايخ النقل والاتباع وتعالت الهتـافات والصرخات وقضى اولو الامر بجمع الكتاب واحراقـه وانهار التحالف بين احزاب الاقلية التى تنتمى لها اسـرة الشيخ والقصر وقامت الحكـومة بعزل المؤلف وأوذى الرجل ايذاء ماديا ومعنويا متعدد الابعاد»(٢)

وتحديتـه قبل اسـبوعيـن ان يذكر لنا هذه الابعـاد ولكن قد اسمـعت لو ناديت صادقا!ولذلك اراني مضطرا ان اعدد انا ابعاد ايذاء الرجل . . خد عندك:

فى عام ١٩٤٧ قرر المـلك فاروق ابن الملك احمد فـؤاد التنكيل بالشيخ على جزاء وفاقـا لما ارتكبه فى حق ابيه الذى اضاع كـتاب الشيخ عليه خـلافة المسلمين

وبلغ من حقد الملك فاروق انه اصدر مرسوما بتعيين الشيخ وزيرا للاوقاف فى حكومة محمود فهمى النقراشى باشا بعد ان اجبر الازهر على لحس قراره واعادة الشيخ الى زمرة العلماء وانتزع الشيخ من احضان اهله ومن عزبته ومجلس الشيوخ ، ليزج به صاغرا فى مجلس الوزراء . . ولكن هيهات ان يبرد حقد الرجعية والاستعمار اذ ما لبث الملك -بايعاز من الانجليز الذين لم ينسوا ما فعله كتاب الشيخ بخططهم - فانقض فاروق على الشيخ برتبة الباشاوية فاصبح على باشا عبد الرازق. وكان بذلك اول واخر شيخ ازهرى ينال هذه الرتبة امعانا فى الايذاء «فى حدود علمى وباستثناء اخيه مصطفى الذى أؤذى هو ايضا بسبب كتاب اخيه فعين فى العهد الملكى شيخاللازهر !» ووقع الشيخ على باشا قرار حل الاخوان المسلمين واعتقالهم تأكيدا لانتصار الرجعية ومعاناة المتنورين. ثم قتل النقراشى وانتهزها الملك فاروق فرصة لزيادة ايذاء الرجل فأعاد تعيين الشيخ الباشا فى وزارة ابراهيم عبد الهادى التى نظمت اغتيال حسن البنا واقامت عهد الارهاب الاول والعسكرى الاسود وكل صفحات العار التى يستشهد بها على ان الظلام لم يبدأ بثورة يوليو ، والتى حكم على رئيسها بالاعدام فى عهد عبد الناصر بسبب جرائم حكومته التى كان المتنور على عبد الرازق وزيرا فيها . ولكن عصبة التزوير تقول لنا انهم نكلوا بالشيخ تنكيلا متعدد الابعاد . . والله ان كذبكم هو المتعدد الابعاد ولو كنا فى بلد متحضر لفصلتم من اى منصب اذ لا يجوز ابدا ان يكذب المسئول ويبقى فى منصبه الا فى بلاد تأكل الفول !

هذه اول اكذوبة فى اسطورة الشيخ على وكلها اكاذيب . . فالشيخ لم يضطهد بل كوفئ من النظام الملكى الاستعمارى اقصى ما يتوقع مثله . . الا اذا كان قد حرم من ولاية العرش! اما بقية الاعلان فلا اظن ان فقرة مماثلة فى اللغة العربية قدحوت من الكذب على التاريخ والافتراء على كفاح الشعب المصرى مثلما حوته تلك العبارة فهى حقا كلام كراسى وما كنت اظن انه بعد كل ما كتب سيأتى يوم يكرر فيه احدهم سقط القول عن دور ديموقراطى لحزبى الامة والاحرار برادع الاستعمار.

الشيخ على لم يكن من القوى الديموقـراطية ولا الوطنية لا هو ولا عائلته ولا حزبه ، بل كان عميد العائلة رئيسا للحـزب المناوئ للحركة الوطنية ، شهد الدكتور لويس عوض «ان الانجليز كـانوا يحرصون على ان يكون لهذا الحـزب دوره الفعال فى السياسة المصرية ، لأنه حزب الاعيان العـقلاء المعتدلين فى الحركة الوطنية » ! اما المتطرفون فى الحركة الوطنية فقـتلوا من رجالات العائلة حسن باشا عبد الرازق لتعاونه مع الانجليـز والسراى ومعاداة حزب الجـماهير . وشهدت جريدة السـياسة وهى تدافع عن الشـيخ على بأنه من المتطرفيـن فى ايمانهم بضـرورة ارتباط مـصر بانكلتـرا ! فمن اين جـاءته الوطنية . . ؟ !و جـريدة التايمس هى التى دافـعت عن كتابه وتحـسرت على ايام الحمايـة حيث كان الحاكم البـريطانى يحمى المتنورين من امثاله قبل ان يخيم ظلام الاستقلال والحكم الوطنى !والتايمس وقتها كانت اللسان الصريح القبيح للسياسة الاستعمارية لبريطانيا. انظر ما أورده الدكتور محمد عماره عن جريدة التايمس : « اما الشيخ على عبد الرازق فـهو خلف الشيخ محمد عبده وقاسم اميـن فى ارائهما الفكرية السامـية وقد استطاع الشـيخ محمد عبـده بفضل نفـوذ اللورد كـرومر ان ينـجومن المطاعـن الكثيـرة ومن عـداء السـراى ولم ينل المصلحون الاخرون انصارا »(٣)

وأول من انتقـد كتاب الشـيخ ووصفه بالجـهل التام بأبسط مبـادئ الاسلام هو سعـد باشا زغلول ابو الدستور بل والعـلمانية ان شئـتم و وهو اول من حذر من خطورة تأثير مـا قاله الشيخ على الشـباب « انظر محـمد عماره » والحـمد لله لم تتحـقق مخاوف سـعد باشا، فلم يضلل الشـباب ، ولا كان له اى اثر فى مـجرى الحركة الاسـلامية ولا فكرها . مـا زاد دوره عن شاهد الزور يستدعـونه كل جيل للادلاء بشهادته ضـد الاسلام وكل اهميتـه انه بعمامة . . فـيرددون انه شاهد من اهلها ، وجاء رد عالميته وتعيينه وزيرا للاوقاف لدعم شهادته الزور!

وثانية الأكاذيب واقبحها انه عارض بكتـابه رغبة الانجليز فى تتويج ملك مصر خليفة للمسلمين وقد تساءلنا قبل اسبوع اذا كانت بريطانيا سنة ١٩٢٥ تريد تنصيب ملك مصر خليفة وكان الشعب والازهر معها فـما الذى منعها وكانت بريطانيا وقتها

تتصـرف فى مصر بـل والعالم الاسلامى تصـرف الراعى بأغنامه لا مـرد لأمرها . وكانت تتصرف تحت شـعار فرق تسد، وآخر ما تفكر فيـه ان توحد المسلمين تحت اى شكل من اشكال الاتحاد مهما كان واهيا ومهمـا كانت علاقة المسيطر عليه لفترة من الزمن . . وقد شهد المـعاصرون ان اخر ما كانت تفكر فيـه بريطانيا هو انشاء خلافـة وعربـية بالذات . .أكـانت بريطانيا تهب فلـسطين لليهـود ثم تقيم للـعرب خليفة يدعوهم للجهاد فى سبيلها ؟ لقد كان فى القدس منصب شرفى لا أهمية له اسمـه مفـتى القدس تحول الى راية وزعـامة بفـضل العمة واللـقب اذاق الانجليز الامـرين ثم انضم للالمان . . وعندمـا انحاز فـاروق ملك مـصر الى الطليـان فى الحرب العـالميةالثانيـة اضطر الانجليز لارغامـه بالدبابات التى حاصرت قـصر الملك . .ماذا كـانت بريطانيا سـتفـعل اذا كان فـاروق يحمل لقب امـير المؤمنين وقـصر عابدين اسمه دار الخلافة . . ؟

وإنما حقيقة الامر ان الكتاب وضع على مرام السـياسة البريطانية بل نحن نعتقد انه كـان فى اطار مخطط المخـابرات البـريطانية لمواجـهة سـلطان تركيـا او خليفـة المسلمين المتـحالف مع الالمان بالتقلـيل من شأن الخلافة بل وانتـزاعها انتـزاعا من القامـوس السياسى للمسلمـين . . وقد فصلنا ذلك فى كـتابنا « **جهالات عصر التنوير** » ونخـتصـر القول انه منذ ان اسـتعـدت بريطانيـا للحرب ضـد الخلافـة العثـمانية . . لتـقسيم مـا تبقى منهـا وبالذات بلاد العرب . . واصبح واضـحا ان الخليفـة او السلطان لم يترك له اى خيـار الا الانحياز للالمان . . عملت الاجـهزة البريطانية عـلى نزع سلاح الخلافة من يد الالمان والأتراك . . بخلق زعـامات دينية خاضعة لنفـوذهم مثل اغا خان فى الهند . . وزعماء السـودان الدينيين والتشكيك فى خلافة العثمانيين بالترويج لخلافـة عربية . . وانتشر بشكل حاد حديث الخلافة فى قريش . . ومن نازعـهم هذا الامر . .الخ للتـشكيك او سحب الشرعـية من خليفـة الترك غيـر القرشى . . ثم اختـارت المخابرات البـريطانية الشريف حـسين وخصصت له مرتبا شهريا من خزينتها ليقاوم الترك وينازعهم السلطان الدينى ويفتى بقتـالهم ، ومرة اخـرى ضخمـت الدعاية البريطـانية بشكل حاد حـكاية الاشراف

وضـرورة ان يكون الأمر لشـريف قرشى ! . . ورغم كل هذه الجـهود ورغم مـا اصاب الـوحدة الاسلامـية من تمزق وانـهيار عـبر القـرون ورغم ما اصـاب مكانة الخليفـة العثمانى من تدهور بـحكم التخلف وأهم من ذلك بسيطرة العلمـانيين او العسكر على الخلافة بعـد انقلاب تركيا الفتاة وما سـاد العالم الاسلامى من اقتناع بأنهم من يهود الدونمة . . وقد كشفنا قـبل سنوات ان مصدر هذه الرواية هو تقرير للسفـارة البريطانية فى اسطمبـول ، وان كان ذلك لا يمنع صحتـها . . رغم ذلك كله فـعندما اصـدر الخليفـة العثمـانى باتفـاق مع الالمان قرار الجـهاد ضد الحلـفاء استـجاب له احـمد السنوسى فى ليـبيـا وهاجم الانجليز فى مـصر رغم يقـينه من الخسـائر الفادحة التى ستـصيبـه ولكنه رفض ان يعصى الامر بالجـهاد واعلن على دينار الجهاد فى دارفـور وخسر سلطنته التى كانت قـد نجت من الاحتلال الاوربى ربع قرن . وفى اقصى الغرب رفض ابن سعود مقـاتلة الاتراك وقال قولته الشهيرة . . لن يسجل على التاريخ اننى قاتلت خليفـة المسلمين . . وتمردت وحدات مسلمة فى الجيش الهندى . . من هنا حـرص دهاقنة السياسة البريطانـية على ابطال دعوة الخلافة والتقليل من شأنها عند المسلمين ثم مواراتها التراب بعد هزيمة تركيا. وكان كتـاب الشيخ على هو إحدى وسـائلهم . . وفى كتابى المذكـور قدمنا أدلة على ان الكتاب الف فى عام ١٩١٥ قبل ان تلغى الخلافـة وقبل ان يتولى الملك فؤاد عرش مصر .

الاكذوبـة الثالثـة القول بأن الشـيخ على اثبت ان الخلافـة ليست مـن اصول الاسلام وهـو قول يجـمع بين الجهل والكذب لأن هذه الحـقيـقة هى مـن اصول المذهب السنى وأحد أوجه الخلاف بين أهل السنة والشيعة . وقبل أن يؤمن الشيخ ويتطرف فى الدعوة للارتبـاط بالأنجليز بألف سنة او تزيد قال المسلمـون: لو كانت الخلافة من اصول الدين لنص عليها القرآن او السنة . . وهو ما لم يحدث . . انما الذى قاله الشـيخ على ويردده دعاته هو ان الحكم ليـس من اصول الدين ولا من واجبات المسلمين ! وان النـبى لم يحكم ولم يشكل حكومة . . والامر بالحكم بما انزل الله خاص بـاليهود والـنصارى فقط امـا المسلمـون فقد أمـروا أو على الاقل

رخص لهم بالحكم بما امر الشيطان او اللورد البـريطانى والجنرال الفرنسى والرفيق الروسى حتى نـصل الى اسحاق رابين ! الشـيخ على قال ان الاسـلام لا شأن له بالحكم وان المسلمـين يجب الا يعنيهم دين الحاكم ولا اتجـاهه ولا جنسيـته فليس الحكم من اصول الاسلام ولا اهتماماته ، ولا يخفى لمصلحة من صدور مثل هذه الفتوى فى ظل الحكم الاستعمارى الاوربى للعالم الاسلامى .

ولعلنا نفهم احد اسباب غضبة سعد زغلول على الشيخ على واحتقاره فقدكانت دماء المصـريين تسيل انهـارا تحت قيـادة سعد زغلول من اجل ان يحكـم المسلمون وليس الانجليـز فإذا بالشـيخ على ومن اتبـعه يفـكون الجمع من حـول القيـادات الوطنية مـعلنين ان المسلم الحسن "البونو" لا يعـمل بالسياسـة ، ولا يبالى من حكم بلاده . فالاسلام دين ولكن الاشرار يريدون تشويهه وافساده بدعوة المسلمين للعمـل بالسياسـة . . والانشغـال عن الصلاة والتسـابيح بالحديث عن الاسـتعـمار والجلاء ، والدستور والحكم والحكومة . . ومن يسيطر على القطن والزيتون، وما الى ذلك من شئون السيـاسة الفاسدة ولعن الله «ساس ويسوس وسـياسة» اتركوها للكفار فهى منتنة !

اصحـاب هذا الفكر اصبحوا وزراء وباشـاوات ، وتستخـدم كتبهم فى سـجون عمـلاء المخابرات الامريكيـة . . . ثم يصعب على بعض عـمى القلوب ان يفهـموا مصدر هذا الفكر وفى كيس من يصب . . هؤلاء هم سـلامه موسى وفرح انطون وعلى عـبد الرازق من يصـفهم بيـان هيئـة الكذاب بأنهم قـادة ورواد فكر التنوير . . وحقا الكذب خيبة . .

وبعد ان نشرنا هذا القول وصلت للمجلة رسـالة من الاستاذ ممدوح عبد الرازق تتضمن ردا ودفاعـا عن قريبه الشيخ على عبد الرازق وبعنوان هاؤم اقـرأوا كتابيه فكان سببا فى ان اعود لحديث الشيخ بتوسع اكبر فجزاه الله خيرا بما تسبب فيه من مزيد فضح لكتاب الشيخ ومزيد علم للمـسلمين بخفاياه ويبدو انه اذا اراد الله نشر فضيحة طويت اتاح لها لسان قريب !

واذ اعـود لحكاية على عبـد الرازق احب ان اقـول اننى سعـدت بالرد الذى

ارسله سعادة السفير ممدوح عبد الرازق والذى اوضح فيه وضع عائلة الشيخ عبدالرازق وما كانت تنعم به من بحبوحة فى العيش وازدهار بالضيف والدراسة فى زمن الاستعمار . وارحب بتلك الفرصة لنعود مرة اخرى لحديث كتاب الشيخ على الذى اعتقد انه لم ينل حقه بعد من الحوار ، على الاقل لتنوير الجيل المعاصر، ولا يمكن ان يتم تنوير بلا حوار ، ولعل الزمان قد دار دورته وقيض من يخرجون كتاب الشيخ من غفوته لكى تتاح الفرصة لحسم القول فيه وللأبد . . وعلى عبدالرازق وكتابه شخصية عامة مباح نقدهما فى حدود القانون ولا يجوز ان يغضب له اهل ولا عشيرة . . وقد دهش الكثيرون لما نشرته عن تعيين على عبد الرازق وزيرا للاوقاف والانعام عليه بالبكوية ثم الباشوية فى ظل الملكية والاستعمار بل وفى واحدة من احلك فترات تحالف السراى والاستعمار من ١٩٤٥ الى ١٩٤٩ . وهذه الحقيقة يخفيها الجميع من مستشرقين ومتنورين فلا تذكر ولا يشار اليها ابدا فى حديث الشيخ وكتابه لأنها تفضح اللعبة كلها وتكشف الخرافة التى ظلوا يرددونها ثلاثة ارباع القرن عن كفاح الشيخ ضد الانجليز والسراى ورجعية الازهر والكتاب المحرم . . والشيخ الطريد . .الخ فكيف يستقيم ذلك وقد خرجت قيادة الازهر عن بكرة ابيها تلتمس تكريمه واستجاب الملك فى ظل اشد الحكومات رجعية وفى عهد الاحتلال . .فسلموه جميع شئون الاسلام الرسمى . . كما أعطوا شقيقه مشيخة الأزهر!

والذين يرفضون ما يسمونه بتفسيرى التآمرى للتاريخ كيف يفسرون ان جميع — اكرر جميع — الكتب التى اشادت بالباشا على عبد الرازق اخفت تماما حكاية توليه الوزارة ، كيف جهلوا جميعا هذه الحقيقة التى اعلنت فى الصحف وبمرسوم ملكى وكان لها كما سنحكى ملابسات ومضاعفات وذيول وخيول وشنة ورنة كما يقول المصريون ! كيف جهلوا ان الشيخ قد كوفئ وبرئت ساحته او كيف علموا واتفقوا جميعا على اخفاء هذه الحقيقة حتى فوجئت بعد نشر مقالى بكاتب يحسبه الجهلاء شديد التخصص يتصل بزميلة فاضلة ويؤكد لها اننى اخطأت وان على عبد الرازق لم يعين ابدا وزيرا للاوقاف واننى خلطت بين على واخيه مصطفى . . قال ذلك

فى القاهرة ولم يكفه التشكيك فى معلوماتى وفى اتهامنا للشيخ وكتابه فى دائرة الاعلاميين هنا بالقاهرة بل كرر جهله فى لندن وعلى مسمع وبتأييد من "عالم " اخر كان بصحبته ! حيث كان هناك مدعوا من الاذاعة البريطانية ليحدثهم فى تاريخ مصر ! ما علينا هذا هو حال الفكر فى مصر المتنورة . .بل وحالها دائما . . بها نبطى من اهل السواد يدرس انساب اهل الفلا . . ويسمع لخسيسها فى رئيسها !

ولكن تعالوا نقرأ كيف نفذ الانجليز انتقامهم وشفوا صدورالمنافقين. . ومهما يقال عن تزوير التاريخ ورغم ان حزب الامة وحزب الاحرار اصبحا يوصفان بالوطنية والتنور . . لانهما استعانا بالانجليز على الخديو او تخليا عن الحركة الوطنية مفضلين الا يكونوا لهؤلاء او هؤلاء لا مع الانجليز ولا مع الحزب الوطنى. . تماما كما لو ظهر حزب فى بورسعيد فى ظل الاحتلال البريطانى الفرنسى يعلن انه لا مع الاحتلال ولا مع عبد الناصر او يظهر حزب فى سيناء المحتلة يعلن ان الذين يقاتلون المحتل اليهودى انما يريدون عودة حكم عبد الناصر المتخلف الرجعى المستبد وأن المصرى مثل العظمة التى يتقاتل عليها كلبان لا يحق له ان ينضم لاحدهما !رغم اننا كنا نعتقد ان هذا القول قد سقط نهائيا من مضبطة الجدل السياسى ، ورغم انه عاد ، الا اننا نعتقد انه لا احد يجادل ـ حتى الان على الاقل ـ فى ان مصر فى الاعوام من ١٩٤٧ الى ١٩٤٨ كانت تحت السيطرة الكاملة لبريطانيا العظمى وكان السفير البريطانى يقيل الحكومة بالتليفون وفى حدود معلوماتنا لا يمكن تصور ان يعين الشيخ على وزيرا فى تلك السنوات الا بموافقة الانجليز بل وبإرادتهم وضغطهم .

يوم المهانة

وأظن أن أسود يوم فى تاريخ الأزهر أو كان المفروض أن تسجل العصابة اياها بداية التنوير فى الازهر بيوم ٢٤فبراير ١٩٤٧ عندما نشرت الاهرام هذه الفضيحة التاريخيةالتى ننقلها حرفيا: «العلماء يلوذون بالعرش فى مسألة على عبدالرازق بك»

عندما اصابت الازهـر تلك الصدمة الذى نزلت فجأة فى شـيخه الاكبـر المغفور له الشيخ مـصطفى عبد الرازق اتجهت نيـة كبار العلماء الى تكريم ذكـراه فى شخص شقيقه الاستاذ على عبد الرازق بك وذلك بأن يلوذوا بالسدة الملكية ملتمسين عفوا ملكيا عـن اثر القرار الذى اتخذته فى شـأنه هيئـة كبار العلمـاء من قبل . فـما ان اختمرت هذه الفكرة حتى اخذت سبيلهـا الى التنفيذ واعدت صيغة الالتماس الذى يرفع فى هذا الشأن الى مقام صاحب الجلالة الملك وحمله الى القصر جماعة كبار العلماء واعضاء المجلس الأعلى للأزهر عندمـا توجهوا اليه يوم السبت الماضى لرفع فروض الشكر الى جلالة الملك على مواساة جلالته للأزهر فى مناسبة وفاة الاستاذ الاكبر.

« غير انه رؤى يومـئذ ان تظل زيارة العلماء للقصـر الملكى مـقصورة على رفع فروض الشكر، على ان يطلبوا تحديد موعد قريب لرفع ملتمسهم الى الذات الملكية وقد حدد هذا الموعـد الساعة الحادية عـشرة من صباح امس الاول واجتـمع قبلهم من استطاع الحضور من اعضاء جمـاعة كبار العلماء والمجلس الاعلى للأزهر حيث عرضت عليهم صيـغة الالتماس ليوقعوها فأقرها اكـثرهم وقدمت فى الموعد الآنف الذكر الى معالى رئيس الديوان الملكى ليرفعها الى مقام صاحب الجلالة الملك وكان الالتجـاء الى مقـام جلالتـه فى هذا الشأن وقع حـسن فى الدوائر الأزهرية . ومما يجدر بالذكـر انه قد روعى فى رفع هذا الالتـماس ان تتقـدم به الهيـئتان العلمـية والتنفـيذية فى الأزهر ، تمثل الأولى جـماعة كـبار العلمـاء ويمثل الثانـية المجلس الأعلى للأزهر، وان يكون الملاذ فى ذلك هو جلالة صاحب العـرش بعد أن تبين أن جمـاعة كبـار العلماء لا تملك بوضعـها الحالى ان تتـخذ قرارا جـديدا بإلغاء أثر قرارها الاول فى مسألة الأستاذ على عبد الرازق بك ، إذ أن مثل هذا القرار يجب أن يصدر بأغلبية ثلثى أعضائها على أن يكون من بينهم شيخ الازهر وذلك يقتضى قرارا من عشرين عـضوا على حين ان الاحياء من اعضاء الجـماعة الآن لا يبلغون هذا العدد .

«التمـاس من المفتى : وقد علمنـا ان فضيلة الاسـتاذ الشيخ حـسنين مخلوف

مفتى الديار الرسمية لم تصل اليه الدعوة للاجتماع الذى عقده العلماء امس الاول فلم يشهده غير انه لما علم بأمر الالتماس الذى رفع الى السدة الملكية بادر صباح امس فرفع التماسا الى مقام صاحب الجلالة الملك مؤيدا ذلك المسعى الحميد » بحروفه

وللذى لا يريد ان يفهم نشرح له أو لها :

١- روع مشايخ هيئة كبار العلماء والمجلس الأعلى للأزهر بفقدان مصطفى باشا عبد الرازق شيخ الأزهر فلم يجدوا حيلة لتخفيف المصاب الجلل الا الغاء قرار هيئة كبار العلماء الصادر قبل عشرين سنة ضد من حطم الخلافة وأثبت أن الأسلام ليس له فى الحكم من نصيب وروع الأزهر وهز معاقل الرجعية. .الخ فلا يذهب الروع الا الأروع !

رأى المشايخ أن أفضل باقة توضع على قبر مصطفى ليس مجرد العفو عن فاعل ذلك بطل التنوير بل وتعيينه وزيرا للأوقاف التى تشرف على مساجد ومدارس وأوقاف المسلمين !وذلك يتطلب الاعتراف بسقوط كل ما وجه لكتاب الاسلام وأصول الحكم بل اعتباره نصا إسلاميا موافقا عليه من الأزهر بسلطتيه العلمية والتنفيذية أو كما يقول العامة طلب من الازهر ان يلحس موقفه السابق ويبصم بالعشرة وحكاية اللحس هذه تقليد بريطانى قديم فعندما هزموا ثورة الهند الكبرى التى تحالف فيها المسلمون والهندوس لآخر مرة ، وقيل ان من عوامل تفجير الثورة إشاعة قالت ان الأنجليز يشحمون بنادقهم بدهن الخنزيرالمحرم عند المسلمين ودهن البقرةالمقدسة عند الهندوس، وتشفى الانجليز بأن اجبروا الزعماء الدينيين على لحس قدم مربع من دم الخنزير او البقرة كل بما يحرمه عليه دينه !

لا أظن أننا سنهبط لمستوى القول بأنها مبادرة تنويريه علمانية من الأزهر . . بل طلب منهم فانصاعوا وسقط أى ادعاء عن إرهاب دينى أو تحريم أزهرى للكتاب إنما هو رفض الشعب ورفض المثقفين الاشراف .بل وربما خجل المؤلف نفسه هو الذى منع طبع الكتاب .

٢- تبين أن هيئة كبار العلماء غير مستوفية العدد . . طظ. . من يهمه ذلك امام

هذا القــرار التنويرى البريطانى . . الــم يقل المؤرخون الغــلابة أن الملك هو الذى أوعز للأزهر باصدار القرار فليمحه الملك بنفــسه أما قول الاستاذ ممدوح أو اعتذاره إن الذى عين الشيخ لم يكن الملك فؤاد فهذا صحيح للأسف. ، إذ لم يكن بوسع الانجليز مهما بلغ من بأسهم ان يخرجوا فؤاد من قبره ولكن الحاضر يسد ورغم ان فاروق ربته مــبشرة كاثوليكية اسـتطاعت أن تكسب لكنيستها أمــه واخته الا اننا لا نعتقد أنه قرأ كتاب الشــيخ على واقتنع به وأوعز للأزهر مختارا بذلك ، بل نرجح انهم الإنجليــز الذين قــرروا ان يصدر العــفــو من الملك بناء على التــماس ورجــاء وتوسل من كل قيادات الازهر.

وتقرر السراى ان يسعى الشيوخ مرتين فــترفض استلام الالتماس فى يوم الشكر ليكون يومه له وحــده ويكون يوما مــشهودا وحــيدا فريدا فى التــاريخ . وينصاع المشايخ ويعــودون يوم الحشر أو الزينة . وتبلــغ المأساة ذروتها عندمــا يعلم الشيخ مخلوف «وكانت الحركة الوطنية تسميه الشــيخ متلوف وتلقبه بمفتى البيبسى كولا» سمع أن المشــايخ ذهبوا للســراى ولم توجه له الدعوة للــمشاركــة فى هذا الشرف التاريخى فهرع يلهث للسراى يلتمس من الأعتاب الملكية تأييد هذا المسعى الحميد. وهذه تعنى فــتوى من مفــتى الديار بأن كتاب الخــلافة وأصــول الحكم أو الإسلام وأصــول الخلافــة أو أصول الخــلافة والحــكم أو الحكم وأصول الأصــول يا أهل الأصول تمام التمام و كما افتى شيخ الاسلام ومفتى الأنام فأين المعركة ؟!

وما كان الملك الصالح فــاروق بالذى يخيب رجاء قيادات مصر الدينيــة الرسمية فصدر العفو، وفى ٣ مارس صدر المرسوم التالى :

«نحن فاروق الاول ملك مــصر رسمنا بما هو آت : عين على عــبد الرازق بك وزيرا للأوقاف صدر بقصر عابدين ٣ مارس ١٩٤٧»

وظل فى الحكم كما قلنا حتى حل الاخــوان ونكل بالشباب المسلم وكل من قرأ حرفا فى نقد كتابه الى ان أطاح الشعب بحكومته فى انتخابات ١٩٥٠ . .

كيف يظــل انصار الشيخ المبــشرون بالكتــاب سبــعين سنة يتحدثــون عن موقف الأزهر والسراى الرجــعى وضغط الإنجليز ثم لا يشــيرون لهذا التحــول فى موقف

الجميع الا يستحق هذا التأريخ والتسجيل والتحليل والتفسير . .كيف لا يذكرون تهالك الشيخ فى مدح الملك فاروق واجداده حتى وصل فى النفاق والتزلف الى ما لم يسبقه اليه ولا أتى بمثله احد. فقد زعم ان محمدعلى باشا هو الذى انشأ الشعب المصرى وان فاروق ابن نازلى هو مبعوث العناية الالهية لعزة الاسلام !!.

والشيخ على مدح الملك فؤاد حيا وميتا فكتب مقالا فى جريدة السياسة عن الملك فؤاد وصفه بأنه «اول ملك عرفه الاسلام فى مصر ملكا دستوريا ينصر العلم والعلماء ويؤيد فى بلده مبادئ الحرية » وكان الملك فؤاد اول ملك فى التاريخ حل لفوره برلمانين منتخبين فى اقل من شهر ! وقد تفضل قارئ مدقق محقق لم يذكر اسمه ، بارك الله فيه وفى امثاله فقد اثلج خاطرنا وطمأن بالنا ان العلم لن يرفع بموتنا ، بل سيبقى من يشفى صدور المؤمنين . بعث لنا بخطاب للشيخ ومانشره الاستاذ محمد التابعى فى عدد اخر ساعة رقم ٩٧٤لعام ١٩٥٣للدكتور عبدالعزيز على الدويك وكان الشيخ على عبد الرازق باشا بعد انقلاب يوليو وانشاء محكمة الغدر قد حاول ان يتنصل من خضوعه وتزلفه للملك او كما قالت المجلة حرفيا : « الذى ملأ الدنيا صياحا ووجه خطابا مفتوحا لرئيس محكمة الغدر يعلن فيه انه لم يكن يوما من الايام مادحا للملك السابق ويأبى الله الا ان يفضحه فيجعلنا ننقل فقرات من خطابه الرسمى الذى طبعه على نفقة وزارة الاوقاف من دماء المستحقين البؤساء . . تلك قصة النفاق ومع ذلك تكابر وتقول انك وقفت فى وجه الملك . . الملك الفاجر الذى قلت عنه ان العناية الالهية اختارته بعد مائة عام ليكون مجددا لمجد الاسلام ! ان الاسلام برئ منك ومن امثالك ! »

اما الخطاب فعنوانه المطبوع على الصفحة الاولى هو :الكلمة التى القاها بين يدى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق الاول . . حضرة صاحب المعالى الاستاذ على عبد الرازق باشا وزير الاوقاف فى ذكرى المغفور له منشئ مصر الحديثة محمدعلى باشا الكبير فى ليلة ١٣ رمضان ١٣٦٧/ ٢١يوليه ١٩٤٨ . واذا كان نشرها حرفيا يتعذر فى مجلة فلا يجوز ان نحرم الجيل الجديد من بعض ما جاء فيها على لسان رائد التنوير فى افضال الاسرة العلوية ، ففيها

اسفاف فى النفاق يستحق المجلدات فى دراسته وحسبك بمن يقول ان فاروق هو مبعوث العناية الالهية لتجديد الاسلام !قال الشيخ :

«ان الله جل شأنه اذا اختار عبدا من عباده لاداء رسالة من رسالاته يسر له السبل ورد عنه كيد الاعداء واخذ به الى الغاية التى هيأه لها واعده لبلوغها . وهكذا استطاع جدكم محمد على هذا العبقرى الملحوظ برعاية الله ان يشق طريقه. . . .»

«ان اكثر الامبراطوريات التى قامت وتقوم فى العالم لا تقوم الا على اساس التسلط والقهر. .ولكن محمد على لم ينشئ دولته على هذا الاساس الواهى. .فهو لم يكن يريد من وراء الامبراطورية التى اقامها ولا من الشعب الذى انشأه «؟؟ج». . انما ارادها عزا للاسلام ومجدا للمسلمين وخيرا وبركة على المصريين»

« ولا يكاد التاريخ يذكر امبراطورية قامت على هذه المقاصد النبيلة والايات الكريمة اللهم الا الدولة الاسلامية الاولى التى اقامها الخلفاء الراشدون فى صدر الاسلام فقد كانت مثلا فريدا فى تاريخ البشرية ، قامت على اساس انسانى غايته دعوة الناس الى كلمة الاسلامية ، ونشر الهدى والعدل والامن والسلام . وعلى هذا الاساس الذى قامت عليه دولة الخلفاء الراشدين بنى محمد على امبراطوريته الحديثة فكان رجل الاسلام وحصن المسلمين فى عصره وكان من أكبر أمانيه أن يقيم امبراطورية اسلامية ضخمة يعز بها الاسلام والمسلمون ويكون بيدهم ملك الارض وفى قلوبهم نور السماءفتكتب لهم السيادة والسعادة فى الدنيا والآخرة »

وبعد أن توج الشيخ "محمد على باشا " سادسا بل خامسا للخلفاء الراشدين، بل وبعد أن عفا عن الخلافة والخلفاء الراشدين ، رغم كل ما كتبه ضد هذه الخلافة ،اكراما لمحمد علىٰ! بعد مدح الدولة الاسلامية بل والامبراطورية الاسلامية بما يخزى كل المتباكين على علمانية الشيخ ولا عزاء للمتنورين، انطلق يمدح احفاد محمد على . .وبالذات الملك فؤاد :

« ثم جاء والدكم فؤاد المصلح الاكبر ، فوثب بمصر وثبتها الكبرى. . . ولقد كان فؤاد اقرب شبها بمحمد على فى جهاده المتصل فى ميادين الحياة المتعددة فما

ترك ميدانا من ميادين الحياة النافعة الا عمل فيه ودفع المصريين اليه فى عزم قوى وتوجيه سديد . . »

« وانه لحرى اذا قيل ان مصر هبة النيل ان يقال ان مصرالحديثة هبة محمد على. مولاى صاحب الجلالة ورد فى بعض الاثار ان الله جل شانه قد اختص الامة الاسلامية بأن يبعث فيها على رأس كل مائة عام من يجدد لها امور دينها وقد بعث الله جدكم الاكبر على رأس مائة عام كان قد انتكس فيها امر المسلمين وضعفت كلمة الاسلام فجدد ما اندثر من معالم الدين ورفع ما انهار من بنيانه، والان يا مولاى وقد مضت على وفاة جدكم الكبير مائة عام يتلفت الاسلام والمسلمون من جديد الى مبعوث العناية الالهية الذى قد اظل زمانه وآن اوانه وانهم ليلمحون فى قسمات وجهك وفى ثنايا اعطافك صورة مجددة من جدكم الاكبر ويرون فى شبابك المتوثب وفى عزماتك القوية وفى حسن سياستك ويمن طالعك نفحات ندية، تلك الصفات الكريمة التى كان يتحلى بهاجدك فى مطلع شبابه ولكأن الزمان قد استدار كهيئته يوم قام جدكم العظيم قومته واسس تلك الدولة الاسلامية القوية . . وكأن الزمان قد جدد فيك تاريخ جدك وحياته والزمان يا مولاى لا يلقى عظماء الرجال الا بعظائم الامور . .

«مولاى صاحب الجلالة : ان العناية الالهية التى اختارتك مجدد المجد الاسلام على رأس هذه المائة فسر على بركة الله يا مولاى مؤيدا بعنايته ونصره محوطا بشعبك الوفى الامين فإن مصر التى اصبحت بك امل الشرق والاسلام تتطلع الى وثبة جديدة تتحول بها لعصر جديد هو عصر الفاروق وانت جدير يا مولاى بان تنتزع من الزمن مجدا يخلق عصرا تعيش به مصر والعروبة والاسلام امدا طويلا معتزة بك مستندة اليك. . ورحم الله محمد على وانزله منازل الابرار المجاهدين»

لقد لاحظنا من رسالة الاستاذ ممدوح عبد الرازق اهتمامه بتصحيح تاريخ الشيخ فلعله يتكرم بتصحيح اى خطأ فى هذا الخطاب التاريخى فإن لم يكن فليصحح معلوماته عن موقف الشيخ واسرته من الدوحة الملكية .اما من ناحيتنا فلا تعليق حرصا على نظافة مدينتكم !

متى الف كتابه ولمن ؟!

اما مسألة ان الشيخ بدأ تأليف كتابه قبل سقوط الخلافة وخلال الحرب كمساهمة فى المجهود الحربى للحلفاء ضد المانيا والسلطان العثمانى وقرار الجهاد الذى اعلنه وكيف كان الانجليز حريصين على ابطال مفعول هذا الاعلان فدبروا – كما قلنا –اظهار الشريف حسين جد العائلة الهاشمية ورأس الخيانة ، وراج رواجا مريبا حديث «الخلافة فى قريش » لأن الخليفة العثمانى ليس من قريش . وظهرت حركات « اسلامية »فى الهند تعلن سقوط فريضة الجهاد ، وظهرت مؤلفات تعلن انتهاء الخلافة ولا مشروعية الخلافة العثمانية الخ. ومنها كتاب توماس ارنولد(٤) الذى اتهم الشيخ بنقله كتابه عنه او حتى ان كتاب الشيخ هو من تأليف ارنولد نفسه وهو ما ننفيه تماما،اماكتاب الشيخ على ، فإن مؤلفه هو الذى قال انه بدأ كتابه هذا منذ عام ١٩١٥ ولعل الاستاذ ممدوح عبدالرازق يرجع لكتاب الشيخ ففى سطوره الاولى يقول « وليت القضاء عام ١٩١٥ فحفزنى ذلك للبحث عن تاريخ القضاء الشرعى ولابد لمن يدرس تاريخ القضاء ان يدرس ركنه الاول اعنى الحكومة فى الاسلام »ويقول « شرعت فى بحث ذلك كله منذ بضع سنين ولا ازال بعد عند مداخل البحث الاولى ولم اظفر بعد الجهد الا بهذه الورقات»

وبضع سنين كما يعرف الشيخ هى من ثلاثة الى تسعة كما حسبها العرب فى تفسير وعد الله بأن الروم سيغلبون فى بضع سنين .. يعنى لم يحركه لا قرار الأنجليز ولا قرار الملك ولا سقوط الخلافة ، وان كان هذا لا ينتقص من اهمية تاريخ النشر .وقد استشهد المعاصرون للشيخ بهذه الفقرة وماورد من حديث عن محمد الخامس باعتباره خليفة « قائم بالامر تحميه الجيوش المجيشة » بينما محمد الخامس تولى السلطنة من ١٩٠٩ الى ١٩١٨وقد عدد الدكتور الريس خمسة نصوص بالكتاب تؤكد انه وضع او الف الجانب الاكبر منه قبل الغاء الخلافة وتطلع الملوك لوراثتها ويعتقد الدكتور عصمت سيف الدولة ان الكتاب صدرت منه طبعة اولى غير معروفة ويستدل على ذلك بأن الطبعة التى صدرت عام ١٩٢٥ كتب عليها

الطبعة الثانية ولا وجود للاولى وان المؤلف ألحق حديثه عن محمد الخامس بهامش يقول كتبنا: هذا يوم كانت الخلافة فى تركيا . .« ولم تجر العادة على مثل هذه الاضافات فى الطبعة الاولى من اى كتاب . . لولا ان المؤلف يعرف ان فصولا منه قد نشرت فى طبعة اولى فسمى هذه الثانية »

وقد اشرنا فى كتابنا« **جهالات عصر التنوير**» ان رشيد رضا قال فى كتابه الذى صدر قبل كتاب الشيخ بثلاث سنوات انه علم ان بعض مشايخ مصر كتب خلال الحرب مبحثا للانجليز فى الخلافة . وهذا هو نص كلام الشيخ محمد رشيد رضا «وقد عنيت الدولة البريطانية منذ اول زمن هذه الحرب بالبحث فى مسألة الخلافة وطفق رجالها يستطلعون علماء المسلمين فى مصر والسودان والهند وغيرها آراءهم ليكونوا على بصيرة فيما يريدونه من ابطال تأثير اعلان الخليفة العثمانى الجهاد الدينى بدعوى بطلان صحة خلافته من جهة وبدعوى ان هذه الحرب لا شأن للدين فيها من جهة اخرى ، وقد وجد من منافقى الهند من كتب لهم رسالة باللغة الانجليزية فى ذلك وارسلها لنا ناشرها لنترجمها بالعربية وننشرها فى المنار فعجبنا من جهله ونفاقه ، ولولا المراقبة الشديدة على الصحف عامة والمنار خاصة فى تلك الايام لرددنا عليه . وقد اطلعنا على ما كتبه بعض علماء مصر لهم فى الخلافة وهو نقل عبارة شرح المقاصد ، وعبارات اخرى فى معناها وعلمنا ان بعض العلماء كتب لهم بعض الحقائق فى شأنها » على اية حال إذا كان الشيخ رشيد لم يصرح فلأن كتابه صدر قبل كتاب الشيخ على الذى لم يكن له اى شأن قبل نشر كتابه.

اما ماقاله الاستاذ ممدوح عبد الرازق ان الشيخ على « قرأ فصوله على اخيه الذى سجل ذلك فى عام ١٩٢١»فهذه شهادة من اهلها تستوجب شكرنا ، لأنها تعزز القول بأنه لم يوضع اصلا لمنع خلافة الملك فؤاد ففى هذا التاريخ لم تكن هناك خلافة معروضة فى المزاد ولا ملك يحاولها بل سلطان تحت الحماية البريطانية كأى مهراجا هندى !

واذا لم تكن هذه الادلة كافية لاثبات ان كتاب الشيخ وضع خلال اهتمام

بريطانيا بتفنيد دعوة الجهاد واسقاط شرعيـة الخلافة خدمة لحربها ضد تركيا ، فلا جدال فى ان الكتـاب كان يخدم المصـالح الاستعـمارية فهو فـتوى بجواز قـبول السلطة الغربية غير المسلمة والخضوع لحكمها وبطلان اى سعى لقيام سلطة اسلامية هى بالضرورة وطـنية ولو من ناحيـة الجنسيـة ، وهذه نقطة متصلة بما يـلمح اليه الاستاذ ممدوح عبد الرازق عن ان الشيخ اتهم بالشيـوعية وهذا سر معاداة القصر أوالانجليز . . ونحـن قد فندنا حكاية معـاداة الانجليز هذه بحيث اختـفت تماما من كتابات المطيـبين حتى مقدمة الطبعـة الاخيرة من كتاب الشيخ طبـعة التنوير ، فهى دعوة باطلة سـخيفـة اخترعهـا صحفى عـرف بعدائه الشديد للاسـلام وجرأته فى تزييف وقائع التاريخ ، وقـد فندها المؤرخون ، بل ان الاستاذ محسن مـحمد وهو لا يمكن اتهامه بمعـاداة الشيخ ينفى ذلك تماما و يؤكد بالوثـائق ان الانجليز حاولوا التدخل الى جانب الشيخ ويقول « وهذه الوثيقة تنفى نهائيا ان الانجليز يرغبون فى ترشيح المـلك فؤاد للخلافـة او انهم تركوا الشـيخ على وحزب الاحـرار للملك يعصف بهم »

اما عـن الشيـوعيـة فصـحيح ان فـتوى الشـيخ تبيح خـضوع المسلمـين لحكم الشيوعيين ولكن ذلك لم يكن على غير هوى الاستعمار العالمى لأنه فى هذه الفترة كان سـتالين يذبح مـسلمى اسيـا الوسطى ويعيـدهم قهـرا للسلطة الروسيـة وكان الانجليـز يؤيدون هذا العمل وانسـحبـوا من هناك لأنهم فـضلوا حكم الشيـوعيـة الروسية على تحرر المسلمين وما قد ينشره ذلك من حركات تحررية فى الهند وايران . . الخ وهذا ثابت بـالوثائق [٥] . . ولو كان الشيـخ متهما عند الانجلـيز والسراى بالشيوعية فى ١٩٢٥ فكيف عينوه فى مجلس الشيوخ ثم وزروه بعد الحرب العالمية الثانية فى عنفوان المواجهة مع الشيوعية ، وبينما كانت الحكومة تقبض على فاشى مثل سلامة موسى بتهمة الشيوعية !!

لقد منع الامريـكان عام ١٩٥٣وفى عهد الثورة توزير الـسنهورى والبراوى لأن الأول وقع نداء السلام والثـانى ترجم كارل ماركس . . أفكان الانجليز يـستوزرون شيخا شيوعيا فى عام ١٩٤٧وفى عهد فاروق ؟!

ويعتقد الدكتور عصمت سيف الدولة ان الكتاب كان «اعلانا لموقف معاد لحركة التحرر من الاستعمار الاوربى وهو موقف كان موضوعيا فى خدمة الاستعمار الاوربى بصرف النظر عن نوايا صاحبه» ويقول ان من اسباب الاهتمام بالكتاب «أن مؤلفه شيخ ودس فيه افكارا مناهضة للاسلام ذاته وانه غطاء كثيف مثالى الكثافة لستر الافكار المناهضة للاسلام وليس على الذين يناهضون الاسلام باسم العلمانية الا ان يشيدوا بالشيخ وان يتخذوا من كتابه مرجعا وهم آمنون. . »

ويقول الدكتور ضياء الدين الريس ان حزب الاحرار الدستوريين الذى كان ينتمى له الشيخ وعائلته كان «امتدادا لحزب الامة القديم وكان على صلات متينة ايضا بالانجليز» وقد تفضل الاستاذ ممدوح بتصحيح آخر « على هامش سيرة على عبد الرازق التى نالها قدر كبير من التشويه مثل القول بأن شقيقه محمود باشا عبد الرازق اغتيل فى نوفمبر ١٩٢٢ بايدى المتطرفين الوطنيين بينما الذى اغتيل هو حسن باشا عبد الرازق الاخ الاكبر لمحمود ولم يؤكد احد من المؤرخين ان الوطنيين قتلوه بل كان الذى يتردد وقتها انه قتل خطأ على انه عدلى باشا يكن . »

فهو تصحيح مشكور[٦] ويا مرحبا بتصحيح تشويهات التاريخ أما أن قتيل العائلة قتل لأسباب وطنية فحقيقة يكاد يجمع عليها كل المؤرخين فالرجل كما هو معروف والذى كان على صلات متينة بالانجليز. ابوه «حسن باشا «الكبير» وكان نائبا لرئيس حزب الامة وهو الحزب الذى انشئ لمقاومة الحزب الوطنى وكان على صلة وثيقة بالانجليز ، وحسن الصغير كان من مؤسسى حزب الاحرار الدستوريين و كان «وكيل ديوان السلطان حسين الذى كان متعاونا مع الانجليز فى ايام الحرب العالمية الاولى «وتعرض لرصاص الوطنيين» ثم كان له موقفه ضد الشعب وموال للانجليز فى ثورة ١٩١٩حين كان محافظا للاسكندرية وقد قتل حسن باشا هذا وهو خارج من اجتماع مجلس ادارة الحزب» «ضياء الدين الريس ص٥٨» ولويس عوض الشديد الامتنان للشيخ أرخ الحادث بعبارة حمالة أوجه إذ قال إنه اغتيل بسبب ضراوة الصراع بين عدلى وسعد فى قمة الثورة الوطنية » «ص٢٩٢ اوراق العمر» ولا أظن ان الاستاذ ممدوح عبد الرازق مهما اجتهد يستطيع ان يكتب مقالا

فى معـاداة الاسرة او تصـادمهـا مع الانجليز ولا صـفحة بل ولن يجـد سطرا . . والاسرة تنقلت مـا بين حزب الامة وحزب الاحرار والاول كـان فى رعاية اللورد كرومر والثانـى كان فى رعاية اللورد اللنبى ثم من تلاه . . وجريدة السيـاسة كما اشرنا لم تجد ما تتـشفع به للشيخ عند الانجليز الا التذكـير بأنه من المؤمنين بارتباط مصر وبريطانيا .

وتجدر الاشـارة الى نقطة يحـاول انصار الشـيخ اللعب بها وهى اصطـدامات الحـزب أو بعض أفراد العـائلة بالقـصر وليس كلهم فـالقـتيل كـان وكيـلا لديوان السلطان حسـين كامل والشيخ عـلى نفسه مـدح المالكين من آل محمـدعلى حتى اسرف على نفسه وعـلى التاريخ . ولكن اسرة عبد الرازق اصبـحت فعلا موضع شك عـباس حلـمى وربما عارضـه بعـضهـم ، وتفسـيـر ذلك ان حزب الاحـرار الدستـوريين وقبله حزب الأمـة كانا كمـا يجمع المؤرخون همـا اداة الانجليز وليس القصـر ، بل كانوا من مناوئى القصـر فى فترة ادعاء انهـم يحتمون بالانجليـز ضد استـبداد السـراى ! والسراى فى الحقـيقـة كانت بلا حـول ولا طول الا اذا خرج جيش الاحـتلال ومن هنا كـانوا يعطون مبررا لـعدم مطالبتـهم بالجلاء ومـعاداتهم لمصطفى كامل ثـم ثورة ١٩١٩ مع تطورها الى الكفاح المسلح . . وكـانوا يكيدون للسراى تحت حـماية الانجليز ومن هنا تجد عـلاقتهم طيبة مع السـراى طالما خضع ساكنهـا للانجليز مثل السلطان حـسين ويناصبـون عباس حلمى العـداء لأنه حاول لأسباب عديدة ان يسـترد بعض الكرامة للعرش المصرى او لشخـصه وانتهى الامر بخلعه فلا وجه للتـفاخر بأن ال عبد الرازق كانوا يعملون ضد الخـديو عباس فهذه هى الفترة الـتى تحالف فيها الخـديو مع الحركة الوطنية وراح الانجليـز يكيدون له حتى خلعوه . .

واليكم نصا بريطانيـا حول مركـز السراى الحقيـقى قبل ثورة ١٩١٩ « لم يكن للسلطان قيـمة كبـيرة . كان بصفـة عامة متـجاهلا ومكروها وكانت دولة الحـماية تحجـبه عن الانظار » الكلام للورد اللنبى المندوب السـامى البريطانى(٧) ومنذ وفاة توفيق لم يكن حاكم مصر يتولى الا بموافـقة سلطة الاحتلال سواء ضمنا فى حالة

عباس حلمى او علنيا بعد خلع عباس حلمى وتعيين السلطان حسين من قبل سلطة الاحتلال التى وصل بها الامر لعرض العرش على فؤاد فى وثيقة رسمية علنية !!

واذا اردنا ان نتوسع فى شرح الخلفية لعلاقة الاحرار بالملك نقول انه فى الفترة من الاحتلال الى ظهور الحزب الوطنى وتولى الخديو عباس الحكم كانت المعارضة القانونية للاحتلال ترى ان السلطان العثمانى صاحب البلاد من الناحية الشكلية والراية التى يمكن ان يستخدمها اعداء بريطانيا وخاصة الدول الاوربية لاضعاف مركزها او حتى اجبارها على الخروج . وفى نفس الوقت كانت بريطانيا تتمسك وتستغل هذه السيادة الشرعية للسلطان ضد المزاحمين الاوربيين واضفاء شرعية على وجودها بحجة انها موجودة فى مصر باسم السلطان او بموافقته ولمهمة مؤقتة ولذلك كانت تصدر العديد من تصريحات الجلاء التى يتسلى الوطنيون بتعدادها. وكانت الحركة الوطنية مضروبة متهافتة كأنها ضربت بصاروخ ذرى ! واكثر من فتك اليأس بهم، هم المثقفون من رجالات الثورة العرابية الا من عصم ربى ، ورفضوا ان يستسلموا للسلطة الجديدة مثل النديم فى مصر والعوام فى السودان ، اما الذين استسلموا فقد تسابقوا فى الترامى على اقدام المحتل يزاحمون اعيان البلاد والباشاوات . اما الخديو توفيق الذى بنى جده وابوه اول امبراطورية افريقية ووصلت جيوشهم حتى الاستانةوالمكسيك ، فقد قبل دور مهراجا هندى ، واصبح الوزراء اوقح من العملاء واذل من سياس اللورد . . وبعضهم يلتمس لضميره مخرجا بادعاء انه انما يستغيث بالمحتل ضد المستبد الخديو او السلطان وهؤلاء هم من اوعز لهم كرومر بتأليف حزب الامة عندما ظهر الحزب الوطنى بقيادة مصطفى كامل الذى نجح فى تفويق الامة من ضربة الاحتلال «وشهد تقرير للسفارة البريطانية بعد عشرين سنة انه حزب الزعيم الوطنى المصرى مصطفى كامل الذى سبب الكثير من المتاعب فى نهاية فترة اللورد كرومر وفى عهد السير الدون غورست فى مصر »[٨] كان مصطفى كامل يحاول بعث العنقاء من بين اكوام الرماد ، ولذلك اعتمد فى البداية على الرأى العام الدولى والطعن فى شرعية الاحتلال البريطانى استنادا الى ان مصر تابعة دوليا للسلطان . وقلنا ان ضعف الحركة

وسيطرة القانونيين عليها واستمرار الوهم بالقانون الدولى والتناقضات الاوربية كل هذا جعلهم يدفعون بعدم شرعية الوجود البريطانى فى مصر استنادا لحقوق صاحب البلاد الشرعى . . ولو خرج الانجليز وفكر السلطان ان يمارس حقوقه هذه لقاتله هؤلاء ، ولكن كما تشبث الفلسطينيون فترة بسلطة الملك حسين الشرعية فى معارضة الاحتلال الاسرائيلى او التمسك بالقرار ٢٤٢ وذلك عندما يتعذر الكفاح المسلح الذى يحسم الجدل ويضع الحق فى فوهة البندقية .

وهذه الفترة من تاريخ الاحتلال البريطانى لمصر يطلق عليها الكرومرية فى الوثائق البريطانية . ولكن بعد اعلان الاستقلال وتعذر الرجوع عنه او قل اقتناع بريطانيا بأنه لا حاجة ماسة للرجوع ، فكرت بريطانيا فى استمرار حكمها من خلال مؤسسات مصرية وليس عن طريق موظفين مصريين وكان اول تفكير هو ان يحكم البلاد برلمان متوازن بين الوفد والحزب الذى انشأوه لشق ثورة ١٩١٩ بأمل ان يمكنهم هذا البرلمان المتوازن من الوفديين والاحرار من موازنة وطنية او ديموقراطية الوفديين بارتباط الاحرار بهم واستعدادهم لتنفيذ كل ما يطلبه الانجليز .

ولم يكن الانجليز فى البداية يعلقون كبير امل على السراى والملك الذى لا يتمتع بأى شعبية ولا يحسن النطق بالعربية والذى خدم فى الجيش الايطالى ولم يخدم فى الجيش المصرى .

ولاشك ان قبول الانجليز اجراء انتخابات حرة وتشكيل المصريين حكومة تطلق فيها وبواسطتها ، يد الوزراءوكبار الموظفين فى نهب ثروات البلاد اى يصبح الحكم غنيمة ومغنما . . ومن ثم ينصرفون عن القضية الوطنية ويتكالبون على المنصب الحكومى ويشتد سعارهم فينهشون بعضهم بعضا ، لا شك انه كان قرارا صائبا للغاية مزق الحركة الوطنية وجعلها ترتد على نفسها وتغرق فى دوامة العجز والمهاترة بل ودفع العناصر الاكثر ثورية الى يأس الارهاب وكشف اقبح ما فى نفسيات امة متخلفة .

وجاء اكتساح الوفد للانتخابات مفاجأة للانجليز وبرزت لهم اهمية السراى كورقة

توت تغطى الاجـراءات التى لابد من اتخاذها ضـد الوفد ونفس الشئ عـن حزب الاحرار الدسـتوريين الذى امـرضت نتائج الانتخـابات قلبه ومـلأته سخيـمة على الشعب الذى انـزل بهم هزيمة ساحـقة وراح كل فـريق يحجم الكارثة او يوظفـها لحسـابه . الملك كان طـموحا فى ان يرتـبط بالاستـقلال والحكم الدسـتورى وان يطوى سعد زغلول تحت جناحه او على الاقل يقاسـمه السلطة وربما يستعين به فى استرداد بعض كرامة العرش المصرى الذى امتهنه الانجليز او يواجه به تهديداتهم له بعباس حلمى او غيره من قطيع الامراء المتربصين .

ولكن التجـربة لم تنجح لعدة اسـباب اولها الانجليـز الذين ما كـانوا ليسمـحوا بالوئام بين الـعرش والـبرلمان المـنتـخب، والكل يعـرف انهم قـادرون. وتتـابعت الاحداث لتـقنع الغافل والمتشكك انهم ايضـا غير راغبـين ، وكان اول دليل انهم رفضوا اعطاء سعد باشا اى تنازل حقيقـى فى قضية الاستقلال ، ومن ثم ضعفت المراهنة على الوفد من جانب العناصر الاكـثر ثورية فلجأوا للارهاب ، ومن جانب الانتهـازيين فراهنوا على السراى، بينمـا بقيت الاغلبيـة الساحقـة من الامة خلف الوفد تعرف انه البديل عن السراى والانجليز ، وان قهرها العجز وبطش السلطة .

وتحرك الانجليز للـدس بين الملك وسعد ونجحوا فى ذلك نجـاحا كبيـرا حتى اصبح الملك لا يطيق ان يسـمع اسم سعد ، وبلاشك نجح بعض الـوفديين فى استـفزاز الملك ، ولا يوجد ملك قـبل عن طيب خاطر ان يتنازل عن جمـيع سلطاته لمنافس من رعـيتـه ، خاصـة من كان مـثل فؤاد ، وهـو يعرف ضـعف هذا المنافس فى مواجهة القـوة الحقيقية التى تقـرر مصير البلاد .وكان عبـثا من الوفد ان يفكر فى ملكية دستورية تأتيه هبة من الانجليز الذين يحتلون البلاد!

واذا كـان الانجليز قـد عمـلوا على نسف الجسـر بين القـصر والوفـد ووضع السراى بشكل كامل تحت جناحـهم وخلق صيغة جديدة للعلاقـات فى مصر تدور حول العداء بين المؤسسة الملكية والحزب الشعـبى ستحكم للاسف السياسة المصرية خلال ربع القـرن التالى ، فـهم ايضا ما كـانوا ليقبلوا ان يـقعوا تحت رحـمة تمتع القصـر بمركز البديل الوحـيد. فالانجليـز يعلمون ان كل مؤسـسة لها استـقلاليتـها

الخاصة ولهـا شخصيتهـا بصرف النظر عن الفرد الذى يمثلهـا . وهذه المؤسسة اذا توفـرت لها الاسـتمـرارية والقدرة على ادعـاء شـرعيـة ذاتية تشكل خطرا اذا مـا اصبحت هى المزاحم الوحيد .ويعرفون ان العميل لن يستمر فى عمالته ويتدنى فيها الا إذا كان يشعر بوجـود البديل او على الاقل المهماز الذى يؤلم خاصـرته فيجعله يلهث فى ارضاء راكـبه ، وكان هذا المهـماز هو حزب الاحرار الدسـتوريين وهم بالطبع من الاقطاعيين ومن عائلات شديدة الثراء تسـتطيع ادعاء انهالا تهبط لمستوى الدهماء وأن الغوغاء لا يرتقون لفهم اهدافـهم ومن ثم لا ينتخبونهم وانهم يعملون لصـالح الشعب رغم انفـه وعن طريق الوصـاية . بل ويزعمـون انهم يزاحمـون القصـر وأن بعضـهم عرض عليه المُلك فـأبى وهى خرافـات ، كانت تروج لتـبرير تراميهم على اعتاب المستعمر.كان حزب الاحرار يعرف ان ظهره مسنود من الانجليز حتى لو اصطدم مع الملك حول مصالح شخصية وقضايا شكلية فهو يضرب الحركة الوطنية ويؤيد حق الملك فى حل البرلمان ولكن يعارضونه فى سعر ارض او صفقة ! ويكرمهم الانجليز فـيسمونهم اصحـاب المصالح الحقيقـة او المحافظين . . حزب الامة او الاحـرار الدسـتوريين وينعمـون عليهـم بالمراكز والغنائم بما يغنيـهم عن النهب الرخـيص المفـضـوح . ويعرفـهم تقـرير السـفـارة البريطانـية «الاحـرار الدسـتـوريون وهو ما يسمى بالحـزب المعتدل الذى كـان من الطبيعى ان ينتـمى اليه كبار ملاك الارض وكـبار السياسيين المصـريين لولا خشيتهم من ان يتهـمهم الوفد بالخيـانة وبرغم ان اعضاءه اثرياء ومؤثرون الا انه كـحزب سيئ التنظيم وبعـيد عن الناخبين»

وبعد اغتيال السردار وحل البرلمان وطرد الوفد من الحكم ثم حل البرلمان الثانى وقيام حكم يعتـمد على الملك وحزب الاحرار وعدد من الشخصـيات الحاقدة على الوفد لما انزله بها من هزيمة فى الانتخابات والراغبة فى الانتفاع او الانتقام ، وبعد ان كان رجالات حزب الامـة يخفون عار عمالتهم او عـملهم لحساب المحتل بأنهم يقاومون اسـتبداد السراى ويخشون الاسـتقلال خوفا من عودة تركـيا ولا يطلبون الجلاء قبل ضمان الدستور وسيادة القانون وشل سلطة القصر اصبح العملاء الجدد

يدعون انهم يقاومون استبداد الوفد وحماية البلاد من جهل الرعاع الذين يتبعونه ، وينطلقون من اخلاصهم لسيد البلاد صاحب العرش الجالس بدوره على سناكى جنود قصر الدوبارة واكتشفوا ان الدستور اكبر من الشعب وان البلاد تحتاج للانجليز والحكم المستبد حتى ترتقى وتتعلم وتكف عن انتخاب الوفد !ولما سئل عبد العزيز فهمى باشا قطب الحزب ما موقفهم لو صمم الملك على حل البرلمان المنتخب لثانى مرة رد قائلا :« كنت احسب ان الدستورمناسب لبلدنا ولكن تبين انه ثوب فضفاض ، وفى هذا الدستور حق مقرر لجلالة مولانا الملك وهو حل المجلس فى كل وقت متى اراد ومتى رأى فى ذلك مصلحة للبلاد واذا وضعت العراقيل فى طريقنا فلن نلتمس من صاحب الجلالة الملك الا يستعمل حقه المطلق فى حل المجلس »

وسياسة الانجليز هى كما يلخصها تقريرللورد اللنبى فى رسم خريطة المعركة لكسب الانتخابات ضد الوفد فقد ظل هذا حلم اللورد اللنبى الى ان اطاح تصميم الشعب باللورد نفسه عندما انتخب الوفد مرتين وبأغلبية كاسحة قضت على اية اوهام فى تصفية شعبية الوفد او ادعاء ديموقراطية حكومات السراى والانجليز بالترويع والرشوة وقليل من التزوير وسيتوب خلفاء اللنبى عن ذلك ويطلقون الدستوريين يحكمون البلاد بيد من حديديقول اللنبى فى تقريره « : يجب ان يدرك الملك ان عرشه معرض للخطر ويجب ان يطرح الملك جانبا اى افكار حول تعزيز شعبيته . . لابد ان يدرك الملك ان هذه فرصته الاخيرة واذا فشل زيور فلن يكون هناك متسع لملك فى مصر»

وتكتب صحف بريطانيا «إن الوفد يسير سيرا مطردا الى الجمهورية الصريحة» «إذا ربح زغلول فلن يكون مركز الملك مأمونا . . وفوز الوفد قد يؤول بأنه هزيمة للعرش والاسرة المالكة . .الاحرار الدستوريون يجب تحريكهم بشدة ؛ كما يجب اقناع ملاك الارض بالقيام بجولات انتخابية بين مستأجريهم. لابد من استئصال شأفة الزغلوليين او جعلهم بلا ضرر. يجب اقناع المسئولين بأن الحكومة يجب ان تكسب وانها عندما تكسب فالويل لاعدائها ، ولابد بشكل او اخر جعل عدد من

الصحف الوطنية تؤيد سياسة الحكومة فى التعاون مع بريطانيا العظمى واخيرا لابد من محاصرة الاعضاء المؤثرين فى عصابات المجرمين واذا كان ذلك مستحيلا فى ظل الدستور فعلى الملك ان يعلن حالة الطوارئ» ويقول اللنبى «ان هذه الدعوة للوحدة ضد الزغلولية لقيت استجابة فورية من حزب الاحرار الدستوريين الذى جرى استقبال زعمائه فى سراى عابدين للمرة الاولى خلال عامين »(٩)

ولكن الملك لا يرحب بادخالهم الحكومة فهو يعرف انهم ورقة انجليزية اولا وانهم عصا الانجليز فى تقويمه . ويقول تقرير بريطانى « ان الملك اراد اخراج الوفد لكى يستولى هو على السلطة وليس لكى يمنحها للاحرار الدستوريين(١٠)»

وجاء الخلاص فى كتاب الشيخ على اذ يستطيع الملك طرد الاحرار بتهمة معاداة الدين. . ويرى الدكتور الريس انها لم تكن قضية حرية فكر فالكتاب لم يصادر ابدا فى مصروطبع فى تلك السنة ثلاث مرات . . وانما كان قرار العلماء -كما قيل - متفقا مع طبيعة تشكيلهم وعقليتهم وايضا موعزا به من السراى لحسابات سياسية ضد الحزب وليس ضد الكتاب وهذه الاعتبارات هى التى شكلت موقف جميع القوى بصرف النظر عن الكتاب . . الملك يريد ان يستأثر بالحكم بطرد الاحرار الذين يزاحمونه على حجر الانجليز ولا يستطيع ان يطيح بهم الا اذا وصمهم بالكفر لكى يشل يد المندوب السامى البريطانى عن التدخل . .والاحرار يعرفون انهم فى حماية الانجليز ويتوقعون ان يناصروهم على الملك وربما لو كان المندوب السامى فى البلاد لفعل ولو استجابة لتوجيهات صحيفة التايمس ، ولكن كان الموجود هو قائم بالاعمال وهو لا يملك صلاحية لىّ يد الملك وحول قضية نجح القصر فى تأليب الازهر والعامة حولها . . والقوى الوطنية كانت تعرف انتهازية ووصولية ورجعية الاحرار الدستوريين و مع احتقارها للكتاب وجهل مؤلفه واعلانها ان الازهر لم يتخط صلاحياته وانها ليست قضية حرية فكر كما صرح سعد زغلول ، ولكنها مضروبة ايضا و تدرك اهداف الملك وترى فى الازمة فرصة لتجميع القوى ضد السراى واحراج الانجليزباتهامهم بمساندة « الرجعية » ضد حرية الفكر !

هذا ما تقـوله الوثائق التى نشرت ، ولكن هناك - كـما نعـرف -وثائق لا تنشر ابد الدهر ، وهى وثائق المخابرات البريطانية ، والتى كانت القـوة الحقيقية فى مثل هذه القضايا التى لا يصل اليها فهم بيروقراطى الخارجية والمستعمرات من الموظفين العلنيـين . . ولذلك يخطر ببـالنا ان رجال المخـابرات فى مصـر وقد لمسـوا تردى الوضع بعد ان حـول الملك بأمر الانجليـز الدستور والبـرلمان الى خرقـة بالية ومع الاهانة البـالغة للوطن كله بالانذار البـريطانى واختـيار اراجوز لرئـاسة الوزارة هو احمد زيور باشا ، وابعاد المصريين من السودان باذلال ، وضرب الحركة الوطنية هناك بوحشية ، والاسـتعداد لاقتطاع جغبوب من مصـر ومنحها لايطاليا . . ومع تصـاعد الكراهيـة للملك والاتجاه للارهاب ، فكر الانجلـيز فى اسـتغلال الكـتاب لإعطاء شعبية للملك ولو فى دوائر المتـدينين والترويج بأن الدستور والاحزاب انما تحارب الاسلام ولا حصن للاسلام الا السراى والعـرش .فظهر كتاب الشيخ لدعم الملك وليس لخذلانه !والله اعلم .

وهكذا استـغل الجميع الكتـاب لخدمة اهداف سـياسية وحـزبية لا علاقـة لها بموضوع الكتـاب فلا الانجليـز كانوا يريدون الخلافـة ولا الملك فؤاد كـان جادا او يعتقـد ان الانجليز يقبلونه خليفـة فضلا عن المسلمين . ولا الاحـرار الدستوريون كانوا ضد الخلافة بل لعله الحزب السياسى الوحيد الذى ايد الخلافة قبل وبعد ازمة الكتاب كما تسجل وثائقهم التى جمعها الاستاذ طارق البشرى .

وكذلك فإن ابرز الاعمال الفكرية لهذا الحزب بعد ثورة ١٩١٩ هى التى وضعها مثقفهم محمـد حسين هيكل وهى - كمـا استعرضهـا الدكتور الريس - تناقض كتـاب الشيخ حرفا حـرفا . . وتعتبـر من المراجع فى الدفاع عن الدولة الاسلامية والخلافة وحرب الردة وكل ما حاول الشيخ على تشويهه ودفع الحزب ثمنه فـى عام ١٩٢٥فهـيكل يطنب فى تفرد الاسـلام بأنه دين ودنيا ويعجب بطريقة بيعـة ابى بكر ويراها نموذجا فذا فى الديموقراطية لا تـتفوق عليها فى الحرية عملية انتخاب رئيس جمهـورية فرنسا او امريكا فهى حكومة شورى فى منشـئهـا وفى نزعـتهـا .اما حـروب الردة التى عـابها الشـيخ على اسـوة بصغـار

المستشرقين ويعلك كلامه الآن ساقطو الهمة من المتقممين لافكار الشيخ فإن هيكل يشبهها بغزوة بدر ولا اظنه بالغ . . فما كان تأثير قرار ابى بكر بمحاربة المرتدين على مستقبل الاسلام بأقل شأنا من غزوة بدر، ويقول هيكل «ولم يرد ابوبكر بانه خليفة رسول الله الا انه خلفه صلى الله عليه وسلم على قيادة المسلمين وسياسة امورهم اما ما اختص الله به رسوله فيما وراء ذلك فلم يدر بخاطر الصديق انه خليفة فيه . . فمحمد هو خاتم النبيين » . ويقول ان النبى بدأ بالهجرة للمدينة الطور السياسى فى حياة الاسلام الذى لم يسبقه اليه احد من الانبياء والرسل فقد كان عيسى وكان موسى ومن سبقهما من الانبياء يقفون عند الدعوة الدينية يبلغونها للناس عن طريق الجدل والمعجزة ثم يتركون لمن بعدهم من الساسة وذوى السلطان ان ينشروا هذه الدعوة أما محمد فقد أراد الله أن يتم نشر الاسلام على يديه وان يكون الرسول والسياسى والمجاهد والفاتح »

واخيرا فإن اخر بيان للمتحدث باسم الحزب فى موضوع الخلافة هو خطاب الشيخ بين يدى الفاروق الذى قدمنا لك بعضه .

اما ان الشيخ لم يتراجع ، فنحن لا نستطيع ان نكذب اهله فى ذلك فلعل السفير اعلم بحقيقة نواياه وسريرته اما فى علانيته فقد قبل المناصب من الملك فاروق وعمل وزيرا فى حكومات الاقلية والارهاب وألقى المعلقات فى مدح المالكين كما ان الدكتور عماره والدكتور الريس اثبتا تراجع الشيخ فى مذكراته الدفاعية واحاديثه الصحفية كما نسجل عودة الشيخ للتأليف التقليدى كما فى كتاب الاجماع .

ويشكك المؤرخون فى جدية سعى الملك فؤاد للخلافة وقد روى شفيق باشا ان سعد زغلول عرض على الملك فؤاد خطاب الامير عمر طوسون الذى يسأل عن رأى الحكومة فى عقد مؤتمر الخلافة فى القاهرة فرد الملك كيف اقوم بالواجب نحو المسلمين مع ان حملى ثقيل بالنسبة لمصر وحدها » ص٦٨

وفى اعتقادنا ان الحركة لم تكن فى البداية من جانب الملك ولا السراى وانما مع التطورات فى الحجاز واعلان الملك حسين نفسه خليفة خشى المسلمون فى

العالم كله ان تنصب لهم بريطانيا طرطورا مثل الشـريف حسين فنشأت فكرة مؤتمر للخلافة وخـاصة عندما فرض السعـوديون الحصار على الحجـاز وبدء سقوط دولة الهاشمـيين وتحركت السراى ولم يعارض المـلك فؤاد فقد كان يمـر بأحلك فترات شعبيته بل وشعبـية النظام الملكى بعد ان اطاح بالبرلمان والدستور واطاح له الانجليز بالحكومة الدستورية المنتخبـة . . ولم يكن معه فى الحكم الا حزبه الملاكى وحزب الانجليز الاحرار الدستوريين الذى فـرضه عليه الانجليز فى الوزارة ، ورغم تهافت الحزب فـى تأييد الملك الا ان فـؤاد كان يعلم انه ليس سـيده الحـقيـقى بل قـصر الدوبارة لذلك كان يتربص به الدوائر. ويتحدث تقرير للسفارة البريطانية « ان الملك يعبئ نفوذه كله لسحق حزبى الوفد والاحرار الدستوريين» (محسن محمد ص٩٠)

ولم يكن هناك احتمال واحد فى المليون لمبايعة فؤاد خليفة ، فقد ثار الايرانيون والهنود لمجرد ان السلطان عـبد العزيز طلب من الملك فؤاد ان يوجـه الدعوة لمؤتمر الحجـاز وقالوا ان فؤاد ليـس ملكا مستـقلا . . وكان الاتفـاق على ان تكون دولة الخلافة او الخليفة فى بلد مسـتقل اى واحدة من اثنتين السعودية او ايران . . ومما هو جدير بالملاحظة ان ايران رغم المذهب الشيعى كانت حـاضرة فى قضية الخلافة مع السنة !

ومما لا يذكر عادة من تاريخ الشـيخ هو انه فى اواخر حياته الف كتابا فـقهيا لا يشار اليه ولا ينشر عـادة وهو كتاب «الاجماع فى الشريعة الاسـلامية »الصادر عن دار الفكر العـربى فى فبـراير ١٩٤٧ وقد حـصلنا على نسـخة من مكتـبة المجـمع اللغوى وهو كتاب ازهرى الفـه الشيخ لطلبة الجامعة ورأيه فيـه يكاد يكون معدوما وانما هو حشد لاراء الفـقهاء الذى مع والذى ضد وربما تكون اهميتـه الوحيدة انه يصلح مادة مهمة لخبراء الاساليب فسيجدون فارقا مدهشا بين اسلوب وليس فقط تفكير الشـيخ على فى كتـابه الاول عن الحكم فى الاسلام وكتـابه هذا مما يوحى للدارس انهمـا كتابان لشـخصين ويعـزز اتهام معاصـريه والدكتور ضـياء الريس ان الكتاب الاول هو من املاء مـستشرق درجـة ثالثة ، ولعلنا نعيد طبع الكتـابين معا لينشط المحققون فى هذا الامر! (١١)

كتاب الخطأ الكامل !

والاكثر غرابة في كتاب الشيخ ان الذين يشيدون به قل ان يستشهدوا بما جاء فيه او يحددوا ماذا اضاف للفكر، أو حتى تواتيهم الجرأة ليقولوا بالضبط ما هى القضية التى اثارت المسلمين واسقطت الكتاب فى عيون المثقفين ، وانما الحديث يدور حول الدور التاريخى والقنبلة والعاصفة . .وليس لذلك من سبب الا ضحالة المادة التى فى الكتاب وانه فعلا اشبه بالمنشور السياسى منه بالبحث العلمى او كما قال سعد زغلول عن الشيخ « لقد عرفت انه جاهل بقواعد دينه بل بالبسيط من نظرياته »ويقول الدكتورمحمد ضياء الدين الريس « اذا نظرنا للكتاب من الناحية العلمية فإننا نجده مليئا بالاخطاء او هو دون مبالغة مجموعة من الاخطاء من اول سطر فى الكتاب فهو يقول «الخلافة لغة مصدر تخلف فلان فلانا اذا تأخر عنه » فهذا خطأ ظاهر لا يقع فيه العربى غير المتعلم فمصدر تخلف هو التخلف اما الخلافة فمصدره خلف، ولا يحتاج فى هذا للرجوع الى قاموس فنحن نقول تخلف تخلفا ولكن نقول خلف خلافة » (والطريف انهم عندما قرروا تكريم الشيخ فى عهد فاروق وانهالوا عليه بالمناصب عينوه فى المجمع اللغوى ايضا !)

واذا كان الدكتور الريس قد فند فكرة الكتاب وما كتب فى الترويج عنه فقد بدأ بهذه الاخطاء التى قد تعد شكلية ولكنها تكشف جهل مؤلفه مثل قوله « اراد المؤلف ان يبين انه اطلع على نظريات المفكرين الاوربيين فى السياسة والدولة فوقع فى خطأ كبير اذ قال ان مذهب هوبز هو« ان سلطان الملوك مقدس وحقهم سماوى » فبرهن بذلك على انه يجهل نظرية هوبز لان نظريته هى عكس هذا تماما وانما تقوم على فكرة العقد بين الناس والحاكم فهى التى حطمت فكرة الحق الالهى او المقدس للملوك . . فظهر اذن ان الشيخ عبد الرازق لم يعرف نظرية هوبز او فهمها بالعكس واراد ان يوهم من لا يعرفون اللغات الاجنبية انه عالم . . »

«الاسلام والخلافة فى العصر الحديث د. محمد ضياء الدين الريس»

وما قاله الشيخ على بعد ان استعرض ما زعم أنه مذهب فى الفكر الاسلامى

يقـول ان استـمداد الخليـفة لسلطـانه من الله تعالى (ص٩) عـاد فقـال فى هامش ص١١ إن هذا المذهب «يكون موافـقا لما اشتهر به الفـيلسوف هوبز من ان سلطان الملوك مقدس وحقهم سماوى. أمـا المذهب الثانى الذى قال ان الامة هى مصدر سلطة الملك فـهو اشبـه بمذهب الفيلسوف لوك» ووضع فى الـهامش تعريفـا يقول تومس هبزTHOMAS HOBBES ولد سنة ١٥٨٨راجع كـتـاب A STU-DENT'S HISTORY OF PHILOSOPHY,BY ARTHUR KENYON ROGER P242-250

ونحن بالطبع درسنا هوبز فى المدرسة والجامعة وشكونا مع الدكتور الريس انهم يدرسـون لنا مفـكرى الغرب بينمـا لا نعلم شـيـئا عن تاريخ الفكـر السيـاسى فى الاسـلام، مع ان لا هوبز ولا كمـبـرلند ولا لوك ولا روسو يـصلون الى مرتبـة الماوردى فضلا عن ابن خلدون، ونحن نعرف بل نحفظ ان هوبز هو الذى وضع فى الفكر الغربى فكرة العقد او البيعة البـشرية التى يستمد منها الملك او الحاكم او السلطة التنفيذية الشرعية ،وهى استبعاد فكرة التفويض الالهى، وانما العقد الذى تمنحه الجماعـة لفرد او جمعية تصـبح الجماعة بموجبه ملزمـة الطاعة لهؤلاء الذين انتخبتهم، ويعتبر قرار هذا الفرد او الجمعية كأنه قرار كل منهم او كما يقول الفقهاء الطاعة فى المنشط والمكره ، فهو وإن كان من اشد انصار الملكية المطلقة الا انه وقد شاهد اعدام الملك شارل الاول كان فى الحقـيقة اول مفكر فى الغرب نقض فكرة الحق الالهى ووضع بدلا منهـا فكرة التفويض البـشرى او العقـد الذى تطور حتى وصل لفكرة العقد الاجـتماعى عند روسو .ونقل كتاب عظماء مـفكرى العالم ما نقل عن هوبز او لخص نظريته « فـعندما تتفق جماعـة من الناس ويتعاهدون على انه اذا اقرت غالبيـتهم تفويض رجل او جمعية من الرجال بتـمثيلهم فان كل الذين صوتوا له او ضده سـيقرون كل اعمال واحكام هذا الرجل او هذه المجـموعة من الرجال بنـفس الطريقة كمـا لو كانت قـرارات كل فرد منهم لتـوفير السـلام بينهم وحمايتهم من بعضهم البعض . . ويؤكد هوبز ان ليس لأحد ان يدعى تفويضا من الله، وهو ما لا يحق لأحد الا رسل الله ولكن ادعاء التفويض الالهى هو محض

كذب حتى فى سريرة من يدعيه. ويقول هوبز ان السيادة تتحقق اما بقهر فرد للجماعة واخضاعها لارادته او تفويض الجماعة لفرد او جماعة من الرجال طواعية ليحميهم ضد كل الآخرين»

ولا يقر هوبز مبدأ أقلنى بيعتى فهو يرى ان «التفويض لمرة واحدة ولا رجعة فيه فلا يحق لللأمة إلغاء النظام الملكى او الخروج عليه ولا حتى اختيار ملك اخر بل ان الجماعة مطالبة بمقاتلة من ينشق عن طاعة هذا الملك وعلى نفسه جنى وعلى نفسه حكم بالعقوبة التى ينزلها به السلطان . وهذا السلطان لا يمكن تحويل سلطته لشخص اخر دون موافقته ولا يجوز اتهامه من قبل رعاياه بالظلم ولا يمكن ان يعاقبوه وهو الحكم الفصل فيما هو ضرورى لحفظ السلام والحكم فى الشرائع والعقائد وهو المشرع الاوحد» «قارن هذا بقول الفقهاء الذين استنكروا قتل عثمان بأنه كان الواجب عليهم اذا اتهموه ان يحاكموه فإن ادانوه اجبروه على خلع نفسه» ويقول كتاب تاريخ الشعب الانجليزى «ان دعوة توماس هوبز هى التى وضعت اساس سلطة البرلمان»

ولا يصعب اكتشاف تأثر هوبز بالفكر الاسلامى حول البيعة وإلزامها لمن حضر ومن لم يحضر ومن اقر ومن عارض وفكرة اهل الحل والعقد « اى مجموعة من الرجال مهما كانوا » ص٤٢١ وبتلخيص شديد اذ ليس لنا من هدف فى هذه المساحة اكثر من الفصل فى اتهام الريس للشيخ على بالجهل نقول ان هوبزتأثر بفقهاء عصور التخلف فى حضارتنا الاسلامية ولذلك اخذ بفكرة الامة مصدر السلطة وفى نفس الوقت «سلطان جائر خير من فتنة هوجاء » وان كان قد أعطى الملوك سلطة لم يحلم بها خليفة ولا سلطان ولا جنكيزخان، إلا أنه رفض فكرة التفويض الالهى او الحق الالهى للملوك باعلان انه ما من بشر يتعاقد مع الله الا رسله، وان السلطة هى للجماعة التى تنقلها طواعية لفرد او جماعة لتحميها من العدو ومن بأسها، فيما بينها وهذا التفويض يتم مرة وتنشأ عنه سلطة مطلقة لا تحاسب ولا تعاقب . .

وهو بعكس ابن خلدون يرى ان الانسان عدوانى بطبعه ولو ترك الناس فوضى

لا سراة لهم لتقاتلوا واعتدوا بعـضهم على بعض، بحيث لا يأمن احد على حياته ولا ماله ولا قام عمران ولا فن ولا تجارة ولا صناعة وهكذا تبين للناس ان انانيتهم يمكن ان تستفيد اكثـر فى ظل الحكومة ولذلك تعاهد كل الرجال على احترام حق كل منهم للآخـر، وتحـقـيق ذلك من خـلال خلق سلطة يكون لهـا من القـوة او الغلبة ما يضمن فرض ارادتها على الكافـة وحملهم على الطاعة. ويقول كأنه ينقل من الفقهاء او ابن خلدون ان هذا العهد او العقد او التفويض لا قيمة له بغير عصا الغلب لأن العقـد بدون السيف هو مجـرد شقشقـة لسان ولا قوة له على حـماية الانسان . وهو يؤصل مفهوم الدولة الاوربية الـتى قامت على احادية الدين فيقول ان الحق والاخلاق من صنع الدولة ولذلك فالدين هومن اختصاص الدولة والأمة يجب أن تعبد الله بطريقـة واحدة. فهو لا يقر تعدد الاديان ولا حريـة العقيدة بل الدين عنده لا يعـتنق بالعقل بـل بأوامر الدولة والملك يحـمل وزره لأنه هو الذى يلزمك بالديـن المعـين وإن كـان هوبز قـد اباح الايمـان فى القلب مـا لم يصـرح فالسلطان عنده سـواء اكان ملكا او جمعيـة هى سلطة مطلقة وعصيـانها او الثورة عليهـا بغى فى جميع الحـالات فلا شئ يعفى الرعيـة من واجب الطاعة . فالعـقد ليس بين الحاكم والـناس حتى يمكن القول بان الحـاكم اخل به بل هو بين الناس انفسهم، والحـاكم ليس طرفا فيه، ولذا فـما من تصرف من جانب الحـاكم يفسخ العقد او يبرر الخروج عن الطاعة . ولا يمكن تبرير الثورة شرعا لان السلطان هو مصدر الشـرعيةولا يقبل التعلل بالحق الطبـيعى للرعية مثل حق الحـياة والحرية او الملكيـة لأن مجـرد وجـود السلطان يعنى ان الرعـية تنـازلوا عن ذلك كله بمحض ارادتهم . ولا يمكن وصف اى عـمل يقوم به السلطان بأنه ظلم لانه انما يتـصرف بموجب السلـطة التى اعطاها له الشـعـب ولذا فـالشكوى منه تعنـى الشكوى من نفسك فـالتابع الذى يعصى السلطان هو نفـسه الذى جرم العصـيان ! بل يصل فى تبرير استبداد السلطان الى ما لم يصل اليه اى فقيـه مهما كان نفاقه اذ يستغرب ان يقال ان الملك غصب اموال الناس واملاكـهم لأن حقوق الناس وملكيتهم هى ازاء بعضهم البعض ولكنهم تنازلوا عن حقوق الملكيـة للملك . . او قل بلهجة الفقهاء

فهو فى مـاله حكم ومن حكم فى ماله فما ظلم ! ويقـول انه لا يمكن عزل الملك والا عادت الفوضى ، واى ظلم من جانب السلطان اهون من الفتنة .

على اية حـال ورغم تأييده للملكيــة المطلقة الا انه نقض الحق الالهى وجـعل الامة مصدر الشرعية ولو مرة واحـدة وهو ما انكره عليه لوك بعد ذلك اما ريتشار كمـبرلاند فعـارض هوبز حول طبـيعة الانسـان واخذ بقول ابـن خلدون انه مدنى بالطبع .

اقول رغم معـرفتنا ذلك كله وكتابتنـا فيه من ربع قرن او يزيد فنحن لا نتـحيز وقد خطر ببـالى ان الشيخ صـادق ولو كان مخطئـا وانه قرأ الكتـاب المذكور الذى اورد اسمه بالانجليزية وربما يكون مؤلف الكتـاب قد جهل وتسبب فى خطأ الشيخ على وقـد امرنا بـالتثـبت وقـامت حضـارتنا على التـحـقق ، فذهبنـا الى مكتبـة الكونغـرس وطلبنا الكتاب المذكـور وعرفنا انه قـد صدرت الطبعـة الاولى منه فى سبتـمبر عام ١٩٠١وظل تصـدر منه طبعة على الاقل كل عـام حتى ١٩٣٢ فطلبنا النسخ الموجودة فـقالوا انه لا توجـد الا طبعة ١٩٠٧ و١٩٢٦ و١٩٣٢ فـقلنا انها تفى بالمطلوب وزيادة ورجـعنا اليهـا وصورنا ما ورد فـيهـا من صفحـات عن هوبز والمؤلف هو من ذكر الشيخ وعلمنا انه كان استاذا للفلسفة فى جامعة ييل وما ورد فيه هو عين ما ذكرناه ، وللشيخ على عـذره فلم يثبت اتقانه للانجليزية لدرجة فهم هوبز ، وبالطبع ان المتنورين الجـدد اشد جهلا واكـثر تزييفـا من المتنورين القدامى فقـد اعادوا فى عام ١٩٩٣ نشـر خطأ الشيخ الفـادح العديم الثقـافة الاجنبـية فى ١٩٢٥ فلا دافعوا عن الشيخ ولا وضعـوا هامشا ينبه البؤساء الذين ارادوا تنويرهـم والذين حـرموهم من قـراءة هوبز ! اما نحن فـلا كـراسى لدينا، ولذلك نتحـقق وندقق. ونحن لا نسرف فى لوم الناشرين واستهـتارهم بعملهم فهم لا يميزون بين كلام الشيــخ على وكلام الله سبحـانه وتعالى فقد وضـعوا رقما فوق كـلام الشيخ على وقالوا سورة الاسـراء (ص ٥٩) !! هؤلاء من يتولون تنويرنا بزيت الديزل او الشلجم ! انسـتغـرب ان يتطاولوا على الامام الشـافعى ويعـيدوا تسنينه لينـسجم الواقع والتاريخ مع النظرية وليس العكس !

ويسجل الدكتور الريس من جهالات الشيخ : « اراد الشيخ على ان يبين من هو الاصم (الذى ينسب اليه قوله ان الناس قد لا يحتاجون لخليفة ج) فكتب فى الهامش ص١٢ هذا التعليق :

٢- حاتم الاصم الزاهد المشهور البلخى توفى سنة ٢٣٧ هـ ابو الفداء ج٢ص٣٨

وهذا غلط لا شك فيه فحاتم الاصم الزاهد البلخى لا شان له بالاعتزال ولا بالمعتزلة ولا بالخلافة اما الاصم المعتزل المراد هنا فاسمه ابو بكر عبد الرحمن بن كيسان الاصم وهو من كبار المعتزلة وكان يعيش فى عصر الرشيد والمأمون واقامته فى البصرة وقد ذكره المرتضى فى طبقات المعتزلة وعده من رجال الطبقة السادسة اى من طبقة ابى الهذيل والنظام »ص٢٤٠ «ومرة اخرى فإن المتنورين الجدد نشروا الهامش كما هو لا ردوا على الريس ولا صححوا عبد الرازق !»

وقبل الريس قال الامام الشيخ الخضر حسين :لو ان مؤلفا على سبيل المزاح راهن انه يستطيع تأليف كتاب لا يرد فيه صواب قط لما نجح فى ذلك نجاح الشيخ على !

و قال امين الرافعى : «لم يقع فى نفوسنا موقع الاستغراب إقدام الشيخ على عبد الرازق على اصدار هذا الكتاب لأننا نعرف عنه فى كل حياته ضعفا فى تحصيل العلوم»

ويقطع الدكتور عصمت سيف الدولة «بأن الاهتمام بالكتاب لا يرجع لأصالة مادته او عمق بحثه او سلامة منهجه ومن يرجع اليه تدهشه لا شك ضآلة الأصالة الفكرية فيه وضحالة المادة التى عرضها وغياب نتاج البحث الى حد العدم، فهو من حيث المضمون العلمى او الفقهى افرغ من فؤاد ام موسى كما وصفه استاذنا الفقيه الدستورى عبد الحميد متولى فى كتابه الشريعة الاسلامية كمصدر اساسى للدستور» ويضيف ان الشيخ « كان محدود الثقافة جدا عندما تخرج من الازهرعام ١٩١٢ وسافر لبريطانيا عاما ثم التحق باكسفورد لدراسة الاقتصاد والعلوم السياسية ثم قطع دراسته بسبب الحرب ورجع وهو يجهل جهلا يكاد يكون

تاما بأصول الحكم » وبعد ان يثبت الدكتور عصمت سيف الدولة جهل الشيخ على بما تعرض له من قضايا اصول الحكم والدولة وانه لا يعرف الفرق بين النظام السياسى والنظم الادارية ولا بين القضاء والاجراءات القضائية وانه لسخفه راح يقيس دولة او حكومة المدينة على نظم لم تعرفها البشرية الا بعد عشرة قرون. وخلص الى القول : « نقول على الارجح ولا نقطع اذ يبدو لنا من كتاب الاسلام واصول الحكم انه قد انشئ من اجل الوصول الى غاية محددة من قبل ولم يكن اجتهادا فقهيا او علميا مجردا من بواعث مؤلفه الخاصة ، فراح ينتقى ما يتفق مع قصده المبيت ويتجاهل ما كان مفروضا عليه ان لا يتجاهله لو كان يسعى الى مجرد الحقيقة». ويقول ان الشيخ لو درس موضوعه «لعرف ان المسلمين عندما انشأوا الخلافة قد سبقوا البشرية بقرون طويلة فى علم السياسة وان دولتهم سبقت باقرار مبدأ دولة القانون عندما جعلت الجميع يخضعون لحكم القرآن وأن إقرارهم المساواة هو ما يسمى الآن سيادة القانون وان اسناد سلطة الخليفة الى سلطة الامة هو ما يسمى الآن الامة مصدر السلطات . . ولكن الشيخ لم يناقش هذه المبادئ الثابتة فى سلوك مؤسسى الحضارة الاسلامية وانما راح يناقش زعما بأن الخليفة هو خليفة الله ولا حجة له الا نفاق شاعر او ادعاء حاكم ويقول ان كتاب الشيخ قد نجح فى نفى ما لم يثبت قط (ان الخلافة ليست منصبا دينيا)وأدان نظاما للحكم كان التاريخ قد تخطاه وجرد الخلفاء من سلطات لم تكن لهم منذ القرن التاسع الميلادى. ص ٢٥٤

ولا ينافس المؤلف فى جهله الا الذين يشيدون بكتابه وخاصة عند العامة من الخواجات أو المتخوجين وهم من النصابين الذين لا يعرفون شيئا لا عن مصر ولا عن الكتاب وقد وقع فى يدى كتاب بعنوان «الحكومة والسياسة فى الاسلام » لطارق اسماعيل بالاشتراك مع واحدة لا ادرى ان كانت اخته او امه او زوجته اسمها "جاكلين اسماعيل "مطبعة سانت مارتن نيويورك ١٩٨٥يقول ان الشيخ «عندما نشر كتابه كان سلطان مصر يحاول ان يخلع على نفسه لقب الخلافة ومعارضة عبدالرازق ذلك اثار عاصفة من المسلمين التقليديين اخرجته من الحياة

السياسية « لم يشر لدخوله من اوسع الابواب باب الوزارة ، رغم ان الكتاب منشور بعد اربعين سنة من الدخول ج » ويتابع ابو جاكلين تعليمنا فيقول: «ورغم ذلك فقد كان لعبد الرازق تأثيره الواضح على الفكر الاسلامى الحديث فسقطت فكرة الخلافة عند الكثير من المفكرين لصالح حكومة ديموقراطية اسلامية وهذا الموقف عبر عنه امثال عبد الحميد بن باديس فى الجزائر و عبد الرازق السنهورى وحسن البنا وعبد القادر عوده وعبد الرحمن البزاز فى العراق وعلال الفاسى فى مراكش ! »

لم يكن فى مصر سلطان ايام صدور الكتاب بل ملك اما هذه الخلطة التى تجمع حسن البنا مع السنهورى والبزاز ثم تزعم أن كتاب الشيخ غير فكر هؤلاء فهى جديرة بالسلطان ابو العلا !

والغالبية العظمى من الذين دافعوا عن الشيخ تعمدوا اخفاء جوهر الكتاب وهو ان الاسلام دين فقط مثل المسيحية وان محمدا مثل المسيح ما حكم ولا ينبغى له!

بل كلهم يبدون دهشتهم للحملة على الشيخ لمجرد انه قال ان الخلافة ليست من اصول الدين !!

كلهم من عبد العزيز فهمى باشا الى الجالس على الكرسى .

فالباشا الذى قال ان الدستور اكبر من الشعب المصرى وأيد الغاءه قال: «وأخص ما ارادوا بناء التهمة عليه ما قد يظهر من عبارات الكتاب من ان الاسلام دين نظرى لكن هذا الفهم الذى فهمه متهمو الشيخ غير وارد بتاتا فى الكتاب لأن الاسلام مادام دينا ومادامت اصوله مقررة من عند الله فبالنظر فيه لا يمكن بوجه من الوجوه ان يكون له معنى الا اذا صار العمل على مقتضاه »

وقال الجالس على الكرسى : « لأن الكتاب كان قاطع الدلالة فى ان الاسلام لم يقرر نظاما معينا للحكومة بل ترك للمسلمين الحرية فى تنظيم الدولة »

وفى ردالاستاذ ممدوح عبدالرازق يقول ان صيحة الشيخ على هى انه لاشئ فى الدين يمنع المسلمين ان يسابقوا الأمم الاخرى فى علوم الاجتماع والسياسة وان يهدموا النظام العتيق الذى ذلوا له واستكانوا له »

واول دفاع عن الشيخ الذى نشر فى جريدة السياسة لجأ للتزوير واخفاء جوهر دعوة الكتاب فقد قالت «السياسة» شاكية « كان اهل السنة ومازالوا يرون ان الخلافة ليست ركنا من اركان الدين . . فلما قلت للناس فى كتابك ما اجمع عليه اهل السنة غضب عليك اهل الازهر . . !»

بينما القضية كما طرحها الشيخ نفسه بوضوح وصراحة وبالحرف هى : « هل كان النبى صاحب دولة سياسية ورئيس حكومة كما كان رسول دعوة دينية وزعيم وحدة دينية . . ام لا » ص٤٧

وهذا عين ما فهمه ولى الامر ومن يعنيه الامر ممثل سلطة الاحتلال البريطانى او القائم باعمال المندوب السامى كما كان يسمى عندما كتب لحكومته فى لندن يزكى كتاب الشيخ ويلتمس حمايته لأنه « من اتباع الشيخ محمد عبده الذى كان صديقا للورد كرومر ويتمتع بحمايته » ولأنه «رجل شجاع هذا الذى يزعم فى الاسلام اليوم ان مملكة النبى لم تكن فى هذا العالم »(١٢)

فليتمتع انصار الشيخ بشجاعته التى يمتدحها ممثل الاحتلال ، ويعترفوا ان هذه هى القضية : هل مملكة محمد صلوات الله عليه فى هذه الارض ام فى العالم الآخر؟! وكفى نفاقا وادعاء ان الخلاف حول اعادة الخلافة وبيت المال وركوب الناقة وعدد درجات المنبر.

أما القول بأن الشيخ على اول من أثبت ان الاسلام لا يمنع المسلمين من التقدم وهدم الخلافة فقول غير صحيح لأن الكتاب فى زعمهم صدر بعد الغاء الخلافة فعلا ! فهو هدم المهدوم ! وكان المسلمون فى جميع الاقطار الاسلامية قد ايدوا الثورة على السلطان او الخليفة فى عام ١٩٠٨ ووافقوا على تجريده من السلطات ثم خلعه ١٩٠٩ورحبوا بقيام الحكومة الدستورية التى تستمد شرعيتها من الانتخابات والبرلمان ، وهذه الثورة والفرحة بها حدثت قبل كتاب الشيخ ب١٧ سنة فلم يكن المسلمون بحاجة لمن يعرفهم مشروعية الحكم الديموقراطى بل لمن ينتزعه لهم من الاستعمار البريطانى والفرنسى والروسى . .

واثبات ان الدين لا يتعارض مع التقدم ، قضية تصدى لتأكيدها علماء الاسلام

فى العصر الحديث منذ رفاعة الطهطاوى والافغانى ومحمد عبده . . الخ وكانوا يتصدون فيها او يحاورون الصليبيين وليس المسلمين ، مستندين الى ملايين الصفحات التى كتبها السلف عن الاخذ بالاسباب . وما قاله الشيخ يفضى الى الاقتناع بأن ليس للمسلمين شأن لا بالسياسة ولا الاجتماع فهذه قضايا لا من الدين ولا يحسن دينيا بالمسلم ان يهتم بها فضلا عن ان يتقدم فيها . . والمسيحيون الذين آمنوا بمملكة المسيح التى ليست فى هذا العالم ترجموا فهمهم بالرهبنة او الجلوس على قمة عمود مدى الحياة اعتزالا لهذا العالم وما فيه ، ومادام هندرسون نفسه فهم دعوة الشيخ كذلك وكتب بذلك لحكومة بريطانيا العظمى فدعوة الشيخ لو اخذ بهاالمسلمون تعنى انسحابهم من هذا العالم وليس التقدم فيه !

فلماذا يزور المتاجرون بالشيخ على وكتابه القضية ويزعمون انه انما اراد ان يثبت ان الخلافة هى التى ليست من الاسلام ؟ !

لأنه يستحيل إلا فى غـرزة أو السجن الحربى اقناع او اثبات ان النبى لم يقم دولة وان الاسلام ليس دينا ودولة . لذلك هم يدعون ان المعركة هى لاثبات ان شكل الخلافة لم يرد فى القرآن والسنة ! وهى قضية كما قلنا لا وجود لها لأن هذا هو رأى السنة منذ وفاة النبى الى اليوم . وكما قلنا ان اجماع المسلمين السنة منذ السقيفة هو على ان الخلافة ليست من اركان الدين بل هو نظام سياسى اخترعه المسلمون بعد وفاة النبى . . فإن كان هذا هو موضوع كتاب الشيخ فلا جديد جاء به يغضب منه او يحتفى به . وانما الخلاف هو: هل الحكم. . هل الدولة . . هل السلطة . . قضية اسلامية ام لا ؟

هل كان محمد نبيا وحاكما ام لا . . ؟

هل كان محمدا مثل المسيح مبشرا بمملكة فى العالم الآخر أم بنى دولة المسلمين؟ أو مثل يوسف يقبل ان يعمل فى دولة فرعون ام ان السلطة قضية اساسية فى الاسلام ؟! هذه هى القضية التى عرفها الحاكم البريطانى لمصر وكتب بها تقريره لحكومته. وبهذه المناسبة فإن الدكتور الريس يعتقد ان الكتاب هو من منشورات المخابرات البريطانية وليس من تأليف الشيخ الذى قد يكون ترجمه

واضاف اليه ولكن لم يؤلفه ، ويستدل ضمن ما يستدل به ، على ان الشيخ يتكلم عن المسلمين بضمير الغائب وكأنه ليس منهم. ويشير الدكتور الريس الى ان المؤلف الحقيقى هو المستشرق البريطانى توماس ارنولد بينما يشير اخرون الى ان الشيخ نقل فقط كتابات توماس ارنولد .

وبالنسبة لدليل الاول او القرينة الاولى نجد فعلا فى كتاب الشيخ على ما يثير الدهشة ان يتحدث مسلم بهذا الاسلوب . . «الخليفة عندهم » يقصد المسلمين!ومثل قوله :« ان الكتاب الكريم « تنزه » عن ذكر الخلافة وان السنة النبوية « اهملتها » ص ٣٣ ومثل قوله انه تعذر عليه ان يعرف نظام القضاء فى عهد النبى « ان كان له نظام » ص٤٠

ليس هكذا يتكلم قاضى شرعى عن نظام القضاءاى نظام فضلا عن ان يكون قضاء رسول الله !

ومثل وصفه النبى بالملك وقوله « وما عرفنا فى تاريخ الرسل رجلا حمل الناس على الايمان بالله بحد السيف » ولذا فالجهاد الذى قام به النبى نفسه لم يكن فى سبيل الله بل « كان فى سبيل الملك ولتكوين الحكومة الاسلامية » ص٥٣[(١٣)] ووصفه التشريعات الاسلامية هكذا «ولا تجد فيما جاء به من شرائع حكما يرجع الا الى المبادئ الامية الساذجة» ص٦٠وتحديه من يثبت ان « محمدا قام بدعوة لدين جديد » ص٥٦

ولوشئنا ان نعدد سوء تعبير الشيخ على وبعد اسلوبه عن ان يكون صادرا من مسلم يخاطب بنى دينه او قومه لطال المجال وان كان سيرد فى حينه انما تكفينا هنا كلمة زعيم الامة ومؤسس الدولة العلمانية وابو الحكومة الدستورية سعد زغلول الذى قال : « كيف يكتب عالم دينى بهذا الاسلوب فى مثل هذا الموضوع ؟!وقد قرأت كثيرا للمستشرقين ولسواهم ، فما وجدت ممن طعن فى الاسلام حدة كهذه الحدة في التعبير ، على نحو ما كتب الشيخ على عبد الرازق »

اما الاتهام بأن الكتاب الفه ارنولد او منقول منه فنرفضه تماما . ولا اظن ان الشيخ على حتى قد قرأ للرجل رغم انه يحيل قراءه لكتاب ارنولد هذا ، لأن كتاب

الشيخ وان كان يخدم نفس الهدف البريطانى من اباحة عـصيان قرار الجهاد وقبول السلطة غير المسلمة الا ان المؤرخ البريطانى كعالم يخاطب المثقفين الغربيين لم يكن بوسعه ان يهبط الى مستوى كتاب اصول الحكم الذى اعد فى اعتقادنا للتوزيع على الاميين من الهنود المسلمين والسنغاليين فى جـيوش الحلفاء. وقد سبق واشرنا الى الفرق بين حديث المستـشرقين للمتعلمين فى اوربا وامـريكا وما يلقونه من ترهات لانصاف المتـعلمين فى العالم المتـخلف لأن المستشـرق العالم لا يكذب اهله ولكن يكذب لصالحهم وبواسطة اتباعه فبينما يؤكد الشيخ ومن اتبعه الى اليوم ان محمدا لم يحكم ولا مارس اى عمل من اعمال السلطة كحاكم. نرى توماس ارنولد يقول بالحرف الواحـد«ان محـمدا كان حـاكما وقـاضيا ومـديرا وواعظا وامامـا للصلاة الجامعـة .. كان فى وقت واحد رئيس دولة ورئيس كنيسـة فقد استقـبل السفراء الذين جاءوا يحـملون طاعة شتى القـبائل العربية وعـين موظفين لجـمع الضرائب والزكاة وكـانت له السيادة العليـا فيمـا يتعلق بالشئـون الحربية وارسال الحـملات العسكرية وفى نفس الوقت كـان يشكل السلطة التشريعـية العليا ولكنه لم يقـتصر على دور المشرع بل جلس فى منصة القضاءوحكم بين المتـخاصمين ... بالاضافة الى هذه الوظائف الادارية والسيـاسية كـحاكم وجنرال وقاض كـان ينظر اليه كنبى يوحى له وما كان يقدمه من مبادىء دينية ، كان أتباعه يعتبرونه كلمة الله غير قابل للجدل وكان يصلى بالناس فى المسجد الجامع وكل هذا ورثه ابوبكر الا فيما يتعلق بالنبوة التى اعتبرت انها انتهت بوفاة النبى» (١٤)

هل لو كان الشيخ قد استعان بمن يتـقن الانجليزية لقراءة كتاب ارنولد كان يبدد وقته فى اثبات الصفة الدينية للخليفة ؟!

في معنى الخلافة

وأظن أن هذا يكفى فى التعريف بالمؤلف وآن ان نناقش ما الف وكما قيل من الف فقد استهدف ، وكما قلنا وقال كل الذين ناقشوا كتاب الشيخ انه استطاع ان يحدث ازمة سياسية ، ولكنه لم يحدث اى تغيير فكرى . فالخلافة كمؤسسة كانت قد سقطت قبل قرون من ميلاد الشيخ والغيت حتى من الناحية الشكلية قبل صدور كتابه . وهى لم تكن مطروحة كاحتمال جاد لا فى زمن الشيخ ولا فى زماننا هذا ، ومرة اخرى لم تكن الخلافة هى القضية فى كتاب الشيخ ولا مصدر الاهتمام به سواء من انصاره او معارضيه وانما قضية الحكم فى ذاتها والشيخ نفسه كان صريحا كما اشرنا عندما اعلن ان هذه هى قضيته بل وعندما اختار عنوان كتابه فليس فى العنوان اشارة الى الخلافة . . على اية حال هذا الكتاب روج وروج حوله من الاوهام ما كانت اعز عند مروجيها واهم من الكتاب ذاته . .

واذا كان الدكتور الريس قد بدأ تعليقه على الكتاب باثبات خطأ المؤلف فى تحديد مصدر كلمة الخلافة ، فقد استغرق بحث اصل هذه التسمية اهتمام المستشرقين ومن تبعهم ممن حاولوا ان يكتشفوا للاسم دلالات ترجح وجهة نظرهم، وقد استهل الشيخ كتابه بالخطأ اللغوى الآنف الذكر ثم قال :« يقال خلف فلان فلانا اذا قام بالامر عنه إما معه وإما بعده . .والخلافة النيابة عن الغير اما لغيبة المنوب عنه واما لموته واما لعجزه » وهذا التعريف سنلزمه به عندما يتحدث عن خلافة الله .

اما ادق تعبير والذى يعكس الفهم الصحيح للطبيعة البشرية للخلافة وانها تعنى نظام حكم فهو قول ابن خلدون «:الخلافة هى نيابة عن صاحب الشرع فى حفظ الدين وسياسة الدنيا به فقد صار الملك يندرج تحت الخلافة اذا كان اسلاميا ويكون من توابعها»

ونفس الفهم ينقله الدكتور الريس عن الاستاذ محمد الخضرى : « كان لرسول الله وظيفتان يؤديهما لأمته ، الاولى التبليغ عن الله بحكم الرسالة التى اختير

ليقوم بادائها والثـانية كونه اماما للمسلمـين تجتمع اليه كلمتهم يوجـههم الى الخير ويبعدهم عن الشر والـيه القضاء فى مشكلاتهم بحسب ما يوحـى اليه من الشريعة ثم هو يقوم بـتنفيذ تلك الاحكام والوظـيفة الاولى انتـهت بموته عليه السـلام بعد تشريع مـا اراد الله تشريعه والوظيفـة الثانية (اى الخلافـة) فلم يرالمسلمون بدا من اقامة من يخلف رسول الله فى خلافة المسلمين»

معنى الخلافة ؟!

واذا كان لنا ان نتـبع سنة من سلف فنبدأ البـحث فى لفظ خليفة ، فـقد كنت اقول ان اختيار اللفظ مـبادرة عفوية من امة الفصاحة فعنـدما بلغ خبر وفاة النبى ابا قحافة قال هذا نبأ عظيم ثم سـأل على الفور. . فمن قام بالامر بعده ؟ ! فلعل احدهم اجابه :خـلفه ابوبكر فاصبح الخليـفة واصبحت الخلافـة . . الا اننى بعد تأمل اللفظ القرآنى لخليفـة وخلافة واستخلاف اعـتقد ان المتحاورين جمـيعا قد فاتهم المعانى التى فهمهـا السلف الصالح من صحابة رسول الله الذين انزل عليهم القرآن بلغـتهم ، اولا يمكن ان نتـصور او ان نزعم ان اللفظة فـاجأتهم او وردت عفـوا وقد وردت فى القـرآن اكثـر من مرة وانما فـهمـوا الخلافـة بمعنى السلطة . . التكليف بالحكم . . سواءعلى نطاق الارض كلها بما فيها من كائنات ،وذلك فى حالة اسـتخـلاف الله للجنس البشـرى ليمـتحنه هل يصلـح ام يفسد؟ هل يـحفظ الارض ويرتقى بها نحو مستوى الجنة التى غادرها ام يفسـد فيها ويسفك الدماء كما توقعت الملائكة ؟

والمتأمل للفظ الخلافة ومشتقاته كما ورد فى القرآن يجده يرتبط دائما بالسلطة ، مشروط بالامتـحان فى اسلوب اداء هذه السلطة وممارستها واحتـمالات الفساد فى استخدامها واذا كان فيلسوف الغرب ستوارت ميل قال كل سلطة فساد فلا اظنه قد بعد عن المعنى القرآنى كما سنرى .

واول اسـتـخـدام لـكلمـة خليـفـة فـى تاريخ البـشـر هى فى قـوله تعـالى

للملائكة: ﴿واذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠]

فهى لا تندرج تحت اى تفسير من هذا النوع الذى اورده الشيخ واللغويون فلا يمكن ان نشتم اى معنى فى خلافة الله او الحكم نيابة عنه ، من ناحية فهو لا يغيب ولا يموت ولا يعجز ولا تنتقل سلطاته بأى حال من الاحوال لأن سلطات الله مطلقة وغير محدودة وغير خاضعة للاسباب ولا المحاسبة ولا المراجعة ولا التغيير . . وهى ابدية دائمة بل من صفات الله سبحانه وتعالى المكونة لذاته ولا يمكن فصلها ولا تجزئتها فكيف تنتقل هذه السلطات لبشر ؟

كذلك نجد انه لما ابلغ الله الملائكة انه جاعل فى الارض خليفة لم يخطر على الاطلاق فى بال الملائكة ان هذا الخليفة سيكون ظل الله على الارض ولا له مكانته عز وجل كما يزعم الشيخ؛ لأنه لو كان الله سيعين من يتولى سلطاته لما جرأت الملائكة على طرح مثل هذا السؤال ، ولو كان لبشر ان يدعى او ان يوصف بأنه ظل الله على الارض والعياذ بالله لكان آدم أولى الناس بذلك !

ولكن بمجرد ذكر خليفة فهم الملائكة ان المقصود هو الحكم او السلطان وهو ما يصاحبه دائما الفساد وسفك الدماء . فتساءلوا :اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . . .؟

فهذا هو الحكم . . السلطة . . وليس الولاية ولا النيابة عن الله .

وقد قيل ونقبل ان المقصود بخلافة ادم هى خلافة الجنس البشرى كنوع وليست خلافة الفرد آدم . .

وفى اطار استخلاف الانسان على الارض يحدث ان تستخلف السماء فريقا من البشر ليحكم بموجب الوحى الالهى الذى يأتى به نبى . . فإذا عصوا الله ابادهم واستخلف قوما غيرهم لأن الحكم فى الارض او هداية الناس الى الحق والاسلوب الافضل للعيش فى هذه الدنيا هى المهمة التى تكفلت بها السماء من خلال الرسل فالعلاقة بين الدنيا والاخرة فى الاسلام هى كما يقول ابن خلدون: «واعلم ان الدنيا كلها واحوالها عند الشارع مطية الاخرة ومن فقد المطية فقد الوصول» أو كما يقول الامام الغزالى :«ان نظام الدين لا يحصل عليه الا بنظام الدنيا »

وعند تكليف او استخلاف امة بعينها ، لتكون مسئولة عن التزام هذه السبل لتحقيق الهدف الذى اراده الحق باستخلاف الانسان ، فهى لا تصبح بذلك امة معصومة ولا تحصل على تفويض الهى ابدى ولا على تفويض على بياض يبارك كل قراراتها بوصفها صادرة عن الله ولا هى معفاة من المسئولية بل هى ممتحنة ومحاسبة فإن احسنت كوفئت وان اساءت عوقبت او اعدمت وانتقل التكليف لغيرها .

موسى يقول لقومه: ﴿عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون﴾ [الاعراف: ١٢٩]

ولو كانت الخلافة تعنى النيابة بالمعنى البابوى لما كانت هناك تجربة ولا امتحان

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [النور: ٥٥] ﴿إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ [الانعام: ١٣٣]

﴿ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا﴾ [هود: ٥٧]

﴿ وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فى ما آتاكم إن ربك سريع العقاب ﴾ [الانعام: ١٦٥]

﴿ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾[يونس: ١٤]

﴿ وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ﴾ [يونس: ٧٣]

﴿هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه كفره﴾ [فاطر: ٢٩]

﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ [الاعراف: ٧٤]

وهذه الأمة التى يستخلفها الله يبعث فيهابالرسل الذين يوضحون للناس أفضل السبل فى ممارسة هذه الخلافة، وبعض هؤلاء الرسل اقتصرت مهمته على تبليغ

هذه السبل ودعوة السلطة الموجودة الى اتباعها وبعضهم جمع بين النبوة والسلطة. . وعندما يقول الحق سبحانه وتعالى **﴿يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾** [ص:٢٦]

على الفور ربط الخلافة بالحكم وطالبه ان يحكم بالعدل ولا يتبع الهوى الذى يفضى الى الضلال ثم عذاب الله . . ولو كان يحكم بقوة إلهية لما صح الخطاب ولكنه يحكم من نفسه وبموجب عقله وليس كتجسيد لله فلا احد يطالب البابا بالعدل او الصواب بل معروف ان من صميم العقيدة الكاثوليكية الايمان بأن البابا معصوم أى لا يخطئ ومن لا يخطئ من باب اولى لا يظلم ولا يحكم الا بالعدل. ولكن الله سبحانه وتعالى الذى يعين داود خليفة وهو نبى معصوم فيما يتعلق بالنبوة يعرف انه كخليفة سيكون حاكما بشريا يمكن أن يظلم ولذا يأمره فى خطاب التعيين بالعدل وتجنب الهوى الذى هو آفة السلطان دائما .

﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾
[الاعراف:١٤٢]

مع العلم ان هارون نبى . . ولكن مادام قد استخلف فهو سيحكم والحكم من البشر ومهنة البشر ، وهو بالتالى عرضة للفساد . . ولذلك وجب النصح والتحذير من الفساد. .

ثم نعود للشيخ فنتساءل من أين جاء بأن «الخليفة ينزل عندهم منزلة الرسول»!!

هل خطر ببال أحد من الخلفاء ذاتهم أو الذين بايعوهم أنه نبى أو يأتيه الوحى أو متصل بالسماء أو معصوم ؟

أبوبكر قال: أقيلونى أو قومونى، وعمر بكى وحمد الله أن وجد من يقومه بالسيف، وبكى على المنبر معترفا انه اخطأ وامرأة من عامة الناس اصابت . والثالث قتلوه والرابع انشقوا عليه وحاربوه ، هل هذا سلوك من يعتبر الخليفة فى منزلة النبى . .؟! هل هكذا يعامل الانبياء او من فى منزلتهم ؟! اسمعتم عن

مـؤمن كاثوليـكى يعامل البـابا هكذا او بالاحـرى اسـمعـتم عن بابا يقـول للناس قوموني او يعترف انه اخطأ واصابت امرأة؟!

ثم اعـقب هؤلاء بنو أميـة فـهل هناك دليل فى حـجم الابرة على ان بنى اميـة اعتبروا انفسـهم او اعتبرهم الناس المعاصرون او التابعون الى اليـوم اصحاب صفة دينية او ورثة النبى كنبى !

يقول انهم اعتبروه خليفة الرسول لأنه «يتولى مـسئولية القيام على دينهـم فيقيم فيهم حدوده »

هل هذه مهمة دينية مثل القداس او حتى الصلاة او الصوم، هل هذه مهمة نبى ام حاكم؟

اقامة الحدود مـهمة اى حاكم فهى من قضايا السلطة والنبى اتى بتـشريعها كنبى ونفذها كحـاكم وقد رفض المسيح تنفيذ اى حـد لا لأنه لم يكن بلا خطيئة بأبى وامى صلوات الله عليه بل لأن رسالته صريحة فى عدم ممارسة السلطة وبالتالى لا شأن لها بالحـدود ولو رجم المسيح لاصبح من واجبات الكنيسـة او البابا ومندوبيه تنفيذ الاحكام.. ولم تكن اقامة الحدود مهـمة النبى وحده وانتقلت لخليفته ، بل اى حاكم كان يستطيع ومطالب بإقامة الحدود .

ويأتى الشـيخ على بفريتـه التى لا اساس لهـا فى الفهم الاسـلامى فيـقول ان الخليفـة عندهم (يقصد المسلمـين !!) باعتبـاره نائب رسول الله (زى نائب الملك الذى كان يحكم مصر بواسطة حزبه) وانه « الـقائم على دين الله والمهيمن عليه والامين عـلى حفظه.. والدين عند المسلمـين هو اعز مـا يعرفـون فى هذا الكون فمن ولى امره فقد ولى اعـز شئ فى الحياة واشرفه فعليهم ان يسمـعوا له ويطيعوا ظاهرا وباطنا لأن طاعة الائمة من طاعة الله وعصيانهم من عصيان الله » ص٣

دعنا من حديثه عن المسلمين بضمير الغائب كأنهم طرف ثالث كما لاحظ الذين قرأوا الكتاب اول ما صـدر !الا ان العبارة توحى كأنها عن مسـتشرق ومن الدرجة الثالثـة وليس فى مسـتوى استـاذ مثل توماس ارنولد الـذى هو بدوره من الدرجة الثانيـة ولكنه لا يسقط مثل هـذه السقطة المعيـبة .بل يقول :«ان الخليـفة لم يكن

يملك الا الحكم بالشريعة . . الخليفة يـحق له الاجتهاد ولكن الامويين لم يكونوا يهتمـون بالقضايا الدينية وعندمـا جاء العباسـيون كان العلماء قد اخـتصوا بتفـسير الشريعة »

فالخليفـة لا يهيمن على الدين بل الدين يهيمن عليـه وهو لا يستطيع ان يخرج قـيـد أنملة عن الدين الا ان يغـصب الناس على ذلك غـصـبـا بالارهاب والقـمع الوحشى ، وهى حالة انسانية تتعرض لها كـل الشعوب وتعرضت لها الديموقراطية فى روسيا وألمانيا وايطاليا. . الخ لكن ما من مسلم اعتبر الخليفة مهيمنا على الدين وقد عددوا فى اسباب قتل عثمـان انه لم يجمع ويقصر فى الصلاة ؟!فخرج بذلك عن سنة رسول الله مع اتفاقنا جميعا عـلى ان الصحابة او الخلفاء الاربعة حجة فى التشـريع لأنهم اعرف الناس بدين الله ومع ذلك لم يقبل من عـثمان مخـالفة سنة ثابتة . .

الخليفة لا يستطيع ان يضيف حرفا الى دين الله او يبطل حرفا منه ولو كان ذلك فى وسع احد لكان عمر اولى به ولكن ما ان توهمت امـرأة أن عمر يريد معارضة او الخروج عن نص حـتى صاحت من اخر المسـجد ليس هذا لك يا عـمر . . هل يملك أحد أن يصيح هذه الصيحـة فى رسول الله اذا اعلن تشريعا . . بل ان عمر يتراجع علـى الفور ويقر وجـهة نظر المرأة وعلى عـادة المصريين شاع عـند النسوة المصريات من العامة كلمات مثل :«جـرى ايه يا عمر » «ودا شرع مين دا يا عمر» . . ومهما تكن الـسوقية التى تم بها حفظ الحـادثة فى الذاكرة الفلكولورية المصرية الا انها عكست رسوخ القناعة الاسلامـية بأن ليس لعمر أن يشرع فى دين الله ولا أن يهيـمن عليه مع التسليم أن اجـتهادات الخلفـاء الراشدين هى الاقرب للتـشريع الدينى باعتبار صلتهم المباشرة بـرسول الله صلوات الله عليه وسلامه وإجماع السنة عليهم .

بل ليته قرأ فـعلا ارنولد كما يدعى فقد كان اجدر ان يتـعلم منه مالم يعلمه فى الازهر لأن ارنولد يقول لتـلاميذه فى بريـطانيا : « ان النص الالهى محـصور فى القرآن والسنة وتفسيرهما ليس للخليـفة بل للعلماء ولذا فليس للخليفة اى سلطات

روحية وهو لا يتحكم فى دين الناس بل حتى إمامة الصلاة التى يقوم بها الخليفة والتى كانت تعتبر رمزا للسلطة ، يمكن ان يؤديها أقل مواطن من رعيته شأنا ، العبد والغلام و الراعى لا كهانة فى الاسلام ولا هيئة منفصلة تقوم بالواجبات الدينية او طقوس لا يسمح للعامة او مجموع الامة بممارستها » بل ويؤنب ارنولد امثاله فيقول : « المسيحيون حاولوا ان يفهموا الاسلام من منظور مسيحى ، فلم يفهموا الفارق بين دين لا ينسب لله اى صفة بشرية وبين دين يؤمن بالتجسد . . لا يوجد فى العالم الاسلامى هذا الفصل بين الكنيسة والدولة. العلماء ادانوا ظلم الخلفاءولكن ليس كهيئة دينية ضد سلطة مدنية بل كافراد مدنيين ضد افراد مدنيين. .الخليفة لا يمارس اى سلطة روحية ولا عليه واجبات دينية تميزه عن بقية المؤمنين » ص١٧

ليت اشياخنا باكسفورد قرأوا ولو حتى ارنولد اذن لتعلموا ؟!فالشيخ لم يكن تلميذا لارنولد كما يتهمه خصومه . بل وينفى الدكتور الريس ايضا ان ينسب الشيخ على لمدرسة محمد عبده فضلا عن ان يكون امتداده «كما يدعى البعض من الراغبين فى تشويه المفتى » لأن الشيخ محمد عبده قرر «ان الفارق بين الاسلام والمسيحية هو ان الاسلام يجمع بين مصالح الدنيا والاخرة وان المسلمين يحثهم دينهم ويدفعهم الى طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد والعزة والمجد » وقال: «لكن الاسلام دين وشرع فقد وضع حدودا ورسم حقوقا. . ولا تكمل الحكمة من تشريع الاحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود وتنفيذ حكم القاضى بالحق وصون نظام الجماعة وتلك القوة لا يجوز ان تكون فوضى فى عدد كثير فلابد ان تكون فى واحد السلطان او الخليفة »«الاسلام والنصرانية ص٦٥عن الريس ٢٨٦»

ومن الذى قال ان المسلمين عليهم ان « يسمعوا للخليفة ويطيعوا ظاهرا وباطنا لأ ن طاعة الأئمة من طاعة الله وعصيانهم من عصيان الله »

اى مؤرخ او معلق هذا الذى يرفض ابن خلدون ويحاكمنا بحاشية الباجورى على الجوهرة او يستشهد علينا وعلى ديننا وتاريخنابالسيلكونى فى كتاب « اكتفاء القنوع بما هومطبوع »الموضوع فى القرن الخامس الهجرى او الحادى عشرالميلادى ؟

هل هناك محلل سياسى او معلق تاريخى يأخذ هذا النص او فذلكة كاتب يهدى كتابه « جعلته عرضه لحضرة من خصه الله تعالى بالسلطة الابدية وايده بالدولة السرمدية مروج الملة الحنفية البيضاء مؤسس قواعد الشريعة الغراء ظل الله فى الارضين غياث الاسلام والمسلمين عامر بلاد الله خليفة رسول الله المؤيد بالتأييد والنصر الربانى الخ» ص٩

الخ ايه ؟! الامانة العلمية تفرض عليك ان تعرف فضلا عن ان تعرف القارئ ماذا كان وضع الخليفة الذى يقال فيه هذا الكلام ، فقد كان فعلا يتسول كسرة خبز فى شوارع المدينة ،ويفضل عشرة دنانير على كل هذه الالقاب او نصرة عشرة الاف خصى يخلصونه من الذل .

الذى يريد ان يعرف موقف الاسلام لا يعتمدنصوصا « خصوصا بعد القرن الخامس الهجرى » ففى هذا الوقت « الحادى عشر الميلادى » لم تكن هناك لا خلافة ولا عروبة ولا حتى تدين بل سلاطين العجم الذين جعلوا الخليفة مسخة وهزأة ،وكان اول اجراء يتخذونه ضد الخليفة هو قلع او سمل عينيه بالحديد المحمى لكى يفقد حقه فى الخلافة احتراما للشرط القائل انه لا تجوز ولاية الاعمى! ثم يطلقون امير المؤمنين يتسول فى الشوارع وانتهوا بقتل الخليفة رفصا بالاقدام وحكموا هم بما حملوا من تراثهم من كسروية وقيصرية وشاهنشاهية وخانية مغولية وتتارية ، وطوروا نظما فى اطار ما تبقى من مفاهيم اسلامية وضرورات المواجهة مع نظم اوربا الاستبدادية المطلقة السلطة المهاجمة . أفى هذا العهد نفتش على اسس الخلافة وسلطات الخليفة وشرعية هذه السلطات . . ؟

على عبد الرازق هو كما قال سعد زغلول جاهل بتاريخه ولكنه يدعى انه قرأ توماس ارنولد وينصحنا بقراءته . . فهل فعل هو . .؟ انظر ماذا كتب ارنولد لتعرف الفارق بين الاصل والمسخ أو الاصيل والعميل أو المدرب والقرد :

يقول ارنولد : «سنة ٨٠٠ جرى تتويج شرلمان وانشاء الامبراطورية الرومانية المقدسة وهى نفس السنة الذى وصل فيه منحنى العباسيين لخط الذروة وبدءالانحدار .كان عبد الرحمن الداخل قد انفصل بالاندلس ٧٥٦ مؤسسا الدولة

الاموية هناك واتخذوا لقب الخلافة سنة ٩٢٨زمن عبد الرحمن الثالث . وشمال افريقيا انفصل به الاغالبة سنة ٨٠٠م ورفع رأس الخليفة على رمح فى القرن العاشر ، والمقتدر خلع مرتين واخوه القاهر سملوا عينيه بحديد محمى ليدلهم على كنوزه وسجن عشر سنوات وخرج يتسول فى شوارع بغداد وابن اخيه خليفة(١٥)! وخليفة اخر هرب مرتين يستنجد بأى سلطان او عسكرى يحميه و اصبح فى بغداد ثلاثة خلفاء مقلوعة أعينهم يتسولون !

والبويهيون فرس دخلوا بغداد سنة ٩٤٥ وحكموا لمدة قرن والخليفة لعبة فى يدهم يعينونه ويعزلونه بل وتأخذ المأساة بعدا هزليا شديد المرارة لأن البويهيين كما يقول ارنولد كانوا شيعة وبالتالى لا يعترفون للخليفة السنى بأى شرعية . . ولا حتى كمجرد وال وليس ظل الله على الارض كما يكذبون على العامة بل هم فى مذهبهم لا يستحلون الصلاة خلفه ولا يعقد لهم على جارية من سبايا الترك !ومع ذلك حكموا باسمه وواجهوا المنافسين بالتفخيم فى امره . وينقل ارنولد عن المؤرخين المسلمين صورة معبرة عن الخليفة الذى لم يكن يحلم وقتها بمكانة غلام من حرس السلطان البويهى الذى اصبح يحمل لقبا يعنى ولاءه للدولة وليس الخليفة ولا الخلافة ولا الاسلام «تقدم معز الدولة فقبل يد الخليفة ثم اذن له فجلس وتقدم حراسه فمد اليهم يديه ظانا انهما سيقبلان كما فعل سيدهما فجذباه من العرش وكتفاه بقميصه وقلعت عيناه وسجن فى قصر معز الدولة »اما عندما ارسل الخليفة الفاطمى العزيز بالله بعثة الى بغداد(٣٧٠-٩٨٠) فإن عضد الدولةالحاكم الفعلى اراد ارهابه بتفخيم الخليفة العباسى الذى وضعه على العرش وارخى عليه الستور ووقف حوله مئات الحرس بالسيوف مشهرة ومصحف عثمان فى حجره والبردة وسيف الرسول وعضد الدولة يقبل الارض بين يديه سبع مرات حتى قال سفير الخليفة الفاطمى : ما هذا ؟ هل هذا هو الله ؟! فرد عضد الدولة: بل ظل الله على الارض !!»

وبعد هذه المسرحية قال الخليفة لعضد الدولة أنقل اليك جميع ما خولنى الله من شئون المسلمين من المشرق للمغرب الا املاكى الشخصية. وفى العام التالى

امر عضد الدولة الخليفة بالخروج لاستقباله ففعل (ص٦٧)

وإذا كـان طاغـية بـغداد قـد ادعى ان هذا الاقل مـن طرطورهو ظل الله على الارض ، وهو لا يصل الى مرتبة ظل عضـد الدولة . . فقد ادعى ابن العزيز بالله انه الله شخصيـا . . ! !وكان ذلك بداية انهيار الدولة الفاطميـة وزوال سلطة الخليفة الفعلية وتحكم الوزراء والقادة .

كيف يطاع الخليـفة ظاهرا وباطنا كـما يدعى الشيخ ، والرسـول يقول انه لا يملك الكشف عن السـرائر ولا الشق عن القلوب . والخليفة الامـوى يقول من انفطر قلبه من بغضنا لم نتعرض له مـا لم يخرج او يصرح ، وقال انه لا يعترض من يسبهم الا ان يتخذ راية او يرتقى منبرا . . وكل ائمـة الفقهاء تقريبا عرف عنهم معارضة الخلفاء سرا وعلنا ولو فى قضية واحدة . . واين حديث «الا ان تروا كفرا بواحا» لو كان السلطان او حتى الخليفة يحـتل مكانة الرسول فكيف يحتمل كفره؟ أوحديث «أفـضل الجهـاد كلمة حق عند إمـام جائر» كـيف يتصـور ان يجور من تقمص دور الرسول ؟

ويتشجع الشيخ وقد تهجم على الرسول وزعم ان المسلمين جعلوا الخليفة فى مكانة رسول الله ، فيتقدم او قل يتردى خطوة اخرى فـيجعله قائمقام الله سبحانه وتعالى عما يصفون « وجملة القول ان السلطان خليفة رسول الله وهو ايضا حمى الله فى بلاده ، وظله الممـدود على عـباده ومن كـان ظل الله فى ارضـه وخليفـة رسول الله فولايتـه عامة ومطلقة كولاية الله تعـالى وولاية رسوله الكريم ولا غرو حينئذ ان يكون له حق التصرف فى رقاب الناس واموالهم وابضاعهم»ص٤

كلام مستشرق درجة سادسة لأن استاذه توماس ارنولد الذى هو بدوره مستشرق درجة ثانية لا يسقط هذه السقطة . . هل يقول قائمقام الله اذا اخطأت فقومونى او يحمد الله ان وجد فى امة محمد من يقـوم اعوجاج الله سبحانه وتعالى بالسيف او هل يقـتل الناس ظل الله على الارض او فى الارض كـما يقـول الشيخ او يعـتب الفقهاء انهم قتلوه بدون محاكمة؟

ارنولد والمستـشرقـون من قبله يفهـمون حكاية «ظل الله» افـضل الف مرة من

دجل الشيخ الذى يجعلها بالمفهوم الغربى اى النجاتيف بتاع ربنا او انعكاس شخص الله !

يقول توماس ارنولد الخواجه :«ظل الله تعنى الملجأ الذى يحتمى به place of refuge ص٥٠ . . كما يتقى البدوى الشمس بالاحتماء فليس المقصود الظل الذى يأتى من حجب الشمس ونقل عن جولدسهير «كما يقى الظل الناس من اذى الشمس كذلك الحكومة تمنع الاذى عن شعبها »

او كما نقول فهو فى ظل ظليل لا نعنى الظل حرفيا او هذه المساحة التى تنتج من حجب الشمس بجسم . بل ان نسوة الحوارى يفهمون الظل هنا افضل من الشيخ فهن يقلن « ظل رجل ولا ظل حائط»اى الحماية التى يوفرها الرجل افضل من حماية الجدران او البيت او حتى القلعة وليس القعدة فى ظل الرجل من الشمس !

اما القول بأن ولايته كولاية الله فهى الفاحشة فى القول التى ما سبقه اليها احد من العالمين . والغريب انه سيسود الصفحات بعد ذلك فى اثبات انه لا ولاية للرسول ذاته !

اليس عجيبا ان ينكر الشيخ خلافة اقامها المهاجرون والانصار بحجة انها لم ترد فى القرآن ثم يدين تاريخنا واسلامنا بكتابات هايفة من القرن الخامس الهجرى ؟

يقول :« وليس للخليفة شريك فى ولايته ولا لغيره ولاية على المسلمين الا ولاية مستمدة من مقام الخلافة وبطريق الوكالةعن الخليفة . . فكل من يلى شيئا من امر المسلمين فى دينهم او دنياهم من وزير او قاض هو وحده صاحب الرأى فى اختيارهم وعزلهم الخ » ص٥

وقد قلنا ان سلطات رئيس الدولة تتفاوت بتفاوت الازمنة والاماكن ولم يحدث ان قال خليفة انا الدولة ولكن ملك فرنسا قالها فى القرن السابع عشر !! والرئيس الامريكى يعين الوزراء ومدير المباحث ورئيس المخابرات والمدعى العام ويعزلهم ويعين قضاة المحكمة الدستورية العليا . .

بل تأمل كيف يتدهو الفكر الاسلامى على يد المتنورين المتخلفين فيعطى

للخليفة او السلطان سلطات لا وجود لها ويزعم انه يحكم بالتفويض الالهى!

والطاعة المطلقة للسلطان او الحاكم هى من فلسفات العصور الوسطى ولم تقتصر على المسلمين ولا هى من فكرهم الاسلامى بل واقع زمنى. ولقد قال الشيخ فى موضع اخر او افترى اننا ملزمون شرعا بطاعة الفاسق والظالم وان صح ذلك فليس مصدر الطاعة ان صح زعمك هو الله او تفويض الهى بل القهراو خشية ما هو اشد من القهر .

المسلمون منذ اللحظة الاولى عرفوا انهم هم الذين نصبوا الخليفة اميرا لهم وليس الله ولا الرسول ولذلك لقبوه امير المؤمنين فابوبكر خليفة لان الناس استخلفوه وليس الله ولا رسوله. هكذا كان تفكير الذين اجتمعوا فى السقيفة والذين هرعوا للبيعة العامة ولو كان مستخلفا من السماء لما احتاج لبيعة الناس ولا كان من حق الناس مبايعته فأهل الحل والعقد لا يرشحون نبيا ولا الناس يبايعون الانبياء ولذلك فالتعبير الشائع هو خليفة المسلمين او امير المؤمنين . حتى النبى صلوات الله عليه ، لا نرتاح لقول الشيخ ان زعامة الرسول جاءت عن طريق الوحى ، ففيها لعب على الالفاظ له خبئ . النبوة هى التى جاءت عن طريق الوحى وكل انسان يستطيع ان يؤمن بمحمد بعد وفاته بعشرة آلاف سنة ودون ان يراه وقد يكون افضل من قوم عاصروا الرسول فهذا التزام بينك وبين الله، ولكن من لم يسعد بمعاصرة الرسول لا يستطيع مبايعته ، لأن المبايعة هى انتخابه حاكما او رئيسا او مدبرا لحياتك فى هذه الدنيا .والايمان وان ارتبط غالبا بالبيعة او حتى كان شرطا لها عند المسلم ، فلولا أن الانصار آمنوا بأنه رسول الله لما بايعوه وابدوا استعدادهم للموت فى طاعته ومعاداة العرب . .وان كان مفهوما انهم أرادوه هو كمدبر لدولتهم ورئيسا لها لينهى النزاع بين الاوس والخزرج وينهى حالة التربص التى كانت تحكم علاقتهم باليهود . اما غير المسلم فبيعته او طاعته غير مرتبطة بالايمان مثل تعهد اليهود وخضوعهم لسلطة النبى وهم لا يؤمنون بأنه نبى بل يعتقدون انه مدع صلوات الله عليه ولكنه رئيس الدولة التى ينتمون اليها ومن ثم لزمت طاعتهم وتحديد حقوقهم والتزاماتهم من قبل رئيس هذه الدولة، ولما

خرجوا عن هذه الالتـزامات قاتلهم واخضعـهم لحكمه وعقوباته ،فبأى صـفة كان حكمه وخضوعهم الا صفة الزعامة الزمنية او رئاسة الدولة ؟ ولعل خير مثل على ذلك ما ذكره الاسـتاذ خالد كشك وهو صلح الحديبيـة عندما رفض ممثل قريش ان يفاوض النبى بصفته كرسول الله وقال لو امنت انه رسول الله ما نازعته . . ووافق الرسول على اسـتبعاد هذه الصـفة من الاتفاقيـة. . فبأى صفـة التزم والزم سكان المدينة ؟ الا صفته كحاكم ورئيس دولة . وبعكس مـا قيل فى فتنة فتاوى الردة فإن حديث الرجل الذى جـاء للنبى يطلب من النبى ان يقيله بيعـته ورفض النبى ، لا تفيـد أن الرجل مرتد وأن النبى صمم علـى الاحتفاظ ببـيعة مـرتد !! او ان رجلا يكفر بالله ورسوله يـشق عليه ان لا يحرره محمـد من بيعته! وانما فى تفـسيرنا ان الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام لم يكن ليـملك اعـفـاء الرجل من ايمـانه بالله والرسـول، وانما الحديث كـان يدور حـول الاعفـاء من الخضـوع لسلطة مـحمـد الحاكم، وكما قلنا ان الولاء للدولة والخـضوع لقوانينها ليس قضية اخـتيارية للفرد بل تنظمها ضـوابط وقوانين الدولة والا لما حق لها الحكم بالخيـانة العظمى واعدام من يخلع الولاء للدولة حتى لو تجنس بجنسية اخرى . . ونعتقد ان حديث الرجل الذى اشتـرط لإسلامه ان يعـفى من الصلاة وقيل الصـوم فقبل الرسـول وقال لو اسلم لصلى وصـام . . انما يعنى انه لو اسلم ودخل فى جمـاعة المسلمين فـسوف يلزم بالصلاة والصيام والزكاة ، خضوعا لقوانين الدولة، وإلا عوقب . .

المسلمون لم يفهموا الخلافة كما يدعى الشيخ بل فهموها كما قلنا منصبا بشريا هم اخترعوه فى ضوء إلزام الشرع لهم بالحكم وسياسة الدنيا وفق قوانينها ووفق تعاليم القرآن وسنة الرسول . وهم رفضوا بداية تعبير خليفة الله وهو خليفة رسول الله بالمعنى التاريخى او اللغوى ولكنه كخليفة لرسول الله بالمعنى السياسى فهو خليفة المسلمين . . لأنه لا يصبح خليفة الا بالبيعة مثل النبى فى الجانب الحاكمى من دوره ولأنهم اشترطوا ان يعينه اهل الحل والعقد ولأن السنة اجمعوا على ان النبى لم يعين خليفة وانما اهل السقيفة عينوا ووافقهم الناس .

فالخلافة منصب بشرى والحكم يمارسه بشر ولكنه من اصول الدين اذ لا يتصور مجتمع اسلامى تحكمه سلطة غير اسلامية او تشريعات مناقضة للاسلام .

والشيخ يستشهد بشعر الحطيئة المعاصر للخلافة الراشدة منذ بدايتها الى نهايتها فقد توفى فى خلافة على بن ابى طالب ، وهوشعر قاله يستعطف عمربن الخطاب به ويطلب عفوه ، فلوكان فى خاطر الخليفة او المسلمين شبهة تفويض الهى او وراثة نبوة او ولاية عن الله او الرسول لخاطب الشاعر المستجدى العطف ، الحاكم بأحب الاسماء اليه ، واى اسم احب للانسان من ان يكون وليا معينا من قبل الله او وارثا لرسول الله لا دخل لرعاياه فى توليته . . ولكن الحطيئة يقول لعمر بن الخطاب :

أنت الامام الذى من بعد صاحبه ... القى اليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها اذ قدموك لها ... لكن لانفسهم كانت بك الاثر

البشر هم الذين القوا المقاليد لعمر لا الله ولا حتى الرسول . .هذا هو مفهوم الجيل الذى اخترع الخلافة . وهذا ما قبله الخليفة الثانى بل واول من قال فى الاسلام امدد يدك ابايعك . .كيف يخطر ببال عاقل ان الخلافة منصب دينى او ميراث للنبوة او تفويض إلهى وقد بدأت بترشيح فرد لنفسه ورفض المجتمعين ثم رؤية ثلاثة رجال يقول كل منهم للاخر على مسمع من الجميع امدد يدك ابايعك،

ولم يقل يبـايعك الله ولا رسوله ! البشـر هم الذين انتخـبوا او اخـتاروا او ولوا الخليفة الاول والثانى فأين التفويض الالهى او ميراث النبوة؟ اليس الحكم على اى مبدأ او حضارة هو فى المبادئ والممارسات الاولى. .ووعى المنشئين . .؟!

وينقل الشيخ عن كتاب البدائع لابى بكر الكاسانى ما يفيد ان الخليفة هو مجرد ممثل لارادة المسلمين وسـلطتهم او كمـا يقول المتحـضرون اليوم السلطة التنفـيذية لارادة الشعب الذى فوضها . . وقد استقر رأى المسلمين على ان القاضى لا ينعزل بموت الخليفة الذى عـينه ولا بعزله وفسر الكاسـانى ذلك بقوله :« لأن القاضى لا يعمل بولاية الخليفة وفى حقه، بل بولاية المسلمين وفى حقـوقهم ، وانما الخليفة بمنزلة الرسول عنهم لهذا لم تلحـقه العهدة كالرسول فى سائـر العقود والوكيل فى النكاح واذا كان رسولا كان فعله بمنزلة فعل عـامة المسلمين ، وولايتهم بعد موت الخليفة باقـية فيبقى القـاضى على ولايته وهذا بخلاف العزل فإن الخليـفة اذا عزل القاضى او الوالى ينعزل بعزله ولا ينعزل بموته او خلعه لأنه لا ينعزل بعزل الخليفة حقيقة بل بعزل العامة لما ذكرنا ان توليته بتولية العامة والعامة ولوه الاستبدال بتعلق مصلحتهم بذلك »

فالخليفة مجرد منفذ لارادة العامة ، والعامة هم الذين يولون القاضى ويعزلونه ولو صـدر القرار باسم الخلـيفـة نيابة عـنهم فالقـاضى يحكم باسم الشـعب . . صاحب السيادة . . وهـذا كتب فى القرن السادس الهجرى (الثـانى عشر الميلادى) والحطيئـةعاش ومات فى القرن الاول اى انه علـى امتداد ستـة قرون لم ير الفكر الاسلامى فى الخلافة الا حكما بشريايتم بارادة المسلمين ونيابة عنهم بل ان الشيخ يثنى على بيـان حكومة المجلس الوطنى الـكبير فـى انقره الصـادر فى عام ١٩٢٤ الذى اخذ بهذا الرأى بالطبع . . والمسلمون قـبلوا قرار هذا المجلس بجعل الخلافة رمـزية ونقل السلطة للمـجلس المنتـخب وليس صحـيحـا ان المسلمـين ثاروا على اتاتورك لأنه خلع الخليفة او حتى الغى الخـلافة بل لأنه الغى الاسلام وحارب لغة القـرآن . . وجرؤ على مـا لم يجـرؤ عليه الاسـتعـمـار من تحد صـارخ للاحكام الشرعية فى الزواج والطلاق والميراث . . الخ

ويختم هذا الفصل بعد هذا كله باستشهاد من التفتازانى يقول «ولعل فيما سبق كافيا لك فى بيان معنى الخلافة عند علماء المسلمين ومعنى قولهم : انها رياسة عامة فى الدين والدنيا خلافة عن النبى صلى الله عليه وسلم » ص١١

مافيش فايدة لا يصدق المسلمين ولو اقسموا له من الفاروق للحطيئة !

ويختلف على حسن عبد الرازق مع ابن خلدون فيقول انه «زعم » بأن وجوب الخلافة مما انعقد عليه الاجماع .ص١٢

ودليل ابن خلدون مبادرة الصحابة عند وفاة النبى الى بيعة ابى بكر رضى الله عنه وكذا فى كل عصر من بعد ذلك ولم تترك الناس فوضى فى عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعا دالا على وجوب نصب الامام . .

وابن خلدون يتحدث عن الامام او السلطة او الدولة فابن خلدون كان يعيش فى زمن لا وجود فيه للخليفة او لا سلطان للخليفة فى كل البلاد الذى تنقل فيها . .الخليفة فى بغداد كان قد قتل رفصا بالاقدام واقيم طرطور فى مصر ربما لم يكلف ابن خلدون نفسه بزيارته او تحاشاها لكى لا يحرج ويتصدق على الخليفة ببعض الدراهم ولم يعرف عنه الكرم !ولم يكن فى ما تبقى من الاندلس او المغرب كله لا خليفة ولا حتى دعاء غير مستجاب باسم الخليفة . . وفى المشرق كان التتار قتلة الخليفة الاخير الذين فاوضهم ابن خلدون على اساس السياسنامة وليس الشريعة . ولذلك نجد ابن خلدون يتحدث عن الامام ووقوع الاجماع على ضرورته اذ لا يتحقق أمن الا به . ولو كان الشيخ قد قرأ فعلا هوبز او فهم ابن خلدون لوجد تفكير وتعليل ابن خلدون فى نظرية هوبز التى تقول ان الناس لكى يأمنوا ضد العدو الخارجى وضد بغى بعضهم على بعض اتفقوا على ضرورة قيام السلطان الذى يحكمهم . . الخ

ابن خلدون الذى نقل عنه المفكرون الاوربيون وقال عنه مؤرخوهم انه اعظم عقل فى القرون الوسطى والذى استشهد به الرئيس رونالد ريجين فى نهاية القرن العشرين وبالذات حول النظام الضرائبى يخطئه ابن حسن باشا عبدالرازق ! ويشكك فى وقوع الاجماع على الخلافة كما قال ابن خلدون . . وهو يتبع فى

ذلك اسلوب المغالطة . . مرتين بل ثلاث مرات :

يريد ان يستدل بوجود معارضة لشخص الخليفة بأنه لم يقع اجماع على الخلافة وهى مغالطة فسعد بن عبادة لا يمكن القول بأنه عارض فى الخلافة بل هو اول من رأى ضرورة قيامها وسعى لها ورشح نفسه لها ولكنه لم ينتخب فعارض اختيار ابى بكر ولم يعارض مبدأ الخلافة فى حد ذاته وكذلك عارض طلحة والزبير وعائشة ومعاوية وعمرو انتخاب على خليفة ولم يعارضوا الخلافة بل قاتلوا عليها، حتى الخوارج لم ينشقوا على على بن ابى طالب الا بزعم انه قبل التحكيم فى حقه المشروع فى الخلافة .

وليس الا فى دول الديكتاتورية الجاهلة يشترط اجماع الناس على شخص الحاكم، وليس الا فى كتابات المتخلفين يعتبر الخلاف على شخص الحاكم خلافا على الديموقراطية ذاتها !

المغالطة الثانية هى تصور او اشتراط ان يكون الاجماع مثل معاهدات الانجليز ابديا والى ان يشيب التراب ويبيد الغراب ! وانما الاجماع المقصود هو فى الزمان والمكان المعين، ومن من يعتد باجماعهم ويلتزم بهم او من اذا مالوا مال الناس معهم والاجماع حدث من الصحابة بعد وفاة النبى ثم التابعين ولسنوات عديدة بعده على ان الامامة واجبة وانه لابد من قيام سلطة اسلامية اما ان يأتى فرد بعد ما يقرب من قرنين فيتفلسف ويقول لو انصف الناس لاستراح القاضى وانه لو صدق ايمان المسلمين وكفوا اذاهم عن حرمات الله ما احتاجوا لخليفة . . فيستشهد مفكر بذلك على عدم وقوع الاجماع فذلك تعنت وتلمس لمخرج بالباطل .

ولو قرأ الشيخ على كتابات اخيه مصطفى عن الامام الشافعى لعرف ان المقصود بوقوع الاجماع هو وقت الحدث ولو اختلف الناس بعد ذلك فلا يغير ذلك من حقيقة اجماعهم الاول وشرعيته . والثابت انهم الى ان تدهورت خلافة بنى العباس او بدأت مسيرة الانحدار فى عهد الرشيد كان اجماع المسلمين على ضرورة قيام خليفة واحد للمسلمين وان اختلفوا على شخص الخليفة ومتطلباته او سلطاته، لسبب بسيط جدا هو انهم كانوا يعيشون فى دولة واحدة فلما تعددت

الدول قبلوا ليس فـقط وجود اكثـر من حاكم شرعى بل واكـثر من خليفة وامـير للمؤمنين .وقد اشـرنا الى الكتاب المخفى للشيخ وهو كتاب الاجـماع فى الشريعة الاسلامية . وسننقل هنا بعض ما جاء فى كـتاب الشيخ عن الاجماع فى الشريعة الاسلاميـة وان كانت الامانة العلمية تمنعـنا من نسبة ذلك اليه مبـاشرة ولكن عدم اعتـراضه لا يمكن اغفال مـعناه ، خاصه وان اهم نقطة فى كـتابه الاول هى نفى الاجماع فى قـضية الخلافة فـقد كان يجدر به ان يعلق لو لم يكن قـد اقتنع بهذا الذى نقله لكى يدرسه طلاب الحقوق :

« الاجماع كـما عرفه بصاحب فـصول البدائع من انه اتفاق المجتـهدين من امة محمد عليه السلام فى عصـر على حكم شرعى . . وان بعض المعتزلة والشيعة هم من انكروا امكانية وقوع الاجماع »ص١١

ويلخص الشـيخ « يتبين مما سـبق ان الذى رجحـه علماء الاصـول وذهب اليه جمهورهـم هو ان الاجماع ممكن عادة » ١٣« والعلم بالاجماع على خـلافة افضل الصديقين من هذه الامـة ايضا من هذا القبيل ، لأن الخلافة امر عـظيم لا يشتبه حالهـا عند احد حتى يدخل كل احـد فى الجمع والاعياد ومـراجعة الاقضـية عند القضـاة وهذا يفيد علمـا ضروريا بأن الاجماع قـد وقع. . . . ومنكر هذا يرتكب «مغالطة فى غاية السقوط ولا يلتفت اليه فافهم ولا تزل فإن ذلك مزلة » «ص١٦ عن شارح مسلم الثبوت»

وقد سلم الشـيخ فى كتـابه عن اصول الحكم على حـجية وشـرعية الاجـماع وامكانية وقوعه وان انكر حدوثه فى قضية الخلافة. .

اما قول الشيخ علـى فى صفحة١٣انه لا وجود لنص على الخلافـة فهو منقول عن كتاب ارنولد بفجاجة وغلظة، والشيخ يحيلنا على كتاب ارنولد اذا اردنا مزيدا فى هذا البـحث وقد رجعنـا كما طلب الشـيخ فوجـدنا انه هو لم يرجع كمـا بينا وسنبين :

يقول الشيخ على «وليـس هناك دليل على ما زعموه من ان الشريعـة اعترفت بالخلافة او الامامة العظمى بمعنى النيابة عن النبى ص والقيام مقامه من المسلمين»

حتى ارنولد لم يتهم المسلمين بذلك ونتحدى ان يوجد نص اسلامى سنى يقول ان الخليفة يقوم مقام النبى وانما ان صح القول فهو يقوم مقام الرسول كرئيس لجماعة المسلمين او دولة المدينة . اما ان الشريعة اعترفت بالخلافة فقد اسلفنا القول بأنه ولو ان فكرة الخلافة والاستخلاف بمعنى الحكم وردت فى القرآن الا انه من البديهى ان هذا الشكل بعينه الذى اوجده المسلمون بعد وفاة الرسول لم يرد فى القرآن ولا نصت عليه السنة بعينه ، وهذا طبيعى والا لما كان الاسلام صالحا لكل زمان ومكان بل لقيد النص الانسان الذى خلقه الله حرا متطورا متكيفا مع ضرورات العقل بتغير الزمان والمكان . ولكن الخلافة بمعنى ضرورة قيام حكومة او سلطان او ولى الامر فى المجتمع المسلم فحقيقة دليلها العقل والنقل . . العقل انه لا يمكن لمجتمع او امة ان توجد بغير حكومة ولا يقبل ولا مبرر لان يحكم المسلمين الا حكومة مسلمة .

اما النقل فهو ورود احكام فى القرآن لا يمكن ان يمارسها الا السلطان ،اى الحكومة . وثبوت ممارسة الرسول للحكم واقرار السماء لحكومته ونزول الوحى عليه باقرار احكامه او معارضتها او تشريعها. وتأكيد القرآن والسنة ان الاسلام يختلف عن المسيحية فى انه دين ودنيا مسيح وقيصر ان اخذنا ذلك بمعنى ان المسيح يرمز للنبوة وقيصر للسلطة . .وان محمدا جاء يبنى للانسانية او على وجه التحديد للانسان المسلم مملكته فى هذا العالم لتكون طريقه لجنة الخلد فى العالم الاخر هذا ما عليه اجماع المسلمين الى قيام حكم اتاتورك فى تركيا وصدور كتاب الشيخ على.

اما القول ان الاشارات التى وردت فى الاحاديث لا تعنى الاعتراف بشرعية الحكومة لأن المسيح اشار لحكومة قيصر ولم يكن ذلك يعنى الاعتراف بشرعيتها ولا تعنى الاعتراف بأن القيصرية من شريعة الله ولا مما يعترف به دين المسيحية وما كان لأحد يفهم لغة البشر فى تخاطبهم ان يتخذ من كلمة عيسى حجة له على ذلك. فكذلك «يستنتج الشيخ حديث او احاديث طاعة ولى الامر . .وكل ما جرى فى احاديث النبى من ذكر الامامة والخلافة والبيعة الخ لا يدل على شئ

اكثر مما دل عليه المسيح حينما ذكر بعض الاحكام الشرعية عن حكومة قيصر»ص١٩

صحيح اقعد عوج واتكلم عدل او كما قال الخضر حسين انه يكتب كلاما يستحيل ان تعثر فيه على جملة صواب او لا يأتيه الصواب من بين يديه ولا من خلفه فهذه نتيجة فاسدة بنيت على مقدمة اشد فسادا . .

اولاالمسيح عندما قال اعطوا ما لقيصر لقيصر فذلك لا يمكن ان يعنى الا الاعتراف بشرعية حكومة قيصر وانه اباح لاتباعه ان يخضعوا لها وان يحترموا قوانينها . فقد كان السؤال فى منتهى الوضوح والجواب عليه فى منتهى الحسم والوضوح .

يا معلم هل ندفع الضرائب لحكومة الرومان ؟

وهو استفتاء صريح حول شرعية حكومة قيصر وجواز الخضوع لها فى اهم ما يميز السيادة وهو دفع الضرائب. ولو قال المسيح لا . . لسقطت شرعية الحكومة والتزم اتباعه بالامتناع عن دفع الضريبة ولابد ان يقاتلهم قيصر ويقاتلونه ، ولكن المسيح قال ان المال هو لقيصر كما ان ما لله هو لله ، فهل يجوز لعاقل يفهم معنى الكلام ان يقول ان اشارة المسيح هنا لله لا تعنى الاعتراف بربوبيته او ان قوله ان المال اى الضريبة هى حق قيصر ويجب ان يدفع له لا يعنى الاعتراف بشرعية حكم قيصر! اليس هذا ما فهمه المسيحيون فلم يثوروا على قيصر ولا حكومته بل رفضوا دين قيصر وفى نفس الوقت ، خضعوا لدولته وتحملوا العذاب فى استشهاد دون اى مقاومة بل اصر بولس مؤسس المسيحية على امتيازاته كمواطن رومانى(١٦) وقاتل المسيحيون من بعده ببسالة فى جيوشه الى ان دخل قيصر فى دينهم !

بل الادهى والأمر ان الشيخ على لم يقرأ ولا حتى كتابه نفسه فهو فى صفحة اخرى من ذات كتابه ٤٩يقول : «لقد كان عيسى بن مريم عليه السلام رسول الدعوة المسيحية وزعيم المسيحيين وكان مع هذا يدعو الى الاذعان لقيصر ويؤمن بسلطانه وهو الذى ارسل الكلمة البالغة اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله »

كيف يجتمع هذان القولان فى كتاب واحد لا يفصل بينهما الا ثلاثون صفحة؟!! كيف يمكن لمن يفهم معنى الكلام ان يقول ان المسيح يدعو للاذعان لقيصر بل ويؤمن لسلطانه وفى نفس الوقت لا يعترف بشرعيته كيف يؤمن المسيح بسلطان لا يؤمن بشرعيته ومن يملك ان يقرر شرعية حاكم فى زمن نبوة عيسى الا عيسى ؟!

لقد ظننت فى البداية ان الشيخ يهرف بما لا يعرف حتى وصلت لحديثه عن يوسف بن يعقوب ففهمت اللعبة . . . الشيخ يفتى بجواز الخضوع لسلطان الكافرين والعمل فى حكومتهم دون ان نؤمن بشرعيتهم فالمسيح كان لا يعترف بشرعية حكم قيصر ولكن يؤمن بسلطانه ونبى الله يوسف بن يعقوب كان « عاملا من العمال فى دولة الريان بن الوليد فرعون مصر ومن بعده كان عاملا لقابوس بن مصعب » ص٤٩

النبى وبالتالى المسلم لا يجوز له ان ينشئ او يرأس حكومة ولكن لا ملامة عليه ان يؤمن بسلطان المشركين ويعمل فى خدمتهم وهذا طبعا يسرى على المشرك الانجليزى والفرنسى. . . افهمت كيف يزل العلماء ؟!

اعرفتم ان الشيخ يتحدث بحساب ويسير بخطوات محسوبة نحو الشرك الذى ينصبه للمسلمين فوقع فيه ومن اتبعه .

ثم كيف يمكن مقارنة موقف المسيح والنبى والزعم بوجود تطابق بينهما. .

محمد هاجر هو واصحابه لكى لا يخضعوا لسلطة قيصر القرشى واسس جيشا ـ لكى لا نقول دولة ـ قاتل به كل قيصر حوله حتى قيصر الاصلى الذى امر المسيح بدفع الاموال له ، ولم يكمل الدين الا بدخول الجيش الاسلامى مكة وتسلم السلطة.(١٧) والنبى لم يكتف بمنع اتباعه من دفع الضريبة للمشركين بل الزمهم بدفعها له وارسل الجباة يحصلونها من المسلمين وغير المسلمين عن يد وهم صاغرون. ولا يمكن اجبار الناس على دفع اموالهم الا بقوة الدولة ، على الاقل لا يمكن اجبار غير المسلم على دفع الجزية وهو صاغر الا بقوة السلطان . . وهل يمكن ان يفرض النبى سلطانا غير شرعى !

ولا اظن ان الشيخ كان غافلا الى هذا الحد ولا اعتقد انه كان هازلا الى هذا الحد بل لعله كان يسخر من الانجليزى الذى طلب منه الكتاب فتبحبح فيه ونسى وطبعه دون تصحيح فهو يقول :«واذا كان صحيحا ان النبى ص امرنا ان نطيع اماما بايعناه فقد امرنا الله ان نفى بعهدنا لمشرك عاهدناه فهل كان ذلك دليلا على ان الله رضى الشرك. . ولا مستلزما لاقرارهم على شركهم »ص١٩

هل هذا من علماء التنوير ؟

موضوع الشرع والتشريع هو الوفاء وليس الشرك فحكم الشرك واضح ومع ذلك فإن الفقيه يمكن ان يستنتج من النص شرعية معايشة المشرك ومعاهدته وحتمية التزام الحكومة الاسلامية باحترام معاهداتها مع المشركين لا اقرار الشرك ورضاء الله عليه!!كيف يستنتج من يفهم اللغة احتمال ورود هذا الخاطرالذى يطرحه الشيخ ؟!

ويزيدنا الشيخ من هذا الخبال فيقول «او لسنا امرنا شرعا بطاعة البغاة والعاصين وتنفيذ امرهم اذا تغلبوا علينا وكان فى مخالفتهم فتنة تخشى من غير ان يكون ذلك مستلزما لمشروعية البغى ولا لجواز الخروج على الحكومة . »

هذا شقلباظ فى التفكير فلا تشريع ولا مشروعية للبغى ولكن التشريع هو مشروعية الخضوع للباغى او المتغلب المسلم يا سيدنا الشيخ وليس اصدقاء الحزب والعائلة من الانجليز. وهذه الاباحة مشروطة بالعجز عن المقاومة العجز عن القيام بثورة ناجحة ومنعا لقيام الفتنة او الفوضى او كما قيل امام جائر ولا فتنة عمياء فالخيار هو بين حكومة ظالمة وطنية او تهديد الدولة والمجتمع والكيان .والمبدأ الشرعى بل المبدأ العقلى هو أن دفع الضرر مقدم على طلب المصلحة ولوكنت قد قرأت هوبزلوجدت انه اخذ هذه الفكرة من الفقهاء الاسلاميين و لتعلمت منه مادمت لم تتعلم فى الازهر شيئا . .ولعرفت ان هوبز يرفض الثورة استنادا لنفس المبدأ ان الفتنة اخطر من ظلم السلطان فهذا المبدأ فى كل الفلسفات وربما اقر هوبز وغيره من فلاسفة الغرب الطغيان والبغى وحاولوا فلسفته ، ولكن عندنا انما ابيح فقط الخضوع المرغم للبغى لكى لا تكون فتنة تعرض الوطن والناس للخطر .

ويسجل الشيخ انه «لا يكاد التاريخ الاسلامى يعرف خليفة الا عليه خارج ولا جيلا من الاجيـال مضى دون ان يشاهد مصرعا من مـصارع الخلفاء ربما كان ذلك شـأن الملوك فى كل امـة وكل ملـة وجيـل ولكن لا نظن امـة من الامم تضـارع المسلمين فى ذلك فإن مـعارضتهم للخلافـة نشأت اذ نشأت الخلافة نفسـها وبقيت ببقائها » ص٢٣

وفى هذا القول غـفلة واستـغفال . . الاسـتغـفال انه ينطلق من التـمرد على الخليفـة للزعم بأنه معـارضة للخلافـة او للدولة او لممارسة الاسـلام للحكم وهو قـول ظاهر الباطل -كـما اوردنا -فكل من ثـار على خليفـة انما اراد ان يكون هو الخليفـة ودعا لنفسه وطلب مـبايعتـه اميرا للمؤمنـين وما اختلفوا الا على قـضايا الحكم فلو كانوا يعتـبرون الاسلام دينا وليس دولة لما قاتلوا عليهـا ، وفيهم من لا يشك فى تقـواه وتدينه . بل ان منهم مـن لم يقاتل الا لفـرط تقـواه واحـساسـه بمسئوليـته كمسلم عن صلاح الدنيـا باصلاح الحكم فهو يثـور على الخليفة وليس الخلافة هو يغضب للحكم من فسـاد الحاكم هو يؤمن ان اسلام المرء لا يكتمل الا اذا اهتم بالدنيا .

امـا الغـفلة فهى انـه عجـز عن ان يرى فى هذه الثـورة الدائمـة دليل اقـتناع المسلمين ببـشرية الحكم والحاكم ولو سـاورهم اى شك انه يحكم نيابة عن الله او بتفويض الهى لما ثاروا عليه الا بعد ثورة على دينهم . . كما حدث فى اوربا . .

ويتساءل الشيخ لماذا رغم كل هذا التاريخ الثورى للمسلمين « وقفوا حيارى امام علم السـياسة وارتـدوا دون مباحـثه حـاسرين . . مـالهم اهملوا النظر فى كـتاب الجمهورية لافلاطون وكتاب السياسة لارسطو وهم الذين بلغ من اعجابهم بارسطو ان لقبوه المعلم الاول الخ . »ص٢٤

ويفسرالشيخ هذا الذى زعمه بأن الخـلافة لم تقم الا على اساس القوة الرهيبة وان تلك القوة كانت فى النادر قوة مادية مسلحة فلم يكن للخليفة ما يحوط مقامه الا السلاح . . » ويقول انه «يمكن التردد فى ان الثلاثة الاول من الخلفاء الراشدين مثلا شـادوا مقامهم على اسـاس القوة المادية . . وبنوه على قواعد الغلبـة والقهر

ولكن ايسهل الشك فى ان عليا ومعاوية رضى الله تعالى عنهما لم يتبوءا عرش الخلافة الا تحت ظلال السيوف وعلى اسنة الرماح وكذلك الخلفاء من بعد الى يومنا هذا»

الحمد لله تراجع الشيخ عن رأيه السيئ فى الخلافة الرشيدة كرامة لمحمد على باشا واولاده واذا كان المثل المصرى يقول من اجل الورد يسقى الشوك فقد قلب الشيخ الاية واكرم الورد تزلفا للشوك !

وحكاية خلو الاسلام من الفكر السياسى اختراع قديم للمستشرقين فنحن نجد قاسم امين قبل سنوات من كتاب الشيخ يرد على هذا الاتهام الذى ورد فى كتاب الدوق دراكور الذى زار مصر ووضع كتابافى التشهير بالمصريين والاسلام . .

لقد رد المفكرون على الشيخ دعواه فى جهل المسلمين بعلوم السياسة وقد عدد له الدكتور ضياء الدين الريس خمسة عشر مؤلفا فى السياسة لشيوخنا من المفكرين الاسلاميين وقرعه بأنهم ترجموا وشرحوا كتاب ارسطو فى السياسة وجمهورية افلاطون وانتشرا بين المثقفين اكثر مليون مرة من انتشار كتاب الشيخ على ولم يمنعهما الملوك فكيف ولماذا كانوا سيمنعون فقيها من التأليف فى السياسة؟ وهل يمكن ان يقول فقيه فى ذلك الزمن اخطر مما قاله ارسطو وافلاطون. . ؟!فضلا عن ادعاء ان السبب هو مكر الملوك واستبدادهم فحرموا السياسة على الجماهير . .بل ان هذا الاستبداد وهذا التحريم هو احد الاسباب الرئيسية لاهتمام الناس بالسياسة ونشاط الفكر السياسى فلم يظهر هذا الفكر فى اوربا الا فى مواجهة استبداد الملوك واصرارهم على الحكم بالقوة وحدها بعد ان فقد حكمهم مبرر وجوده ولم يطالب الاتراك بالدستور ويحصلوا عليه الا عندما جاء سلطان يحرم تداول كلمة دستور !

ولو ان اهل الشيخ لم يتعجلوا ارساله لاوربا قبل ان يكتمل علمه بتراثه لعرف ان المسلمين قد استوعبوا فلسفة اليونان وعرفوا انها لم تقم على اساس الدين ولم يستنكروا ذلك ولا اخفوه كما فعل آباء الكنيسة والمثقفون الاوربيون حتى القرن السابع عشر . . ليت الشيخ قرأ هذا النص لابى حيان التوحيدى وهو يشرح للوزير

ان الحكم فى اليونان لم يكن على اساس من الشريعة بل على تحرى المصلحة فإن تغيرت المصلحة غيروا نظام الحكم ! يقول ابو حيان التوحيدى « القرن الرابع الهجرى » : «وليس ليونان نبى يعرف ولا رسول من قبل الله صادق ، وانما كانوا يفزعون الى حكمائهم فى وضع ناموس يجمع مصالح حياتهم ونظام عيشهم ومنافع احوالهم فى عاجلتهم ، وكانت ملوكهم تحب الحكمة وتؤثر اهلها ، وتقدم من تحلى بجزءمن اجزائها ، وكان ذلك الناموس يعمل به ويرجع اليه حتى اذا ابلاه الزمان واخلقه الليل والنهار ، عادوا فوضعوا ناموسا اخر جديدا بزيادة شئ على ما تقدم او نقصان على حسب الاحوال الغالبة على الناس والمغلوبة بين الناس « اظن انها المطلوبة ج » ولهذا لا يقال : ان الاسكندر فى ايام ملكه حين سار من المغرب الى المشرق كانت شريعته كذا وكذا وكان يذكر نبيا يقال له فلان او قال انا نبى . ولقد واقع دارا وغيره من الملوك على طريق الغلبة فى طلب الملك وحيازة الديار وجباية الاموال والسبى والغارة . ولو كان للنبوة ذكر وللنبى حديث لكان ذلك مشهورا مذكورا ومؤرخا معروفا » بحروفه

أفأنت يا شيخ على تعلم اسلافنا سياسة اليونان والله ما كان عالم فى اوربا الى ما بعد الف سنة يعرف هذا فضلا عن ان يجرؤ على اثباته بهذه الموضوعية بل هل اقول بهذا الميل . . بل ان الشيخ عندما استشهد من ابن خلدون نقل عنه قوله «وما الملك الا التغلب والحكم بالقهر ومن كلام انوشروان فى هذا المعنى بعينه الملك بالجند وينسب الى ارسطو الملك نظام يعضده الجند » فابن خلدون اكتشف ان الملك لا يقوم الا بالجند او الغلب قبل هوبز وقبل الشيخ على. وابن خلدون قرأ ارسطو واستشهد بفكره السياسى وابن خلدون فهم ارسطو افضل الف مرة من الشيخ على ولم يبلغ الجهل بأحد مبلغ ادعاء ان ابن خلدون الف كتابه للثورة ضد سلطان مصر !

ولكن الشيخ لم يدرس لا تراثه ولا الفكر السياسى الاوربى ولا اطلع على النظرية الماركسية والا لعرف ان وعى الناس لا يغير واقعهم ولكن تغير واقعهم هو الذى يغير وعيهم ، فالفكر السياسى لا يتحول الى حركة جماهيرية تتيح له

الانتشار والاشتهار الا بوجود حركة اجتماعية تتبناه وتطرحه كحل لمشكلة المجتمع..

وفى اطار الخلافة كان الفكر السياسى الاسلامى هو اكثر المباحث اثارة لاهتمام الناس والعلماء ولم تترك فكرة حول الدولة الا وطرقت ونوقشت من الخلافة الرشيدة الى الملكية المطلقة الى الحق الالهى والدم المقدس «الشيعة بفرقهم المتعددة» الى الجمهورية الشعبية التى ترفض الدم الملكى والنسب ، الى القيادة الجماعية كما فى القرامطة لفترة، الى الذين نفوا الحاجة اطلاقا لحكومة ..كل هذه الآراء طرحت ونوقشت ولبت احتياجات عصرها وسلحت كل الاطراف بالفكر المبرر والمنشط لموقفها .

من الجهل القول بإن نظاما يمكن ان يقوم ويستمر وينتج حضارة تعتمد على القوة المادية وحدها الف سنة ! هذا من التبسيط المخل والمخجل .. القوة بالطبع هى اساس الدولة ولولا القوة ما قامت الدولة ولا قامت حكومة ولا كانت سلطة ولا سلطان ولا قانون ولا عدل ولا امن .. عجبى اقرأ الشيخ حقا كتابا عن هوبز ام لخصه له طالب مصرى غير امين ولا قدير ؟ ! الم يقل هوبز« ان العقد او السلطان بدون السيف هو مجرد شقشقة لسان ولا قوة له على حماية الانسان »

وارنى دولة فى العالم منذ ان كانت اول حكومة واول مجتمع الى اليوم استغنت عن القوة فى فرض القانون واستمرارها .. ولكن الدول لا تقوم على السيف وحده ولا الحضارات تبنى بالسيف وحده ، هذا خبل بل لابد من الشرعية اى وجود اقتناع عند الغالبية بشرعية الحكم فإذا فقد النظام هذه الشرعية ، هنا يصبح خارج التاريخ وقد يعيش عشرات السنين ولكن بالقوة المادية وحدها ثم لابد ان ينهار .. ولا احد يشك الا فاسد الضمير فى ان خلافة ابى بكر وعمر وعلى لم تقم على السيف بل حتى على لم تقم خلافته على السيف اذا كان المقصود سيف السلطان او الحكومة او الدولة بل قامت بسيوف الثوار الذين قتلوا خليفة وعينوا خليفة ثم كانت حرب اهلية لم تحسم بنصر عسكرى ودخول جيوش معاوية عاصمة الخلافة بل دخول الناس عام الجماعة كما سموه .

فلا الخلافة قامت على السيف وحده كما يزعم الشيخ : « فذلك ما ذكرنا من

ان الخـلافة فـى الاسلام لم ترتـكز الا على اسـاس القوة الرهيـبـة » ص٢٨ولا حكومـة المسلمـين وحـدهـا التى ترتكز على الـقـوة فى فـرض الطاعـــة بل كل الحكومات.

وينهال الشيخ على الخلافة كأنها عـدوه اللدود ، حتى يفقد السيطرة على قلمه فيجـمع بين تهافت الفكر وبذاءة اللفظ مثل قـوله «ان الكتاب الكريم « تنزه » عن ذكر الخلافة وان السنة النبوية « اهملتها » وان الاجماع لم ينعقد عليها » ص ٣٣

مـا هذا الحقـد الذى يدفع للاسـفاف ضـد الخلافـة او النظام الذى اخـترعـه المسلمون وكان الاطار لحضارتهم وتاريخهم . .«تنزه » اهى عار او نقص اوشين؟!

وصلوات الله على من يتـهمـه بالاهمال ! اذا كـان يحقـد كل هذا الحقـد على الخلافة من اساسها فماذا يبـقى من تاريخ المسلمين اليست الخلافة هى التى فتحت الفتـوح ومصرت الامصار وحـررت الشعوب ونشرت الاسـلام وادخلت اسلاف الشيخ على فـى دين الله . . هل انت نادم وآسف على ذلك أم انتقل إليك حـقد الصليبيين المستعمرين ؟!

القرآن لم يتنـزه عن ذكر الخلافـة ولا السنة اهملتها ولا المسـلمون لم يجمـعوا عليـها كل هذا كـذب وانما لم يحدد القـرآن او السنة شكل الخـلافة بعـينه لكى لا يفرض قيد على حـركة التاريخ وتطور المجتمعات ولكى لا يقـيد النص ارادة الحياة لأن القرآن والـسنة علما انه لا يمكن ان يحكم الـبشر كل الـبشر نظـام واحد كل الزمان . . فنص القرآن والسنة على الحكم وتركـا للناس تحديد شكله فلا تنزه ولا اهمال بل حكمة سامية تفوق من دين جـاء لكل زمان ومكان اما الاجماع فنستطيع القول انه ما من حقيقة بعد الشهـادتين اجمع عليها المسلمون ١٣ قرنا مثل الخلافة وان اختلفوا على الخليفة وسلطاته كما اعتاد الناس ان يختلفوا .

وهو يعتـرف انه لابد من حكومة لكل امة مـتمدينة ويقـول « ان كان الفقـهاء ارادوا بالامامة والخلافة ذلك الذى يريده علماء السياسـة بالحكومة كان صحيحا ما يقولون من ان اقـامة الشعائر الدينيـة وصلاح الرعيـة يتوقفان على الخـلافة بمعنى الحكومة فى اى صـورة كانت هذه الحكومة . . اما ان ارادوا بالخـلافة ذلك النوع

الخاص من الحكم الذى يعرفون فدليلهم اقصر من دعواهم » ص١٣

بل انت الذى بلا دعوى على الاطلاق . . فقد اعترفت بان الخلافة هى الحكومة وانها ضرورية لكل امة اما قولك هذا النوع الخاص فلا اساس له فقد عرف المسلمون كافة اشكال الحكم تحت اسم الخلافة . . عرفوا الخلفاء الراشدين(١٨) وهذه التسمية وحدها تعنى ان من جاء بعدهم غير راشد وشهدوا ان الحكم كله بعد على بن ابى طالب اصبح الملك العضوض . وعرفوا حكم السلطان المتغلب والامير المستبد والعادل حتى زمن الشيخ

فرأوا الخليفة الذى يحكم بدستور وبرلمان ، والذى لا يحكم لأن الدستور نقل السلطة الى البرلمان وكل هذا اسموه خلافة! فلماذا هذا الحقد على الاسم . . لأنه يريد ان يقول ان الاسلام مثل المسيحية يترك ما لقيصر للملكة فيكتوريا وجورج الخامس وادوارد السابع . .

ثم يهوى الى السوقية « الخلافة لم تزل نكبة على الاسلام والمسلمين وينبوع شر وفساد » ص٣٦

كيف كان ذلك والخلافة هى التى اقامت حضارة الاسلام ولم ينبع الشر منها بل اصابها الشر كما يصيب كل النظم والحكومات . فالخلافة اسم للحكومة التى بدورها تعكس وضع المجتمع . فكل ما يعدده من نكبات اصابت المسلمين بعد ان تحولت باتفاق المسلمين الى الملك العضوض . اما الخلافة فكانت صيغة اكتشفها المسلمون الذين عاشوا عصر النبوة فجاءت تحمل بعض نفحاته . كما عكست التكوين النفسى للعرب ، الايمان بأن الناس يولدون احرارا مع تأصل الفردية ورفض السلطة الملوكية وكانت اعظم نظام عرفته البشرية فى حينه وعلى امتداد الف سنة بل قد يقول البعض ولا مثيل عليه الى اليوم .

ويستشهد من ابن خلدون « وقد علمت مما نقلنا لك عن ابن خلدون أنه قد ذهب رسم الخلافة واثرها بذهاب عصبية العرب وفناء جيلهم وتلاشى احوالهم ويقى الامر ملكا بحتا وليس للخليفة منه شئ » ص ٣٦

نحن علمنا ولكن هل تعلمت انت شيئا اذا كنت قد اقتنعت فلماذا تحاسب

الخلافة على افعال بيازيد وعبد الحميد ؟ ! ولماذ تحاسب الخلافة على نصوص من القرن الخامس الهجرى وانت تعترف ان الخلافة من القرن الثالث « اخذت تنتقص من اطرافها حتى لم تعد تتجاوز دائرة ضيقة حول بغداد » ص٣٦

بل ولا حتى فى بغداد كان للخليفة من امر ولا نهى . فمن كان الشيخ يحارب فى القرن الثالث عشر الهجرى عندما تصدى للخلافة التى بشهادته زالت فى القرن الثالث الا خلافة العثمانيين خدمة للمجهود الحربى البريطانى !

وبنفس الاسلوب والمنطق يتحدث عن قضاء رسول الله ! فهو يبدأ بالاعتراف بأن «القضاء بمعنى الحكم فى المنازعات وفضها كان موجودا فى زمن النبى» ص٣٩ ولكن لأن هذا ينقض دعواه من اساسها اذ لا قضاء بغير سلطة تنفذ احكامه، ولا سلطة بغير حكومة ومادام القضاء قد وجد فى زمن النبى فقد لزم الاعتراف بوجود حكومة لذلك يعود فيقول إنه تعذر عليه ان يعرف نظام القضاء فى عهد النبى « ان كان له نظام » ص ٤٠

اى نظام تريد ؟!

متخاصمان يحضران الى رسول الله او القاضى الذى غالبا ما يكون الحاكم او شيخ القبيلة ويدلى كل منهما بحجته فيقضى بينهما وينفذ حكمه . . وغالبية القضاء هو هكذا. . قضية مرفوعة من طرف على طرف او من الطرفين وبمجرد لجوئهما للقضاء تأخذ العدالة مجراها ويطبق القانون وخاصة اذا كان فى الامر جناية او حق عام . . والرجل جاء بشاب قد زنى بزوجته يطلب تنفيذ القانون فحكم النبى برجم الزوجة وجلد الشاب الاعزب وتغريبه . . وحاول الرجل ان يتملص فأبت الدولة الا التنفيذ . . اهذا قضاء ام رأى استشارى كما يقول المستشار الجاهل !

والمخزومية سيقت الى القضاء بتهمة السرقة وحكم رسول الله بقطع يدها وثار اهلها ضد الحكم ، فليست كل احكام الرسول كانت على هوى الناس كل الناس ولا كلهم كان يتقبلها فرحا مغتبطا كما يحاول الشيخ ومن اتبعه ان يوهموا لا اجلالا للرسول بل انكارا لسلطته ، اما نحن فنقول ان ليس كل الاحكام كانت

تقابل بالفرحة والتسليم خاصة اذا كانت تقضى باعدامهم او قطع ايديهم . . حتى فى القضايا المدنية كان بعضهم يجد حرجا مما حكم ولذلك اكد القرآن ان ايمانهم لا يكتمل حتى يزول هذا الحرج من نفوسهم .

اى قضاء اكثر من هذا واى نظام اضيف للقضاء يخرج عن هذه المبادئ العامة او ما حدده معاذ فى الحديث المشهور الحكم بالنص والا الاجتهاد . . هل كان يريد محاكم مختلطة ومحاكم قناصل ومحاكم دنشواى فى مدينة الرسول واستئناف ونقض وقضاء اداري ومدنى وتجارى ومستعجل ومحكمة تسعيرة وقانون مرافعات وحاجب يصرخ محكمة. . والا فلا وجود للقضاء ولا نظام له ان وجد ولا سبيل لمعرفته ان كان له نظام !

اختشى يا شيخ !

بريطانيا ليس لها دستور مكتوب ولا اسرائيل فهل يستطيع فقى كتاب ان يقول انهما بلا نظام للحكم !

لا احد ينكر ان رفاعة اكثر علما بتاريخ الاسلام والثقافة الغربية من الشيخ على وكان له من الاثر فى تنوير الفكر المصرى العربى الاسلامى المصرى ما لا يدعيه احد للشيخ على ولكن الشيخ المهدى المتفتح المتنوراذا تحدث عن رفاعة رافع الطهطاوى قال « بعضهم»ص٤٠ لعل الشيخ لم يقرأ «ليس قولك من هذا بضائره»! والسبب فى تجاهل الشيخ على لرفاعة ان استاذ الاجيال بحق الف كتابا لإثبات حكومة الرسول واحصى جميع الوظائف والذين تولوها ومنهم قضاته صلى الله عليه وسلم وان كنا نفترض طبعا قلة العدد ، لعاملين ان سلطة النبى لم تتجاوز المدينة ما يقرب من سبع سنوات من عمر دولته الذى لم يتجاوز السنوات العشر وماكان لأحد أن يقضى فى المدينة فى حياة رسول الله ، قاض غيره ، يأبى الله والمسلمون ، وحتى زمن عمر كان الناس لا يحتاجون للتقاضى فالقاضى الذى عينه ظل عاما لا يختصم اليه احد فاستقال كراهية للتعطل . .

لقد كان رفاعة ثاقب البصيرة شديد الوعى بالمنزلق الذى تردى فيه المسلمون بحكم التخلف وتفشى الفكر المسيحى فيهم مع تدهور حضارتهم ، فأصبحوا

يتعففون عن تولى مناصب الحكم ويزعمون انها بدعة « مبتدعة وليست متبعة وان العامل على خطة دنيوية ليس عاملا فى عمالة سنية ويظن ان عمالته دنية فلهذاجمعت ما علمته من تلك العمالات فى كتاب يوضح نشرها ويبين الامر لمن جهل امرها فذكرت فى كل عمالة من ولاه الرسول من الصحابة ليعلم ذلك من يليها الان فيشكر الله على ان استعمله فى عمل شرعى كان يتولاه من اصحاب الرسول . . »

وقد افرد المعلم الاول للفكر المصرى بل العربى الحديث رفاعه رافع الطهطاوى كتابا خاصا لهذه القضية اسمه وحده يغنى عن التعليق والجدل فقد سماه : « الدولة الاسلامية . . نظامها وعمالاتُها . . وهو المتمم لكتاب . . نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز صلى الله عليه وسلم . . تأليف الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى »

الباب الاول فى الوظائف والعمالات البلدية خصوصية وعمومية اهلية داخلية وجهادية التى هى عبارة عن نظام *السلطنة الاسلامية* وما يتعلق بها من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية على ما كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

السلطنة يا أوغاد ! يا فسقة أأنتم أو شيخ على أعلم بتاريخنا الاسلامى او بالثقافة الغربية من رفاعة رافع الطهطاوى اولو كتب تاريخ التنوير فى مصر تستحقون فيه سطرا بجانب مجلد الطهطاوى ؟!

وقد سجل المعلم الاول للنبى ١١ سفيرا او مبعوثا اوفدهم الرسول فى مهمات سياسية او دبلوماسية لحكام العالم من قيصر الى حاكم مصر الى ملك الحبشة وكسرى الفرس وغيرهم . واثبت انه كانت هناك قوائم وسجلات واحصائيات ويقول ان هذا التدوين لم يكن فى حجم ما حدث زمن عمر « حيث لم تكثر الناس كثرة ايام عمر ولا جبيت الاموال ولا تأكدت الحاجة الى ضبطهم والا فنوع الديوان موجود فى عهده صلى الله عليه وسلم» ص١٢٢

ويعدد الولاة فيقول : « امر رسول الله عتاب بن اسيد على مكة واقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان وقال له انطلق فقد استعملتك على اهل بيت الله فكن

شديدا على المريب لينا على المؤمن ، ص١٣٤ولم يزل اميـرا على مكة حتى قبض رسول الله واقره ابوبكر على مكة فلم يزل عليـها الى ان مات فى نفس يوم موت ابى بكر»ص١٣٤

امـا اليمن فـقد ذكـر الثعـالبى ان «باذان ويقـال باذام اول من اسلم من ملوك العجم واول اميـر فى الاسلام على اليمن وقد مات فى حـياة النبى ويقال ان النبى ولى ابن باذان على صنعاء واعمالها فقط لا على جميع اقاليم ابيه»١٣٥

ويقول فى القـضاء وفى حكم الرسول بشـهادة الشهود ولـيس بعلمه اللدنى: «كان الله بـوسعه اطلاع الانـبياء علـى الغيب لكى يحكمـوا به فى القضـايا التى تعرض عليهم ولكن ذلك كان يجعل من العسير على من يأتى بعدهم ان يفصل فى الشجار والخصام » ١٣٦

وقد قلد رسول الله عـمر بن الخطاب القضاء وعلى بن ابـى طالب ومعاذ بن جبل ١٣٦

اما السجن فموجود من عهد رسـول الله فقد ورد انه سجن الرجال والنساء فقد حبس رجلا فى تهمة ١٥٨

«واستـخلف فى غزوة الأبواء على المدينة سعـد بن عبادة واستـخلف فى غزوة تبوك محمد بن مسلمة الانـصارى وقيل بن عرفطة واستخلف على اهله على بن ابى طالب فى غزوة تبوك »١٧٠

«قال النبى المكيال مكيال أهل المدينة والوزن وزن أهل مكة» ص٢٤٨

وقد سبق ان اشـرنا الى قول توماس ارنولد «ان النبى لم يكن مجـردمشرع بل جلس على منصـة القضاء »ومـا استشـهدنا بارنولد الا ان الشـيخ جعله له امـاما ولأننا نعتقد ان الشـيخ على عندما عرضوا عليه كتـاب ارنولد الذى حاول ان يثبت فيـه أن الخلافـة ماتت مـنذ حرب الامـين والمأمون او المعـتصم رد الشـيخ بعنطزة الصعايدة :طب وايه يعنى أنا سأثبت لكم انها لم تقم قط !

ويشكك الشيخ فى وجود الدولة فيزعم تارة ان النبى لـم يعين واليا ولا قاضيا ومرة يستـشهد بقلة عـدد من احصاهم كـتاب السيرة دون ان يذكـر لنا بلدا واحدا

فتحه النبى او فتحه الله عليه ، ولم يعين فيها ولاة ! اذا كنت تعترف انه عين اميرا على الجيش وعين عاملا على المال واماما للصلاة واثبت استاذ اساتذتك الطهطاوى انه عين قضاة . . فلماذا تعود وتشكك فى ذلك ؟

بالطبع اختلف اسلوب ارتباط الاطراف بالمدينة باختلاف المجتمعات والتقاليد والعادات وامن الدولة ففى البلدان التى قامت بها المدن ومجتمعات حضرية ذات تاريخ عريق عين عليها النبى الولاة واحصتهم المصادر التاريخية ونقلهم الشيخ على نفسه ولم ينكر ذلك ولا شكك فيه كعادته .اما حيث نظام القبيلة المتجذرفما كان النبى ولا النظام الذى قام بعده الى يومنا هذا بالذى يدمر نظام القبائل ، فالقبيلة هى النظام او التشكيل الذى تطور لمواجهة تحديات الطبيعة فى الجزيرة العربية واصبح الصيغة الوحيدة التى يمكن الحياة من خلالها . وهدم النظام القبلى يهدد الحياة كلها وفى كثير ان لم يكن فى معظم الحالات كانت القبيلة تسلم خلف زعيمها بل ان « بيلى»المبعوث الانجليزى فى القرن التاسع عشر عندما سأل البدو لماذا لم يدخل الصليبه الاسلام كان ردهم لأن الصلبية ليس لهم شيخ فلم تكن هناك وسيلة لعرض الاسلام عليهم !! (١٩) لذلك كان من الطبيعى ان يقر النبى والخلفاء من بعده والسلاطين شيخ القبيلة الذى يدخل فى الطاعة فى منصبه فلا مبرر لعزل زعيم اسلم وادخل قومه الاسلام وعائلته تحكم القبيلة منذ مئات السنين ليعين لهم النبى شيخ قبيلة من المدينة او مكة !! اى مختل يتصور ذلك او يستشهد بعدم حدوثه على ان النبى كان عازفا عن حكم هذه القبائل ؟! هل لأن الحكومة البريطانية اقرت الخديو توفيق على عرش مصر ولم تعين خديوى انجليزى وتركت معظم ولايات الهند تحكم بنفس العائلات التى كانت موجودة قبل الاستعمار يعنى انها كانت عازفة عن الحكم ولم تمارسه ؟

والشيخ اعلم بسلطة بريطانيا وإدارتها . .

النبى ملكا وما ينبغى له !!

ويحس الشيخ انه يقف على ارض غير ثابتة بعد ان اضطر الى الاعتراف بأن النبى قد مارس الحكم ، وبعد ان اكدت كل الاستشهادات التى اوردها انه فعلا كان رئيس حكومة ونتحدى من اتبعه ان يكون الشيخ قد وجد سندا تاريخيا واحدا يثبت ان النبى لم يقم حكومة ولم يمارس الحكم .ولأن الشيخ اعوزته الحجة فقد لجأ الى التأويل بينما اى مسيحى لا يحتاج للف والدوران امام النصوص الواضحة والممارسة وكلها تثبت ان المسيح اقتصر على الرسالة الالهية ورفض ان تكون له سلطة فى هذا العالم ، ويحس الشيخ ان حجته التى تمسك بها وهى بساطة الحكومة وقلة الحالات لا تسعفه اذ لابد من التسليم ان كل دولة كانت بسيطة فى بدايتها لذلك يلجأ للارهاب . . فيفرض علينا ان نقبل كون النبى كان ملكا اذا صممنا على انه حكم ! وهو يعرف ان النبى نفى ان يكون ملكا ونهى ان يقوم اصحابه له كما تقوم الاعاجم «لملوكها » .وهل يعقل ان المسلمين الذين نزهوا خلفاء رسول الله ان يكونوا ملوكا بل وارخوا تدهور الامور بقيام الملك العضوض كانوا يرون فى رسول الله ملكا وفى حكمه ملوكية؟!

الشيخ يريد ارهابنا فاما ان تقبلوا ان النبى لم يحكم ولم يقم دولة بل كان قسيسا اواقل من شيخ طريقة او رئيس دير لأن حتى هؤلاء يمارسون اعمالا دنيوية ولو فى ادارة شئون الطائفة او اهل التكية .اما ان نقبل تنصير النبى والاسلام ونقر عن يد انه مثل اخوانه من الرسل ومافيش حد احسن من حد والا فهو ملك مثل احمد فؤاد !! ولو ان الشيخ يقول فى موضع اخر:«ولا نعرف فى تاريخ الرسل من جمع الله له بين الرسالة والملك الا قليلا» ص٥٠ وتجنب الحديث عن هذا القليل ليترك لنا فرصة الاختيار بين ان يكون محمد نبيا او ملكا؟!. بل ان الشيخ يفقد رشده ويدور رأسه فيشكك فى رسالة محمد او ينفى اسلامية جهاده فيقول «وما عرفنا فى تاريخ الرسل رجلا حمل الناس على الايمان بالله بحد السيف»

فماذا كان جهاد النبى ؟!

يعلن الشيخ انه «لم يكن لله ولا للدين وانما لتوسيع الملك وتثبيت السلطان » ٥٢ «واذا كان الرسول قد لجأ الى القوة والرهبة فذلك لا يكون فى سبيل الدعوة الى الدين وابلاغ رسالته للعالمين وما يكون لنا ان نفهم الا انه كان فى سبيل الملك ولتكوين الحكومة الاسلامية ولا تقوم حكومة الا على السيف وبحكم القهر والغلبة ، فذلك عندهم هو سر الجهاد النبوى ومعناه » ص٥٣

وهذه منقولة عن ارنولد ولكن بفجور قال ارنولد « من اعظم اكتشافات المؤرخين الجدد ان الفتوحات الاسلامية لم تكن نتيجة حركة روحية تريد هداية الارواح بل توسع للقبائل العربية وصحيح ان الدين كان موجودا ولكن بنسبة قليلة جدا عند الفاتحين» ص٢٤.

وانظر رأى ابن خلدون الذى لا يصل الشيخ ولا المسترسيده الى حل سيور حذائه « اعلم ان الملة لابد لها من قائم عند غيبة النبى يحملهم على احكامها وشرائعها ويكون كالخليفة فيهم للنبى فيما جاء به من التكاليف. . والملة الاسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعا لعموم الدعوة . . . اتحدت فيها الخلافة والملك واما ما سوى الملة الاسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم مشروعا . . فصار القائم بامر الدين فيها لا يعنيه شىء من سياسة الملك لانهم مطالبون باقامة دينهم فى خاصة انفسهم »

اما الشيخ على فالحمد لله لم يقل من هم الذين يعنى «بعندهم» لعله يقصد الخواجات الذين نقل عنهم فلم نسمع هذا الرأى لأحد من المسلمين ! وسنتغاضى عن تطاوله على رسول الله والجهاد فحسابه عند الله ، انما نتعجب من قدرته على التلون فكتابه كله يحاول ان يثبت ان النبى لم يحكم ولم يقم حكومه وانه «لا يعرف لأحد من العلماء رأيا صريحا فى ذلك البحث ولا يجد احدا ممن تعرض للكلام فيه بحسب ما اتيح لنا» ومن ثم يستنتج ان الذين قالوا بذلك هم العامة «ان المسلم العامى يجنح غالبا الى اعتقاد ان النبى كان ملكا رسولا وانه اسس بالاسلام دولة سياسية مدنية كان هو ملكها وسيدها ولعل ذلك هو الرأى الذى يتلاءم مع

ذوق المسلمين العام ، مع ما يتبادر من احوالهم فى الجملة »

هل الطهطاوى الذى الف كـتـابا فى نظام السلطنة الاسـلامـية مـن العامـة يا سوقى؟!

ولكن يبدو انه ما ان كتب هذه السطور الثلاثة حتى تبادرت الى علمه معلومات جديدة فاضاف دون ان تطرف له عين « بل ولعله ايضـا هو رأى جمهور العلماءمن المسلمين » بل ويفاجئنا بانه انحاز لرأى العامة ورأى جمهور علماء المسلمين فينقض دعواه من اساسها ويقول : « ولاشك ان الحكومة النبـوية كان فيها بعض ما يشبه ان يكون من مظاهر الحكومة السياسية واثار السلطنة والملك » ص٥٢

ويقـول ان النبى جـيش الجيـوش وشن الحـرب واراق الدم لتكوين الحكومـة الاسلامية !

ماشى يا شيخ على سنقبل ذلك منك ونقول مادمت قد شهدت بأن النبى صلى الله عليه وسلم قاتل عـشر سنوات لتكوين الحكومة الاسلامـية فكيف يكون قائل هذا هو مكتشف انه لا حكومة فى الاسلام ؟ !

كيف ؟!

بل هو لا يعتـرف بوجود حكومة فـقط بل ودولة : « الجهـاد كان اية من ايات الدولة الاسلامـية كذلك كان فى زمن النبى عـمل كبيـر متعلق بالشئـون المالية من حـيث الايرادات والمصروفـات ومن حـيث جمع المال من جـهـاته العديدة الزكـاة والجزية والغنائم ومن حيث توزيع ذلك كله بين مصارفه وكان له سعاة وجباة. ولا شك ان تدبير المال عمل ملكى بل هو اهم مقـومات الحكومات على انه خارج عن وظيفة الرسـالة من حيث هى وبعيد عن عـمل الرسل باعتبارهم رسـلا فحسب. . وقد يكـون من اقوى الامثلـة فى هذا الباب ما رواه الـطبرى ان النبى وجـه امارة اليمن وفرقها بين رجاله وافرد كل رجل بحيـزه واستعمل عمر بن حزام على نجران وخالد بن سعيـد بن العاص على ما بين نجران وزبيد وعامـر بن شهر على همدان وعلى صنعـاء ابـن باذم وعلى عك الأشـعـر بن الطاهر وعـلى مـأرب ابا مـوسى الاشعرى وعلـى الجند يعلى بن ابى امية .وكان مـعاذ معلما يتنقل فى عـمالة كل عامل باليمن وحضرموت» ص٥٤

اوقع الشيخ نفسه فى مأزق فها هو يعترف بأن النبى أقام حكومة وباشر كل سلطات السيادة التى تتميز بها الدولة فما المخرج ؟

بسيطة !

اولا لم تكن دولة على الطراز البريطانى بل كانت بسيطة وساذجة « ولا تجد فيما جاء به من شرائع حكما يرجع الا الى المبادئ الأمية الساذجة (؟؟!!ج)فلم يكلفهم فى اوقات الصلاة ان يحسبوا درج الشمس ولا مطالع النجوم بل جعل مناط ذلك ما يحس به كل انسان من حركة الشمس المشاهدة فى السماء » ص٦٠

هل كان يقصد الاستفزاز للاستفزاز ام ان الكتاب الف باللغة السواحلية او الاردية فلما ترجم للعربية نسى ان يراجعه فبقى سقط القول هذا؟ هل يجوز هذا التعبير عن رسول الله محمد بن عبدالله الذى وضعه المؤرخ الامريكى على رأس مائة غيروا تاريخ العالم ؟

« كل ما جاء به» ! هل لو كلفناالله سبحانه وتعالى - لأن الصلاة تشريع جاءمن الله وليس الرسول - بحساب الدرج اكان الشيخ فى القرن العشرين يعرف ان يحسب ميقات صلاته فكيف لا تكون دولة ولا حكومة لأنه لم يكلف الناس حساب مدارج الشمس والنجوم فى القرن السابع ؟! الا يعلم الشيخ ان هذا الربط «الساذج » بين مواقيت الصلاة وحركة الشمس هو الذى دفع المسلمين لدراسة الفلك حتى نبغوا فيه وحملوا البشرية كلها معهم الى مستوى اعلى مما تركه اليونان أو بلغه الرومان ؟!

هل ادل من اتبع الشيخ على ما حققه المسلمون من تفوق تكنولوجى بفضل هذا الربط الساذج كما يتفوه الشيخ !

اقرأوا ما كتبه الاستاذ زياد الكردى عن الساعة التى وضعت فى واحدة من مدارس العالم الاسلامى المدرسة المستنصرية : « ومن اعاجيب هذه المدرسة ساعتها الفنية الدقيقة فحين تكامل بناء الايوان المقام مقابل المدرسة وعمل تحته صفة فاخرة وجعل فيه طبيب حاذق مع عشرة طلبة يشتغلون عليه بعلم الطب بنى فى حائط هذه الصفة دايرة عجيبة جعل فيها طاقات لها ابواب لطيفة وفى الدايرة

بازان واقفان فى كاستين من الذهب ووراءهما بندقتان من نحاس اصفر فعند مضى كل ساعة ينفتح فما البازين وتقع منهمـاالبندقتان ، وكلما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب تلك الطاقـة ، والباب من ذهب فـيصـير عندهـا مفضـضا واذا وقـعت البندقتـان فى الطاستـين تذهبان الى مـوضعهـما ثم تطلع شمـوس من ذهب على مساحـة زرقاء اللون مع طلوع الشمس وتدور مع دورتهـا وتغيب مع غيابـهـا . فاذا غابت الشـمس فهناك اقمـار طالعة من ضوء خلفـها كلما تكاملت سـاعة ، تكامل ذلك الضوء فى دائرة القمر ثم يبتـدئ فى الدائرة الاخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس فتعلم بهذه الطريقة اوقات الصلاة »

وتقولى درج يا غفير الدرج انت !

ولا يقتـصر دفاع الشـيخ على سذاجـة الدولة بل اهم من ذلك ان كنا سنضطر للاعتراف بأنهـا دولة وانه حكم او ملك ذلك الذى مارسه النبى فـإن الشيخ يفتى بأنه كان عـملا خارجيـا بدون تصريح عمل او اوفر تايـم قام به النبى بلا تكليف وخارج حدود مهمته كنـبى بل وضد حدود رسالته هو تجاوز من النبى صلوات الله عليه !

ويعترف الشيخ ان هذا الذى اتاه لم يسبقه اليـه احد من المسلمين فيقول : «فاما ان المملكة النبوية عمل منفصل عن الاسـلام عن دعوة الاسلام وخارج عن حدود الرسالة فذلك رأى لا نعـرف فى مذاهب المسلمين ما يشاكله ولا نذكـر فى كلامهم ما يـدل عليه » ص٥٥ ورغم ذلك يصـر الشيخ على انه «رأى صـالح لأن يذهب اليـه» ٥٥ واذ يصل الشيخ الى هذا الدرك الاسـفل نراه يسف فيـتحـدى « الذين يصرون على أن محمدا قام بدعوة لدين جديد » ص٥٦

خيـبك الله حتـى وإن عينوك وزيرا وجـعلوك باشا ؟! ألم يكن الاسـلام دينا جديدا اهى فلتة لسان كشفت ما اودعـه فى قلبك المستشرقون من زعم ان الاسلام هومجرد مذهب مسيحى ؟!

ويتحدى الشيخ المسلمين :

«أن يفسـروا له اذا كانت الدولة التى اسـسها النبى كـانت تدار شئـونها وتنظم

امورها بوحى من الله تعالى أحكم الحاكمين» لماذا لم تكن هذه الدولة فى مستوى بريطانيا ؟

أولا الطهطاوى قال انها كانت تشمل كل ما يلزم للدولة من عمل واعمال فى عصرها فدولة بريطانية ذاتها التى اعتبرها الكمال المطلق فى عصره لم تكن بالتى تصلح اليوم وليس الا المخبول الذى يشترط للاعتراف بحكومة النبى ان تكون لها التنظيمات التى للدولة الحديثة وهى التى كانت تحكم عددا لا نظنه قدتجاوز عشرات الالوف فى المدينة فى اكثر مراحل اتساعها اما حكم الجزيرة فكان فى السنوات الاخيرة جدا « ليس اكثر من ثلاث سنوات » وسرعان ما تطورت الدولة لتصبح واحدة من احدث واكفأ الدول فى العالم وهى بلاشك قد قامت على تلك الاسس التى وضعها النبى والخلفاء الراشدون فى المدينة .ولو كانت الدولة والحكومة النبوية تدار كما يزعم هو بالوحى الالهى لما كان بوسعها ان تحقق افضل من قدرتها على تلبية احتياجات الناس فى عصرها وهو ما فعلته حكومة محمد البشر . .وأى هدف للدولة يرتجى أو أى دليل على كمالها ينشد الا توفير الأمن الداخلى والخارجى والنصر على أعدائها وتشكيل القاعدة لامبراطورية عالمية. وهو ما حققته دولة المدينة وحكومة النبى بنجاح فصل فيه التاريخ وأحد شهوده عِمَّةُ الشيخ ذاتها .أما أنها كانت تدار بالكامل بموجب تعليمات السماء ففرية من الشيخ ما زعمها جاد ويرددها خلفه الأوغاد .

أما أنها كانت حكومة اسلامية وجزء من الرسالة فماذا تكون ان كان يمارسها النبى صلوات الله عليه ؟!اليس منه اخذنا ديننا فكيف لا نأخذ عنه دنيانا .

لا اتصور ان تبلغ الوقاحة والادعاء من شيخ فى محكمة شرعية فى الارياف فى ظل الحماية البريطانية ان يدعى لنفسه حق رسم حدود رسالة محمد وما يجوز ولا يجوز ان يمارسه النبى كنبى المتصل مباشرة بالسماء والذى يعتبر هو وحده مصدر المعرفة بحدود رسالته واول مصدر للثقة فيها !

ولا يجد الشيخ ما يتعلل به الا ان النبى كان أميا ورسولا للأميين وأن السذاجة مهما وصلت فلا تصل الى اغفال ما استحدث فى انظمة الحكم . . ويضيع من

رجلى الشيخ الطريق فلا يدرى ماذا يناقش .

أيريد ان يقول ان حكومة النبى ساذجة وأمية فهى لا تصلح لنا . . بصرف النظر عن بذاءة التعبير فلا احد ، الا مخبول او مزور يفترى على مطالب المسلمين فيدعى انهم يطالبون بنفس التنظيمات التى كانت فى المدينة على زمن النبى والخلفاء او حتى التى كانت فى بغداد يوم كانت تحكم العالم المتمدين !

ام يريد القول بأنها لم تكن حكومة ولا حكم من اساسه ؟ لأنها بزعمه «خلت دولته من كثير من اركان الدولة ودعائم الحكم. ولماذا لم يعرف نظامه فى تعيين القضاة والولاة ولماذا لم يتحدث الى رعيته فى نظام الملك وفى قواعد الشورى ولماذا ترك العلماء فى حيرة واضطراب من امر النظام الحكومى فى زمنه ولماذا ولماذا نريد ان نعرف منشأ ذلك الذى يبدو للناظر كأنه إبهام . . »ص٥٧

رحم الله شكوكو . . لماذا ولماذا يا جارحة قلبى بأزازا

القضية هى المبدأ فمادامت هناك سلطة مطاعة من الجماعة تشرع القوانين وتفرضها وتتولى مصالح المجتمع والتعبير باسمه داخليا وخارجيا فهى حكومة وهو حكم . . بصرف النظر عن حجم الحكومة وعدد ملفاتها !ان كانت حكومة اللورد اللنبى اكبر واكثر تعقيدا ، فذلك بحكم العصر والبيئة والاحتياجات ، ولكن ذلك لا ينفى انه حكم وانها حكومة . وما اظن الفارق بين حكومة بيزنطة وحكومة النبى فى المدينة كان اكبر من الفارق بين حكومة وشنطن وحكومة القاهرة او تونس اليوم ولن نقول الكونغوا أو أنجولا .

وحتى لو كانت الحكومة عملا اضافيا غير مرخص به من السماء فهى حكومة محمد بن عبد الله فكيف تكون على هذا الاضطراب الذى يزعمه ومحمد هو من وصفه عالم اوروبى لا يصلح ان يتتلمذ عليه الشيخ بأنه كان قادرا على حل مشاكل العالم وهو يشرب فنجانا من القهوة . . ؟!

ومادام يقرر أن النبى صلوات الله عليه عندما حكم كان ملكا فهل يدرى المدافعون عنه انهم يتهمونه اشنع اتهام عندما يزعمون ان كتابه كان طعنا فى الملوك والنظام الملكى عموما وأنه بذلك يستحق شرف الثورية ضد الملك فؤاد ألا يعنى

هذا أنه قد نال من رسـول الله بسبـابه للملوك ؟! على اية حال الشـيخ فى اواخر ايامه رضى عن الرسول والخلفـاء وحكومتهم لكى يدافع عن حكومة مـحمد على وفاروق ابن نازلى .

وأى نظام يتطلبه لتعيين القضـاة فى المدينة فى القرن السابع . .الجدول القضائى او امتحانات النيابة العامة وشهادة الحقوق بدرجة جيد والنشر فى الجريدة الرسمية . . يا للنطاعة !!

ويبدو أن الشـيخ كان يؤلف وهو ينظر فى المـرآة لذا نراه ينسب تعثـره وتخبطه للمسلمين فيقول ان الذين يقولون بأن النبى كان نبيـا ومؤسسا لدولة سياسية «كلما حاولوا ان يقومـوا من عثرة لقيتـهم عثرات وكلما ارادوا الخـلاص من مشكل عاد ذلك المشكل جذعا » ٦٤

فيـن ده ياسى الشيخ ؟!مـين الذى تعثـر ما بين إنكار أن يقـوم النبى بأى دور خارج الدعوة للدين، وبين الاعتراف بأنه مارس دور الملك ، وبين إنكار أن تكون له حكومة او قضـاء ، ثم الاعتراف بأنه فعلا كان له حكومـة وقضاة وولاة ولكن لم يصلك نظامـه ، ثم اعتـرافك بأنه فعـلا مارس الملك ولكن ليس كنبـى ! وانها دولة لكن ساذجه!

من الذى تخبط وتكعبل يا شيخ ؟ !

وأخيـرا يقـرر الشيخ انه لم « يبق امـامك بعد الذى سـبق الا مذهـب واحد وعسى ان تجده منـهجا واضحا . . ذلك هو القـول بأن محمدا مـا كان الا رسولا لدعـوة دينية خـالصة للدين لا تشـوبهـا نزعة ملك ولا دعـوة لدولة وانه لم يكن للنبىﷺ ملك ولا حكومـة وانه لم يقم بتـأسـيس مملكة . . مـا كان الا رسـولا كإخـوانه الخالين من الرسـل وما كان ملكـا ولا مؤسس دولة ولا داعيـا الى ملك وهو قول غـير معروف وربما اسـتكرهه المسلم بَيْدَ أن له حظا كبيـرا من النظر وقوة الدليل وقبل أن نأخذ فى بيان ذلك » ٦٥

الحمـد لله اعتـرف انه لم يبين ذلك بعـد ولا اقام عليـه دليلا فـيما سـبق من صفحـات بل قفز الى هذا الزعم الذى لم يسـبقه اليه احـد بلا بيان !وهو فى هذه

صادق فليس مما قاله حرف واحد يعزز هذا الرأى او حتى يطرحه ! بل بالعكس هذه هى عباراته :

إن «جهاد النبى لم يكن لله ولا للدين وانما لتوسيع الملك وتثبيت السلطان» ص٥٢

ألم يقل « واذا كان الرسول قد لجأ الى القوة والرهبة فذلك لا يكون فى سبيل الدعوة الى الدين وبلاغ رسالته للعالمين وما يكون لنا ان نفهم الا انه كان فى سبيل الملك ولتكوين الحكومة الاسلامية ولا تقوم حكومة الا على السيف وبحكم القهر والغلبة ، فذلك عندهم هو سر الجهاد النبوى ومعناه » ص٥٣

كيف يستقيم القولان ويصدران عن كاتب واحد إلا لأنهما باطلان معا !

الشيخ يجهل أنه لا يمكن فصل الدين عن الدولة الا اذا وجدت كنيسة والا اصبحنا مثل الشيوعية اى مجتمع بلا دين . . ففى المسيحية الكنيسة للدين . . والدولة أو قيصر لشئون الدنيا وانت تعترف ان الاسلام ليس فيه كنيسة وتزعم أنه ليس فيه دولة فماذا بقى للمسلم او ماذا بقى من الرسالة ؟!

وأين الحيرة التى ترك النبى الناس فيها وقد بلغ من هدايتهم ان زعموا ان عمربن الخطاب لم يجد حاجة الى كتاب من رسول الله يشق عليه إملاؤه فى مرضه الاخير لأن الدين واضح والامر واضح .

اين الحيرة وقد انتقلت السلطة من نبى الى حاكم فى اقل من ساعة حوار ؟!

اين الحيرة الا فى رأسك واى مبادئ شورى كان النبى سيتركها لكم؟! الانتخابات بالقائمة او بالفرد والانتخابات على درجة ولا درجتين ؟!

يا شيخ على هل كان فى مصر نظام واضح للقضاء كما كان الحال فى فرنسا مثلا حتى تنفى وجود القضاء فى زمن النبى لأنه غم عليك فلم تستبن لوائحه واجراءاته وافتقدت مجلة المحاماة فى القرن السابع الميلادى ؟!

ويعود فيلتمس مخرجا من العثرات التى اوقع نفسه فيها محاولا ان يفسر السلطان الذى لا شبهة فى تمتع النبى به وممارسته . فقد كان رسول الله يملك اقوى قوة عسكرية وادق جهاز ادارى فى جزيرة العرب . . ومارس كل السلطات كما شهد توماس ارنولد شخصيا ! فكيف يفسر ذلك وهو قد نفى الدولة والحكم

والحكومة ؟!

طربوش الشيخ مليان لعب وفتاوى فهو يفسر ذلك بطرح نظرية جديدة فيقول لنا :« ان مقام الرسالة يقتضى لصاحبه سلطانا اوسع مما يكون بين الحاكم والمحكومين . . الرسالة تستلزم لصاحبها نوعا من القوة التى تعده لأن يكون نافذ القول مجاب الدعوة فإن الله جل شأنه لا يتخذ الرسالة عبثا ولا يبعث بالحق رسولا الا وقد اراد لدعوته أن تتم. . » ص٦٦

وها انت ترى الشيخ كلما حاول القيام تعثر وكلما استند على ما يقوم به هوى تحته وهوى فوقه . .فهذه من استخراجاته وجميع ما ورد في القرآن من قصص الانبياء إما استهزئ بهم ولم يستجب لدعوتهم ، ابتداء من نوح الذى بعد ٩٥٠ سنة اضطر الى الهرب بحمولة سفينة ولم يكن له اى قوة ولا سلطان عليهم ، ثم ابراهيم الذى حملوه وقيدوه وفى النار وضعوه وهو بلا حول ولا قوة ولا سلطان الا رعاية الله التى نجته واخرجته من تحت سيطرتهم .ولوط الذى لم يستطع حماية ضيفه من اللوطيين حتى عرض بناته على القوم الفاسقين ثم هرب بجنح الليل وصرخ لو أن لى قوة أو آوى لركن شديد . . وهود وصالح . . الخ . . فحكاية انه لابد من سلطان لكل نبى ولابد من ان تطاع كل دعوة نبوية هى من استخراجات واختراعات الشيخ ودليل آخر على أنه كما قال سعد زغلول جاهل بأمور دينه .

أما الذين انتشرت دعوتهم وبقيت الى اليوم فموسى الذى كان نبيا وحاكما اذ لم يجتمع في عصره نبى وملك كما سيعرف تاريخ اليهود بعد ذلك ، عندما تنقسم الكنيسة عن السلطان . وموسى كان رئيس قومه فى مصر وهرب بهم لأنه لم يكن له من السلطان ما يمكنه لا من هداية فرعون ولا حتى كف اذاه ، فلما خرج بهم الى الصحراء حكمهم بموجب الوصايا التى نزلت عليه فى الالواح وطبق عليهم العقوبات .

أما المسيح فلم يكن له اى سلطان بعكس مايزعم الشيخ على ، ودعوته هى التى تضم اكبر اتباع وقد اخذ قبضا باليد وحوكم وحكم عليه وسيق الى الصلب

فصلب فى اعتقاد المسيحيين واليهود ونجاه الله فى دين المسلمين .فأين السلطان الذى لكل رسول حتى يزعم انه لا غرابة فى سلطان محمد ويعتذر انه « قد يتناول الرسول من سياسة الامة مثل ما يتناول الملوك ولكن للرسول وحده وظيفة لا شريك له فيها. من وظيفته ايضا ان يتصل بالارواح التى فى الاجساد وينزع الحجب ليطلع على القلوب التى فى الصدور له بل عليه ان يشق عن قلوب أتباعه»ص٦٧

وهذه نخعة اخرى من الشيخ تدل على انه بلغ الذروة فى الجهل بدينه ، وانه بسبب سوء نيته يأتى بمقدمة فاسدة ليصل لنتيجة افسد . .واغلب الظن انه كان ينقل من دليل الجندى ارزاموس فالله سبحانه وتعالى يقول لنبيه انما الروح من امر الله وما اوتيم من العلم الا قليلا ، والنبى نهى عن التفتيش عن القلوب وشق الصدور وقال امرت ان اقبل من الناس علانيتهم وان يكتفى بقولة لا اله الا الله وقال للمتخاصمين انه لا يعلم الا ما يقولان . .ليس فى ديننا اتصال بالارواح ولا شق الحجب عن القلوب هذا هذريحق ان يقال لصاحبه العب غيرها !

ثم من قال ان النبى اما ان يكون رسولا او حاكما ؟!

نعم النبى مارس الحكم ولكن كجزء من الرسالة . .

النبوة هى صفته الاساسية والرسالة تندرج تحتها فهو علم الناس دينهم كما اوحى اليه لا زيادة ولا نقصان وشرع لهم الحكم كجزء متمم للدين لا يكتمل اسلام الا باسلام الدولة ثم مارس هذا الحكم بما وسع اجتهاده البشرى لكى لا يضع التاريخ فى قيد الزمكان فى عصره ولكى لا يستبد احد برأيه ولكى لا تنسب للسلطة المسلمة اية قدسية او عصمة . . وبذلك تكون قابلة للمحاسبة والتغيير .

والشيخ مسلى ومضحك ليس فى كتابه خمس صفحات تتفق مع خمس اخرى . هو بلا منطق ولا موقف الا محاولة اثبات جواز خضوع المسلم لحكم الاجنبى الكافر وسقوط شرعية الخليفة ، فبعد كل ما دبجه عن استحالة ان يكون النبى قد مارس الحكم او الملك يعود فيقول :« من اجل ذلك كان سلطان النبى صلعم بمقتضى رسالته سلطانا عاما وامره فى المسلمين مطاعا وحكمه شاملا،

فلاشيء مما تمتد اليه يد الحكم الا وقد شمله سلطان النبى صلعم وإلا وهو داخل تحت ولاية النبى صلعم على المؤمنين.»ص٦٨

اين هذا من قوله او تنازله فى ص٥٢ اذ يقول « لاشك فى ان الحكومة النبوية كان فيها بعض ما يشبه ان يكون من مظاهر الحكومة السياسية واثار السلطنة والملك» هناك شبهات !!وبعد ملزمة واحدة من القطع الصغير اصبح سلطانا عاما شمل كل اوجه الحكم بلا استثناء كيف يكون هذا من فعل كاتب واحد. هل اعدوها له فصولا ورصعها باسمه او بصم عليها بعمامته كما شك معاصروه ؟ !

اين قوله هنا ان هذا الحكم بموجب الرسالة من قوله فى ص ٥٣ ان محمدا مثل اخوانه من الرسل يعتمد على الاقناع والوعظ وانه اذا كان النبى قد لجأ الى القوة والرهبة فذلك خارج الرسالة وانما فى سبيل الملك ؟!

ولكن الشيخ لن يكف عن الدوران حول نفسه فبعد ان قرر ان للنبى بموجب الرسالة سلطانا يشمل كل اشكال الحكم عاد يفرق بين الرسالة والسلطان فيقول : ولاية الرسول على قومه ولاية روحية منشؤها ايمان القلب وخضوعه خضوعا صادقا يتبعه خضوع الجسم. وولاية الحاكم ولاية مادية تعتمد اخضاع الجسم . تلك ولاية هداية الى الله وتلك ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الارض . تلك للدين وهذه للدنيا ، تلك لله وهذه للناس، تلك زعامة دينية وهذه زعامة سياسية. . ويا بعد ما بين الدين والسياسة» ص٦٩ثم يعود فيزعم انه يبحث « هل كان للرسول صفة غير صفة الرسالة بها يصح ان يقال انه اسس فعلا او شرع فى تأسيس وحدة سياسية أم لا» ص٦٩

يخيل اليك انك تقرأ لصحفى من جيل عبد الناصر وليس لإمام مزعوم من ائمة التنوير فهذا كله هذر لا قيمة له لأن هدف الاديان الاول هو اصلاح هذه الدنيا فالله غنى عن العباد . وفى الاسلام بالذات لا يوجد فصل بين الدين والدنيا ولا طريق لصلاح الاخرة الا بصلاح الدنيا . والاسلام لم يقم كنيسة بل دولة وخلافة وجاء لعمارة الارض وليس عندنا هذا الحاجز بين ما هو للدين وما هو للدنيا او ما هو لله وماهو للناس . هذا خروج من اطار الاسلام ودخول فى غيره

من الاديان . والمسيح لم يكن له سلطة على الاجساد بل ولا على جسده هو لأنه كان صاحب رسالة فقط ولذلك لم يتدخل فى اى امر من امور الحكم .. ولا حتى فى قرار اعدامه هو شخصيا صلوات الله عليه وسلامه ، اما الرسول فقد اعترفت قبل سطور انه ما من امر من امور الحكم لم تمتد اليه يد الرسول وسلطانه او لم يمارسه وان كان سلطانه على المؤمنين يستند فعلا لايمانهم الا ان السلطان كان احيانا يسبق الايمان . لذلك كانوا يجدون فى صدورهم حرجا مما قضى حتى يأمرهم الايمان ان يقاوموا هذا الحرج .. وكان له السلطان فقط على اجساد فريق اخر من رعاياه الخاضعين لسلطانه وهم المنافقون وغير المسلمين ، فالمنافق لا يؤمن انه رسول الله ولكنه ملزم بالخضوع لجميع احكام الرسول وان خرج عليها عوقب الى حد حرق ملكيته وجلده .. اما المشرك فهو لا يؤمن ويعلن كفره ولكنه مادام داخلا فى دائرة سلطان محمد فهو ملزم بطاعة سلطانه وإلا عوقب ..

والنبى عندما رفض ممثل قريش الاعتراف به كرسول الله وافق ووقع المعاهدة بوصفه ممثل او حاكم المسلمين اودولة المدينة. فالنبى والمسلمون والمشركون المعاصرون كلهم قبلوا واقتنعوا ان للنبى صفة اخرى غير الرسالة وتعامل المشركون والذميون معه بهذه الصفة. ولا اظن من يريد ان يفهم يتعذر عليه استقراء التاريخ.

فهناك الدين فقط وهو المسيحية وفيه الكنيسة منفصلة عن الدولة تمام الانفصال ليس لقيصر ان يتدخل فى مملكة الرب ولا للبابا ان يتدخل فى مملكة قيصر ، ورأينا ان المسيح صلوات الله عليه لم يمارس اى سلطان ولا دعا اتباعه لممارسته بل واستسلم للسلطان الجائر ونهى صاحبه ان يستل سيفه لمقاومته .

وهناك حالة بنى اسرائيل وفى تاريخهم الصيغتان النبى الحاكم مثل موسى ، اما بقية التاريخ فنلاحظ انفصال السلطتين اذ يوجد النبى والملك فى زمن واحد ..

ثم الاسلام حيث اتحدت الصفتان فلم يكن للمدينة حاكم على زمن الرسول الا الرسول ويخضع لسلطته المؤمن بنبوته والمنافق والكافر بها ولا تكون الحكومة الا هكذا ، بل كان من اسباب نفاق ابن أبى أنه كان سيتوج ملكا على المدينة فنزع محمد الحكم منه .. ولا كان بها كاهن او نبى الى جانب الخليفة على زمن

الخلافة الرشيدة . . ثم حدث التباعد بين الفقه والسياسة وان استمر الطرفان بعيدين عن انتحال صفة دينية بمعنى لاهوتية . .

ثم راح الشيخ يدجل بالآيات الخاصة بالإيمان ليـنفى بها السلطان !!وهنا يفتقر الشيخ لا للفهم وحده بل الامانة فكل الايات التى استشهد بها لكى ينفى عن الرسول صفة الحفيظ والوكيل والمسيطر ، وردت فى مجال الايمان . .الدعوة . .العقيدة . .ومن منطلق لا اكراه فى الدين وهو القاعدة العامة : ﴿ **فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ**﴾ الانعام ١٠٤ ﴿ **ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا** ﴾ النساء ٨٠ ﴿ **ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا** ﴾ الانعام ١٠٧﴿ **فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا**﴾ الشورى ٤٨

هأنتذا ترى انه لم ترد حفيظا الا فى ما يتعلق بالرسالة او الايمان، وهومن صميم مبادئ الاسلام ولكن الشيخ يريدنا ان نفهم أن معنى الآيات أن من أراد أن يزنى أو يسرق أو يقاتل المسلمين فهذا حقه وامره على الله لأن النبى ليس على الناس بحفيظ!! أو ﴿**فذكر إنما أنت مذكر* لست عليهم بمصيطر** ﴾ الغاشية: ٢١-٢٢ الشيخ يلوى النص ليزعم انه لا سيطرة لأحد عليهم فليرتكبوا ماشاءوا من مخالفات أو يبعث بهم لأبى سفيان ليعاقبهم أو لعله عبدالله ابن ابى او اليهود! النبى شيخ طريقة أو أسقف ليس له سيطرة ولا صيطرة على سكان المدينة !!

أما الآيات التى نفى بها عن النبى صفة الوكالة وارادنا ان نفهم انها مثل توكيل سعد أو الوكالة التى تقيد فى الشهر العقارى ، وبالتالى فمادام الله لم يعين النبى وكيلا عن المؤمنين فسلطانه غير شرعى وحكومته وحكمه باطلان ! ولا نظن ان الشيخ جهل مفهوم الايات حتى ولو كان قد قرأها بالانجليزية ، وانما اراد التغرير بالهنود والسنغاليين.

فالله يقول: ﴿ **وكفى بالله وكيلا** ﴾ ست مرات فى القرآن ، ولكن الشيخ لا يكتفى بالله بل يرى نقصا فى سلطات النبى لأنه لم يشارك الله فى هذه الوكالة بينما يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿ **الا تتخذوا من دونى وكيلا** ﴾ الاسراء: ٢

﴿رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا﴾ المزمل: ٩ ﴿ خالق كل شئ فاعبده وهو على كل شئ وكيل ﴾ هود: ١٢ ﴿الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل﴾ الزمر: ٦٢

فهذه الوكالة التى نفاها الله عن النبى محرمة على البشر اختص بها الله سبحانه وتعالى لكن الشيخ على يجعلها من صفات الملوك وبما ان الرسول عزل عنها أو ألغيت وكالته فهو لا يستحق تولى الحكم . . !!

يقول «لو كان صلى الله عليه وسلم ملكا لكان له على امته حق الملك ايضا» ص٧٣

سنقبل التعبير بالملك عن السلطة ونسأل ما هو حق الملك الذى لم يكن للنبى؟!

لقد ورد الامر والتخويل بالحكم بين الناس بمعنى السلطة والحكومة تسع عشرة مرة واذا كان القرآن ينفى سلطة الرسول على ضمائر الناس وعقائدهم فقد امره بأن يأخذ من اموالهم ويقتل من استحق القتل ويقطع يد السارق ويجلد الزانى !

الشيخ يلعب معانا استغماية فهو يفرض علينا ان الملك يجب ان يكون مثل امبراطور روسيا مستبدا طاغيا غشوما فاسقا او كنبلاء اوربا يغتصب كل عذراء او كملك موسى فرعونا او يأخذ كل سفينة غصبا . . إلخ، ولأن محمدا لم يفعل ذلك فهو ليس بملك او ليس بحاكم ولا حكومة له ! ويسف فيحاول ان يثبت دعواه بالاحاديث التى ينفى فيها النبى انه ملك مضللا باخفاء المقصود هنا وهو انه ليس ملكا طاغية بما تعارف الناس فى زمنه عن صفات الملوك ، وما كان المسلمون بل حتى العرب يأنفون من الاسم وسلطاته فهم يتنبأون بتردى الخلافة الى الملك العضوض والشاعر الجاهلى يقول اذا الملك الجبار سام الناس خسفا أبينا أن نقر الخسف فينا . .

ولكن الشيخ طلب منا أن نقبل لفظة ملك فقط لتوضيح معنى الحكم والحكومة ثم استغل ما يحيط بهذا اللفظ او اللقب من تاريخ ليستعيذ بالله ان يكون محمد ملكا! وأنت الذى قلت أنه كان ينبى ملكا !ثم تعود فتقول صحيح ان « محمدا لم

يكن ملكا ولا توجهت نفسه لطلب الملك » ٧٦ هنا صدقت وانت الكاذب عندما قلت غير ذلك قبل ملزمة واحدة ان النبى مارس الجهاد « فى سبيل الملك » ٥٣

انت اعترفت انه ما من امر من امور الحكم الا ومارسه الرسول وامتد اليه سلطانه فماذا بقى وكيف أنكرت حقه بل وزعمت انه فعلا كان يبنى ملكا ولذلك حارب فهل تقول الان ان ذلك لم يخول له ولا كان فى سلطاته . . ؟

الم يقتل الرسول الخارجين عن طاعته الم يقطع يد المخالفين لقانون السرقة الم يفرض الزكاة ويحصلها اجيبك تانى كلام معلمك الذى لم يحسن تعليمك ! قال ارنولد: «كان النبى فى وقت واحد رئيس دولة ورئيس كنيسة فقد استقبل السفراء الذين جاءوا يحملون طاعة شتى القبائل العربية وعين موظفين لجمع الضرائب والزكاة وكانت له السيادة العليا فيما يتعلق بقضايا الحرب وارسال الحملات العسكرية وفى نفس الوقت السلطة التشريعية العليا ولم يكن مجرد مشرع بل مارس القضاء بنفسه . . بالاضافة الى هذه الوظائف الادارية والسياسية كحاكم وجنرال وقاض كان ينظر اليه كنبى يوحى له» الم تنصحنا بقراءة ارنولد ليتك نصحت نفسك !

ويفتينا الشيخ انه « معقول ان يؤخذ العالم كله بدين واحد وان تنتظم البشرية كلها وحدة دينية فإما ان يؤخذ العالم كله بحكومة واحدة وجمعه تحت وحدة سياسية مشتركة فذلك مما يوشك ان يكون خارجا عن الطبيعة البشرية ولا تتعلق به ارادة الله» ٧٨

لا الشق الاول قال به الاسلام ولا هو ممكن ولا هو من ارادة الله ولا الشق الثانى وان كان اقرب تصورا فى برنامج عمل المسلمين وانما الشيخ يريد ان ينسف دعوة الوحدة السياسية للمسلمين فى مواجهة أعدائهم القاهرين لهم والمتربصين بهم .

الاسلام يرفض اى ادعاء او محاولة لتوحيد الجنس البشرى فى دين واحد وقد كتبنا المجلدات فى أن إرادة الله سبحانه وتعالى هى ان تتعدد الاديان وان ذلك سيبقى الى يوم القيامة والا سقط الاختيار وسقط العقاب والثواب ولكى يتم دفع

الناس بعضهم ببعض فتتعايش المساجد والبيع والكنائس وتتاح حرية الاختيار فيتبين المهتدى من الضال . ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولايزالوا مختلفين . اما حكومة واحدة لكل البشر فهو خيال حاوله اكثر من ملك واكثر من حضارة ولكن ليس فى الاسلام فقد ود عمر بن الخطاب لو بينه وبين فارس جبل من نار لا يصلون اليه ولا يصل اليهم . وعاهدوا وصالحوا الدول الكافرة فى كل عصر . . بل وقبلوا تقسيم العالم الاسلامى الى عدة حكومات من ايام الرشيد الى جمال الدين الافغانى الذى اوضح ان دعوته بعيدة عن الحكومة الواحدة التى اخترعها الشيخ على بل ان يبقى كل حاكم على دسته . . الخ لعل الشيخ كان يفتى بامكانية اخضاع العالم كله لحكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا !

أما أن أمور الدنيا لا تعنى الله ولا نبيه فهذا زعمك !فقد خلق الدنيا وزينها بمصابيح وجعل فيها انهارا وجبالا ان تميد بنا ثم جعل فيها خليفة وارسل الرسل وكلف الملائكة باحصاء كل شاردة وواردة . . وهى مع ذلك كله اهون عليه من جناح بعوضة سبحانه وتعالى فهذه من خصائص الألوهية .

ويخلص بنا الشيخ الى هذه النتيجة التى لم يقم عليها ولا حتى قرينة فضلا عن دليل:

«انما كانت ولاية محمد صلعم على المؤمنين ولاية الرسالة غير مشوبة بشئ من الحكم هيهات هيهات لم يكن ثمة حكومة ولا دولة ولا شئ من نزعات السياسة ولا اغراض الملوك والامراء» ص٨٠

بعد كل ماقاله عن تعيينات الرسول وممارساته يقول « ما سمعنا انه (النبى) عزل واليا ولا عين قاضيا ولا نظم فيها عسسا ولا وضع قواعد لتجارتهم ولا لزراعتهم ولا لصناعتهم بل ترك لهم عليه السلام كل الشئون وقال لهم انتم اعلم بها » وان « الوحدة التى اقامها النبى كانت وحدة دينية ولم تكن دولة ولا سياسية»٨٤ يعنى كنيسة . .

وهو يعلم انه متهافت الادعاء فيعود للقول «ربما امكن ان يقال ان تلك القواعد والاداب والشرائع التى جاء بها النبى . . كانت كثيرة وفيها ما يمس الحياة

الى حد كبير اكثر مظاهر الحياة فى الامم فكان فيها بعض انظمة للعقوبات وللجيش والجهاد وللبيع والمداينة والرهن ولآداب الجلوس والمشى والحديث وكثير غير ذلك فمن جمع العرب على تلك القواعد ووحد بين مرافقهم وآدابهم وشرائعهم الى ذلك الحد الواسع الذى جاء به الاسلام فقد وحد انظمتهم المدنية وجعلهم بالضرورة وحدة سياسية فقد كانوا اذن دولة واحدة وكان النبى عليه السلام زعيمها وحاكمها » ٨٤

ايوه صحيح ماذا تقول فيما شهدت به على نفسك ؟!

ماذا تقول فى من شرع تحريم التعامل بالفائدة او الربا وهو عصب النظام المالى والاقتصادى الى يومنا هذا ولم يكتف بالتحريم الدينى وترك الناس وضمائرهم او تدينهم بل الغى جميع الفوائد التى كانت مستحقة وهو اخطر اجراء تتخذه حكومة فى مال الناس او اهم ما يهم الناس واحيانا اهم من حياتهم حرمه عليهم ثم انذرهم بمحاربتهم ان لم يتركوه انذروا بحرب من الله ورسوله ولم يقل من الله فقط والا كان مجرد انذار دينى عقوبته على الله مثل الكفر او سوء النية بل اضاف الرسول تعبيرا او تأكيدا لتدخل السلطة القائمة اليس هذا من اعمال السيادة اليس هذا حكما . . واذا شرعت جهة ماعلى جميع الخاضعين لسلطتها ضريبة باسم الزكاة او الجزية او الصدقة وحصلتها بالقوة اهذه حكومة ام مافيا ؟

واذا شرعت جهة ما ان السرقة ممنوعة وفرضت عقوبة القطع ونفذتها على السارق مهما كانت مكانته ، رافضة ان تكون مثل السلطات التى هلكت بسبب الفساد الذى يعفى القادرين من العقوبات . . هل كان النبى يشير الى هلاك الاديان من قبلكم ام الامم وعلل سبب الهلاك بأن الحكومات فى تلك الامم فسدت فكانت تقيم القانون على الضعيف وتعفى منه الشريف وهو لا يريد لأمته ولا لحكومتهم ان تهلك كما هلك الامم من قبلهم .

فهل هذه حكومة ولا مش حكومة ؟ !

وعندما تدخل جهة ما فى حياة الناس الجنسية فتحدد لهم عدد الزوجات وعدد مرات الطلاق وكيف يعيدون الزواج بعد الطلقة الثالثة وهذه الجهة تمنع الزنا وتقرر

له عقوبة تتراوح مابين الجلد والاعدام وتنفذ ذلك فعلا . . وتسن تشريعا للقذف وقطع الطريق وتنفذ ذلك فعلا وعندما تشكل الجيوش وتخوض بها الحرب وتاخذ اسرى وتوقع صلحا ومعاهدات وتحارب المشرك واليهودى والمسيحى وتفرض شروطا للتعامل مع كل فريق وتنفذ ذلك وتلزم به قومهاتكون حكومة او ليست حكومة ؟!

اما ان النبى لم يول ولا عزل فالرد فى كتاب الطهطاوى ومن نقل عنهم الطهطاوى نحن نعرف انه عين نائبا له فى المدينة اكثر من مرة . ان كان مجرد نبى ومجرد صاحب رسالة ولا دخل له فى امور دنياكم بالمعنى السوقى الذى يتقوله الشيخ فلماذا يعين واليا او نائبا او خليفة فى المدينة اثناء غيابه ؟ هل سيتغير الدين خلال غيابه؟!

مسخوط اخر قال انه كان يعين نائبا ليرعى اسرته فقط يعنى اذا هجم الروم على المدينة اثناء غياب النبى لا يهتم هذا الوالى باكثر من حماية الحسن والحسين والزهراء وربما زوجاته صلى الله عليه وسلم !

و يحاول ان يلعب على « أنتم أعلم بأمور دنياكم » ولكن هيهات

أولا هذا النص ما كان ليرد اصلا . .الا لأنه يعالج شئون دنياهم فأخطأ . فهو كان يقود الجيش فى غزوة بدر وهذه سياسة وحكم .وهو حدد الموقع الذى ينزل فيه الجيش وهى قضية عسكرية لا يملك اقرارها الا القائد العام للقوات المسلحة او رئيس الدولة فهى من صميم السياسة واغراض السلطان كما اعترفت انت . . ولما اعترض الخبير العسكرى سأل بأى صفة اتخذ النبى القرار . . هل بوصفه رسول الله ام بوصفه رئيس الدولة . . فهم كانوا يعرفون ان النبى له صفتان وما كانوا يهاترون بقولة ليس له الا صفة الرسالة. . الخ معاذ الله لوكانوا بهذا الغباء ما انتشرت لهم رسالة ولا قامت لهم دولة .

كان الحباب بن المنذر والصحابة اجمعون يعلمون ان صفة الرسالة وما تقوم عليه من وحى يمنعهم من المناقشة او الاعتراض ، اما قراراته صلوات الله عليه كحاكم فهى قابلة للنقاش بل حتى التخطئة ، هذا الاعجاز الاسلامى يسف به

الاغبيـاء والعملاء ويجعلون كلمة «أعلم بأمـور دنياكم » تعني ان ليس له من الامر شيء فى هذه الدنيـا كأنه قالهـا وانصرف للدير اوامتطى الـعمود او اسـتسلم لجند طاغيـة مكة مطلقا الدنيـا ! بل استمـر فى قيادة الحـرب واصدر مرة اخـرى قرارا باطلاق الاسرى ولم يـكن عن وحى بل رأى رآه هو وابوبكر وعدد من الصـحابة وعارضـه عمر وعـدد من الانصار وكان رأى السـماء ضد رأى النبى مـؤكدة بذلك بشريته كحاكم . وان الحاكم البـشر لا يملك الصواب المطلق ولا الصواب الاوحد اوالدائم. . وما ذلك الا لتعليم البشرية وردع الطغاة وتحـريض الشعوب على التعبير عما تعتقد انه مصلحتها.

رسول الله جاء بدين وأتم رسالته وأقام دولة وحكومـة ووحدة دينية و سياسية بقدر ما تسمح الظروف والزمن والخلق العربى المشاكس . . ولما توفى عليه الصلاة والسلام لم تنتقض الوحدة السياسية فـقط كما يوهم بل انتقضت الوحدة الدينية ، ليس فـقط من جـانب الذين رفـضـوا الزكاة وتـعللوا انهم انما يتـمـسكون بالدين ويرفضون الدولة بل ارتد بعض العرب عن الدين ذاته واتبعوا كذابين يدعون النبوة . . ولكن صحابة رسول الله الذين يجب ان نفـترض انهم اعلم بدينهم من الشيخ على وارنولد وبتـاع السفارة واللنبى نفـسه رأوا انهم ورثوا وحـدة سياسـية ودولة وأنهم مسئولون عن حمايتها وأهم من ذلك مخولون بفرضها او اعادتها بالقوة لأن الخارجـين عليهـا منشقـون . . لذلك قاتلوهم ولو لم تكن هـناك دولة ولا وحدة سيـاسيـة لما كان لهم من حق فى اجـبار احد على الدخـول مرة اخـرى فى طاعة السلطة بالمدينة بعد وفاة صاحب الدين . والـغريب أنهم فى جملتهم على أبى بكر والصحابة الذين وافـقوه وقاتلوا المرتدين ، يبذلون جهدا فـائقا فى اثبات ان هؤلاء المرتدين لم يكفـروا بالاسلام وهم يجـهلون انهم بدفاعـهم هذا ينسفـون دعواهم برفض الدولة فى الاسلام لأنه لولا هذه الدولة واقتناع الصحابة بحقيقة انها جزء لا يتجزأ من السلوك الاسلامى لما أجازوا مقاتلتهم .

ويتابع الشيخ ادهاشنا باستدلالاته الغبـية فهو يستدل على ان النبى لم يقم دولة ولا حكومة ولا كان هذا من مـهامه بأنه مات ولم يعين ولى عـهد «فكيف اذا كان

من عمله ان ينشئ دولة يترك امـر هذه الدولة مبهما على المسلمين ليرجـعوا سريعا من بعـده حيارى يـضرب بعضـهم رقاب بعـض وكيف لا يتـعرض لأمر من يـقوم بالدولة من بعده وذلك اول ما ينبـغى ان يتعرض له بناة الدول قديما وحـديثا كيف لا يترك للمسلمـين ما يهديهم فى ذلك وكيف يتـركهم عرضة لتلك الحيـرة القائمة السوداء التى غشيتهم وكادوا فى غسقـها يتناحرون وجسد النبى بينهم لما يتم تجهيزه ودفنه . » ص٨٧

هو يتبنى منطق الشيـعة بالمقلوب ولكنه اتفه من ان يستـقيم له منطق ويبدو انه صدق نفـسه وتصور ان النبى ملك أو قيـصر أو كسرى يؤسس مملكة لاسـرته كأنه بطرس الاكبـر او وليم الفاتح او محـمد على باشا . . الذى قـال الشيخ بين يدى الفاروق ان اهم ما كـان يعنيه هو تثبيت الملك فى ورثتـه ! الشيخ يتوهم ان النبى ملك من طراز هؤلاء اهم ما يعنيه هو من يرثها بعده ؟

اكان يريد ان يعـين رسول الله وريثـا ؟! ولو فعل بأبى وامى فمـن كان يملك عزله او منعـه هو بدوره من تعيين خليـفته وكـيف كان لمسلم ان يقبل اليـوم نظاما جمهوريا؟!

من قال لك ان النبى لم يترك لهم مـا يهديهم ؟! ..كـتاب الله وسنة ٢٣ سنة مما مكنهم من بناء دولة وحضـارة سادت الدنيا لألف سنة وهو مـا لم تفعله دولة ولا دعوة ولا دين قبلهم فـمن اين اتيت بأنه تركهم فى « الحيرة القـائمة السوداء التى غشيتهم وكادوا فى غسقها يتناحرون »

والله ما من أحد غشيته حيرة سـوداء الا انت ومن اتبعك ، لقد حسمت قضية انتقال السلطة فى حوار لم يستغرق اكـثر من بعض يوم ، وفى القرن العشرين نجد تناحرا بالحديد والنار يـدوم سنوات أو مؤامرات واغتيـالات تشيب لها الولدان اين الحيـرة وأين التناحر هل مناظرة داخل غـرفة لم يسـمع بها تسعـون بالمائة من اهل المدينة تسميها حيرة سوداء وتنازع ؟! اننا نزعم انها ايسر واسلم واهدأ عملية انتقال للسلطة فى التاريخ وأكـثرها ديموقراطـية . الم تسمع كيف تم انتـقال السلطة من القيصرية الى كـرنسكى ومن كرينسكى للنين وبعد لنين الم تشهد كـيف كان انتقال

السلطة يتم فى مصر ؟! ليتك عشت لتقارن ما جرى فى السقيفة بالاسلوب المتحضر الذى فض به يالتسين البرلمان ! ثم تعالى نفترض ان النبى لم يؤسس دولة ولا حكومة ولا كان على باله . . الم يكن يعلم انه لابد من حكومة لهذا المجتمع الذى سيتركه خلفه ؟ اذا كنت انت قد عرفت هذا ، فكيف غاب ذلك عن فطنة محمد بن عبد الله ؟واذا كان قد عرف ذلك فكيف يتركهم حيارى الم يكن يخشى على دينه واهله وعشيرته ومن تركهم خلفه يحملون الدين ايتركهم حيارى يضربون اعناق بعضهم البعض ؟ ما الفرق بين مسئوليته نحوهم كنبى او ملك؟ هل الملك اشفق عليهم من النبى بحيث لا يتصور ان يتركهم الملك فى غاشية سوداء يتناحرون بينما يفعل النبى ذلك ولا ملامة عليه ؟!

ياشيخ اتلهى

ويخلص الشيخ الى ان « زعامته دينية وما كان لأحد ان يخلفه فى زعامته كما انه لم يكن لاحد ان يخلفه فى رسالته » ٩٠

من يتقول على الرسول انه قام باعمال لم يرخص له بالقيام بها بموجب امر تكليف الرسالة ، لا يستغرب منه ان يدين قرار الخلفاء الراشدين والصحابة بضرورة خلافة رسول الله ، فنحن امام حقيقة تفقأ عين المكابر وهى اجتماع الصحابة فور وفاة النبى للبحث فى من يخلفه . وللنكاية فى الشيخ على سموه خليفة رسول الله . فالصحابة الذين لا خلاف على ان اجماعهم هو سنة ملزمة لنا بعد الكتاب وسنة الرسول وهم اقدر جيل على فهم الاسلام ، قرروا انهم ينتخبون خليفة للنبى . .يخلفه فى ماذا إلا فى زعامته السياسية وسلطاته ومسئولياته كحاكم فهل نصدقهم ام نصدق الشيخ على ؟!

ويتراجع الشيخ فيقر انه « لم يكن خافيا على العرب ان الله قد هيأ لهم اسباب الدولة ومهد لهم مقدماتهابل ربماكانوا قد احسوا بذلك من قبل ان يفارقهم رسول الله »ص٩١

ازاى . . كيف. .COMMENT... HOW

قوم عاشوا لأول مرة فى التاريخ فى ظل مجتمع بلا حكومة ولا دولة بل

وكـانت أسعـد وأحلى فتـرة فى تاريخ حيـاتهم بحكم ايمـانهم على الاقل . . بل ورأوا نبيهم وهاديهم يتحاشى الدولة كـأنها رجس من عمل الشيطان . كيف يخطر ببالهم ان هذا يهيئهم لبناء دولة ويجعلهم يفكرون فـيها حتى قبل ان يموت الرسول أما والله لو أن طفلا تصدى لكتابة هذا المبحث لاستقام منطقه اكثر من هذا !!

ويعلن الشيخ ان ابا بكر هو« اول ملك فى الاسلام » ص ٩٢

دعنا من تقوله على ابى بكر فإننا نعرف انه مرض الافرنجى الذى اصيب به من مخـالطة الاوربيين الذين يحقـدون على ابى بكر دوره فى الاسلام فى حـياة النبى وبعـد وفاته . ولو كـان للفـرد ان يقـرر مصـير الامم والأديـان لقلنا لولاه لاندثر الاسلام وطوت الرمال العرب . . دعنا من تطاوله بعد كل ما قاله فى ذم الملوك بل قوله قبل سطر واحـد من اعلان ابى بكر ملكا « ما كانت نبوة الا تناسـخها ملوك جبابرة » أكان ابوبكر ملكا جبارا ما اظنك بعد ان تستقر فى قاعهابعد ٤٣ خريفا الا عاضا بـنان الندم وقائلا يا ليتنى ما اتخـذت الانجليز خليلا ياليـتنى ما تطاولت على الصديق اول خليفة وخير حاكم فى تاريخ العالم بعد الرسل .

هل صـحيح ان الشـيخ لم تعنه الا قضـية الخـلافة ومنع الانجليـز والملك من استغلالها والدفاع عن الاسلام ؟!

الشيخ رافض للاسلام من اساسه . .

فالخلافة « لا تزيدعن كونها دولة عربية ايدت سلطان العرب وروجت مصالح العرب ومكنت لهـم فى اقطار الارض فاستـعمروها اسـتعمـارا واستغلوا خـيرها استـغلالا شأن الامم القـوية التى تتمكن من الفـتح والاستـعمار » ٩٢ فـما الذى يغضبكم معـشر المصريين والهنود والجزائريين .اذا استعـمرتكم الدول القوية اليوم واستغلت خيـراتكم استغلالا اليس هذا ما فعلتمـوه بالاخرين ؟ ! وبيعة ابى بكر «قامت على اساس القوة والسيف» ص٩٢

الحمد لله عاش حتى قال بلسانه :

«الدولة الاسلامية الاولـى التى اقامها الخلفاء الراشدون فى صـدر الاسلام فقد كانت مثلا فـريدا فى تاريخ البشرية ، قامت على اساس انسانـى غايته دعوة الناس

الى كلمة الاسلامية ، ونشر الهدى والعدل والأمن والسلام .»

مثلك من يقال له : الآن وقد كفرت من قبل . . والحمد لله الذى انطق لسانك شاهدا ببطلان كتابك ولو أردت النفاق بقول الحق كما اردته فى شبابك بتزوير الحق وتزويق الباطل !

فطوبى لمن خرج على السلطان والتحق بجيش الحلفاء .

ولايستطيع ان يفهم حتى المثل الذى يضربه فهو يأخذ على ابى بكر انه قاتل المرتدين وما كان اغلبهم مرتدين ثم يتعجب لأن «سعد بن عبادة وعلى بن ابى طالب رفضوا بيعة ابى بكر ولم يعاملوا معاملة المرتدين » ٩٧

بالنسبة لعلى هو كاذب ! على بايع بل هرع يبايع وهو يقطر ماء من غسله . اما سعد بن عباده فلم يبايع الى ان مات ولم يتعرض له احد تأكيدا لمبدأ دستورى وهو حق الامتناع عن البيعة ، وهو بالطبع لم يرتد ولا عومل معاملة المرتدين لأنه لا حمل السلاح ضد الدولة ولا رفض الخضوع لقوانينها. فما من احد ذكر انه امتنع عن دفع الزكاة ولو فعل لقاتلوه وأرغموه .

لو سألت نفسك هذا السؤال لماذا لم يقاتلوا سعد بن عبادة ووفقك الله للجواب لما تقولت على ابى بكر ولفهمت لغز حرب الردة الذى حيرك واضلك وما اضلك الا اتباع الغاوين. حتى تقول على عهد الصديق «ظلمة التاريخ وظلمه » وتنحاز للمرتدين ضد ابى بكر وصحبه وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون.

ابوبكر والصحابة والدولة رأت فى امتناع هؤلاء عن دفع الزكاة خروجا على الدولة التى اقامها الرسول والتى حملهم مسئولية استمرارها والمرتدون انفسهم قالوا ذلك

اطعنا رسول الله مذ كان بيننا ... فيالعباد الله ما لابى بكر
ايورثنا بكرا اذا مات بعده ... فتلك إذن والله قاصمة الظهر

الأعراب الأشد كفرا ونفاقا وأبعد ان يفهموا جوهر الرسالة وشموخ التاريخ، فكروا على طريقة الشيخ على والمرتدين فى القرن العشرين ، وظنوا ان كل شئ انتهى بوفاة النبى ولا يحق لأحد ان يرث زعامته ولا هو أقام دولة حتى تستمر بعده

ويكون رعاياها ملزمين باستمرار الطاعة وانما ينفض السامر بوفاة النبى !

واذا كان الشيخ لا يعترف بحق ابى بكر فى قتال من امتنع عن الخضوع للدولة فمن باب اولى هو ينكر حقه فى مقاتلة من ارتد عن الدين بعد كل ماقاله عن انه لم يحدث ان حمل نبى الناس على الدخول فى الدين بالسيف ، ايحرم على النبى ما يحل لخليفته ؟ الشيخ على يعتقد ويفتى انه لا يجوز لابى بكر ان يقاتل من ارتد عن الاسلام ولا من ارتد عن طاعة الدولة ولكنه اجبن من ان يصرح بذلك ولذا يكتفى بالتشكيك فيقول :« لا نريد البحث فيما اذا كانت لأبى بكر صفة دينية صرفة جعلته مسؤلا عن امر من يرتد عن الاسلام »

منافق متهافت، اللى يغلبُه يلعبُه، اذا كنت قد انكرت الصفة الدينية عن جهاد رسول الله وانكرت ان يكون حفيظا او وكيلا او مسيطرا على عقائد الناس او حتى سلوكهم فأى صفة دينية كانت ستبيح لابى بكر ما لا يجوز لصاحب الدين ؟!

ويعترف ان لقب المرتدين نشأ فعلا فى وصف مرتدين حقيقيين ثم عمم على كل الذين حاربهم ابوبكر من العرب . وهو اعتقادنا فقد وصفوا بالردة من كفر بالدين ومن كفر بالدولة .

وبسبب تقوى الرسول فقد « فشا عند المسلمين منذ الصدر الاول الزعم بأن الخلافة مقام دينى ونيابة عن صاحب الشريعة عليه السلام »ص١٠١

والخلاصة التى سود من اجلها كتابه هذا هى «فامارة المسلمين ما كانت مقاما دينيا» و« لا أن الخروج عليها خروج على الدين » ص٩٤

« لا الخلافة ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة كلها ليست فى شيء من الخطط الدينية » ص١٠٣

فلا حرج فى قيام محاكم القناصل والمحاكم المختلطة التى يحكم فيها على المسلمين قضاة انجليز وفرنسيون . ولا حرج ان يستأثر الانجليز والمالطيون والارمن بالوظائف فى بلاد المسلمين .

«فلا على المسلمين ان يهدموا ذلك النظام العتيق » ص ١٠٣

وفر جهدك، ذلك النظام العتيق كان قد هدم وشبع هدمابعد ان اعطى الدنيا أروع صفحات تاريخها، وأمات الكافرين بغيظهم، فبئس الكتاب وبئس المصير !

هوامش الفصل الثانى:

١ - كان السفير ممدوح عبد الرازق من اقارب الشيخ على قد بعث الى مجلة اكتوبر برد على مقالاتنا بعنوان " هاؤم اقرأوا كتابيه » فأوحى لنا مشكورا هذا العنوان !

٢ - الحياة ١٣ يونيه ١٩٩٣

٣ - محمد عمارة عن برقيات الاهرام فى ١٩٢٥/٩/١٦

٤ - تشكك بعضهم ان تكون هذه الكتب ضمن المجهود الحربى لأنها صدرت بعد الحرب . ولكنهم لم يضعوا فى اعتبارهم انها قيلت كمحاضرات فى الجامعةثم اعدت فى كتاب ثم اخذت دورها للنشر وهذا يستغرق سنين .

٥ - انظر كتابنا : المسلمون والروس يقررون مصير العالم .

٦ - ورد خطأ فى إحدى مقالاتنا انه محمود وليس هذا جهلا تاريخيا بل غلطة قلم لأننا ذكرنا فى كتابنا « جهالات عصر التنوير » انه حسن ص٧٥ والكتاب صادر قبل المقال بثلاث سنوات .

٧ - محسن محمد٨٨

٨ - محسن محمدص٤٤

٩ - محسن محمد عن ارشيف الخارجية البريطانية .

١٠ - نفس المصدر ص٧٣

١١ - يعتقد الدكتور عماره ان الفصول الاخيرة من الكتاب من تأليف طه حسين

١٢ - وثيقة بريطانية -انظر محسن محمد

١٣ - والغريب انه يقول « ولتكوين الحكومة الاسلامية» مما يعزز الاتهام بأنه لم يتبع منهاجا ولا امتلك تصورا للقضية التى يعالجها فإن كان النبى يكون الحكومة الاسلامية فكيف ينفى ذلك فى بقية الكتاب !

١٤ - الخلافة لتوماس ارنولد صدر عام ١٩٢٤

١٥- واستحق فعلا لقب القاهر .. لقلب أمة وقلب كل من يحاول استخراج صفات الخلافة عند المسلمين فى هذا العهد .

١٦- وهو موقف يختلف جذريا عن موقف المسلم الذى كان يرفض حماية قبيلته .. « خفارتك رد » لكى يتعرض لعدوان قريش تأكيدا لرفضه للدولة الكافرة وقوانينها ولو كان

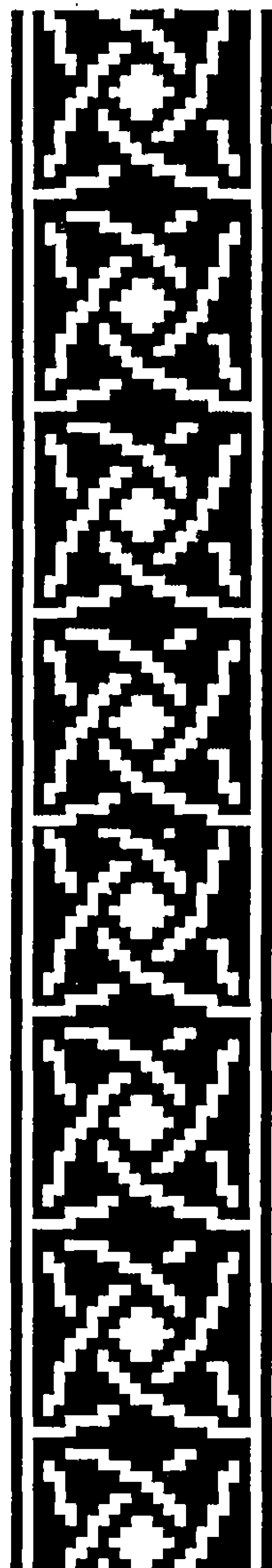
عاجزا عن الدفاع عن نفسه فلما تحرر من سيطرته كون جيشا وحاربها .

١٧- يقول الاستاذ خالد كشك ان « عودة النبى الى العاصمة السياسية للدولة (المدينة) بعد الفتح وعدم بقائه فى العاصمة الدينية . (مكة) يؤكد الطابع السياسى للدولة . »

وانها ليست مثل دولة الفاتيكان . وبالذات بعد انتهاء الصفة المزدوجة لرئيسها بوفاة النبى . ولو جعل النبى مكة مستقره لتعذر نفى الصفة الدينية عن الدولة ورئيسها وهى المحاولة الساذجة التى كان يحاولها شريف مكة ومن قبلهم ابن الزبير رافضا النصائح السياسيةالحكيمة التى قدمت له متمسكا بالاثر الدينى لجوار بيت الله .

١٨ - والحمد لله اعترفت انه النظام الذى لم تشهد البشرية نظاما افضل منه ولا مثيلا له الى ان جاء محمدعلى سرششمه !! انظر خطبة الشيخ بين يدى الفاروق !

١٩ - انظر السعوديون والحل الاسلامى ص ٢٢٩



الفصل الثالث

نصر أبو زيد

أكبر فضيحة فى تاريخ الجامعة

أشرنا عدة مرات ، واكتشف قبلنا اهل العلم ولا اقول المسئولية ، الخطأ الفاحش الذى وقع فيه الدكتور نصر ابوزيد فى بحثه عن الامام الشافعى ، وهو البحث الذى تقدم به لكى يعين استاذا بكلية الاداب فلما رفضت ترقيته تحول الى قميص عثمان يتشنج تحته الف شيخ من شيوخ الفتنة ودعاة الشرق اوسطية بدلا من الوطن العربى. . وكل من له ثأر ضد المسلمين !وهكذا تحولت الفضيحة الجامعية الى نكبة قومية . ولا اظن انه خلال السبعة آلاف سنة حضارة وتخلف قد شهدت مصر فضيحة علمية وخلقية بهذا الحجم . . اذ بدلا من ان يتوارى الدكتور خجلا ويقدم استقالته من الجامعة أو يجبر عليها وبدلا من ان تشكل لجنة تقصى حقائق لبحث اسباب تدهور المستوى العلمى لدكاترة الجامعة الى الحد الذى جعل دكتورا يرتكب مثل هذا الخطأ فى مادة تخصصه ثم لا يكتشف الخطأ ولا يعلق عليه احد لأنه لا يقرأه احد .حتى تقدم بطلب الترقية لأعلى السلم الاكاديمى وبناء على هذا الخطأ الفاحش ! فلا يفطن اليه احد لا من الذين ايدوا الترقية ولا الذين عارضوها ! بدلا من مواجهة الخطأ وبحث اسبابه . . اذا بالدكتور الفاحش الخطأ يتوج معلما ورائدا للفكر الحر والتقدمية والتنوير ! بل زعم استاذ جامعى - للأسف - انه المهدى المنتظرالذى يرسل الله على رأس كل قرن لتجديد الاسلام ! حتى سلمان رشدى دبج مقالا فى صحيفة امريكية يناشد الغرب التدخل لحماية ابوزيد الذى حوله من استاذ لغة عربية الى «القانونى الشهير »ولمزيد من التعليقات انظر الهامش اخر الفصل(١)

ويرفض الجميع الرد على قضية الخطأ أو حتى الاشارة اليها، بل يزعمون انه حرم الترقية لأنه فضح مخطط الامام الشافعى وكشف نزعته الشوفينية العربية ! اما الدكتور الذى لا نظن ان مصريا منذ فوز نجيب مخفوظ بجائزة نوبل قد تحدث أحد مثله للصحف الاجنبية، فإنه رغم ذلك لم يعلق بكلمة واحدة على اتهامه بهذا الجهل أو التزوير الفاضح، بل كلما أثرنا قضية الخطأ رد شاكيا متباكيا : ح يطلقونى!

والخطأ هو ان الدراسة ، ان استحقت التسمية ، فهى تقع فى ١١٠صفحة من القطع الصغير اوحجم كتاب الجيب ـ تعتمد اعتمادا يصل الى درجة الشبهة على

دراسة سابقة للشيخ ابو زهرة رحمة الله عليه ، ليس فقط عن الشافعى بل وعن ابى حنيفة- وقد احصينا فى هذا الكتيب الذى لا يزيد عن اربعة ملازم من الحجم العادى، احصينا ثلاثين استشهادا من الشيخ ابو زهرة ! واحيانا اكثر من مرة فى الصفحة الواحدة ذات العشرين سطرا. .ومعلوماتنا عن الشروط الاكاديمية « فى اوربا والجامعات المتقدمة» «مع الاعتذار لفيلم الكباب والارهاب » انها ترفض مثل هذا البحث الا اذا اعتبر تعليقا على مؤلفات ابوزهرة ! و الدكتوريعترف بأن فكرة الاعتماد على النص عند الشافعى مأخوذة من الشيخ ابو زهرة « وقد أدرك أبو زهرة ما أسسه الشافعى من سيطرة لسلطة النصوص»!

أبوزهرة هو الذى أدرك !

فى هذه الدراسة التى يحاول بها الدكتور اثبات رجعية الامام الشافعى وتعصبه للعروبة وانتهازيته . .الخ اتهمه بأنه الوحيد من بين الفقهاء الذى قبل التعاون مع الدولة الاموية وسعى لكى يعينه بنو أمية واليا فى نجران ! وطبع ذلك وطرح بالاسواق ثم تقدم به للترقية وفى مجلس الجامعة رفع مثقف ، من خارج الاختصاص، يده قائلا . .عفوا يا سادة انها ليست قضية فكر ولا رأى . .بل قضية جهل !لأن الامام الشافعى ولد بعد انتهاء الدولة الاموية ب ١٨ سنة !اى عمر ولد يتزوج ويخلف ولدا يسميه نصرا تيمنا بالدكتورالمعلم وليس بسيارات نصر، وتطبع له وزارة الثقافة كتبا لتنوير المعذبين فى الأرض !

وهذه ليست غلطة يسكت عليها لأنها اساس البحث كله الذى ربط موقف الشافعى من النص القرآنى والسنة واللغة العربية بنزعته - اى الامام - المتعصبة للعرب ولدولة العرب بنى امية .فهو خطأ يخرج البحث نهائيا من دائرة العلم والتاريخ، بل والجدية، ويسقط حقه فى مجرد النشر، اما كاتبه فهو يخرجه من دائرة المثقفين فضلاعن الجامعيين!

ورغم كل ما كتب الا ان المتنورين عرفوا بصلابة الصدغ فلم ينبسوا بحرف ولا ردوا بدفاع ، ولا اعتذروا شأن ابسط مبادئ التنوير والعلمانية، بل عملوا ودن

من طين والاخـرى من أطين . . مما جعلنا نشك فى حـقيـقة الامر ونحـن شكاكون بالطبع والتطبع ! فكلفنا من اشتـرى لنا نسخة من كتاب الدكتـورتبين انها تنقص بضع صفـحات فـاشترينا اخـرى وهذا لتعـريف الناشر حـتى لا يدهش بارتفاع مـفاجئ فى التوزيع!والكتاب كما هى عادة المتنورين حـافل بالاخطاء المطبعية مما يجعلنا نحجم عن مناقشة الكثير مما جاء فيه خوفا من ان نظلم كاتبه بسبب هذه الاخطاء !

والكتاب كعادة الشيوعيين يطرح عنوانا ضخمـا ليثير فرقعة ثم لا يثبته بدليل علمى ولا منطقى ولا حـتى يـنجح فى جـمع الوثائق التى تـدور حـوله ولا يكلف خـاطره بدراسة الموضوع فى مصادره الاصلية . . الكتـاب عنوانه : «الامام الشافعى وتأسيس الايديولوجية الوسطية » وهو يفترض وجود مـؤامرة ثلاثية مثل العدوان الثلاثى دبرها الشافعى والاشعرى والغزالى ، مؤامرة رجعية طبقية عنصرية سلفية اصولية، ويحاول الدكتور ان يلوى عنق التـاريخ والنصوص حتى تعترف وهى معلقـة فى المروحة بتدبير المؤامرة التى اكتشفـها ابوزيد واستحق عليها درجة شهيـد فى سقر المتنورين ! فالمدعو ادريس الشـافعى منطلقـا من تعصـبه لقـبيلة قـريش ورغبـة فى تمكين سيطرتهـا على المسلمين قد تعصب للعرب وبالتالى للغة العرب واصر على عروبة القرآن ! وفى سبيل تنفيذ مخطط التمكين لقريش والطبقات المالكة ، وبنى أمية ودولتهم المتهمة عند حثالة المستشرقين بأنها كانت تمثل التعصب والسـيطرة العربية ضد الشعوب المقهورة والطبقات الكادحة . . الخ ، ولذلك خطط الشافعى لبرمجة ذاكـرة الامة الاسلامية بمنعها من التفكير أو العقل وقصرها على النقل بحـيث يتحول عقل العربى اتوماتيكيا الى رفض العقل والانفتاح للنقل على طريقة بافلوف فإذا قـدم العقل للانسان العربى صرخ ونفر متألما بفعل الجهاز الذى دسه فيه بخبث الامام الشافعى بينما يمرق النقل بسهولة!

والشافعى لم يكن مجرد مفكر طبقى عنصرى عروبى قرشى سلفى متمسك بالقرآن بل كان مأجورا عميلا ففى الصفحة السادسة عشرة يقول الدكتورالمعلم نصر بالحرف :

«ولكن اهم صور التعبيـر عن انحياز الشافعى للقرشية انه الفقيـه الوحيد من فقهاء عصره الذى تعاون مع الامـويين مختارا راضيا خاصة بعد وفـاة استاذه مالك بن انس

(١٧٩ هـ) الذى كان له من الأمـويين موقف مشهود بسـبب فتواه بفسـاد بيعة المكره وطلاقه. وموقف الامـام ابى حنيفة (١٥٠هـ) الرافض لأدنى صور التعـاون معهم - رغم سـجنه وتعذيبـه ـ يكشف الى اى حد بلغ رفض الفـقهـاء لعصـبيـة ذلك النظام ولممارساته القـمعية ضد جـماهير المسلمين الا ان يكونوا من مـؤيديه وانصاره بشكل مـباشـر (انظر ابوزهره ابو حنيـفه دار الفكر العـربى ط٢ ، ١٩٧٧ ص ٣٤-٣٥ .) سعى الشـافعى على عكس سلفـه ابى حنيفة واسـتاذه مالك الى العـمل مع الامويين فانتهز فـرصة قدوم والى اليمن الى الحجاز وجعل بعض القـرشيين يتوسطون له عنده ليلحـقه بعـمل، فأخذه الوالـى معه وولاه عـملا بنجـران «انظر أبو زهرة: الشـافعى ص٢٠» وردت هكذا فى كتاب المعلم .

وكنت قد كتبت وقتها فى اوراقى هذا التعليق :نحن لم نستطع الحصول على كتابى ابو زهره بعـد وحتى لو كـان الشـيخ قد سـقط هذه السقطـة فهى لا تعـفى المعلم. . ولكننا نكاد ان نقطع بأنه كاذب اذ لا يمكن ان يقع ابو زهره أو ابو اى حاجة فى خطأ من هذا النوع انما هو فـعل الهبـاشة الذين يخطفـون بضعـة سطور من هنا وهناك ولا يعايشون موضوع الدراسة بحيث يقوم لديهم قبل التأليف تصور كامل لوقائع العصر أو قل خارطة بكل وقـائع العصر وتفاصيل حـياة الشخص موضـوع الدراسة وهو ما لم يتوفر للدكتور قبل ان يتهم الشافعى بمؤامـرة العنصرية والعمالة. ولا احد يتصدى لنقد الشافـعى الا اذا قرأ الرسالة ، التى يـجمع المحقـقون على انها «اول كـتاب الف فى اصول الفقه بل اول كـتاب فى اصول الحديث » والنسخة الوحيدة المتـاحة بالعربية فى حدود معلـوماتنا هى التى حققـها الشيخ احمـد شاكر وهذه مكتوب على غـلافها : «الرسالة للامـام المطلبى محمـد بن ادريس الشافعـى١٥٠- ٢٠٤ . بخط نسخ مذهب كبير. بل ان كتيب المعلم نصر يـقول السطر الاول فيه : الامام الشافعى ١٥٠-٢٤٠ ولو كان الدكتور هو واضع هذا السطر فمصيـبتنا كبيرة لأن من يعرف ان الشافعى ولد عام ١٥٠ يرن فى رأسه فورا انه ولد بعد الدولة الاموية إذ ان طلبة المدارس الابتدائية يحفظون ان الدولة الامـوية انتهت عام ١٣٢ فهـذا التاريخ من اوليات المعرفـة بتاريخ المسلمين ولابد ان الدكتور قدسمع حتى بتفسـير الشيعة لآية خير من الف شهر . فلو

كانت للدكتور أى خلفية إسلامية ــ أقصد التاريخ وليس العقيدة ــ لرفض عقله على الفور ان يعمل من ولد سنة ١٥٠ لدولة انتهت سنة ١٣٢ بل ان الدكتور خالى الذهن تماما من موضوع دراسته فهو يكتب بكل اطمئنان ان الشافعى كشف عمالته للدولة الاموية وتعاون معها راضيا مختارا بعد وفاة استاذه سنة ١٧٩ !! مرة اخرى كان لابد ان تدق التواريخ فى رأسه فاستاذه مات بعد وفاة أو مصرع الامويين ب ٤٧ سنة ! هل يقبل من طالب فى الثانوية العامة ان ينشئ بحثا عن تعصب محمد عبده للفرنسيين بحكم ثقافته الفرنسية ويستدل بذلك على انه عمل لحساب الحملة الفرنسية وتعاون مع نابليون وقبل منه عضوية الديوان وخاصة بعد وفاة استاذه رفاعة رافع الطهطاوى !هل تستغربون لو حصل هذا الطالب على الدكتوراه اذا استمر التنوير الحالى ؟ !

كان هذا هو تعليقى حرفيا فور قراءة كتاب الدكتور ، ثم وصلتنا نسخة من كتاب الشيخ ابى زهره طبعة ١٩٤٨ وهى الطبعة الثانية طبعة دار الفكر العربى كما يقول تقديم الشيخ نفسه وان كان المعلم قد وصف طبعته ايضا بالثانية ط٢ وحدد تاريخها ب١٩٧٧ ! وهرعنا الى الصفحة التى زعم ان ابوزهرة قال فيها « سعى الشافعى على عكس سلفه ابى حنيفة واستاذه مالك الى العمل مع الامويين فانتهز فرصة قدوم والى اليمن الى الحجاز وجعل بعض القرشيين يتوسطون له عنده ليلحقه بعمل ، فأخذه الوالى معه وولاه عملا بنجران (انظر ابوزهره : الشافعى ص ٢٠)» فوجدناه كذابا اشر . لا لأن الاشارة الى عمله هذا وردت فى صفحة ٢١ وليس ٢٠ (!!) بل لأن هذا هو نص ما جاء فى كتاب ابى زهره : «١٤- ولايته: ولما مات مالك رضى الله عنه ، وأحس الشافعى انه نال من العلم أشطرا. وكان فى ذلك الوقت فقيرا. اتجهت نفسه الى عمل يكتسب منه ما يدفع حاجته ويمنع خصاصته، وصادف فى ذلك الوقت ان قدم الحجاز والى اليمن، فكلمه بعض القرشيين فى ان يصحبه الشافعى فأخذه الوالى معه.. وتولى عملا بنجران.. »

ونفس التزوير فى النص الذى نقله او نسبه لكتاب الشيخ عن ابى حنيفة اذ لم ترد فيه اى اشارة لعمالة الشافعى للامويين ! . .كيف زور المعلم كلام الشيخ وقوله ما لم يقله؟ كيف يكون هذا عالما او استاذا بالجامعة ؟ انه مزور وليس مهملا لأن المهمل

يفوته خبر ولا يضيف خبرا . .

وهو لو قلب الصفحة وتابع قراءة ابى زهرة لوجده يتحدث عن اتهام العباسيين للإمام بالعمل لحساب العلويين فأرسل مقبوضا عليه عام ١٨٤ هـ الى هارون الرشيد «بتاع مسرور السياف تعرفه ؟ !» اى لو افترضنا بزعمك انه تولى نجران فى اخر يوم فى عهد الامويين يكون قد عمل فيها ٥٢ سنة والشافعى مات عن ٥٤ سنة فلابد انه عمل لهم وعمره سنتان يا شرلتان !

ولو تابع القراءة حتى يصل الى الفصل الذى خصصه الشيخ ابى زهره عن عصر الشافعى لوجد اول سطر فيه :«٣١-ولد الشافعى فى العصر العباسى » ص٥١ الشافعى حياته وعصره - اراؤه وفقهه دار الفكر العربى الامام محمد ابوزهره الطبعة الثانية / الاولى ١٩٤٤

فكيف يعمل من ولد فى العصر العباسى فى خدمة بنى امية هل اخترعت آلة زمن تنافس بها ويلز ؟ !

ان سكوت الوسط الجامعى على هذه الفضيحة وعدم اتخاذ اجراء اكاديمى ضد مرتكبها، نذير خطير بما وصل اليه حالنا من تهاون اما الذين انبروا يدافعون عن الدكتور ويسترون هذه الفضيحة فهم نذير اكثر خطورة بما سنصل اليه اذا لم يتصدى لهم المثقفون .

وإذ أتعرض لسقط القول الذى ورد بالبحث فلا أريد أن يظن احد اننى استهيفت البحث واستضعفت المعلم وانتهزتها فرصة لاستعرض عضلاتى . . لا والله . . فالمفروض انه يكتب فى ميدان تخصصه الذى حصل فيه على الدكتوراه ومنح اجازة بتدريسه لطلبة أقدم وأعرق جامعة فى العالم العربى. وانا والله ضعيف فى الفقه رقيق اللغة ولكن لما رأيت اهل الكفاية قد سكتوا، اعتبرتها فرض عين واجتهدت ما وسعنى مع قلة المراجع هنا حتى اننى اضطررت فى البداية الى الاعتماد على رسالة الشافعى بالانجليزية ترجمة ماجد خضورى والتى يبدو ان المعلم لم يطلع عليها حتى وصلتنا نسخة الشيخ شاكر .فعسى ان نكون قد وفقنا ولو لاغراء اهل الكفاية بالحديث.

والدكتور وامثاله هم فجرة يرمون الناس بما فيهم فهو يتهم الشافعى بالعنصرية وتجلت عنصريته فى تأسيسه لعروبة القرآن !! وانه فعل ذلك من « منظور ايديولوجى ضمنى فى سياق الصراع الشعوبى الفكرى والثقافى . . من هنا نفهم ما انتهى اليه من تحديد لأنماط الدلالة يعتمد على التلقين لا على رصد اليات انتاج الدلالة فى بنية النص ذاتها » ٢٧

وهوكلام من طراز حبظلم اى كلام لا يفهمه سامعه ولا قائله! وامرأة جحا طالق ان كان بين أو تبين !

عروبة القرآن لم يؤسسها ولا اخترعها الشافعى فالمولى عز وجل هو القائل **﴿انا أنزلناه قرآنا عربيا﴾** وقد وردت قرآنا عربيا ٦ مرات **﴿وهذا لسان عربى مبين﴾** **﴿بلسان عربى مبين﴾** ٣ مرات .

وتواصى كتبة القرآن اذا استشكل عليكم أمر فردوه الى لهجة قريش فإنما نزل بلهجة قريش . . وهذا طبيعى فقد نزل على رجل من قريش فكان لابد ان يكون بلغته حتى يتبينه ويبينه للناس . هذه ليست عنصرية من الله سبحانه وتعالى بل هذا هو ما حدث ولو اختار الله لرسالته الصينيين لأنزل عليهم كتابا بالصينية ، لا يفقهه الا من أتقن الصينية . . وليس هذا من اكتشافاتنا بل الله سبحانه وتعالى هو القائل : **﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ...﴾** ابراهيم ٤ وعز من قائل **﴿فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا﴾** مريم ٩٧ **﴿فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون﴾** الدخان ٥٨

ولا حتى خطرت العنصرية ببال العرب المسلمين لنزول القرآن بلغتهم ، بدليل قولهم ان لغة الجنة هى السنسكريتية !! وان الله لن يخاطبهم بالعربية بصرف النظر عن مدى صحة ذلك ! ولعل هذه الاشارات الى عربية القرآن هى هداية للناس لكى يعرف الناس انه لابد من دراسة اللسان العربى لفهم معانى القرآن !

يفترى المعلم على الامام فيزعم انه قال انه لا يمكن ان يفهم القرآن الا من كان عربى الجنسية والاصل والدم ! ويكرر ذلك اكثر من مرة فهو اى الشافعى فى زعم

وافتراء المعلم « يجعل من تفسير الكتاب وفـهمه مهمة شاقة لا يمكن ان ينهض بها الا عربى بالسليقة والجنس لأن من سوى العربى لا يصل الى مسـتوى العربى مهما تعمق فى اكتساب اللغة وتعلمها :» «هذا زعم المعلم امـا الدليل عليه من كلام الشافعى فهو مـا اورده بعد النـقطتين:» وهو: «وانما بـدأت بما وصفت من ان القـرآن نزل بلسـان العرب دون غـيره لأنه لا يعلم من ايضـاح جمل علم الكتاب احـد جهل سعـة لسان العرب وكثـرة وجوهه ، وجماع معانيـه وتفرقها . ومن عَلِمه انتفت عنه الشـبهة التى دخلت على من جهل لسانها»ص٢٣ المعلم نقلا عن الرسـالة ليثبت به ان الشافعى قال عربى الجنس !

الامام يشتـرط العلم بلسان العرب ويكرر كلمة اللسـان ٣ مرات فى اقل من ثلاثة سطور ويؤكد ان من جـهل هذا اللسان لا يفهم الـقرآن وهذه حقيـقة تشمل الاحـمر والاسود والعربى والاعجـمى .واليك ما قاله الشافعى حرفيـا فى موضوع اللسان من نسخة الرسالة تحقيق المغفور له احمد محمد شاكر الطبعة الثانية ١٩٧٩ :

«١٣٨-ولسان العرب اوسع الالسنة مـذهبا واكثرها الفاظا ولا نعلمه يحـيط بجميع علمه انسـان غير نبى ، ولكنه لا يذهب منه شئ على عـامتها حتى لا يـكون موجودا فيها من يعرفه .

١٣٩- والعلم به عند العـرب كالعلم بـالسنة عند اهل الفقـه لا نعلم رجلا جـمع السنن فلم يذهب منهـا عليه شئ «بالطبع النبى وحـده يعرف جمـيع سننه والسنة التى غابت عن جميع المسلمين لا وجود لها وليست سنة ج»

١٤٣ - وهكذا لسان العرب عند خـاصتها وعامتهـا لا يذهب منه شئ عليها ، ولا يطلب عند غيـرها ، ولا يعلمه الا من قبله عنها ، ولا يشـركها فيه الا من اتبـعها فى تعلمه منها ومن قبله منها فهو من اهل لسانها .

١٤٤ـ وانما صار غيرهم من غير اهله بتركه فاذا صار اليه صار من اهله .

١٤٥ـ وعلم اكثـر اللسان فى اكـثر العرب اعـم من علم اكثر السنن فـى العلماء » ص٤٢-٤٤ الرسالة احمد شاكر

يا فضيحة المعلمين فى السلخانة ! لا جنس ولا عنصر بل حتى العربى الذى ضعف لسانه يفقد عروبته ولا تعود اليه الا اذا عاد للسانها . . حسرة على العلم والفهم والجامعة ومحمود امين العالم الذى يمدح المعلم فيسرف دون ان يقرأ له ! امثل هذا النص الذى استشهد به يثبت ان الشافعى قال انه ما من احد يستطيع ان يفهم القرآن الا العربى الجنسية ؟ !

كيف يخطر ببال متجول على باب الجامعة ان الشافعى يمكن ان يصدر مثل هذا الحكم وهو كان لفترة من تلاميذ تلاميذ الامام ابى حنيفة الذى لم يكن عربى الجنسية ولا الاصل!اليس الامام هو الذى قال عن سلفه ابى حنيفه « العلماء عيال على ابى حنيفة فى الفقه » وقال عن تلميذ ابى حنيفة محمد بن الحسن :«حملت عن محمد بن الحسن وقر بعير ليس عليه الا سماعى منه وكان يجل محمد بن الحسن ويكبره ويرى فيه استاذه ويثنى عليه» (٢)

كيف يمكن اقناع عالم فى شارع محمد على ان اماما اثبت الجميع تفوقه بل يتهمه المعلم بأنه سيطر على الفكر الاسلامى الى يومنا هذا ،يجعل جنسية الانسان شرطا للعلم بالقرآن؟ !

بل هل كان الامام مثل المعلم يجهل ان جميع فقهاء الامصار منذ عهد هشام بن عبد الملك لم يكن فيهم من هو خالص العروبة الا فقيه الكوفه وهذا كله فى مطلع القرن الثانى الهجرى وقبل مولد الامام الشافعى باربعين سنة على الاقل بل ان عمر بن عبد العزيز عين ثلاثة فقهاء على مصر اثنين منهما من الموالى. !

وقال ابن القيم فى كتاب اعلام الموقعين : «وقال عبد الرحمن بن زيد لما مات العبادلة ابن عباس وابن الزبير وابن عمرو بن العاص صار الفقه فى جميع البلدان الى الموالى الا المدينة فإن الله خصها بقرشى » (٣)

فكيف يأتى الشافعى تلميذ كل هؤلاء ويزعم انه لا يفهم القرآن الا من يحمل الجنسية العربية ؟! النص لا يحتاج لتأويل ولا تغليب العقل على النقل الا اذا اخذنا بفكرة التحرر من النص واطلاق العقل من عقاله ليهيم على وجهه كالسائمة فيبرطع وينطح الناس كما يشاء غير متقيد لا بنص ولا بفهم !

الامام يقول ان القرآن نزل بلسان العرب وهذا اللسان يمتاز بالثراء الشديد فى المفردات وفى اساليب التعبير بهذه المفردات «ولا يجوزلمن اراد معرفة معنى التشريع ان يجهل خصائص اللسان العربى فى مثل تعدد معانى اللفظ الواحد وتعدد الالفاظ الدالة على نفس المعنى فالحيرة أو عدم البيان الذى يحدث لمن لا يتقنه «اللسان العربى» لا تصيب من يتقنه لأن القرآن نزل على العرب بلسانهم وبما يفهمون من معانى هذا اللسان.. فهم قد يبينون فى اول الكلام عن اخره وقد يبينون فى اخره عن اوله وقد يرمزون للمعنى بغير تصريح وهذا مما لا يعلمه الا الذين يعلمونه وليس الذين يجهلونه أو لم يتعلموه ..» ص٩٤

و«المعرفة الكاملة بلسان العرب لا تتوفر فى انسان واحد الا رسول الله ﷺ» «وليس فى هذا اى تعصب والله العظيم اذ ان القرآن نزل على محمد أو حتى اخترعه محمد ليبلغه للناس فلابد ان يكون عالما بمعانيه افضل من كسرى !» ولكن الاحاطة بلسان العرب ممكنة على نطاق المجموع اذ لا نعدم دائما رجلا يعلم بقسم منه قد لا يعلمه الاخرون بحيث لا يخفى كل اللسان عن كل الناس ، فهو لا يغيب عنهم جميعا ان غاب بعضه عن بعضهم مثل علم الفقهاء بالسنة فنحن لا نعلم فقيها احاط بالسنة كلها ، ولذا فلو اجتمعت معرفة كل الفقهاء لاحطنا بكل السنة ولكن لو اخذنا علم واحد بمفرده لوجدنا انه يجهل بعض السنة ولكن ما فات احدهم يدركه الآخر.. وهكذا العلم بلسان العرب مابين الخاصة والعامة فلن يغيب بعض هذا اللسان عنهم جميعا. وان معرفة اللسان العربى اكثر انتشارا بين غالبية العرب من العلم بالسنة بين الخاصة.. ولا يسع احدا أن يلم بهذا اللسان الا من تلقاه عنهم ولا يمكن ان يبلغ احد مبلغهم فى الفصاحة بهذا اللسان الا اذا تعلمه كما تعلموه. وهذا الذى علمه يجب ان يعتبر كواحد من اهل هذا اللسان.. فالذين اتخذوا لسانا اخر فعلوا ذلك لانهم أهملوا هذا اللسان فلو عادوا اليه فقد اصبحوا من قومه .

سيبويه يتقن لسان العرب ويشرع قواعده ليتعلمها الشريف القرشى وقد لا يحسن التعلم والطبرى والبخارى وهما اعجميان يقبل القرشى تفسيرهما . الامام يتكلم عن اتقان اللسان وهو يعرف ان رسول الله قال انما العربية هى اللسان وليست عنصرية

ولا جنسية . فكيف استخرج المعلم من هذا النص اشتراط الشافعى عروبة الدارس للقرآن بالمولد . . وبنى عليها نظرية عن تعصب الشافعى وأبطل وسطيته. . ثم لم يجد فى جامعاتنا من يجز ناصيته ويركبه مشهورا ، بل من يهتف له كمعلم أو أسطى تنوير ! بل يتدهور اصحاب الغرض فيصفه احدهم بأنه مجدد القرن ويعلن الدكتور الطبيب "سمير حنا "أن رفض ترقية هذا الجهول «تبعث على الرعب مما وصلت اليه هيئات مفروض ان تكون منارة للعلم وملاذا للفكر الحر »(٤)

هو الفكر الحر اصبح مثل الرسم الحر والشعر الحر يعنى تقول اللى على كيفك بدون سند ولا مرجع ولا حقيقة !

والمعلم لا يرتدع فهو يعيد اثبات انحراف الشافعى وعنصريته وانه قصر فهم القرآن وبالتالى تفسيره على العربى الجنسية والاصل لأن من سوى العربى لا يصل الى مستوى العربى مهما تعمق فى اكتساب اللغة وتعلمها !!

من اين جاء بأن « من سوى العربى لا يصل الى مستوى العربى مهما تعمق فى اكتساب اللغة وتعلمها»

جابها منين ؟!

انت مثلا يفترض انك عربى وتدرس اللغة العربية ولا اظنك تزعم انك تفهم واحد فى المليون من علم المودودى أو محمد اسد بلغة القرآن !

ويستشهد بفقرة اخرى يعتقد انها قاطعة بدليل انه سود جملا فيها باعتبارها الحجة القاطعة ! ليثبت بها ان الشافعى قال «بغموض القرآن التام لغير العربى ولا يكشفه الا العربى » ص٢٦

وهاكم دليله من كلام الشافعى : «فمخرج اللفظ عام على الناس كلهم . ويبين عند اهل العلم بلسان العرب «وقد كتب المعلم جملة «اهل العلم بلسان العرب بحروف سوداء ليقبض على الشافعى بالجرم المشهود !» . . وهذا فى معنى الآية قبلها عند اهل العلم باللسان والآية قبلها اوضح عند غير اهل العلم لكثرة الدلالات فيها » «هذا تسويد المعلم نصر»

هل تحدث الشافعى عن جنسية أو عرق أو اصل أو حتى بالسليقة أو حتى قال العربى ! وانما هو يتكلم عن اللسان ومن يتقن أو يعلم هذا اللسان ويكرر كما قلنا لفظة اللسان وكان بوسعه ان يقول العربية فقط ولكن لعله خاف ان يسئ فهمه عتل من علوج العجم . كيف استنتج دكتور فى قسم اللغة العربية هذا الذى استنتجه ؟ كيف لا يفرق بين العرق واللسان بين الجنسية واللغة؟! هل لوقال احدهم انه بغير اتقان لسان الانجليز أو حتى ضرورة اتقان لسان الانجليز فى عهد شكسبير لا يمكن فهم مؤلفات شكسبير واستخراج ايماءاته وايحاءاته ، يكون عنصريا يقول باستحالةان يفهم شكسبير الا الانجليزى الجنس ؟! اليس قائل هذا هو العنصرى الوقح الذى يزعم انه لا سبيل لمن لم يولد انجليزيا ان يتقن لسان الانجليز!

هل من شك انه ما من احد يستطيع ان يسبر غور التوراه ويفهم ما غمض من معانيها ليتفقه فيها ويشرع منها الا اذا كان يتقن العبرية ؟ هل يستطيع الدكتور ان يحصل على درجة علمية من جامعة محترمة فى التوراه دون ان يثبت اتقانه للعبرية. . هل يعنى ذلك عنصرية واشتراط ان يكون الانسان يهوديا لكى يفهم التوراة؟!

هل يجوز ان يفهم المعلم هذا الذى زعمه : «ليس الغموض والوضوح اذن فى دلالة العموم على الخصوص مرتبطا بطبيعة التركيب أو السياق بل هو مرتبط اساسا عند الشافعى بطبيعة المتلقى أو بالاحرى بجنسيته واصوله العرقية فإذا كان عربيا عالما باللسان فالواضح والغامض لديه سيان بل يختفى فى حقه الفارق بينهما هذا ما يقرره الشافعى بوضوح وهو يناقش النموذج الثالث الدال على الغامض الذى لا يعرفه الا العربى . . » ص٢٧

المعلم نفسه اضطر للاعتراف ان القضية هى العلم باللسان وليس الدم أو العنصر فهو يقول « فاذا كان عربيا عالما باللسان » واذا افترضنا انه لا يكتب كالسائمة بل يختار الفاظه فإن نصه على العلم باللسان يؤكد ان هذه هى القضية كما فهمها حتى هو بفهمه الشديد التواضع وتحيزه الشديد الادعاء !اما حكاية « عربيا » فهى من تزويراته مثل بنى امية . . تزوير مفضوح معيب .

وحديث الشافعى عن العرب الذين كانوامع النبى عند نزول الآية ، يقصد به اللسان والمتمكنين من اللسان ، وفى مقدمتهم بالطبع ، الذين نزل القرآن بلغتهم اى جيل النبوة ومن المؤكد انهم فهموه وآمنوا به لأنه بلسانهم فى زمنهم وكان تحديا لهم فى هذا اللسان وهذا ما قصده الشافعى عندما شرح آية ﴿وأفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ حيث قال إن الآية أقل وضوحا عند من يجهل لسان العرب ، اما العرب الذين كانوا مع النبى وخاطبتهم الاية مباشرة فقد فهموا الخطاب ودلالته. لان اللسان المعنى هو لسانهم بالذات.

والشافعى بعكس افتراء المعلم لم يعتبر اللسان يكتسب بشهادة الميلاد والا لكفاه شرفه ونسبه فهو قرشى مطلبى بل بالعكس نراه قد التزم بما طالب به الاحباش والروم والنصريين فذهب يتعلم لسان العرب من مصادره قال ابوزهرة :« ولقد كان مع استحفاظه لاحاديث النبى ﷺ وحفظه لكتاب الله تعالى، قد اتجه الى التفصح فى العربية، ليبعد كل البعد عن العجمة وعدواها التى اخذت تغزو اللسان العربى. . وقد خرج فى سبيل هذا الى البادية ولزم هذيلا وهو يقول. . انى خرجت عن مكة فلازمت هذيلا بالبادية، اتعلم كلامها وآخذ طباعها وكانت افصح العرب ارحل برحيلهم وانزل بنزولهم. . حتى قال الاصمعى انه صحح اشعار هذيل على الشافعى»(٥)

وقد ناقش الامام دور اللسان فى تفسير القرآن وفيما ورد عن وجود الفاظ غير عربية فى القرآن وقد بينا القضية الاولى لمن يعرف لسان العرب !ونلخص رأى الامام فى القضية الثانية ،ليشهد الناس ان كانت العصبية أو الجنس قد خطرا ببال الامام أو يمكن ان يشتمهما عاقل يفهم اللسان العربى من رأى الامام فى مسألة الالفاظ المختلف على عروبتها فى القرآن وهى القضية التى يدور حولها المعلم كالدبور!فهذا ما قاله الشافعى:

١٤٨- «ولا ننكر ان يوافق لسان العجم او بعضها قليلا من لسان العرب كما يتفق القليل من ألسنة العجم المتباينة فى اكثر كلامها ، مع تنائى ديارها واختلاف لسانها، وبعد الاواصر بينها وبين من وافقت بعض لسانه منها »

ونحن نميل لهذا التفسير ان كان لابد من تفسير . . لا تعصبا فاللغات كلها لله والله يختار ما شاء من لفظ لمعانيه ولا يضير عروبة القرآن ان توجد به ثلاثة او اربعة الفاظ لا يستدل على مصدرها العربى أو ليست فى لغة قريش فهذا من اعجازه سبحانه وتعالى تأكيدا لسيادة القرآن على قريش ولسانها وهذا ما ذهبنا اليه فى تفسير ﴿ان هذان لساحران﴾ التى التقطها جاهل اخر عن المستشرقين ليثبت ان بالقرآن خطأ فى النحو ! انما يريد المولى عز وجل ان يثبت خضوع قريش ولهجتها ونحوها لكلمات الله وليس العكس فقد انزله قرآنا عربيا وليس قرشيا وان كانت لهجة قريش هى الغالبة ونستغفر الله من الخطأ .

فلسنا ندفع تهمة ، ولكن انطلاقا من ان الله سبحانه انزل القرآن للعرب ويفترض ان يعرفوا ما نزل ومن ثم تنتفى الحكمة فى ورود الفاظ لا يفهم العرب كل العرب معناها! ومادام القرآن قد نزل للعرب وفهموا معانيه كلها فلابد ان هذه الالفاظ التى ليس لها جذر عربى هى اما الفاظ دولية دخلت عدة لغات أو هى الفاظ عربت قبل نزول القرآن . . فالامر كما قال الامام : ليس فى الكتاب ماليس من لسان العرب . . ونحن لا نقول الآن أن كلمة «شريف» ليست اسبانية ولا امريكية لمجرد ان عروبتها واضحة . ولا تستطيع ان تقول ان سينما وتليفون اعجمية وانت تقول عمل سينمائى وتلفن له او حتى اول كلمتين يتعلمهما الانسان: بابا وماما . . ومن قال ان ابراهيم واسحاق وفرعون وهامان وطالوت وجالوت . . اسماء تسمت بها هذيل . . ومن ذا الذى يقول انها غير عربية!

وعلى اية حال فهو بحث لغوى تاريخى . . وكل المجادلين فيه من ابن عباس الى الشافعى عرب أقحاح ومن قريش بل لو كان ابن عباس قال انها اعجمية فهو اقرب لقريش وأحرى أن يتعصب لها . . ولكن اقرأ واضحك ماذا اكتشف شرلوك هولمز الفقه المعلم نصر : «. . وفى دفاعه عن القرآن ، وانكاره التام والمطلق ان تكون به الفاظ غير عربية ويذهب الشافعى خلافا لما استقر عليه الرأى فى عصره الى ان الالفاظ التى يقال انها غير عربية هى فى الواقع الفاظ عربية وان القائلين بغير ذلك جهلوا هذه الالفاظ اساسا فتوهموا انها ليست عربية . . . فإذا كانت اللغة العربية على

مثل هذا الاتساع الذى لا يمكن لإنسان استيعابه الا ان يكون نبيا - فإن مهمة تفسير القرآن تصبح مهمة عسيرة طالما ان القرآن بمثابة صورة مصغرة جامعة للغة العربية واذا كان الشافعى لم يستطع ان يدرك ما فى تصوره للغة العربية من تناقض يؤدى الى استحالة عملية التفسير فما ذلك الا لأنه كان يدافع عن نقاء اللغة العربية وعن العروبة.. وعلاقة المشابهة التى يعقدها الشافعى بين العلم باللغة والعلم بالسنة علاقة لا تخلو من دلالة تكشف عن طبيعة المشكل الذى يحاول الشافعى حله .. »

ويكشف لنا المعلم الهدف الخبئ وهو تأسيس « مشروعية السنة لا فى كشف دلالة القرآن فحسب ، بل فى تشكيل الدلالة ايضا » ص١٢ المعلم

وبالطبع يتطور الموضوع فى تحقيق مباحث الفكر الى مؤامرة « ومعلوم ان الحرف او اللغة التى ثبتت القراءة عليها هى لغة قريش وذلك بناء على التعليمات التى اصدرها الخليفة الثالث عثمان بن عفان الى اعضاء اللجنة التى كونها لتثبيت القراءة ... » وبما ان النص كان قد ثبتت قراءته بلسان قريش ، الامر الذى يسوغ لنا افتراض ان دفاع الشافعى عن نقاء لغة القرآن من الاجنبى الدخيل لم يكن دفاعا عن اللسان العربى كله فحسب ، بل كان بالاضافة الى ذلك دفاعا عن نقاء لغة قريش وتأكيدا لسيادتها وهيمنتها على لغات اللسان العربى. والحقيقة ان هذا الموقف لا يخلو من انحياز ايديولوجى للقرشية التى اطلت برأسها اول ما اطلت - بعد نزول الوحى ـ «؟؟؟ هذه الجملة بين شرطتين لم نفهمها هل يقصد ان نزول الوحى على رجل من قريش كان الانحياز الاول ؟ استغفر الله ولكن كنا نتمنى لو شرح لنا مغزى هذه الجملة الاعتراضية حتى نزداد علما بمؤامرة قريش وعلم المعلم ! ج»- فى الخلاف حول قيادة الامة فى السقيفة ولا نغالي اذا قلنا ان تثبيت قراءة النص الذى نزل متعددا فى قراءة قريش كان جزءا من التوجيه الايديولوجى للاسلام لتحقيق السيادة القرشية» المعلم ص١٤/ ١٥

او كما قال من امثال هذا الخبال والكلام البطال !

سيادة قريش سابقة على الاسلام وتعززت بالاسلام وبالدور الذى لعبه مشيخة

وشباب قريش فى نصـرة رسول الله   وفى تأليب العرب عليه !وسيـادة قريش اعترف بها فى السقيـفة واقر الجميع بذلك لالف سنة قادمة ولقـرن ونصف قبل مولد الامام الشافعى المتـهم بأنه يحاول تثبيت سيـادة قريش فى عهد المأمون عـندما لم يبق للعرب جميـعا من السيادة الا هذا النـسب الرمزى فعلى زمن الشافـعى لم تكن هناك قريش تحكم او لهـا سـيـادة يؤبه بهـا ولم يكن الخليـفـة يعـرف عن قـريش الا مـا يحكيـه القصاص. . والخـليفة نفســه لم يكن فى دمه من قريش ما يكفى لاثبـات النسب امام القضاء فأمه فارسية وجدته ربما تركية او صقلبية او رومية . . . الخ

وقضية وجود الفـاظ غير عربية فى القرآن ان كانت عارا او فضيـحة كما يصورها فهى لا تخـص قريشا اسـاسا ولا اصلا بـل تخص اللغة العـربية كلها والمسلـمين فى وهمه. .فزوجة زعيم قريش كان اسمها هند ! فـما عليه ان اكتست سندسا واستبرق . واذا كان يدعـى ان الشافعى لـم يكن يدافع من منطلق علمى بل حـفاظا على صـحة النص ﴿إنا انزلناه قرآنا عـربيا﴾ . . فإنه هو الذى لا يثـير هذه القـضية ويلتـصق بها كالقراد الا لأنه يريد بوهمه ان ينال من النص !

ومادمنا قد وضعنا يدنا على مـفتاح نظرية المعلم فقد سهل تفسيـر مواقف الشافعى واجتـهاداته، فـهو عنصـرى متـعصب للعروبـة بدليل انه الوحيـد الذى قبل التـعاون والعمـالة مع دولة العرب بنى أمـية !ومن تعصـبه انه حاول ان يؤسس عـروبة القرآن وقال بأنه لا يفهمـه الا من أتقن لسان العرب . . ونفى ان تكون به الفاظ غيـر قرشية تعصبا لقـريش ! ثم نتقدم الى الوراء خطوة اخرى ليثبت لنا عنصرية الشـافعى العربية بتعصبه للسنة ويخرج علينا بفتوى قمـيئة شريرة :« ان تأسيس الشافعى للسنة وحيا لم يكن يتم بمعزل عن الموقف الايديولوجى الذى اسهبنا شرحه وتحليله «والله ما حصل؟ اسهب ايه والكتاب كله ٤ ملازم والاتهام خطيـر فى حجم ان الاهتمام بالسنة هو نزعة شوفينية عنصرية عـربية دا يحتاج لمجلدات؟!ج» موقف العصبية العـربية القرشية التى كانت حريصة على نزع صفـات البشرية عن محمد وإلباسه صفات قـدسية إلهية تجعل منه مشرعـا . أما الاحناف «علشان أبو حنيـفة مش عربى ج» فقد انطلـق امامهم من موقف مغاير الامر الذى مكنهم من وضع السنة موضعها الصحيح بوصفها شارحا مبينا

للنص الاصلى لذلك وضعوا النسخ فى اطار البيان لا فى اطار التشريع » عن المعلم ص٥٦

هل فهمت التفسير الابوزيدى للتاريخ أو الفقه ؟ انها نظرية ابو دراع : «ع الاصل دور» كل واحد يرجع لأصله ويعمل بأصله ! الشافعى عربى من قريش ولذلك انحاز لبلدياته محمد بن عبدالله العربى القرشى وحاول مساواته بالله على اساس ان الله تركى كما تقول النكتة التركية الغبية . . اما ابوحنيفة فهو شعوبى يريد ان يقلل من شأن العرب بالتقليل من شأن نبيهم اللى كل شوية يقولوا اللهم صلى على النبى العربى . . لأ مافيش سنة ومحمد زيه زى اى واحد . .عرب جرب سيس خرسيس ادب سيس . .مخ يوك!(١)

ولأن هذا القطيع من الشيوعيين عدو لكل ما هو عربى يودون لو استأصلوا العروبة من جذورها لكى لا يكون تحت سمائها الا العبرى ، لذلك هو ينحاز لأبى حنيفة . . ليس الفقيه الاسلامى العظيم حاشا لله بل لأبى حنيفة الذى اخترعه من امانيه واحقاده ، ابى حنيفة عدو العرب والنبى والسنة كما توهم أو ادعى !

والمؤامرة العروبية قديمة منذ السقيفة « حيث تم فى هذا الاجتماع تدشين السيطرة القرشية على الاسلام والمسلمين ولعل الخلاف حول شروط اختيار الخليفة فى لجنة الستة التى عينها عمر بن الخطاب الانتهاء «كذا» الى اختيار الشخص الذى تعهد متابعة سيرة الخليفتين السابقين عليه دون اى تغيير ان يكون احد مظاهر التعبير عن الصراع المذكور. . . حتى تم رفع المصاحف على أسنة السيوف طلبا لتحكيم النص الدينى فى صراع اجتماعى سياسى » ٥٨

هل كان على بن أبى طالب أرمنيا أو من نمير ولذلك اشترط اضافة اجتهاده ؟ أو هل كان فى الستة المرشحين للخلافة من ليس قرشيا؟ بل حتى لو تعهد عثمان باتباع سنة محمد بن عبدالله وحده لقلت ايضا . . سيطرة قريش ! فهو صلوات الله عليه العربى القرشى !

وما علاقة رفع المصاحف على أسنة السيوف بمؤامرة سيطرة قريش ؟

افهموها بقى . . المصاحف كتبوها بلغة قريش فلما ترفع ويقبل المسلمون تحكيم هذا النص القرشى وليس التلمود يعنى تكريس النص القرشى وتأكيد الشوفينية العربية!واذا احتج احد على هذا الجهل يصرخ ويقول حيطلقونى والنبى حيطلقونى !

والمعلم ورث عن الماركسيين كراهية الموقف الوسط فهو عندهم انتهازى تلفيقى . . ونقل كراهيته للشافعى الذى « اسس الوسطية التى يرى الكثيرون انها اهم خصائص التجربة العربية الاسلامية فى التاريخ وهى الخصيصة التى تتجسد فيها "الاصالة " التى يتحتم على المجتمعات العربية والاسلامية الاحتماء بها فى صراعها ضد أعدائها الساعين الى القضاء عليها » ص٥

دعنا من سخريته من توهمنا وجود اعداء . .وتغليبا لحسن الظن الذى هو من صفة المؤمن سنفترض انه جاهل وليس ماكرا ، ولذا فهو لا يعرف ان الذى اختارالوسطية كخاصية مميزة للاسلام والمسلمين ليس الامام الشافعى بل الله سبحانه وتعالى عندما قال ﴿وجعلناكم امة وسطا﴾ «البقرة» والحديث الشريف . .«خير الامور الوسط» .

والدكتور تصدى لتعرية أمتنا من هذه الخصيصة فهى تلفيقية رجعية ولو انه قد فاته أن يشير بحرف الى الواقع الاجتماعى الذى افرزها وأنى له ان يفعل وقد رحل الامام الشافعى مع مخصوص من الدولة العباسية التى ولد فى ظلها ،الى الدولة الاموية التى لم يرها . . ومن ثم سقط اى ادعاء بتفسير اجتماعى أو تاريخى أو اقتصادى فالشافعى عاش فى ظل دولة أول شعار لها هو قتل العربى الذى يتجاوز الشبر ورأى انتصار الشعوبية كما يعترف المعلم نفسه ويقول ان الشافعى «كره من العباسيين تخليهم عن العروبةالتى كانت سمة بارزة للنظام الأموى واستنادهم الى الفارسية الامر الذى يبرز لنا «له ج» النزوع العصبى عند الامام ويفسر لنا الدفاع السابق عن نقاء النص» «لاحظ انه يتحدث عن القرآن ويسميه النص ولذلك فهو يعنى القرآن عندما يخوض معركة ضد تقديس النص أو اعتباره المرجع الاول ج) ومن ثم لو كان الشافعى تعصب للعروبة فبمفهوم مضاد اى انه كان ثوريا معارضا لاتجاه السلطة . . وليس انتهازيا كما يحاول نسبة موقف طبقى لمفكر كتب فكره بعد نصف قرن من زوال الدولة

المتهم بالعمــالة لها ، ومن المؤكد انه لا يعلم ان الشافعى قبض عليــه فى زمن الرشيد بتهمة مؤامرة علوية !وانه انحاز لعلى ضد معاوية واعتبر خصومه الفئة الباغية. يقول ابو زهرة . .ان الامام استند الى سيرة على فى معاملة البغاة اى انه اعتبر فريق معاوية هم البغــاة وذلك مدون ثابت فى كـتاب الأم وغيـره من أصول مذهبـه فكيف يكون امويا شديد التعصب لبنى امية؟!

وهكذا فقد الدكتور أى أساس علمى لبحثه المزعوم فراح يثرثر بما لا يَفْهَمْ ولا يُفْهَم. .

فانتدب نفسه لفضح مؤامرة الشافعى فى تثبيت النصوص ولتعرية الوسطية من ثياب القداسة التى أُلبست لهــا فى تاريخنا الثقافى والعقلى لأن الدكتور الشـفوق بأمته أراد أن يجنبنا « مزالق التحليل الميكانيكى الانعكاسى اذا كانت الحركة المنهجية من الخارج للداخل » بينما يعدنا بأن يجعلها« من الداخل الى الخارج » ص٦

ومهمــا كانت عداوتنا للدكتورالمعلم فــالحق أحق يا عبد الحق ولا نملك الا شكره على نقل الحركـة من بره لجوه وجعلهــا من جوه لبره !شـوف كان حيـجرى لنا ايه لو فضلنا نحركها من بره لجوه . . لأ من جوه لبـره احسن كتير . . امال احنا صرفنا دم قلبنا على تعليمهم ليه لكى لا نستمر على جهلنا ونقول كله محصل بعضه . .من جوه لبرة زى من بره لجوه . . الحمد لله كنا حنروح فى التحليل الميكانيكى الانعكاسى لكن ربنا سـتر!! الله يرحم الجـيزاوى :من فـوق لتحت من تحت لفـوق انا جلت اركب طيارة جالوا تتدحرج من فوج!

وننتقل من الهزل الى ما هو أهزل فنراه يتهم الشافعى بأنه جعل القرآن هو الاساس فى أصوله الفـقهية وجـعل السنة تتأسس مشـروعيتهــا على الكتاب . . «لذلك يجب الا يغيب عن بالنا المغزى العــام للقب الذى أطلق عليه: ناصر السنة» والشافـعى يعبر عن المصلحة الطبقية لقريش التى فرضت نفسها فى السقيفة وفى قرار كتابة القرآن بلغة قريش وفى اعتبار العربية جزءا جـوهريا فى بنية النص «يقصد القرآن» بل العربية التى اختصرت فى قريش . . » الخ

وبالطبع لا يخـفى النزوع العصابى والعـصبى عند الدكـتور ضد العـرب والعروبة،

على أية حال هذه قضية مفروغ منها فهكذا كان دور الماركسيين فى الوطن العربى حتى أسلموه للاستعمار العبرى .

يقول المعلم «يبدو أن الصراع بدأ يأخذ شكل محاولة السيطرة على الذاكرة الجمعية، وذلك من خلال صياغة قوانين الشفرة التى تصاغ على اساسها الذاكرة: هل تعتمد هذه الشفرة على مرجعية النصوص فتتحول الذاكرة الى ما يشبه القوة الحافظة والتى تعتمد على قانون الاستدعاء ام تعتمد على مرجعية « العقل » فتتحول الذاكرة الى ما يشبه القوة المفكرة ، التى تعتمد على فعالية قوة الاستنباط والاستدلال فى ظل هذا الصراع الفكرى يكون الخلاف بين أهل الحديث وأهل الرأى أحد مظاهر الصراع العام بين النقل والعقل أو بين الفلسفة والدين أو بين التقليد والابداع » ص٥٨

أوردهم هكذا ومن العبث البحث هل قصد ذلك وأنه يعتبرالفلسفة نقلا والدين عقلا حسب الترتيب ام خاف ان يضبط بها ام هو سائمة لايدرى ما يقول!

ما علينا نحن نناقش دعوى المعلم حول النقل والعقل واتهامه للشافعى بأنه قيد الفكر لأنه أسس الفقه على النص أو القرآن والسنة . .

ومن يقرأ أو يسمع لهؤلاء يظنهم يتحدثون فى الكيمياء أو علوم الفضاء التى تقوم على تجارب المعمل ومن ثم يغدو تخلفا اعتمادها على النصوص أو النقل مع انه لابد فى كل علم من نصوص سابقة يبدأمنها التطوير . . لابد من نص ينقضه العالم المكتشف أو يثبته ويطوره . . فلولاالاستناد لنصوص نيوتن لما اثبت اينشتين نظريته . . ولكى نقتنع بأن اثنين واثنين يمكن ان يكونا تسعة فى ظروف معينة وفقا للنسبية لابد من الاستناد للنص القائل بأنه فى ظروفنا لابد ان يكون اثنين واثنين اربعة ! وهم يزورون القضية عندما ينقلون مشكلة الفكر الاوربى بالحديث عن الصراع بين النقل والعقل . فالمعركة هناك كانت بين النص الذى يفرضه رجل هو رئيس الكنيسة ويمنع به عمل العقل . .فالعقل مثلا كان يثبت ان الارض كروية وتدور ، ولكن النص او النقل الذى اعلنه الفاتيكان ينفى ذلك .ولذلك اضطر المكتشف لاستنكار اكتشافه خضوعا للنص وقال قولته المشهورة . . انا والله على يقين من انها تدور ولكن ما دام

البابا قال انهـا لا تدور فالحق هو ما قال ، وهذا لم يحـدث عندنا ولا كان من الممكن ان يحدث اذ لـيس لدينا فاتيكان . ومن ناحـية ليـست هناك معـركة اصلا بين الـعقل والنقل لأن العقل لا يعمل الا بما تم نقله اليـه الا اذا كان عقل ملهم يوحى اليه . . و هذا فى العلم البحت امـا الشافعى وغيـره فكانوا يبحثون فى الفـقه لا فى علوم الذرة والفقه هو القانون .

ولا يوجد قانون فى التاريخ يستحق هذه التسمية الا اذا استند الى نص! فالقاضى لا يحكم بعلمه ولا بهواه بل لابد ان يستند الى نص وهذا أساس مبدأ فصل السلطات حتى لا يشـرع القاضى بل السلطة التـشريعـية . وتنحصـر مهمـة القضاء فـى تطبيق النصوص وتختلف النيابة والدفاع وتتعدد درجات القضاء وتختلف بل تتناقض أحكامها فى القضـية الواحدة لا فى اخـتراع أحكام ولا فى تغليب العـقل على النص وانما فى أعمال الـعقل لتفسـير النص ويبطل اى حكم يثبت انه لم يسـتند الى نص أو خالف نصا صريحا دون ان يستند الى نص أصرح .

والامام الشافعى مسلم وهو يؤسس علم الـقانون لمسلمين ارتضوا الحكم بالاسلام ولا يقبلون غيره . . متخلفين رجعيـين . . هذه قضية اخرى ، ولكن الفقيه القانونى ملزم إن أراد أن يشرع لهؤلاء ان يأخذهم على عقلـهم اوبمعنى اصح يستجيب ويلتزم بارادة الناس الذين يعتقدون فى مرجعـية النص القرآنى وان تشريعاتهم يجب ان تستند إليه كـما يؤمن الدكـتور وكل رجال القـانون بضرورة ان يستند أى حـكم قانونى فى مصـر للدستور الـذى وضعه السـادات مع الاعتذار الشـديد عن المقارنة . . فـما هى جريمة الفقـيه الشافعى أو كما يسـميه العوام فى مصر «قـاضى الشريعة » الذى ظلت عامة مـصر تبعث له بعرائض الدعـوى ليفصل فيـها حتى وشى بهم للمبـاحث استاذ جامعى ! فـالعامة أذكى وأعرف من الدكـاترة فهم لا اسموه العـالم ولا الكيماوى ولا الفيلسوف ، بل هو رجل قانون فى اطار الشـريعة فكيف يستنكر منه أن يجعل ارتكاز قانونه على القرآن النص المقبول عند المسلمين ؟!

ولعل ما قاله فخر الدين الرازى هو خير تلخـيص لدور الشافعى فبعد ان قرر انه

واضع علم اصول الفـقه، قال ان« نسـبة الشافـعى الى علم الاصول كنسـبة ارسطو لعلم المنطق وكنسبـة الخليل بن احمد الى علم العـروض وذلك ان الناس قبل ارسطو كانوا يستدلون ويعتـرضون بمجرد طباعهم السليمة لكن ما كان عندهم قـانون فى كيفية ترتيب الحدود والبراهين. وكذلك الشعراء كانـوا قبل الخليل بن أحمد ينظمون أشعارا وكان اعتمـادهم على مجرد الطبع فاستخرج الخليل عـلم العروض وكذلك الناس قبل الشافعى كانوا يتكلمون فى مسائل الفقه ويستدلون ويعترضون ولكن ما كان لهم قانون كلى مرجوع اليه فى معرفة دلائل الشريعة.. فاستنبط الشافعى أصول الفقه» (٧)

وبالطبع فإن كل من وضـع قانونا فقـد جمد وضعـا وكما اتهم ارسطـو بأنه بمنطقه جمد الفكر الفى سنة والخليل بن أحمد أنه بعـروضه سد الطريق على الشعر الحديث كذلك يمكن اتهـام الشافعى ولكن مع الاعتـراف أنهم هم الذين نظموا الفكر وأصلوا القانون وحموا سيادة القانون بتلجيم شهوات الحاكمين .

ولكن هل يعنى ذلك ان الشافـعى وغيره قالوا بانكار العقل أو زعـموا بوجود نص صريح فى القرآن أو حتى فى السنة يحمـل الجواب الواضح البين ، على كل ما يجد فى الحيـاة من قضايا حـتى يستنتج المعلم: «وهو المبـدأ الذى حول العـقل العربى الى عقل تابع يقتصر دوره على تأويل النص واشتقاق الدلالات منه» المعلم ص٢١ أو هل زعموا باستحالة الخلاف فى فهم النص وتكفير الخلاف والمخالفين!

ابدا يقول الشـهرستـانى فى الملل والنحل: «ونعلم قطعا انـه لم يرد فى كل حادثة نص ولا يتصور ذلك ايضا والنصـوص اذا كانت متناهية والوقائع غيـر متناهية وما لا يتناهى لا يضبطه مـا يتناهى، علم قطعا ان الاجـتهاد والقيـاس واجب الاعتبـار حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد » (٨)

والشافـعى كمـا نقل الدكتور عن ابـى زهره حدد اربعة مـصادر للقـانون :القرآن والسنة والاجماع والاجتهـاد الذى يعتمد على القياس ولو رتب حجيـتها على السابق فالسابق فإن قبول الاجماع حتى على أساس أنه لا يمكن أن يتوفر الاجماع الا استنادا لنص قام فى ضمـير الأمة ولو كان غير مـعروف.. وان أمتى لا تُجْمِع على باطل أو

خطأ. فهو موقف يصل للقمة فى احترام ارادة الجماهير والنزول عند رأى الاغلبية أو خبرتها المكثفة والمختزنة فى الضمير العام .

وهذه هى الديموقراطية حقا فحتى لو افترضنا ان الشعب أجمع على خطأ فإنه بإرادة الجماهير، بمنطق الخضوع للاغلبيه، يصبح صوابا فى المرحلة المعينة.. أليس هذا هو أساس مبدأ الأمة مصدر الشرعية بل أليس هذا هو الذروة فى تغليب العقل على النقل.. الحق أو الصواب هو ما اتفق عليه الناس !

يعجز الدكتور عن فهم الديالكتيك فى هذا الموقف فيتصور أن هذا القول يثبت صحة الاجماع بوجود نص غائب ، بينما فى اعتقادنا أن العكس هو الصحيح . فالذين قالوا بوجود هذا النص الغائب - وما من دليل قدمه المعلم يقطع بأن الشافعى منهم بل سنقدم الدليل على أن الشافعى ليس هو من قال بذلك - استدل على وجود النص أو قل أوجد النص من إرادة الجماهير أو اجماع الامة ..

واليك ما قاله الشافعى حرفيا :

١١٠٤- «وأمْرُ رسول الله بلزوم جماعة المسلمين مما يحتج به فى ان إجماع المسلمين - ان شاء الله - لازم .»

ويقول على لسان محاوره المتوهم مخاطبا الشافعى :

١٣٠٩- «... اتزعم ما يقول غيرك أن إجماعهم لا يكون أبدا إلا على سنة ثابتة وان لم يحكوها ؟!»

«واضح ان هذا ليس رأى الشافعى ابتداء بل «قال به غيرك »ولكن المعلم لا يقرأ الرسالة قبل ان يرد عليها يظن انه فى التنظيم الطليعى او السجن الحربى يحاور إمام مسجد مقبوض عليه ..» وماذا اجاب الشافعى :

١٣١٠-« فقلت له اما ما اجتمعوا عليه فذكروا انه حكاية عن رسول الله فكما قالوا انشاء الله.

١٣١١- واما ما لم يحكوه فاحتمل أن يكون قالوا حكاية عن رسول الله واحتمل

غيـره ولا يجوز أن نعده له حكاية لأنه لا يجـوز ان يحكى الا مسموعـا ولا يجوز ان يحكى شيئا يتوهم .

١٣١٢- فكنا نقـول بما قالوا اتبـاعا لـهم ونعلم أنهم اذا كانت سنن رسـول الله لا تعزب عن عامتهم وقد تعزب عن بعضهم ونعلم ان عامتهم لا تجتمع على خلاف لسنة رسول الله ولا على خطأ ان شاء الله .»(٩)

ونعود للشافعى :

١٣٢٠- «ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التى امر بلزومها، وانما تكون الغفلة فى الفُرقة، فأما الجماعة فلا يمكن فيهـا كافة غفلة عن معنى كتاب ولا سنة ولا قياس إن شاء الله » ص٤٧٦

بل ان هذا الفـهم للاجماع نجـده عند ابن المقـفع -الذى مات قبل ان يـولد الامام الشافعى باربع سنوات منعا للالتـباسات - ولا يستبعد ان يكون غيـر الشافعى قد اخذ الفكرة من ابن المقفع فقـد كان ائمتنا رحمهم الله يمارسون عـادة غريبة هى ان يقرأوا قبل ان يفتوا أو يؤلفـوا وهى عادة انقرضت بحمدالله بين اساتذة الجـامعة ! -قال ابن المقفع: **«وجُلُّ الادب بالمنطق وجـل المنطق بالتـعلم لـيـس منه حـرف من حروف معجمه إلا وهو مروى مُتـعلم مأخوذ عن إمام سابق من كلام أو كتاب وذلك دليل على ان النـاس لم يبتدعوا أصولهـا ولم يأتهم علمها الا من قبل العليم الحكيم»**

والامام الفقيه العالم المدقق حتى وان افـترض هو أو اقر افتراض غيره وجود نص مجهول قام عليه اجماع الامة بالتحليل أو التحريم لأن عامة المسلمين لا يجمعون على خـلاف سنة رسول الله ولا على خطأ ان شـاء الله . . الا انه يرفض ان يعـتبـر هذا الاجـماع نصـا لأن النص عند الشـافعـى هو ما ثبت تواتره بـالاسلوب العلمى الذى ارتضاه علماء الحديث والمؤرخون ، فلا يحكى عن رسول الله إلا ما قد حكى عنه .

المعلم حاقد جـدا على السنة ويرفض الاجماع ، وسر الغـضـب ان الشافعى «يكاد

ان يجعل الاجماع سنة واجبة الاتباع كل الفارق بينها وبين السنن المروية عن النبى ان الاجماع حكاية غير مسموعة لا تقل فى حجيتها عن تلك المسموعة» ص٨٧

رجعنا للمرجعية اللادينيةالمستبدة، فهو يرفض الاجماع ويصر على حقه فى فرض رأيه على الجماعة وليس فقط مخالفتها. . لأن الشافعى وكل الفقهاء قبلوا الاختلاف كحقيقة وكظاهرة صحية يتميز بها الاسلام فالخلاف ليس بمستنكر الا فى ما ورد فيه نص صريح واضح فى الكتاب أو السنة، وهذا طبيعى لمن اراد البقاء فى دائرة المسلمين والاسلام. . فأما ما تأولوه ففيه يختلفون ولا ملامة ولا ضرر. . بل يصل الشافعى الى ان الاجماع مؤقت بالزمان الذى وقع فيه هذا الاجماع وهو يتغير بالطبع بتغير الظروف واختلاف الاجتهاد الذى يتطور بالعلم والخبرة طبعا. . اى المزيد من العلم بما استهدفه المشرع الاول، والمزيد من العلم بحقائق الكون ومتطلبات الحياة.

ونفس الشئ عن القياس الذى هو من عبقريات الامة الاسلامية وان كانت له جذوره الاغريقية بل فى المنطق الانسانى عموما بل يمكن القول ان التقدم العقلى للانسان منذ ان كان على الشجر فى الغابة انما اعتمد على القياس . .ولعلنا نعرف الانسان بأنه حيوان قائس فهذه هى الخبرة المكتسبة من التجربة والفرق بين الانسان والحيوان هو أن الانسان يستطيع أن يقيس الظرف الجديد على الخبرة القديمة ومن ثم يكتشف الحل. اليست المحكمة الدستورية العليا هى اخر صيحة فى الديموقراطية ودولة المؤسسات وسيادة القانون. . ؟ وماذا تفعل هذه المحكمة فى اعرق البلاد الديموقراطية؟. . الاستدلال من نص فى واقعة سابقة للوصول الى الحكم الشرعى فى واقعة جديدة، والا لما كان قياسا ولا حكما قانونيا بل تشريعا جديدا. أى قضية يصدر فيها حكم دون الاستناد لنص فى القانون فهو تشريع جديد وعمل غير قانونى بصرف النظر عن موقفنا منه. واليها يلجأ الناس لتحكم بعدم مشروعية القانون أو الاجراء السلطوى لأنه يتعارض مع النص الاصلى أو مصدر التشريع الذى يسمى الدستور؟! فهل يعنى ذلك القضاء على العقل وتغليب النقل ؟

عند الشافعى الفكر حر وباب الاجتهاد لاستحداث الاحكام بحدوث الحالات

مفـتوح ومطلوب ومثـاب عليه ، ولكن ما دمنـا فى اطارالقانون فلابد من قـاعدة أو نص يستند اليه الحكم المستحدث والا أصبح الامر فوضى وفتح الباب لاهواء الحاكمين واختـلت حياةالـناس وفقـدوا الأمن على أرواحهم وأمـوالهم مابين عـسف السلطان وانتهازية ترزية القوانين .الم نسمع نفس الـعبارات من الطغاة الديكتاتوريين عن خطأ اخضاع حركة التاريخ لنصوص القانون الجامدة ؟!

الشافعى يحدد مصادر القانون فى الآتى :

١- النص القرآنى البين مثل الصلاة أو تحريم لحم الخنزير.

٢- ما نص عليه الرسول بثابت الحديث المتواتر

٣- الاجتهاد

واذا بالمعلم نصر يقول « واذا استبعدنا مجال الاجتهاد مؤقتا » ص٣٢

لماذا تستـبعـده . . لأنه ينسف تقوله وادعـاءه ! فالالتزام بالنص لا يعـنى قفل باب التفكير ولا منع العقل بل هاهو الشافعى ومن قـبل معاذ باقرار الرسول يجعلون ثالث المصادر فى التشريع هوالاجتهاد الذى ترجمه الخواجات ب"التفكير الشخصى "اذ لا وجود عندهم لمثل هذا اللفظ المعبر عن حضارة كـاملة حضارة شامخة تؤمن منذ اليوم الاول بالعقل البشـرى وتجعله مصدرا من مصـادر التشريع بل وتفرض التفكيـر فرضا على كل مسلم متى استكمل العلم بموضوع الاجتهاد .

الاجتهاد مـعجزة ومفخرة العـقل الاسلامى يستبعده المـعلم نصر لكى يثرثر لنا عن مشروع الامام الشافعى الهادف الى تأسيس السنة !

وهذا ما قاله الـشافعى فى القياس المرادف عـنده للاجتهاد او قل الوسيـلة الوحيدة للاجتهاد :

١٣٢٤-«القياس والاجـتهاد اسمـان لمعنى واحد . . كل ما نزل بمسلم ففـيه حكم لازم، او على سبيل الحق فيه دلالة موجودة ، وعليه اذا كان فيه بعينه حكم (وجب) اتباعه وان لم يكن فـيه بعينه طلب الدلالة على سبيـل الحق فيه بالاجتهاد والاجـتهاد القياس »(١٠)

١٥٥٩- «ولست أقول ولا أحد من أهل العلم «هذا مجتمع عليه» الا لما لا تلقى عالما ابدا الا قاله لك وحكاه عن من قبله كالظهر اربع وتحريم الخمر وما اشبه هذا. وقد تجده يقول المجمع عليه وأجد من المدينة من أهل العلم كثيرا يقولون بخلافه وأجد عامة اهل البلدان على خلاف ما يقول «المجتمع عليه» ص٥٣٥ الرسالة أحمد شكر.

وعلق احمد شاكر: أى أن الاجماع لا يكون إجماعا الا فى الامر المعلوم من الدين بالضرورة كما اوضحنا ذلك واقمنا الحجة عليه مرارا فى كثيرمن حواشينا ص٥٣٤ الرسالة احمد شكر

١٨١٥- «قلت يحكم بالكتاب والسنة المجتمع عليها والذى لااختلاف فيها فنقول لهذا حكمت بالحق فى الظاهر والباطن .

١٨١٦- ويحكم بالسنة قد رويت من طريق الانفراد لا يجتمع الناس عليها فنقول حكمنا بالحق فى الظاهر لأنه قد يمكن الغلط فى من روى الحديث

١٨١٧- ونحكم بالاجماع ثم القياس وهو أضعف من هذا ولكنها منزلة ضرورة لأنه لا يحل القياس والخبر موجود كما يكون التيمم طهارة فى السفر عند الاعواز من الماء ولا يكون طهارة اذا وجد الماء وكذلك يكون ما بعد السنة حجة اذا أُعوز من السنة»

فلما سئل عن مثال ذلك قال :

١٨٢١- «اقضى على الرجل بعلمى ان ما ادُعى عليه كما ادُعى او اقراره فإن لم اعلم ولم يقر قضيت عليه بشاهدين وقد يغلطان ويهمان وعلمى واقراره اقوى عليه من شاهدين واقضى عليه بشاهد ويمين وهو اضعف من شاهدين ثم اقضى عليه بنكوله عن اليمين ويمين صاحبه وهو اضعف من شاهد ويمين لانه قد ينكل خوف الشهرة واستصغارما يحلف عليه ويكون الحالف لنفسه غير ذى ثقة وحريصا فاجرا » ص ٦٠٠ الرسالة احمد شكر

ويغضب المعلم جدا لأن الشافعى ينسب السنة الى ما أوحى الله به للنبى لأنه «يكشف عن طبيعة الموقف الذى اهيل عليه تراب النسيان فى ثقافتنا وفكرنا الدينى وطبقا لهذا الموقف ليست السنة مصدرا للتشريع وليست وحيا بل هى تفسير وبيان لما اجمله الكتاب وحتى مع التسليم بحجية السنة فإنها لا تستقل بالتشريع ولا تضيف للنص الاصلى شيئا لا يتضمنه على وجه الاجمال أو الاشارة ولاشك ان هذا الموقف يختلف الى حد كبير عن الموقف الذى جعله الشافعى يسود وهو اعتبار السنة «وحيا» من نمط مغاير عن وحى الكتاب. ان وحى السنة هو الالقاء فى الروع» اى الوحى بالمعنى اللغوى الذى هو الالهام وليس بالمعنى الاصطلاحى اى عن طريق وساطة الملك جبريل» ص٢٩

لا حظ ان الشافعى اورد الالقاء فى الروع كآخر قول من بين ثلاثة اراء لمن سبقوه فى تفسير السند الالهى لسنة النبى ولكن المعلم نصر يجعلها رأى الشافعى الوحيد وينهال عليه نقدا ولو كان المعلم يقصر التشريع على النص القرآنى وحده لقبلنا مناقشته ولكنه فى نفس الوقت الذى يطالب فيه بفتح الباب لمن يشاء ان يشرع من عرب ومن عجم يمنع رسول الله وحده من ذلك !

وهو يردد كلام السوقة حول قوله صلى الله عليه وسلم «انتم اعلم بأمور دنياكم» فيقول : ان الامويين هم الذين بدأوا الاعتماد على النص برفع المصاحف بعد ان كان «المسلمون يفرقون بين مجالات الممارسة الدينية التى يكون الكتاب مرجعها وبين مجالات الحياة التى تكون التجربة والخبرة هما اطارها المرجعى وهو ما تجلى فى مبدأ انتم اعلم بشئون دنياكم » ص٢٢

وقد افضنا فى شرح الاعجاز فى حديث تأبير النخل وغيره لنفى عصمة الحاكم أو البشر . . وهو بعيد عن المفهوم السوقى الذى يريد ان يجعل القرآن للتعبد فقط وتحرير الدنيا من مرجعية الدين أو النص . . أو أن النبى صلوات الله عليه لا يشرع !

قلنا ان حادث تأبير النخل كان معجزة لتأكيد مبدأ اللاعصمة لبشر . . والا فإن التلقيح كان معروفا . . وقد كتبنا الكثير وكنا الى حد ما من الرواد فى قضية بشرية الرسول وانتم اعلم بأمور دنياكم ووصلنا بل وقلنا ما لا يجرؤ المعلم على قوله ولكن

لا يمكن انكار صفة الرسول كنبى فهو على اتصال بالسماء وهو مصدر مصدق تمام التصديق فى كل ما يتعلق بشئون الدين يوحى له بما شاء الله من الوسائل وقد اشار الرسول الى ان الوحى لا يأتيه على صورة ثابتة لا تتغير بل باشكال متعددة . واى تشريع دنيوى اتخذه رسول الله وتوفى عنه دون ان يتغير هو تشريع يلزمنا الايمان به دينا اذا ما ثبتت صحة السند بالشروط التى وضعها المسلمون . . وقد قلنا وما سبقنا اليها احد انه اذا ثبتت صحة السند للحديث أو السنة ولكن تأكد لنا مخالفتها لقانون واضح من قوانين الحياة فنحن نؤمن به دينا ولكن لا نلزم بالعمل به بل نسلم تسليما ونقول انه فوق قدرتنا على الانتفاع به فلعله لزمن غير زماننا .

فلا يحق لعالم ان ينكر اصولية هذا الجانب من السنة اى ما قال رسول الله انه من الدين وقد عرف الصحابة ان النبى يوحى له ولو بغير قرآن فكانوا يسألونه اهذا عن امر الله ام هو الاجتهاد والرأى . ولو كان لا وحى ولا دين الا ما نزل به جبريل فى الصيغة القرآنية ، ما قامت حاجة لسؤال . . اقول لا يحق لعالم ولا اقول لمسلم لأن العالم الذى يستحق هذه التسمية يعرف ان المسلمين مادام قد قبلوا نبوة النبى فلابد ان تكون افعاله مصدرا من مصادر التشريع بل المصدر الثانى بعد القرآن الذى وصل للمسلمين عن طريقه !وقد ناقشنا معنى عصمة الرسول[11] وقولنا المصدر الثانى لا يقلل من مرجعيتها وانما ذلك باعتبار ثبوت النص القرآنى ثبوتا قطعيا .

والغريب ان المعلم الذى يرفض اعتبار الشافعى للسنة مصدرا ثانيا للتشريع ويصر على ان السنة كلها هى سلوك بشرى غير ملزم دينا هو نفسه الذى يهاجم الشافعى لأنه لا يرى ان السنة تنسخ القرآن !! كيف اذا كنت قد انكرت مشروعية السنة ورفضت ان تعتبرها اصلا من اصول الدين كيف فى نفس الوقت تريدها ان تنسخ القرآن! فإن قلت بتناقض موقف الشافعى فالتناقض من اختراعك لانك نسبت اليه ما لم يقله: « ومادام القرآن والسنة بمثابة نص واحد كما ذهب الشافعى فقد كان من المتوقع ان يجعلهما متناسخين اى ينسخ احدهما الاخر »ص ٤٦

لا . . الشافعى أعقل من ان يجعل القرآن والسنة نصا واحدا !! والنص الذى

نسبته للشافعى يكذبك فعنده ان السنة تبع للكتاب.. ولا ينسخ كتاب الله الا كتابه. ومعذرة فالنص الذى نقله المعلم عن الرسالة هو كما يفترض فى كتابات امثاله مشوه بالاخطاء ولم نجد حيلة فى التعامل معه الا كما نتعامل مع المخطوطات الرديئة التى كتبت فى زمن التخلف أى قمنا بتصحيحه كالآتى: «كما كان المبتد (ئ)لفرضه فهو المزيل (المثبت) لما شاء (منه) (و) لا يكون ذلك لأحد من خلقه» (١٢) وارجو الا يعتبر اى عاقل نصوص المعلم مصدرا يمكن النقل عنه ولم يسعنا مراجعة كل ما نقل من نصوص ولكننا نعتبرها كلها محل شك.

ولأن المعلم لم يعتمد على رسالة الشافعى كمصدر لبحثه فقد تأثر بتعليقات الشيخ ابى زهرة فقد لخص ابوزهرة ادلة الاحكام عند الشافعى مرتبة على اساس حجيتها على هذا النحو:

المرتبة الاولى: الكتاب والسنة اذا ثبتت ويضع السنة مع الكتاب فى مرتبة واحدة لأنها فى كثير من الاحوال مبينة له مفصلة لمجمله فيضعها معه اذا صحت. وان كانت اخبار الآحاد ليست فى مرتبة القرآن والقرآن لا تعارضه السنة ويكتفى به ان لم يحتج لبيانها»

وفى اعتقادنا ان ابا زهره توسع قليلا فى تبسيط موقف الشافعى مما ادخل اللبس فى عقول البعض لأن الشافعى قال:

«العلم وجهان اتباع واستنباط والاتباع اتباع كتاب، فان لم يكن فسنة فإن لم يكن فقول عامة من سلف لا نعلم له مخالفا فإن لم يكن فقياس على كتاب الله عزوجل فإن لم يكن فقياس على سنة رسول الله فان لم يكن فقياس على قول عامة من سلف لا مخالف له ولا يجوز القول الا بالقياس، واذا قاس من لهم القياس فاختلفوا، وسع ان يقول بمبلغ اجتهاده ولم يسعه اتباع غيره فيما ادى اليه اجتهاده.» (١٣)

فالاولية طبعا لكتاب الله فإن لم يوجد فالسنة ومن ثم نتحرج فى القول بأنه يعتبرهما فى مرتبة واحدة. والاقرب ان نقول انه اعتبر القرآن النص القانونى والسنة المذكرة التحضيرية او شروح المشرعين او الاحكام التى صدرت بموجب القانو ن او الاحرى ذلك كله.

وقد فاء ابوزهره لهذا الرأى فى الصفحة التالية عندما قال : « الشافعى يعتبر الكتاب والسنة مرتبة واحدة فى العلم فى هذه الشريعة بل يعتبرهما المصدر الوحيد لهذه الشريعة لأن غيرهما من ينابيع الاستدلال محمول عليهما . . ولكن نرى عبارات الكتاب فى الاصول من بعد الشافعى ، بل عبارات الفقهاء من قبله ، والشافعى نفسه فى بعض ما كتب لا يجعل السنة فى مرتبة الكتاب ، بل يجعلها فى مرتبة تالية له ، لا مقترنة به. وان عارضت السنة الكتاب اخذ به دونها وان كان نص الكتاب لا يحتاج لتفسير استقل بالاستدلال دونها ولذلك يبحث عن الحكم اولا فيه، وانه اذ كان لا يجوز لمسلم انكار حرف من القرآن فإن منكر احاديث الاحاد ليس بمرتد.(١٤)

وعلى اى حال نص الشافعى لا يحتمل تأويل: «السنة لا ناسخة للكتاب وانما هى تبع للكتاب، بمثل مما نزل نصا ومفسرة معنى ما انزل الله منه جملا»(١٥)

كذلك رأى الشافعى ان الكتاب لا ينسخ السنة الا بسنة اخرى والا فتح الباب للشك والتأويل وهى وجهة نظر على اية حال ، لا نقرها تماما ولا اخذ بها الفقهاء الاخرون لكن لا تلفيق من جانب الشافعى بل هو منطقى مع نفسه فمادامت السنة وحيا من الله فهى لا تنسخ بالتأويل بل لابد من نص صريح واذا لم يرد فى القرآن فلابد ان يرد فى السنة وهكذا تنسخ السنة بالسنة أفأنت تخلق التناقض ثم تنسخه أو تعيب على الناس ما صنعت ولا تطيق ان تكمل قراءة الرسالة او حتى كتاب ابى زهرة الى نهايته. ؟!

وتتهم الشافعى بالتلفيق ؟ !

هل هكذا يتكلم مساعد استاذ على عالم تزعم انه سيطر على الفكر الاسلامى الى يومنا هذا ؟ (١٦) هل هذا خلق طالب علم ؟!

الشافعى لا يلغى الخلاف ولا يحرمه كما يفترى المعلم وصبيانه بل يؤيدخلاف الصحابة الثلاثة فى قضية واحدة ، ويرفض تخطئة من اجتهد فاختلف. . فهو يستعرض اختلاف ابى بكر وعمر وعلى فى قضية الميراث للحفيد وحصة العبد والحر فى مال الدولة. . ثم يقول أو يفسر خلافهم « ان ما ليس فيه نص كتاب ولا سنة اذا

اجتهد من له ان يجتهد وسعه ان يقول بما وجد من الدلالة عليه بأن يكون فى معنى كتاب أو اجماع فإن ورد امر مشتبه يحتمل حكمين فاجتهد فخالف اجتهاد غيره وسعه ان يقول بشئ وغيره بخلافه » عن المعلم ص ١٠٨

واذا كان الشافعى يقبل خلاف الصحابة ويعتبره فى اطار المشروع اى يمكن الاستناد اليه دون تكفير الاتجاه الذى لا نقبله بل ويعلن ان «خلافهم سنن » اى ان اختلافاتهم فى القضية الواحدة هى سوابق تشريعية يأخذ القضاء منها بأيها شاء بقدر ما يتفق مع المصلحة . .وهو موقف فى قمة العقل واقراربشرعية الخلاف . . وهو كما قلنا الموقف المنطقى والمعقول من مؤسسى القانون او الطبقة الاولى من المشرعين وهو الموقف المنتظر من فقيه يعمل فى اطار القانون الذى وصل الينا عن طريق هذا الجيل . . ولكن المعلم بحكم التعصب المسبق هو اعمى البصيرة وبفعل المفاهيم الماركسية، هو اعور الفكر لا يستطيع ان يرى تعدد الآراء او تعدد الصواب، بل لابد عنده من صواب واحد مطلق يعبر عن الحقيقة الكلية وهى مصلحة الطبقات الكادحة واى خلاف مع هذا الرأى لا يعبر عن اختلاف العقول بل اختلاف الجينات الطبقية التى تسيطر على عقول المشرعين وأن لم يدروا . . المعلم صاحب مشروع يقوم على ادانة الصحابة او بعضهم وتلبيسهم تهمة الانحياز الطبقى والتآمر والخيانة وترحيلهم الى سيبيريا . . لذلك هو يكشف خطأ او تستر الشافعى الذى ينطلق موقفه فى اكتشافات «الباحث المعاصر من النظر الى ذلك الجيل الاول بوصفه جيلا خاليا من كل شروط الضعف الانسانى جيلا من الابرارالاطهار الاخيار الذين محا الاسلام من جيناتهم كل اثر من اثار الوراثة او الوجود الاجتماعى وهى نظرة مستقرة وسائدة فى الخطاب الدينى المعاصر . . انظر على سبيل المثال سيد قطب معالم فى الطريق » المعلم ص٧٦

بالمناسبة هو لم يفهم سيد قطب لأن سيد قطب يقول بامكانية تكرار جيل الصحابة اذا استبعدنا الفقه كله ورجعنا الى القرآن وحده الذى شرب منه هذا الجيل فصفا فهمه وسمت مواقفه . . وهو ما انتقدناه لأنه يستبعد شرطا جوهريا هو ما منحهم لقب الصحابة اعنى مصاحبة رسول الله ، وهو عنصر لا سبيل لتكراره . . فقد نقيم حضارة افضل مما فعل جيلهم ولكن تكرار نفس الجيل مستحيل عقلا . . فلا

امكانيـة لظهـور ابى بكر الذى كان مع الـرسول فى الغـار ولن تكون عـائشة اخـرى ولا فاطمة وقد عرفا رسول الله كزوج وأب. . ولذلك نحن نقبل عن ابى بكر وعائشة ما ينقله او تنقله عن رسـول الله ولكن لا نقبل ذلك عن اى مسلم مهـما بلغت تقواه الا اذا اسنده بالتواتـر حتى يصل الى الصحـابى .ونلتزم من ابى بكر وعـمر وعثـمان وعلى وابى ذر وابن عباس ما لا يلزمنامن بشر بعدهم.

ويستـشهد المعلم على فـساد هذه النظرة وتمكنها من عـقل الامام بأنه روى عنه انه قال ان رأيهم «الصحابة» خير من رأينا لانفـسنا هم فوقنا فى كل علم واجتهاد وورع وعقل «وامـر استدرك به عـليهم ج» واراؤهم لنا احمـد واولى بنا من رأينا » ص٧٦ «وهى منقولة عن ابى زهرة بتصحيف كما صححنا» ص٨٣

والامام لم يخطئ ولا اسـرف بل هذا هو الموقف المفتـرض من مؤسسى التـشريع آباء القانون لأنهم كـما قلنا تمتعوا بظـرف لا يتكرر فهم صحابة من جـاءنا بالشرع . . النبى صاحب الرسالة الذى كـان يوحى له وهو معهم ، وكانوا اخر جـيل فى البشرية عاصر اتصال السماء بالارض . .

انت لا تستطيع ان تأكل الكحكة وتحتفظ بها فى نفس الوقت كما يعلمون الاطفال فى الغـرب . . لا تسـتطيع ادعـاء أنك تؤمن بالله وبـنبى أرسله الله كـان يتنزل عليـه الوحى وجيل شاهد هذه المعجزة المخالفـة لجميع القوانين المادية ثم تطالب بمعاملة هذا الجيل من قبل المؤمنين بما سبق وكأنهم التنظيم الطليعى او مجلس قيادة النصبة !

وكما قلنا المعلـم منحاز لابى حنيفة ضد الشـافعى لأن أبا حنيفة غـير عربى والمعلم وشيعته أعـداء لكل ما هو عربى فيثنى على أبى حنيفة لأنه قـال اذا لم أجد فى كتاب الله ولا سنة رسوله أخذت بقول الصحابة من شئت وادع قول من شئت ثم لا اخرج من قولهم الى قول غيرهم فاذا انتهى الامر الـى ابراهيم والشعبى وابن سيرين وسعيد بن المسيب فلى ان اجتهد كما اجتهدوا»(١٧)

وأنا رسميـا أو من الناحية الشكلية أعـتبر حنفى المذهب وان كنت طبعـا لا أعترف بهذه القسـمة فى المذاهب ولكن لأن ابى كان قاضيا والقـانون كان ينص على ضرورة

ان يكون القاضى حنفى المذهب من ايام الدولة العثمانية فنشأنا فى البيت على اعتبار أننا أحناف . . أقول إننى لا أجد فارقا بين هذا القول وما ذهب اليه الشافعى فقد رتب أبو حنيفة المرجعية نفس الترتيب :القرآن فالسنة ثم نفس الموقف الذى اخذه الشافعى بعده من اجتهادات الصحابة . .أى إعتبار اختلافاتهم سننا ، الاخذ برأى الصحابى الذى تقتنع به العدالة ويطمئن اليه ضمير المسلم وإن خالف رأى صحابى آخر. و ليس لك ان تجتهد ان وجدت رأيا لصحابى ترتضيه فى القضية التى انت بصددها . أما بعد هذا الجيل فكما قيل هم رجال ونحن رجال اى نفس موقف الشافعى بعده . . أى يمكن اتهام ابى حنيفة بنفس الهراء . . تقديس هذا الجيل والاعتقاد أن جيناتهم الخ الخ ما الفرق لم يذكر لنا المعلم شيئا!!

١- الشافعى يقرر ان هناك حالات ليس فيها نص من الكتاب أو السنة «الشافعى لم يكتشف ذلك ولا اخترعه بل هو وارد فى محاورة النبى صلوات الله عليه مع معاذ بن جبل. . فإن لم تجد فى كتاب الله ولا سنة رسوله الخ الحديث» حاشا لله ان يكون الشافعى مثل موظف شركة كوك او افتراءات الكاذبين التى تدعى أن المسلم يؤمن بوجود نص فى جميع الحالات عبر الزمان والمكان !

٢- القياس ليس كما يصوره المعلم قياس على قالب موجود بل هو البحث عن حل قانونى لقضية غامضة لم يرد فيها نص واضح الدلالة او كما كان عمر بن الخطاب يتندم لأنه لم يسأل الرسول عن ميراث الكلالة . . و كما تمنى على بن ابى طالب لو وجد نصا فى حد الخمر فلما لم يجد اجتهد بالقياس . . «اذا سكر قذف. . وحد القذف . . الخ» فإذا غاب النص المبين، فالاجتهادات مباحة والخلافات مشروعة ووقعت بين الصحابة أنفسهم، بشرط أن تكون ممن له حق الاجتهاد وهذا أبسط شروط التحضر. فأنت تلجأ للقاضى أو مجلس الدولة وتجتمع هيئة المفوضين للقياس واستخراج حكم يستند الى ما اقتنعت به من قرار ولا تلجأ لخالتك لتحكم لك تطبيقا للمساواة واطلاق حرية الفكر وازالة هيبة النصوص وتحرير الانسان والشغيلة من أسرها !

المعلم المخلص لماركسيته السوقية التى لم يحسن تعلمها يفسر خلاف الصحابة بعبارة شديدة الارتباك ولعل عذره فى الخطأ المطبعى الذى تتسم به كتابات هؤلاء كانعكاس لجذورهم الطبقية وبيئتهم الاجتماعية . . الفقرة عنده هكذا :«واذا كان من الصعب ادراك هذا الاختلاف بين الصحابة فى توزيع الثروة داخل دائرة القياس لأنه نابع من خلاف التوجهات الاجتماعية بالاساس فهو خلاف يدخل فى منطقة «الرأى » فإن حرص الشافعى على حبسه داخل تلك الدائرة هو فى تقديرنا نوع من التبرير الناتج عن موقف ايدلوجى يتحاشى الخوض فى خلافات الصحابة من جهة ويقدس ذلك الجيل بوضع اختلافاتهم موضع التساوى من جهة اخرى » ص١٠٨

وسنصححها لـه ليدرك القارئ اى كدح كدحناه لنفهمه ونبطل زعمه والله ان مخطوطة من عصر المماليك اكثر وضوحا وايسر قراءة !

تصحيحنا لكلام الدكتور : "واذا كان من الصعب (ادراج)هذا الاختلاف بين الصحابة فى توزيع الثروة داخل دائرة القياس لأنه نابع من خلاف التوجهات الاجتماعية بالاساس فهو خلاف (لا)يدخل فى منطقة «الرأى » فإن حرص الشافعى على حبسه داخل تلك الدائرة هو فى تقديرنا نوع من التبرير الناتج عن موقف ايدلوجى يتحاشى الخوض فى خلافات الصحابة من جهة ويقدس ذلك الجيل بوضع اختلافاتهم موضع التساوى من جهة اخرى »

وهو الذى لا يخشى ولا يتحاشى . . لماذا لم يكلف خاطره ويشرح لنا اختلاف الاصول الطبقية او التوجهات الاجتماعية بين ابى بكر وعمر وقد اتفق جميع المؤرخين على الجمع بينهما كأنهما شخص واحد او استمرارية مطابقة . .حتى سموهما العمرين . . ما علينا الشافعى لم ينحاز لرأى فى الخلاف الذى عرضه فمن اين جاءته تهمة الانحياز الرجعى لممثل الطبقات غير الكادحة عمر باشا بن الخطاب . . يجد المعلم ذلك فى ان الشافعى رفض اخذ الزكاة على اللوز والجوز ! وهو كما تعرف طعام المترفين وربما زراعة المترفين !

الشافعى أبو القانون يلتزم بقاعدة لا ضريبة بدون نص ومن العبث طبعا ان نتصور

مصلحة للاغنياء فى اعفاء اللوز بينما يخضع القمح والتجارة للزكاة !هذا عبث اطفال لم يتعلموا من الماركسية الا الكفربتراثهم !

والمعلم سعيد جدا لأنه ضبط الشافعى بالجرم الطبقى فهو يرفض مساواة العبد بالحر.. وهى نكتة لا تصلح حتى فى برنامج فطوط !

كيف يتساوى العبد بالحر ؟ طالما ظل هذا عبدا وذاك حرا لا يمكن ان تتحقق المساواة الا بأن يصبح العبد حرا او السيد عبدا .. اما اذا وافقنا على استمرار العبد عبدا والحر حرا فهما غير متساويين وتختلف حقوقهما وواجباتهما .. ولا اظن اننا نحتاج لمناقشة نظام العبودية فقد كفانا المعلم ذلك عندما جاملنا بقوله ان المقاصد الكلية للشريعة تعتبر الحرية اصلا والعبودية طارئا ص٤١

فتح الله عليك ولكن هذا الوضع الطارئ له ظروفه وقوانينه التى تنظمه ومنها ان العبد لا يكون عبدا الا لانه مملوك لسيده وبصرف النظر عن عواطفنا فالواقع الذى كان قائما فى زمن الشافعى كان يجعل مال العبد مملوكا للسيد.. هذا من ناحية الفهم العام الذى يفتقد اليه المعلم .. اما من ناحية الحادثة التى ضبط فيها الشافعى واستحق التبليغ عن انحرافه الطبقى ولا يكف المعلم عن علكها، فهى قضية المساواة فى المخصصات وهل يرث العبد؟ وهى قضية بعيدة تماما عن دائرة التفكير التى يبلبط فيها أمثاله ، وإنما هؤلاء كانوا ائمة والمسلمون لم يتحاشوا الحديث فى خلافاتهم والا لما سمعت أنت بها .ولكن المسلمين تحاشوا ويتحاشون الحكم بتخطئة أحدهم لأن هذا يلغى حرية التفكير ولأنهم المشرعون الذى وضعوا السوابق الدستورية لهذه الأمة ولأن الامر كما قال الشافعى هى اجتهادات من هم اقل منهم مكانة ، ولأنه لا يجوز اتهام مجتهد بالخطأ المطلق فلا تقديس لجيل بعينه بل التقديس لحق الاجتهاد حق التفكير الحر حق الاختلاف ..

فى قضية مساواة العبد بالحر فى توزيع مال الدولة او الميراث رأى البعض مساواة العبد بالحر وحق العبد فى الميراث انطلاقا من مبادئ الاسلام ..الناس سواسية كاسنان المشط فأكد اجتهادهم المبدأ وارسى القاعدة القانونية .

ورأى الاخـرون ان هذا تمسك شكلى بالنص يفـضى الى عكس المقـصـود اذ يزيد حصة السيـد لأن العبد وما ملك هوملك لسيده «وهذه فى النفس منـها الكثير ولكن هذا ما كان متبـعا على زمن الفتوى .» وبالتالى اذا حصل السيـد على حصته وحصل كل عبد من عبيده على نفس الحصة تضاعفت حصص مالك العبيد وازداد فارق الثراء او الدخل او الحصـة بينه وبين الحر او المواطن الذى لا يملك عبـيدا او لا يملك هذا القدر من الـعبيـد واصبح الذى عنده يعطى فـوق ما عنده ! فـإن قبلنا السـقوط الى مستوى التـفسيرات الطبقيـة حق لنا القول بأن هذاالرأى اقرب للعدالة الطبقـية واكثر انحيازا للفقـراء بعكس ما يتوهم او يوهم المعلم . اما القول بتوريث العـبد فهو يعنى ببساطة مـرور هذا الميراث الى سيده عبـر الميراث الشكلى للعبد بينمـا قد يكون اقارب العبد الاحرار احـوج اليه فلا فائدة من توريث العبـد ما لم يملك فى الواقع وبالفعل . . وهذا ما قاله الامـام الشافعى «ان العبـد باعتباره ملكا لسيـده يباع ويوهب ويورث فلو اعطيناه ميراثا ، لملكه سيده عليه فكنا لو اعطينا العبد ميراثا انما نعطيه للسيد »

فأين الطبقيـة يا بوطاقية ؟! لو كنت تعقل لعرفت ان الشافـعى رفض توريث السيد وليس العبد !

واظن ان رفض الشافـعى توريث غيـر من ورثه الله هى الاساس الذى اسـتند اليه المفتى فضيلة الشيخ طنطاوى فى تحريم ضريبة التركات ، التى قدمتها الدولة رشوة فى نفس اللحظة التى كـانت تبدد فيـها اموال مـحدودى الدخل بضرب شـركات توظيف الاموال وهى فتوى لا نقرها ولم نسمع للمـعلم اعتراضا عليها ! فنحن نرى ان الدولة لا ترث المتوفى بضريبة التركات ورسم الايلولة والا لكان لها نصيبها فور الوفاة وبنسبة ثابتة لا تخـتلف باختـلاف الوارثين او قيمـة الموروث وانما الدولة تفرض ضـريبة على الوارثين على دخلهم وبعد وفاة الموروث واختفائه من السـاحة كما تحصل على ضريبة رسم انتقال الملكية من البائع والشارى ولا يقال انها بذلك اصبحت بائعا ولا شاريا . .

نعود للمعلم فى مـحاولته اثبات جذور طبـقية لموقف الشافعى فنقـول انه باستثناء حكاية من جوه لبره ومن بره لجوه وباستثـناء فرية الجاهل او المزوربأن الامام الشافعى

أيد الدولة الاموية وسعى للعمل فى خدمتها وحصل على وظيفة من أجهزتها باستثناء ذلك لم يبين لنا اى مغزى اجتماعى او سياسى واضح حتى لو قبلنا الهبوط لمستوى نصر ابو زيد لقلنا ان تجميد القانون فى ظل السلطة المطلقة هو لحساب الضعفاء لأن القوى هو الذى يرغب ويملك القدرة على تعديل القانون وتفسيره بما يخدم مصلحته.

ولكن المعلم لا يرضى لأنه كشف ويبلغ عن مؤامرة الشافعى كماكتشف وبلغ التنظيم الطليعى الذى كان يلم امثاله ، مشروع أو مؤامرة الاخوان عام ١٩٦٥

«فالغاية الاساسية لمشروع الشافعى «وهذه وما بعدها مكتوبة بحروف سوداء خ» هى توسيع نطاق السنة ليتسع مجال النصوص وتضيق نتيجة لذلك مساحة الاجتهاد» ص٨٩

وبعلن الشافعى :

« ملفقا وليس فقط موفقا ؟ ! »

والسبب ان « جعل النصوص الدينية هى مصدر اليقين ومرجعيته الاصيلة بما استلزم ذلك من توسيع لمفهوم النص حتى اندرج فيها سنن العادات والاجماع كان موقفا ايديولوجيا يتصدى لموقف اخر يجعل من العقل الحر مرجعية اليقين لكن تصدى الشافعى لم يكن دائما تصديا صريحا مباشرا بل حاول استخدام بعض آليات التفكير العقلى ليبرر نفى العقل وحبسه فى دائرة النصوص بحيث لا يتجاوز دورة استكشاف دلالتها والعكوف على تأويلها وتفسيرها » ص ٩٠

قلنا ان الشافعى فقيه اى قانونى وبالتالى فهو مثل اى رجل قانون ولو فى غابة ستالين لابد ان يستند للنص . ولكنه لم يفعل مثل فقهاء ستالين الذين ارادوا اخضاع حتى البيولوجيا للنص فرفضوا الوراثة فى النبات لأنها تعنى طبقية ابدية بل اصروا على انه لو زرع بذر الباذنجان فى نفس الظروف المتاحة للبرتقال لانبت برتقالابصرة ! فدمروا زراعتهم . . وانتهى الامر بالمجاعة التى اطاحت بالنظام الشيوعى وجعلت من فقيههم فى البيولوجيا سخرية التاريخ !!

الشافعى حاشا لله بل ولا اصغر عالم مسلم يمكن ان يتردى الى هذه الوثنية فى عبادة النص بل الشافعى قال بالاجماع والتأويل والاجتهاد والقياس وكلها تعنى أعمال العقل الى اقصى حد .

والشافعى اباح الخلاف واقره وقال بتغير الاجماع بتغير الزمان ولو شئنا لقلنا ان هذا يعنى اقراره بتغير النص الذى يرتضيه ضمير الامة طبقا لتطور العقل والخبرة وضرورات الحياة !« فإن قال قائل أرأيت ما اجتهد فيه المجتهدون كيف الحق فيه عند الله ؟ قيل لا يجوز فيه عندنا والله اعلم ان يكون الحق فيه عند الله الا واحدا. . فان قيل من له ان يجتهد فيقيس على كتاب او سنة هل يختلفون ويسعهم الاختلاف او يقال لهم مخطئ ومصيب . .قيل لا يجوز على واحد منهم ان اختلفوا ان كان ممن له الاجتهاد وذهب مذهبا محتملا ان يقال له اخطأ خطأ مطلقا ولكن يقال لكل واحد منهم قد اطاع فيما كلف به واصاب فيه ولم يكلف علم الغيب الذى لم يطلع عليه احد فإن قيل ذم الله الاختلاف. .؟ قيل الاختلاف وجهان ، فما اقام الله تعالى به الحجة على خلقه حتى يكونوا على بينة منه ليس عليهم الا اتباعه ولا لهم مفارقته فإن اختلفوا فيه فذلك الذى ذم الله فمن خالف نص كتاب لا يحتمل التأويل او سنة قائمة، فلا يحل له الخلاف ولا احسبه يحل له خلاف جماعة الناس وان لم يكن فى قولهم كتاب او سنة .«أما» من خالف فى امر له فيه الاجتهاد فذهب الى معنى يحتمل ما ذهب اليه ويكون عليه دلائل لم يكن فى ذلك الخلاف مذموما وذلك انه لا يخالف حينئذ كتابا نصا ولا سنة قائمة ولا جماعة ولا قياسا كما اداه فى التوجه للبيت بدلالة النجوم الى غير ما ادى اليه صاحبه»

وكان تعليقنا الفورى هو كلمة واحدة : رائع . .

اما لو شئنا التفصيل فنقول . .

ما الذى يكره فيه الخلاف فى رأى الشافعى وبموجب المستمسكات التى لدى المخبر:

١- مخالفة نص قرآنى لا يحتمل التأويل .

٢-مخالفة سنة قائمة اى متفق عليها.

٣- مخـالفة الموقف الذى تتخـذه الجماعـة وان لم يستند الى نص ولكنه يستـمد شرعيته او قدسيته من ارادة الامة .

الشافعى مـسلم وفقيه ودارس للثقافـة الاغريقية وهو يؤصل القانون لأمـة مسلمة يفترض انها ارتضت بالاسلام وآمنت بالقرآن واعتبرته مصدر الشرعية ، ومن الطبيعى جدا ان يعتقد الشـافعى وان يقول ان الحقيقة واحدة ومطلقـة عند الله سبحانه وتعالى ولكن الشافعى لم يقل مثل الماركـسيين الذين قالوا بالحقيقـة المطلقة ثم زعموا ان كل ماركـسى يملكها او لا تصح ماركسـيته ان ضل عنهـا ! وزعموا تأسيـسا على ذلك ان الماركـسى فى بكين او مـوسكو او كينـشاسـا اذا عرضـت عليهم مـشكلة فـلا يمكن بالماركسية الا ان يصلوا جميعا لنفس الحل حذوك النعل بالنعل . .ألم يدرسوا لك ان المشكلة الواحـدة لها حل واحـدوحيـد ، وان الاختـلاف الذى هو خطأ الا فى رأى واحد . هذا الاختلاف هو نتيجة الانحراف او الخيانة الطبقية . .

الشافعى اكرم واذكى واكثر عقلانية . . فـهو يقر ان الحقيقة واحدة . . ولكن عند الله واظن انه يمكن استثناء الله من آليات المعلم نصـر ابوزيد وشركاه وقانون من بره لجوه فهوالظاهر والباطن والاول والاخر. . سماح نستثنى المولى عز وجل!

وماذا يتـرتب على هذا الاستثناء ؟ الغـاء التفكير والخـيار؟! كذاب يا خيـشة لأن الشافعى يقـول ان الله الذى اختص بهذه المعرفـة يدل الناس عن طريق الوحى ببعض الحقائق وفى هذه لا يجوز ان نختلف . .

حكم جاء به نص نؤمن انه من عند الله او سنة قائمة مقبـولة مشهورة ولا يحتمل التـأويل . . فكيف نختـلف حوله ؟ هنا لا يكون الامـر اخـتلافـا بل خروجـا من الاسلام . ويضيف الشافـعى الاجماع ولكن بيقين اقل «ولا احسـبه يحل له خلاف جماعة الناس وان لم يكن فى قولهم كتاب او سنة »

فالذى يخرج على اجماع الأمة ، يغدو منشقا ومصيره مصير المنشقين إما أن تنبذه الجماعة وتقهره كمرتد خارج عن القانون متآمر على نظام الحكم . . أو تؤمن برأيه وتتوجه زعيما أو هاديا . . على أية حال لا توجد جماعة تبيح الخروج عليها فضلا عن تشجيع ذلك وعلى من أراد ان يغير موقف الجماعة ان يتحمل مسئوليات الانبياء والرواد . أما من أراد مجرد الخروج على الجماعة فليتحمل ما يصيب الخارجين . . انه اختياره وليس اختيار الجماعة.

وتأمل قول الامام بعدم جواز مخالفة رأى جماعة الناس حتى ولو كان رأى الجماعة لا يستند الى نص لا من القرآن ولا من السنة . . أمثل هذا يتهم بأنه عابد للنصوص . . ها هو يعتبر حقيقة وقانونا مجرد اجماع الناس ولو بدون نص ظاهر من القرآن والسنة فأين خرافة « تكريس سلطة النصوص » ؟! يا ناس استحوا ويا معلمين اتعلموا . .

ثم ماذا ؟

ثم تأتى الحالات التى ليس فيها نص واضح ولا بينة لا تحتمل الشك اجمع الناس على رأى فيها . . هنا ابيح الاجتهاد وكوفئ عليه «ومن خالف فى امر له فيه الاجتهاد فذهب الى معنى يحتمل ما ذهب اليه ويكون عليه دلائل لم يكن فى ذلك الخلاف مذموما وذلك انه لا يخالف حينئذ كتابا نصا ولا سنة قائمة ولا جماعة ولا قياسا كما اداه فى التوجه للبيت بدلالة النجوم الى غير ما ادى اليه صاحبه »

وهذا هو المثل الذى غاظ المعلم تكرر استخدام الامام له . . الشافعى يقول ان الله سبحانه وتعالى امر الناس حيثما يكونوا ان يولوا وجوههم شطر المسجد الحرام . . وكل من كان حول المسجد الحرام ويستطيع رؤيته فلا مشكلة ولا اجتهاد، بل ينفذ امر الله ولا مجال للخطأ . . اما الذين تفصلهم الجبال والقارات او حتى ركب صاروخا فلا يلزمهم الا تنفيذ النص بالتحرى لكى يولوا وجوههم شطره وهم هنا يتحرون بمختلف الوسائل بالشمس بالنجوم بالبوصلة بالجهاز الذى اخترعه اليابانيون . . او باجهزة ناسا كما فعل الامير السعودى فى سفينة الفضاء . ولا يعقل

ان يصلوا جميعا لقياس واحد ستختلف قياساتهم بضعة مليمترات تصبح عند قاعدة المثلث بضعة اميال فهل نتهم أحدا منهم بالخطأ والانحراف.. الشافعى يقول لا .. كلهم اطاع الله وكلهم أجتهد قدر علمه وكلهم احسن!

هل اكتفى الشافعى بالتفوق على جميع الايديولوجيات والاديان فى اباحة الاجتهاد ولكل من يملك أسبابه ؟

لا

بل قال ان هؤلاء المجتهدين سيختلفون .. وخلافهم مشروع وحلال وليس مكروها ولا مذموما ليس هذا فقط بل انهم جميعا قد اصابوا بطريقة ما « فلا يقال لأحد انه اخطأ مطلقا »

وهكذا اذا كان الشافعى قد خص الله وحده بالصواب المطلق فقد نفى عن الانسان الخطأ المطلق .

الا شاهت وجوه الكاذبين الجاهلين اجمعين !

الشافعى يرى انه لا يجوز القياس والخبر موجود .. كما يبطل التيمم بالماء !

والمعلم غاضب لأن معنى ذلك ان القياس بمثابة المحظورات التى تجيزها الضرورات فقط . وهى الضرورات التى لا توجد مع تواجد النصوص ولو كانت ظنية يمكن الغلط فيما رواها » وان اعترف ان الشافعى يضع حديث الاحاد فى مرتبة ادنى من المتواترات والمشهورات وان كان يتمتع بمرتبة اعلى فى علاقته بالقياس »٦٥

ومرة اخرى الرجل فقيه دستورى يؤصل مبادئ القانون حسب درجة يقينها عند المسلمين الذين يفتى لهم وقد رتبها الترتيب الشرعى والعقلى الممكن :

القرآن اولا لأنه باجماع المسلمين ثابت ثبوتا قطعيا لم يصبه تحريف ولا تبديل ولا يحتمل الشك .

ثم السنة المتواترة فالمشهورة اى التى يقع عليها اكبر اجماع

ولكن هناك حديث الاحاد وهذا يمكن الاخذ به ويمكن الطعن فيه استنادا لحديث

مخالف، ولو كان حديث احاد او اذا كان لدى المعترض طعنا فى صحة الرواية . . وان كان يعاب على العالم انكارحديث الاحاد دون ان يستند لما عدده الشافعى الا ان منكره لا عقوبة عليه ولا يستتاب .

ثم القياس . . والقياس يعتمد على الاجتهاد وعلى استخراج حكم بموجب اعتقاد القاضى او الفقيه وبالتالى لا يمكن ان يكون الا كما يصنفه الشافعى فعلا دلالة ظنية احتماليةوهو فعلا حق فى الظاهر عند قايسه لا عند العامة من العلماء . . ولا يعلم الغيب الا الله . . ولا يجوز فرض اجتهاد الفرد كحقيقة مطلقة ملزمة لكل الناس فهذا لا من الديموقراطية ولا من حرية الفكر التى يتشدقون بها دون فهم ولا ايمان !

ومن البديهى فعلا ولا ادرى ما وجه العجب ان تكون الدلالة الفعلية لانماط التحمل الثلاثة المشار اليها «لا تكون كذلك اى قطعية الا باتصال السند الى المنبع وهو النبى . » ص٦٥

اى خطأ فى هذا . . واى قانون فى العالم يمكن ان يرتب مصادره افضل من ذلك؟

وهو يتهم الشافعى بانه وسع اطار السنة بقبول احاديث الاحاد لكى يضيق من اطار الاجتهاد » ٦٥

«وان ذلك يكشف البعد الايديولرجى لمفهوم الاجتهاد عنده وذلك بحصره فى دائرة الذاتى الذى لا ينهض من حيث قوة الالزام امام الموضوعى ووصف دلالة احاديث الاحاد بأنها من الموضوعى كاشف بنفس الدرجة عن الهاجس الاساسى فى مشروع الشافعى هاجس توسيع مجال النصوص لتضييق مجال الاجتهاد العقلى. ان حصر القياس / الاجتهاد فى دائرة الذاتى ليس الا انكار (. .) غير مباشر لموضوعية العقل واتهام له بالعجز عن انتاج معرفة مشتركة ولذلك لا نستطيع ان نتفق مع ابى زهرة فيما ذهب اليه من ان الشافعى وضع القرآن والسنن المتواترة والمشهورة فى جانب ووضع خبر الاحاد مع الاجماع والقياس فى جانب اخر فالتردد الذى كشفنا عنه فى تصنيف الشافعى لاحاديث الاحاد ينفى ذلك » ص ٦٨

بالعكس قبول احاديث الاحاد يوسع باب الاجتهاد لأن هذه الاحاديث ضعيفة الحجية ومن ثم تقبل المناقشة والتأويل والمعارضة بما هو اكثر يقينا او اكثر قانونية . . وبالطبع ان عدالة المحكمة لا تطمئن فى حديث الاحاد الا بتجريح الشاهد وصموده من ناحية «الثقة فى دينه وخلقه وحفظه ودقته فى الاداء والفهم »

هل يعتمد ذلك على النقل ام العقل ؟ !وأى قانون يسمح بحرية الحركة اكثر من ذلك ؟

الشافعى قال بذاتية القياس الذى يصل اليه فقيه وليس بذاتية العقل وفى القانون وليس العلم الذى يمكن اثبات موضوعيته فى الانابيب ، اما فى القانون فإن الاجتهادات لا يمكن ان تكون الا ذاتية لأنها لا تستند الى دليل مخبرى بل هى استخراج او اجتهاد يدين باحجيته للثقة فى علم القاضى ونزاهته. وقدرته على اثبات استناد تفسيره لروح القانون وان لم يكن صريح نصه ، وفى النهاية بقبول الناس لاجتهاده اما التلفيق والتزوير فهو جعل ذلك حكما بذاتية العقل وعجزه عن انتاج معرفة مشتركة فالاجتهاد والقياس يؤمر بهما ويقبلان كمصادر للقانون تقطع بهما الاعناق وتصادر الاموال وقد يشرعان القتال ورغم ذلك فحجتهما ذاتية لأنهما من اجتهاد فرد قابل للخطأ والصواب الا اذا كان المشروع هو الغاء النصوص وجعل اى رأى يصل اليه أى ابوزيد فى اى عصر من العصور حجة ونصا قاطعا يلزم المسلمين ابد الابدين . . من الذى يوسع النقل ويلغى العقل ؟ !

ويفترى على الشافعى فيجعله يعتمد على السند ثم يضطر امام قطعية نصوص الشافعى بخلاف هذا الزعم الى التلفيق والتوفيق فالشافعى متهم بقوله : :ان اول الادلة على صحة الحديث هى السند والاقتناع بصحة السند ويصيح المعلم :«ومعنى ذلك ان صدق المتن يرتبط اولا بصدق السند »

طبعا امال حديث ليه . . اذا ابطلنا السند ماذا يعنينا من الحديث ومتنه. .؟ اذا اعجبنا المتن جدا صار حكمة او إجماعا ولكنه ليس حديثا نبويا ! هى ديه عايزه شك؟ هل لمجرد ان نجد نصا سخيفا متهافتا ننسبه للمعلم دون سند ؟

ونحن نعرف ما الذى مارسه المسلمون للتحقق من صحة السند وان هذا العلم هو ابو التاريخ والمنطق واللغة والجغرافيا . . الخ

ولكن هل ألغى الشافعى المتن . . لا . . بالعكس حتى بعد ثبوت السند ثبوتا قطعيا قال بضرورة الا يكون مخالفا لنص اخر ثابت ، وايضا الا يكون مخالفا للمعقول بل وعرض لكل الاحتمالات فى سوء فهم الحديث الثابت نصا . . اى انه فى النهاية اخضع النقل للمعقولية او العقل وهو ما يعترف به المعلم ولكن مع الشكوى من انه يدخلنا فى دائرة مغلقة اذ نحتاج لتمحيص السنة !

هذ المعلم لا يعجبه العجب !

والمعلم غاضب جدا لانه يستشف اكرر يستشف من « سياق المشروع كله ان كليات القرآن هى المرجعية » عند الشافعى ص٧١

ولكن موقف المعلم لا يمكن فهمه الا انطلاقا من اساس مشروعه فهولا يرضيه الا خلع الدين وإلغاء النصوص وترك العقل حرا يحلق حيث شاء غير مقيد الا بالماركسية المتعفنة التى حولت العقل الى حذاء فى قدم اى وغد جهول فى المكتب السياسى للحزب .

ورغم ان بديهيات الفهم التى يفترض توفرها فى الطالب تقضى بأن القياس والاجتهاد يعالجان ما لم يرد فيه نص الا ان الاسطى يصمم على ان مجرد محاولة اكتشاف حكم يستند لنص جريمة لأنها تعنى الغاء دور العقل فى الاجتهاد والقياس! «لأنه يحصر العقل فى حدود معرفة الدلائل والعلامات الكاشفة على ذلك الموجود بالخارج اى فى الكتاب او فى السنة» ص٩٥

الشافعى يقول بأن «القياس هو كل ما عدا الكتاب والسنة وهو بذلك يضيق القياس بينما يبدو انه يوسعه . . . . كذلك يبدو انه يكرس الاجتهاد بينما هو يفعل النقيض حين يحصره فى دائرة اكتشاف ما هو موجود فى النصوص بالفعل من الاحكام نرى الشافعى يحكم على اى اجتهاد خارج دائرة النصوص ودلالتها الحرفية بأنه استحسان وقول بالرأى وهوحكم يكشف عن طبيعة المعركة التى يخوضها الشافعى ضد اهل

الرأى تكريسا لسلطة النصوص .»ص١٠٠

بداهة لو ورد نص بحكم حرفى لما كان هناك مجال للاجتهاد وانما الاجتهاد هو استنباط حكم يستند الى قاعدة منصوص عليها اى تأصيل الرأى المستنبط برده الى نص او قاعدة قانونية متفق عليها والا اصبح الامر فوضى..

والمثل الذى يضربه الشافعى ويستعيره ابوزيد زمانه لاثارة الشفقة وتحريض المرأة ضد الشافعى هو الاخت التى توفى ابوها ولم يترك ورثة غيرها ..الشرع يعطيها نصف ما ترك ابوها .. ولكن كما يقول الشافعى لو اجتهد احد وقال باعطائها التركة كلها النصف بالميراث والنصف اجتهادا او استحسانا او بالعقل ..هنا يسأله الشافعى اذا كان من حقك ان تعطيها ما لم يعطها الشرع فسيكون من حقك الا تعطيها بل توزعه على الجيران او اى جهة تستحسنها .. وهذا هو مصدر الخطر الذى اخترع الانسان القانون لمنعه وهو ان يخضع مصير الناس واموالهم لاستحسانات صاحب السلطة فيتصدق بنصف التركة على الاخت او يستأثر به باسم الصالح العام او يمنحه لمن يستحسن !

وينتقد المعلم نصرموقف الامام ويقول و«هذا الحرص على رفض الاستحسان ومهاجمته يكشف عن موقف الشافعى من الصراع الفكرى فى عصره ويحسم بشكل نهائى مسألة توسطيته وتوفيقيته ويكشف عن التلفيقية الواضحة فى ذلك الموقف ..والحقيقة ان الشافعى برفضه الاستحسان وتأكيده على القياس المكبل دائما بسلطة الفهم الحرفى للنصوص كان يناضل من اجل القضاء على التعددية الفكرية والفقهية وهو نضال لا يخلو من مغزى اجتماعى فكرى سياسى واضح» ص١٠١

ويسقط فى يد المعلم فيقول « من غير المفيد ان ناقش الشافعى » هذا يتوقف على الفائدة التى تتوقعها اذا كان ما تعود الناس على الاستفادة منه بالحوار وتأليف الكتب اعنى الفائدة العقلية او الادبية فهذه هى الكلمات الخمس الصادقة فى كل ما كتب ! نعم.. لا فائدة ابدا من مناقشة مثلك للامام الشافعى . اما اذا كانت الفائدة المطلوبة هى ما نعتقد أن امثاله يطلبونها فلا بارك الله لك فيها !

يقول المعلم «من غير المفيد ان نناقش الشافعى قائلين ان « الاستحسان » لا يخالف نصا فى كتاب او سنة قائمة وأنه مثل القياس ليس مطلوبا فيه علم الحق الذى هو فى غيب الله وان تعدد الاراء الناتجة عن الاستحسان لا يجب ان يقدح فى مشروعيته كما لم يقدح تعدد الاجتهادات فى مشروعية القياس من غير المفيد ان ندخل فى سجال » ص١٠٧

من انت اصلحك الله حتى تدخل فى سجال مع الشافعى ان كان ذلك ممكنا فالتعبير ركيك . . اذ كيف تدخل فى سجال مع من توفى قبل اكثر من الف سنة لو كان يعرف ما يقول لقال مع مدرسة الشافعى او مع اتباع الشافعى . . وتعجبون من حالة اللغة العربية فى مدارسنا وجامعاتنا ؟!

١- اعترافه او ادعاؤه ان الاستحسان مثل القياس وان الشافعى اباح القياس ينسف اى اساس لادعاء موقف طبقى او خطة سياسية مبيتة خلف رفض الاستحسان مادام قد اباح صيغة اخرى تستند الى نفس الاسس او الاليات «فهم يحبون هذه الالفاظ». . وهكذا تسقط نظرية المؤامرة .

٢- اما الفارق الذى عجز المعلم عن رؤيته . .انه من وجهة نظر الفقيه فإن القياس والاجتهادات المختلفة التى تمارس للوصول اليه انما تدور جميعها داخل دائرة الالتزام بالقانون بالدستور بالشرعية بالنص الذى كما قلنا لا يقتصر على الكتاب والسنة وان اعتمد عليهما بل يشمل الاجماع الذى قد لايقوم على نص ظاهر وكذلك الاجتهادات السابقة او الاقيسة .

اما الاستحسان فهو خارج دائرة القانون لانه كما قال الشافعى يتبع الهوى او رأى الفرد الذى لا يلتزم بقانون ولا نص ولا اجماع . وهو ما يقضى على استمرارية الجماعة ويعرضها لقانون جديد كل يوم بلا سابقة ولا قاعدة .

٣- نعتقد ان الاستحسان المرفوض والخلافات المكروهة هى التى تنبع من اختلاف استحسانات الافراد سواء اكان مجرد خلاف فكرى او تعبير عن مصلحة المفتى او السلطان الذى يفتى له لأن الاستحسان الجماعى يندرج فى الاجماع فما تستحسنه

الجماعة وان لم يقم على نص ظاهر هو من الاجماع الذى اكد الشافعى شرعيته .

ثم يتخبط المعلم فيدعى ان الامر « لم يكن امر مفاضلة على المستوى المعرفى الخالص بل كان امر تكريس سلطة النصوص وتحويل القياس بالمفهوم الشافعى الى نص ملزم » ويزعم ان الشافعى «انكر حتى الاجماع ثم عاد فجعله احد الاصول التى يجب ان يستند اليها القياس » ص١٠٧

واعتبار القياس مصدرا من مصادر التشريع وفى قوة الاجماع هو دليل لا يحتاج لمناقشة على الاخذ بالعقل والحوار وتصارع الاراء بل ان المعلم نصر نفسه يعترف بأن الامام « يدافع ببسالة منقطعة عن اختلاف القائسين فى القضية الواحدة » ولا تناقض مع رفض الاستحسان لأنه بتعبير الشافعى تلذذ اى لا يستند الى نص ولا اصل كما يلتزم اهل القياس وانما هو فوضى يحكمه المزاج الشخصى وبالتالى يفتح الباب لملايين المنازعات.

اما سر غضب المعلم نصر او السر الذى اكتشفه خلف موقف الشافعى فهو «لأن القياس يعتمد ابدا على اصل ثابت من الكتاب والسنة وليس مسموحا للمسلم ابدا ان يتباعد عن تلك الاصول الثابتة او ان يعمل العقل او يجتهد بالرأى المبنى على الخبرة والا صار مثل السائمة المتروكة سدى ويستشهد الشافعى بقوله تعالى ﴿**أيحسب الإنسان أن يترك سدى**﴾ ليقول : والسدى هو الذى لا يؤمر ولا ينهى وهذا يدل على انه ليس لأحد دون رسول الله ان يقول الا بالاستدلال ولا يقول بما استحسن فإن القول بما استحسن (هو) شئ يحدثه (ليس) على مثال سبق ومن افتى او حكم بما لم يؤمر به فقد اجاز لنفسه ان يكون فى معنى السدى »

ويعلق المعلم:« واذا كان هذا الفهم للتعارض بين القياس والاستحسان ينطلق من موقف ايدلوجى واضح فإن هذا الموقف يعكس رؤية للعالم والانسان تجعل الانسان مغلولا دائما بمجموعة من الثوابت التى اذا فارقها حكم على نفسه بالخروج من الانسانية وليست هذه الرؤية للانسان والعالم معزولة تماما عن مفهوم الحاكمية فى الخطاب الدينى السلفى المعاصر حيث ينظر لعلاقة الله بالانسان والعالم من منظور

علاقة السيـد بالعبد الذى لا يتوقع منه سوى الاذعان وكمـا كانت رؤية الشافعى تلك للعالم كرست فى واقعها التاريخى سلطة النظام السـياسى المسيطر والمهيمن فإنها تفعل الشئ ذاته فى الواقع المعاصـر من خلال اتصالها فى الخطاب السلفـى وقد حدث هذا ويحـدث بصـرف النظر عن النوايا والـتعـارض الذى يبـدو على السـطح بين الخطاب السلفى والخطاب السياسى السلطوى . »

قضية اعتماد الشافعى على النص قـديمة قالها ابوزهره وغيره خلال الف سنة فلا فضل للمعلم فيـها وانما اراد هو ان يؤصل موقف الشافعى طبقيا وسـياسيا ولا نقول فشل فى ذلك بل لم يقـدم أى نص أو دليل يثبت ذلك الا البـلاغ الكاذب الذى تقدم به للتاريخ يزعم فـيه ان الشافعـى قبض ثمن عمالتـه الفكرية بتعيـين الامويين له فى اليمن!!

وبلاغ اخر للمبـاحث بان الشافعى أصولى من اتباع سـيد قطب او لعله ارهابى و الحقيـقة ان الوشاية بالشافـعى للمباحث قديمـة منذ ايام عبد الناصر فـقد قام باحث اجتـماعى بجـمع الشكاوى التى يبـعثهـا له العامـة فى خطابات يلقـونها فى ضـريحه وسلمها للمباحث التى اعتقلت من تضمنت رسائلهم ما يثير اهتمامها .!

وهكذا - كما يدعى المعلم - ظل العقل العربى الاسـلامى يعتمد سلطة النصوص بعد ان تمت «صـياغـة الذاكرة فى عصـر التدوين - عـصر الشافـعى - طبقـا لآليات الاسترجاع والترديد . وتحولت الاتجاهات الاخرى فى بنية الثقافة والتى ارادت صياغة الذاكرة طبـقا لآليات الاسـتنتاج الحر من الطبـيعة والواقع الحى كـالاعتزال والفلسـفة العقلية الى اتجاهات هامشية وقد آن اوان المـراجعة والانتقال الى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحـدها بل من كل سلطة تعوق مـسيرة الانسان فـى عالمنا . علينا ان نقوم بهذا الان وفورا قبل ان يجرفنا الطوفان . » ص١١٠

على فكرة لا يمكن ان يكون ثوريـا من يحذر من الطوفـان !ولا يمكن ان يكون الجمـود والتمسك بالنص طوفـانا «دى على الماشى» وواضح ان كل قضـية المعلم هى التحرر من النص القرآنى بل وما هو اكبر فليـتقدم وليتشجع وليؤلف فى اثبات بطلان

النص او حتى يتكرم ويقدم لنا نصا ينفى العقل اما قوله ان المعتزلة هم الذين كانوا مع تحرر العقل، فهو قول جاهل منقول عن تفاهات المستشرقين لأن المعتزلة هم اول من اقام محاكم التفتيش فى الاسلام وأول من ضرب الناس بل العلماء على القول بخلق القرآن وأول من ضرب الناس لكى يفرضوا نصا من نصوصهم . .

والفلسفة لم تمت بكتاب الرسالة للشافعى ولا ابطال الاستحسان بل الف الغزالى بعد ما يزيد عن ثلاثة قرون فى تهافت الفلاسفة ورد عليه الفلاسفة بتهافت التهافت ولم يكن هناك سيطرة ولا تفرد لفقه الشافعى بل كما قلنا تم التخلف والجمود عندما اعتنقت الدولة الفقه الحنفى كمذهب رسمى. . فرجاء العبوا بعيد لو سمحتم.

وبصرف النظر عن الجهل بان السلفية المعاصرة لا تتبع الشافعى بل تتبع ابن حنبل وتلميذه ابن تيميه . . بغض البصر عن الجهل وهو المتوقع من بتاع عمالة الشافعى لبنى أمية إلا أننا مازلنا نتعجب من إمكانية نشر هذا اللغو فالمعلم غاضب من اعتبار العلاقة بين الله والانسان مثل العلاقة بين السيد والعبد الذى لا يتوقع منه سوى الاذعان !

من حقك ان تكفر بالله وتلغى نصوصه ولكن ليس من حقك ولا هى شطارة ان تدعو المسلم لاعلان الثورة ومعاملة الهه معاملة الند للند ثم يستمر مسلما !

هو عايز ايه بالظبط ندخل انتخابات مع ربنا على اساس المساواة مع الله؟! كيف يجهل عاقل انه لا يمكن ان تقوم علاقة غير الاذعان مع الله مادمت سلمت انه الله.

من حقك ان تقول كما قال الروس : الله مات! لكن أن تعلن ايمانك بالله وتقول انه هو الله الذى خلقك وسيحاسبك فيعذبك او يغفر لك كيفما شاء ثم ترفض الاذعان له؟! هذا والله منطق لا يوجد فى مستشفى المجاذيب !

أما أن هذه النظرة تكرس سلطة النظام السياسى المسيطر والمهيمن أما الزعم بأن القول بالتسليم بالعبودية لله من جانب المسلم المؤمن وليس الشيوعى او الملحد العلمانى الذى كان معلقا من قدميه فى زنزانة عبد الناصر ويهتف مع كل سوط باحبك ياعبد الناصر مؤكدا الاذعان والعبودية . . هذا النموذج الفذ للعبودية

الماسوشسية الـذى يرفض اذعان المسلم لله سبحانه وتعالى . .نعم سبحـانه وتعالى كما يحرص هو نفسه على وصف الله كلما تحدث عنه سبحانه وتعالى !

التسليم بالعبودية لله لا يفضى ابدا للتسليم بالسلطة المطلقة للبشر . وقد كتبنا منذ سنوات ان الاصل فى حرية الانسان المسلم واساس الديموقـراطية الاسلامية هو هذا الايمان بالربوبية الكاملة لله وانهـا من صفاته التى اختص بها عزوجل لا يشاركـه فيها بشر ومن ثم تكون العبودية والاذعان له وحده واى مشاركـة لبشر فيهما تعنى الشرك والكفر من العابد والمعبود .

وكان الروس يكفرون بالله ويعلقون لافتات فى الميادين مكتوب عليها الله مات ولا يتبـعون مـذهب الامام الشـافعى بل الكذاب المبـير سـتالين ومع ذلك كـانوا يذعنون كالسائمة أو أضل سبيلا لسلطة النظام السياسى المسيطر والمهيمن .

واخيـرا لم يحدث قط ان ساد فـقه الشافـعى وحده فى العالم الاسـلامى ، حتى ينسب اليـه انهيار الفـكر الاسلامى وغلبـة النقل ووفاة الفلسـفة الخ بل كـان المغرب العربى كله مالكيا والعراق توزعه الاحناف والشوافع والجزيرة العربية تقاسمها الحنابلة والشوافع والزيدية والجعفرية ، وفارس والكثـير مما وراءها شيعة .وما من دليل على ان الثوار على السلطـة السياسيـة فى العالم الاسلام كـانوا كلهم من الاحناف ولا ان الذين التزموا الطاعة كانوا من الشوافع . ولـم يحدث قط ان ساد المذهب الشافعى فى منطقة تتميز بالحكم المطلق والحنفى فى الجمهوريات الديموقراطية الشعبية بل اختلطت المذاهب ودرست فى المسـجد الواحد والمدرسـة الواحدة (١٩) ويتفاقم تـهافت الدعوى وجهل الداعية اذا عرفنا ان اكثر الدول الاسلامية استبدادا قد اتخذت المذهب الحنفى مذهبا رسمـيا لها . . عندما دخلت حضارتنا دور الافول عندمـا ساد النقل فعلا وبطل العقل عندمـا اصبح التفـسير لا يقـوم على النصوص بل ينام عليـها ، اى فى الدولة العثـمانيـة حيث كان المذهب الرسـمى للسلطان وشيخ الاسـلام والولاة هو المذهب الحنفى ولا يعين قاضٍ فى الامبراطورية العثمانية الا اذا كان حنفيا . . فدس نظريتك فى التراب افضل !

ولا مجال لاتهام من اخذ بالقياس والاجتهاد بأنه يستبعد العقل ويحول الذاكرة الى مجرد مخـزن لنصوص محددة يتم استدعاء النص اعـتمادا على الحفظ الذى تم بالنقل . . لا ان الاجتهاد اعـتمادا على القياس هو عملية عـقلية كاملة ومن أعلى درجة كل جريمتهـا عند الشافعى من منظور المعلم انها تلتزم بنصـوص الدين ! ولا يمكن اعمال العقل الا انطلاقا من مبادئ مسلم بها حتى فى نقض مبادئ اخر مسلم بها . .

القضـية انه يجمع بين الجـهل والنفاق والجبن هو صـاحب دعوة واضحـة لالغاء النصوص وبالـذات القرآن لأن هذا التقـديس للنص القرآنى فى زعـمه يجـافى العقل ويورث التخلف وهو يرفض الاذعـان لله ويريد الثورة عليه فلا عـبيد ولا ارباب الكل سواء . .

وهو يلخص مـؤامرة الشـافعى فى : «المشـروع الذى يريد ان يصوغ الذاكـرة على اساس الحفظ ومرجعية النصوص حصرا لدور العقل والاجتهاد وحرية الفكر ولعلنا قد لاحظنا كيف تترتب الحجية بناء على معـايير التواتر والاجماع فالكتاب اولا ثم تترتب حجيـة السنة ودلالتها على الكتاب الذى انتـقل بالتواتر والاجماع وبعـد تدشين السنة نصا . . . الخ » ص٧٥

لا يجوز عند المعلم ان يعـتبر المشرع المسلم القـرآن هو المرجع الاول او ابو القانون !هذا حصر للعقل !!

ليكن فهذا من حقه تماما ولكن لماذا لا يتمـتع بالشجاعة فيعلن ذلك ويناقش الدين من اساسـه بدلا من التستر خلف التطاول علـى الشافعى وتشويه تاريخـه . . نتمنى مفكرا يطرح كتابا فى نقد الدين وتفنيد الايمان بوجود الله لنناقشه صراحة .

تعرفون لماذ لا يفعلون ؟ لأنهم لا يرفضون الدين كل الدين بل الاسلام وحده ولا ينكرون كل الارباب بل الله وحده . . والله غالب.

واخيـرا فالحق مع اى قـارئ يعتب علينا ان اضـعنا هذا الوقت والجهـد من القليل الذى تبقى لنا فى مـناقشة جهـول شديد الافتـراء ولكن ما حيلـتى وهذا هو جيلكم فبئس الزمان وبئس المعلمين.

هوامش ومراجع الفصل الثالث

١- بعض ما قيل فى الدفاع عن الدكتور ابوزيد

ا.د محمد مهران يعمل فى الامارات :

« لن يشرف هذا الاستاذ المساعد ان يصبح استاذا غير مساعد فى جامعة اتخذت هذا القرار عام ١٩٩٣

منع الشباب والشيوخ من الفخر بالانتساب للجامعة الخاسر هم السبعة الذين وافقوا على رأى واحد منفعل وليس راى اثنين من ثقات متيقنين ورئيس الجامعة ووكيلها ومجلسها وانهم لا يجرأون كلهم ان يفخروا بعد ذلك بتوقيعهم على مثل هذا القرار والخاسر الحقيقى هو الاسلام ومصرنا الحضارة والفكر الخلاق عامة

لن يرضى شباب الجامعات عن هؤلاء الذين ضيقوا الخناق على فكر الاحرار فهم لا يتأثرون بالثوار وليس اهل السلطة ولو بدا هؤلاء الاوصياء على الفكر وكأنهم حراس الحفاظ على الدين .

شكليات فى القضية الدكتور سمير حنا صادق الاهرام ١٤/ ٧ / ١٩٩٣ :هل قرأ جميع اعضاء اللجنة الدائمة كل ما تقدم به الدكتور نصر حامد ابو زيد وهذا يتطلب عدة شهور «اقترح على الدكتور او وزارة الثقافة او حكومة تونس طبع كل ما كتبه الدكتور وان استغرقت قراءته ليلة أبقى انا غلطان ماالذى دفع الدكتور حنا للحماس بهذا الشكل حتى فقد اى موضوعية ؟! ج» واضح اذن ان اللجنة الدائمة قد اتخذت قرارها اعتمادا على بعض اعتراضات مبنية على تلخيص للاستاذ المعترض وغنى عن البيان ان التلخيص لا يغنى عن قراءة النص بأكمله . .

وقرار اللجنة باطل وظالم وعلاوة على انه يشكل اتهاما خطيرا لا معنى له لصاحبى التقريرين الاخرين بما لا داعى لمناقشته . .

وافق مجلس القسم بالاجماع على الترقية اعتمد مجلس الكلية بعد دراسة وافية من لجنة خاصة هذه الترقية ولكن مجلس الجامعة الموقر الذى يتكون من عمداء الزراعة والطب البيطرى قد سمح لنفسه ان يفترض انه يتفهم ابحاث الدكتور نصر حامد ابو زيد أكثر من القسم المختص باللغة العربية ومن الكلية المختصة فضرب بقراراتهم عرض الحائط وقرر رفض الترقية فى جلسة سريعة دون قراءة كلمة مما كتبه نصر حامد ابوزيد ان شكليات هذه القضية

تبعث على الرعب مما وصلت اليه هيئات مفروض ان تكون منارة للعلم وملاذا للفكر الحر .
سمير حنا صادق الاهرام ١٤/ ٧ / ١٩٩٣استاذ بطب عين شمس .

د سليمـان العطار استاذ بكليـة الاداب جامعة القـاهرة الاهرام ٧/ ٧/ ٩٣ رفض غضب الذين يرفضون اثارة هذا الموضوع لانه يعرض استقلال الجـامعة للخطر وان ما يحدث فضيحة للجامعة ولكن لو عرف هؤلاءان الجامعة فى حالة انهيار تام

انا فى حاجة لتجديد الفكر الدينى فنحن على راس قرن جديد وان ما فعله ابوزيد خطوة او قطرة نحو التجديد حـينما درس لغة الوعاظ والمشتغلين بالدين دراسـة علمية فى ظل تقدم علمى هائل لعلم اللغة والتفسير لا قداسة لبشر بل القداسة لله رب العالمين ولكتابه وما صح عن رسوله الامين ابوزيد قال التجديد او الطوفان الريان وامثاله وانفجار مدخل الهرم (الظاهر كتب المقال قبل الخازندارج) وسقوط العقل وتعـثر التنمية عن سلمان رشدى نيويورك تايمز ١١/٧/١٩٩٣

الصراع حول روح الاسلام بقلم سلمان رشدى

فى مصر استاذ قانون مشهور متـهم بالالحاد لانه نقد الشريعة او قوانين الاسلام الجامدة .الاصوليون طلبوا من المحكمة تطليق زوجته لانه لا يسمح فى الاسلام للكافر بزواج المسلمة او ترجم زوجته كزانية

٢-ص٢٤ الشافعى حياته وعـصره - اراؤه وفقهه دار الفكر العربى الامام محـمد ابوزهره الطبعة الثانية / الاولى ١٩٤٤

٣- مصطفى عبد الرازق تمهيد لتاريخ الفلسفة .

٤- سمير حنا صادق الاهرام ١٤/ ٧ / ١٩٩٣

٥- ص١٩ الشافعى حياته وعـصره - اراؤه وفقهه دار الفكر العربى الامام محـمد ابوزهره الطبعة الثانية / والاولى صدرت١٩٤٤

٦-الامام ابوحنيفة النعمان بن ثابت ابن زوتا ولد ٨١هـ/ ٧٠٠م فى الكوفه جده اخذ اسيرا فى كابول وكـان عبدا واصبح من مـوالى تيم الله ينسبه البعض الى ملوك الفـرس وان اباه كان علويا ودعا له سيدنا على بالبركة فى اولاده . عن دائرة المعارف الاسلامية .

٧- ص١٨٥ الشافعى حياته وعصره محمد ابوزهره

٨- ص٦٧ محمد ابوزهره المصدر السابق .

٩- وبالمناسبـة فهذه تبـررغضبـة الشيخ ابى زهره على المسـتشرقـين الذين كتبـوا دائرة المعارف

الاسلامية وزعموا فيها ان الشافعى لم يكن يعرف حديث لا تجمع امتى على خطأ ! فمن اين جاء الشافعى بهذا الجزم بصوابية اجماع الامة بل وبنفس الالفاظ لولا ان الحديث كان معروفا فى زمانه وله شخصيا ؟!

١٠-الرسالة احمد شاكر

١١- انظر ابحاثنا فى السنة فى : الحق المر وخواطر مسلم ومجلة التوحيد

١٢-ص١٧٠ الرسلة / احمد شاكر

١٣-ص١٩٠الشافعى حياته وعصره - محمد ابوزهره

١٤- ن.م ص١٩٢

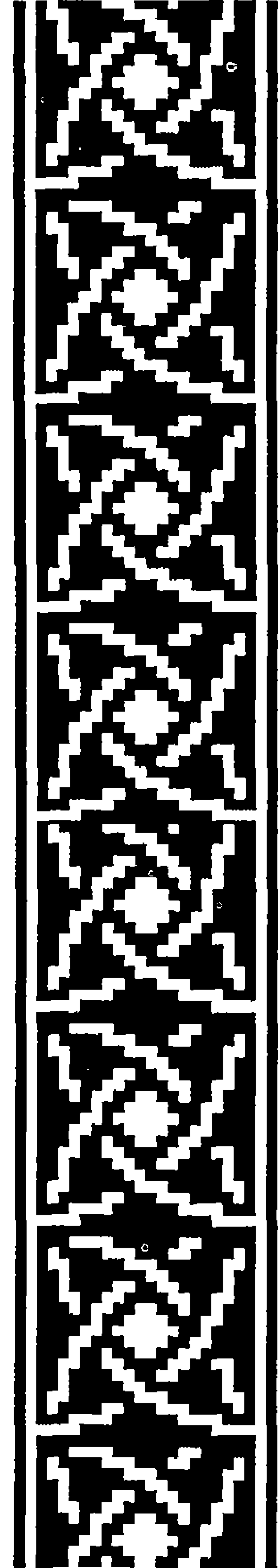
١٥- ص١٠٦ الرسالة

١٦-وهاكم بعض نماذج من الصفات التى خلعها النفر نصر حامد ابوزيد على امام تناقش افكاره بعد الف سنة أو تزيد من وفاته ! « التبرير والمغالطة » ٧٢ «خلط المفاهيم واضطراب المصطلح عند الشافعى » ٧٢ « مفهوم الاجماع عند الشافعى مفهوم على درجة عالية من الالتباس » ص٨٥ « الخلط » ٨٥ « شوش على الشافعى » ٨٧

١٧- ص٨١ عن ابى زهرة

١٨-ص١٠٦ عن ابطال الاستحسان ص٢٧٤ المعلم

١٩-وقد كتب الاستاذ زياد الكردى مقالا عن المدرسة المستنصرية فى بغداد التى جمعت كما قال ـ المذاهب الفقهية الاربعة : وهى المدرسة التى اسسهاالوزير نظام الملك فى الدولة البويهية التى كما قلنا كانت شيعية اما مدارسها فكانت شافعية الا المستنصرية فقد ضمت ودرست المذاهب الاربعة فقد « اعطى ربع القبلة الايسر للحنفية وربعها الايمن للشافعية والربع الثالث يمنة الداخل للحنابلة والربع الرابع يسرة الداخل للمالكية .»



الفصل الرابع

العلمانية والجهلانية

تعليقات على مضحكات وتخرصات العشماوى !

افردنا هذا الباب للحديث الذى اريد به شغل المثقفين واشباه المثقفين وجماعات المزورين والجاهلين بالفطرة والجاهلين بالوراثة.. لأخفاء القضية الرئيسية ، او القضايا التى تشغل الجماهير وكانت جديرة بأن تستحوذ على اهتمام المثقفين وتثير حوارا خلاقا ايجابيا يحلل اصل المشاكل ويتلمس لها الحلول. وبدلا من ذلك اثاروا قضايا لا اساس لها، واعنى حديث العلمانية [1] والدولة الدينية وفصل الدين عن الدولة.. تلك القضايا التى يفترض انها لا تثار فى مجتمع مسلم ليس فيه كنيسة اصلا ولا رجل دين.. ومع ذلك فقد استطاع الجاهلون مجانا والمتجاهلون بأجر ان يطرحوا فى الساحة مزاعم من طراز :

ان الاسلاميين يسعون لإقامة حكومة دينية..وهل يعقل ان يحتكر الحكم رجال الدين فيحرمون المعارضة لأن كل اجتهاداتهم ستكون منزلة وناطقة باسم الله سبحانه وتعالى!

وقال قائلهم الا ترى ان اوربا عندما فصلت الدين عن الدولة ، وجعلت الدين علاقة خاصة بين الانسان وربه..واقامت المجتمع على اساس العلمانية تخلصت من تخلف القرون الوسطى والفتن والطائفية والتعصب وحققت ما نسميه الآن بالديموقراطية والثورة الصناعية..الخ

ولأن هؤلاء المتخرصين بمثل هذه المزاعم يحتمون بالسلطة عالميا ومحليا ، ومكنوا من السيطرة على اجهزة الاعلام، فقد اشتد صخبهم، وارهبوا معارضيهم، ومنعوا النشر الا لمن سايرهم.. مما دفع عددا من المخلصين الى مطالبتى بالرد على هذه الاقاويل، ولما كنت قد عالجت هذه القضايا فى كتاباتى منذ ثلاثين سنة او تزيد، فقد صددت عن ذلك، وقلت لعلى ادخر ما بقى من عمر وجهد لأعالج قضايا جديدة. لولا ان عاود الابناء الإلحاح، وقالوا انه لا يجوز كتم العلم، ولا الملل من تعليمه، فأنت لا تدرى من يفيد او يستفيد به .

وحقا ليس اقبح فى ديننا من كتم العلم..وقيل ان من اعطاه الله علما فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار. وديننا يؤمن بالحوار ويبيح السؤال بل يحض عليه .

علمنا الله سبحانه وتعالى هذه المبادئ فى ما علمنا من قصص القرآن عن الخلق.. فقصة ابليس وخلق ادم وطرد ابليس ، تتميز بالمبادئ التى اراد الله ان يعلمها للانسان وان يرسخ مفاهيمها .. واذا كان الطغاة قد فسروها للناس بالمثل الشائع.. الذى اعترض انطرد .. فإن القراءة الواعية او القراءة الثورية تكشف عن كثير من المبادئ الخالدة الجديرة بترسيخ مفهوم الديموقراطية وتأكيد حق الاعتراض واللا غنصرية ، وهذه اهمية وتميز قصة ابليس .. اما ان الله يملك ان يفعل ما يشاء فهذه من بديهيات الايمان بوجود الله !

فيجب ان ندرسها بهذا الفهم .. انها للتعليم والتوجيه .. وتحديد العلاقات الانسانية ومنع الطغيان فى الارض ..

فما ان اعلن الله سبحانه وتعالى قراره بخلق ادم وتعيينه خليفة فى الارض حتى اعترض الملائكة وتساءلوا عن الحكمة فى ذلك وابدوا شكوكهم حول هذا الاجراء وعدم ثقتهم فى المخلوق القادم .. والتحذر من مخاطر القرار قالوا: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟!..**﴾ [البقرة: ٣٠] ونحن لا نجد الشجاعة للاعتراض او حتى استيضاح بشر مثلنا لو حرم شربة الماء دخولا او خروجا لباع ملكه بها..

وأحدهم يحدثنا عن وزير استشاره رئيس ممن تأكلهم دودة الارض أيسافر الى القاهرة او موسكو فقال له ان سافرت للقاهرة فأنت مصيب وان سافرت لموسكو فأنت مصيب فافعل ما تشاء !

يعلمنا القرآن أن من لا يعلم لا اثم عليه ان سأل ، بل هو آثم ان وافق بلا علم .. وكان هذا اول مبدأ ، تعلمنا اياه القصة اعنى حق الاعتراض .. عدم جواز اخذ قرارات السلطة بدون مناقشة ،خطأ كتم الشكوك والاعتراضات والمخاوف ..

الحق فى طلب تفسير من السلطة لقراراتها ..فالملائكة طلبوا ذلك من الله سبحانه وتعالى رب القدرة .. وكان اعتراض الملائكة ومخاوفهم فى اطار المصلحة العامة وعلى اساس من حجج وتوقعات مقبولة ، وحتى عندما تميزوا عن آدم كان تميزهم – فى نظرهم – بالعمل .. ونحن نسبح بحمدك .. ولذلك لم تنزل بهم عقوبة ، ولم

يغضب المولى عز وجل ولم ينكل بهم ، ولا طرح استقالته ، تهديدا وارهابا ، سبحانه وتعالى بل شرح لهم لماذا خلق هذا الكائن وفضله عليهم . . لأنه يتميزبالعلم . . بالمسميات . . انه يسمى الاشياء ويعلم اسماءها ولذلك فهو يميز بين الخير والشر ، الملائكة تتعامل مع الكون بلا اسماء ولا مفردات . . ولذلك فهو بالنسبة لها كون جامد لا يتغير ولا يتبدل . . اما الانسان فيعلم الاسماء ويعطى كل ذرة فى الكون اسما . . فتصبح لكل ذرة فى الكون شخصية . . ويصبح الكون هو مجموعة جزئيات متميزة ، تدخل فى علاقات وتتفاعل وتتطور وتنتج مسميات جديدة او شخصيات جديدة . ولا نريد ان نتفلسف وانما هذه القدرة على التسمية او التعددية والفردية هى اهم مميزات الانسان ، ومؤهلات خلافته فى الارض ، وربما كانت الاسماء من خصائص هذه الدنيا الفانية المتغيرة وليس لها مكان فى عالم الخلود . . ومن شاء ان يتعمق فليفعل . .

﴿ وعلم آدم الاسماء كلها .. ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ۞ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ۞ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٣] ومرة أخرى نتعلم من قصة ابليس فهو عندما عصى أمر ربه سبحانه وتعالى لم يبادره بالعقوبة ولا حتى بالإدانة . . بل سأله اولا لعل له عذرا . . المولى عز وجل سأل كائنا مما خلق : **﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت ... ﴾ ﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ﴾** .

والسجود هنا هو اجلال للعلم الذى علمه الله وخص به آدم . . هو سجود للمعرفة التى تميز بها آدم اى سجود لعقله الذى سيسيطر على الكون بإذن الله وسلطانه وليس لجسده . !

ويبدأ أول حوار فى تاريخ الكون بين رب الكون وواحد من مخلوقاته التى لو شاء رب العزة والجلالة ، لمحاه محوا من الوجود ، ولكن القصة تعلمنا بمشروعية الحوار ، وأنه لا معاقبة قبل الادانة وحق المتهم فى ابداء وجهة نظره كاملة ، وواجب العدالة

فى ان تسمع له . وعندنا قوم فى تلك الارض التى لا تساوى جـناح بعوضة يرفضون الحوار عزة بالإثم

تميز آدم بالعلم . .

وهو مشروع ومطلوب ، وممكن لمن أراده . . وأراد إبليس أن يتميز بالعنصر !

قال ابليس ﴿ **لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون**﴾ ﴿ **قال أنا خيـر منه خلقـتنى من نار وخلقتـه من طين** ﴾ الأعـراف رد ابليس الرد العنصـرى القبـيح ، فتـحدث عن الجبـلة الاولى التى رددها فلاسـفة اليونان بعـد ذلك بملايين السنين ، رغم ان البعض مازال يتوجهم اثمة فى الديموقراطية والاعتراف بالآخر !

أما البـدوى فى القرن السـابع فقـد تعلم ان ابليس طرد ولعن لأنه حـاول التمـيز بالعنصر، فحرمت العنصرية على المسلم ومارس الاعتراف بالآخر حتى قيل انه افرط!

كان ابليس اول من رفع شعار العنصرية فحق عليه العقاب . .

على اية حال . .السؤال من صميم ديننا وكذا حرية التفكير وحرية التعبير والبحث والجدل ، بل وحرية الشك كلها من خصائص ديننا وحضارتنا . .

أُمرنا الا نشق عن القلوب . .

ونقبل من الناس ما يعلنون .

لا عقوبة فى هذه الحياة الدنيـا على الكفر ولا يحرم ديننا الشك . .قيل جاءوا الى رسول الله فجلسوا عـلى ركبهم وقالوا اغثنا يا رسول الله اننا نجـد فى قلوبنا ما نفضل لو قطعت اعناقنا عن البوح به «يقصدون الشك . .»

قال النبى الأمى (٢) : اوجدتموه ؟! هذا محض الايمان . . !

ولقـد كـان على زمن رسـول الله رجال ابلغ الرب سـبـحـانه وتعـالى عنهم انهم منافقون، ومع ذلك لم يوقع الرسول عليهم اية عقوبة .

وما من عقيدة اخرى تؤمن وتقدس التعددية مثل الاسلام .

فى ديننا انه حتى الشيطان منح الفرصة الكاملة والأبدية لاثبات وجهة نظره المعارضة لإرادة الله سبحانه وتعالى ، ومنح كافة الوسائل لكسب مؤيدين وسيجرى فرز الاصوات فى يوم الحساب . .

﴿ قال رب فانظرنى إلى يوم يبعثون ﴾ ﴿ قال فإنك من المنظرين ﴾

وما اظن أن ابليس يملك سلاحا اقوى من تعليم بنى آدم العنصرية القبيحة والتباهى بالجنس والاصل . وما من دين ولا فلسفة ولا حضارة امنت بالتعددية وبحق الاخر فى المخالفة مثل ديننا، وقد حدثتكم عن الاعجاز فى قوله تعالى: **﴿قل يا أيها الكافرون﴾** إلى قوله تعالى: **﴿ لكم دينكم ولى دين﴾**.[سورة الكافرون] وقلنا ان اول وثيقة تعترف بحق الاخرالیهودى فى الاستمرار وفى ممارسة دينه هى التى حررها محمد بن عبد الله فى العام الاول الهجرى (٣) والاسلام هو اول من سماهم اهل الكتاب وهى تسمية مشرفة ، لا وجه لقياسها مع ما وصفهم به شكسبير او هتلر او الباباوات فى روما او لوثر . .الخ

بل ان الاسلام قد قدم لاهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ما يمكن وصفه باعدل برنامج للتعايش والتآخى ونصر القيم التوحيدية الاصيلة التى يفترض انها تجمع بين الاديان الثلاثة يقول ربنا: **﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون .﴾** [آل عمران: ٦٤]

منتهى الانصاف ! لم يطلب منهم ولا حتى الايمان بمحمد . . اى صورة كان سيكون العالم عليها لو أن اهل الكتاب استجابوا لهذه الدعوة النبيلة.

ولكن على العكس من ذلك . .لم يبادل اليهود المسلمين عاطفتهم بنفس العاطفة بل تحكم فيهم ضيق الافق والعنصرية وكرهوا ان يكون لغير بنى اسرائيل نبى أو كتاب فأصبح الوضع شاذا: **﴿ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله﴾** [آل عمران: ١١٩] **﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ﴾** [آل عمران: ١٨٦]

ورغم أن المسلمين يؤمنون بالكتـاب كله واعطوا اليهود مكانة خـاصة لم تعط لهم فى اى دين ونسبوا للكتـاب عشرات المرات واعترف لهم بأن الله فـضلهم على العالمين الا ان اليهود ارتـكبوا الخطيئة او الخـيانة التى لا تغتفـر عندما قالوا للمشـركين ان دينهم اصح من دين محمد . . ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبـا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** ﴾ [النساء ٥١]

انهم لم يخونوا مـحمدا فحـسب ولا افتروا على الاسلام وحـده بل خانوا تاريخ اليهود وافـتروا على التوراة ودينهم وحقـيقة انهم اول شعب كفـر بالشرك وآمن بإله واحد . .[٤] هذه هى الخيانة العظمى التى ارتكبها يهود يثرب فاسقطت كل احترام لهم او التزام نحوهم وساوتهم بالمشركين واوجبت مقاتلتهم واجلاءهم .

فى ديننا تعدد واخـتلاف البشـر دينيا وقومـيا هو ظاهرة ابدية تعـبر عن ارادة الله الذى خلقهم شعـوبا وقبائل ليتـعارفوا ، وليست خطأ عـارضا لابد ان يزول بوحدة مزعـومة للجنس البـشرى ! ونحن اول حضـارة اسقطت المبـدأ الذى ظل ممارسا الى القرن الثـامن عشـر فى اوربا وهو : الناس على دين ملوكهم. فـقد قبلـنا ان يخالف بعض الرعية دين الملك ثم يكـون لهم مالاغلبية وعليهم مـا عليها . . فنحن اول من اقام دولة متعددة الاديان موحدة المواطنـة بل اول واخر من اقام اسرة متعددة الاديان . . يباركها الدين ويقرها ويعترف بشرعيتها .

وتأمل نفاق الافاقين الذين يحرمـون أى زواج بين مختلفى المذهب حتى ولو كان ذلك داخل الدين الواحـد ، ومع ذلك يهـاجمـون الاسـلام لأنه سمح فـقط بزواج الرجل المسلم بالمسيحية او اليهودية !

قـولوا لهم الاسـلام قطع نصف الطريق ، وانتم مـا زلتم خلفـه فالحـقـوا به ثم انتقـدوه ، وليس قبل ذلك . . ومنذ شهور افـتى اصولى ان منع زواج المسلمة بغـير المسلم كـان لظروف المجتـمع الابوى وسيـطرة الرجل وان المرأة لم تكن تعـمل ولذا فغـالبا لا يتوفر لهـا الاستقلال الاقـتصادى ، الامر الـذى كان يخشى فيـه على دينها وعلى حرية الاختيار لأولادها. وقال ــ والعهدة عليه ــ ان هذه الظروف زالت الان،

وهو لا يرى لا فى الكتاب ولا السنة نصا صريحا يمنع زواج المسلمة من كتابى مادام لا يجبرها على تغيير دينها ولا يفرض دينه على الاولاد قبل بلوغهم سن الاختيار . . ونتمنى ان نسمع لشيوخنا رأيا فى هذا القول . (٥)

على أية حال يبقى الاسلام هو الدين الوحيد الذى اعطى الشرعية للاسرة المتعددة الاديان فيجلس على المائدة الواحدة العم المسلم والخالة أو الخال المسيحى او اليهودى، وألزم الزوج بأن يأخذ زوجته للكنيسة او الكنيس تعبد ما يؤمن انه الكفر وينتظرها فى سيارته ليعود بها الى عش الزوجية الفريد فى نوعه على مدى الف سنة !بل الفريد فى شرعيته الى اليوم !

أفنحن يقعقع لنا بالشنان او يخشى منا على حرية المتدينين والاديان؟!

وحتى اليوم فى نهاية التاريخ والنظام العالمى الجديد ومشارف القرن الحادى والعشرين والطريق الى المريخ مازالت مدفعية المنتصرين تدك المساجد وترفع الصليب او اصنام الاله راما فوق المآذن . . وفعل ذلك الفرنسيون فى منتصف القرن التاسع عشر والبلغار والصرب والهندوك فى نهاية القرن العشرين ولكن هل من حادثة واحدة لحرق كنيسة او كنيس او صعود المسلمين فى القرن السابع اكرر السابع فوق كنيسة او كنيس لوضع شعار لا اله الا الله ! يوم اكتسحت جيوش المسلمين العالم . . هل احرقوا كنيسة او حطموا صليبا او قتلوا قسا او حاخاما؟!

اولاد الافاعى يتصيدون غرائب التاريخ فى قرون التخلف ليؤصلوا بها الفتنة، ويعمون عن بداية الاسلام والموقف الحق الذى تمتحن به الاديان والفلسفات والحضارات لحظة الغضب والنشوة ، اعنى سلوك المنتصرين لحظة اقتحام مدينة محاصرة . . بل ان موظفى روكفلر من المصريين اذا لم يجدوا فى تاريخنا ما يشينه اخترعوه اختراعا وقالوا انه من ادب الفتنة !!(٦)

فى مساجدنا تجد اربعة ابواب للمذاهب الاربعة كلها داخل مسجد واحد وليست مذاهب منشقة متحاربة يحرم بعضها بعضا ، وانما تعددية فى اطار الجماعة الواحدة ، لا يوجد دين ولا مذهب ولا فلسفة قبل الاسلام ولا بعده بألف سنة قال: " خلافهم

رحمة . . »و«فيهـا قولان » . . ولا كافأ على خطأ الاجتهاد . . ولا تنبأ لأتـباعه بالتعدد الى ٧٣ فرقة . . الا الاسلام !

المسلمون هم دعاة الديموقراطية ، هم انصار الحرية الحقة ، هم حماة التعددية، هم الامل فى تحرر الانسان كل الانسان .

اول كلمة فى ديننا اقـرأ . . وربنا اقسم بالقلم ولم يقـسم بالسيف . امرنا بالتـفكير والتبصر والبحث عن الحكمة والاسباب ، واعترف الخضر انه ليس على موسى الطاعة ولا الصبر فيما لم يعرف اسبابه وحيثياته . ﴿ وكيف تصبر علـى ما لم تحط به خبرا ﴾ فلا احد يلزمنا بقـبول ما لا نعرف حيـثياته . وأمرنا بسؤال من يـعلم واحترام العلم والعلماء . وقد ورد لفظ العلم فى القرآن ثمـانين مرة ولـم يحدث قط فى حضارتنا ان قـام تناقض بين العلم والديـن ، او العلم والايمـان ولم يحـدث ان ارتبط العلم او العلماء فى حضارتنا بالكفر والشك وانما اقترن العلم بمعرفـة الله وخشيته . فقد قال عز وجل ﴿ إنما يخشى الله من عبـاده العلماء ﴾ اى ان العلمـاء هم الذين يخشـون الله لاالذين يكفرون به . . كمـا حدث فى الحضارة الغربيـة . . بل ذهب بعض القراء الى قراءتها برفع الله ونصب العلماء مبالغة فى ابراز تقدير الاسلام للعلم والعلماء . . !!

وتأمل ان القرآن الذى عرف وتحدث عن كافة رجـال الدين من القسيسين والرهبان والاحـبار والكهـان لم يجـد لفظة كهنوتـية واحـدة يصف بهـا اى فئـة فى المجتـمع الاسلامى . . لأنه لا كـهانة فى الاسلام . . ولما ظهرت طبـقة الفقهاء فى حـضارتنا، كتطور طبيـعى ومحتوم ، لم تخلع عليـهم الجماهير اية صفـة او لقب كهنوتى ، فهم العلماء من العلم او المشايخ فى فترات متخلفة ، وعندنا شيخ البلد وشيخ القبيلة . . فهو لقب مدنى بالكامل . . حتى شيخ الكتاب او الفقى كما كنا نسميه ونسخر منه فى افلام الريحانى .

وقبل ان نفـيض فى القول، لنضرب مثـلا على نفاقهم وخبث طويتـهم، وان ما يشنون الحرب عليه هو الاسلام خاصة وليس الدين عامة فأنت مثلا تسمع عن رفضهم لتسيس الدين او رفـضهم لتدخل رجال الدين فى السياسـة ورفض ادعاء رجال الدين

اى حق لهم فى توجيه الناس فى القضايا السياسية والاجتماعية ، وتعرف غضباتهم المدوية واتهاماتهم الصاخبة عن التدخل الاجنبى والدعم الاجنبى للمسلمين او الاصوليين او ماشاء لهم ان يتهموا وعندهم حق !!

اقرأ هذا الذى نشر فى صحيفة لبنانية ولم يثر أى تعليق ولا احتجاج ضد تسيس الدين او التدخل الخارجى فى شئون لبنان !

اقرأ وانتبه ثم نتحاور :

تحت عنوان : « بديهيات تعكس اهتمام «ايران» بلبنان : العيش المشترك والحد من الهجرة وانهاء العداوات . » قالت الصحيفة اللبنانية:

تعترف القيادات «الشيعية» بوجود سياسة «ايرانية» واضحة ، من معالمها قيام مجتمع «اسلامى» جديد له منطلقات جديدة وقيادات شابة منزهة عن اعتبارات الماضى وحساباته وتملك تطلعات تتوافق وروح العصر وتأخذ فى الاعتبار المسلمات الكثيرة التى اصبحت من ثوابت الدولة الشرعية والتى لا يمكن تجاهلها او الانقلاب عليها وتقول ان الاهتمام «الايرانى» بالشئون «الشيعية» ما هو الا جزء من اهتمام شامل بوضع المجتمع اللبنانى وخصوصا «المسلم» والوقوف على حقيقة مخاوفه وهواجسه والعمل على تجنبها من خلال دعم هذا المجتمع ومساعدته على ان ينظر ليعرف ماذا يدور من حوله ويتأقلم مع الواقع المحيط ويتفاعل ليقوم بما يترتب عليه من مسئوليات فى اعادة بناء لبنان وانهاضه سياسيا واقتصاديا وعمرانيا.

«وتعترف بأن «ايران» عندما اطلقت فكرة «الحوزة المرجعية» من اجل لبنان فعلت ذلك ل (ت)ساعد على ايجاد المواطن الجديد واللبنانى الذى يتمتع بتفكير جديد وتطلعات جديدة مستمدة من تاريخه وتراثه لكنها متصفة بواقعه الذى يصفه «المسلمون» بأنه مُر .وتؤكد ان موضوع «الحوزة المرجعية» ليس مجرد اجتماع عادى ليوم او اسبوع وينتهى ببيان وتوصيات بل انه عملية تغيير شاملة بدأت منذ اللحظة الاولى التى اعلن فيها قيام المرجعية وهى مستمرة الان وستتفاعل اكثر فى المستقبل ليصبح فى الامكان القول ان هناك تحولا واضحا فى الاسلوب والقناعات ونمط الحياة

عمـوما ، وتشـير الى وجود مـسلمات اربع يمكن القـول انها تشكل اطارا للاهتـمام «الايرانى» بالوضع السائد على الساحة اللبنانية وخصوصا «الاسلامية»

اولا العـمل على الحد من هـجرة الشـباب اللـبنانى عمـومـا وهجرة «المسلمـين» خصوصا.

ثالثا : الانتشـار بدل التقوقع وعودة «المسلمين» الى كـل لبنان والجنوب والبقاع والشمال والسهل والجبل اى حيث كانوا قبل الاحداث .

«من هنا تعلق «ايران» على حد قول المصادر اهمية خاصة على عودة المهجرين من كل الطوائف الى كل المناطق التى هجروا منهـا احياءلصيغة جديدة من الـعيش المشترك اكثر عمقا وتجذرا من تلك التى كانت سائدة قبل الحرب.

رابعا- العمل على انهاء العداوة القائمة بين «الشيعة» والدولة وتوظيف الكثير من الجهـود الصامـتة والبعـيدة عن الاضواء لـردم الهوة القائمـة الان والتى تزداد عمـقا واتساعا يوما بعد يوم بسبب وجود عوامل كثيرة تساعد على ذلك .

«ومن الان الى ذلك التاريخ يبقى السؤال الكبيـر هل تتمكن «ايران» من تغيير كل هذه القناعات وتحقيق المصالحة المطلوبة بين غالبية «الشيعة» والدولة »٤

أنت طبـعا تتـوقع وتفهم بل لعلك تؤيد الضـجة التى لابد قـد اثارها العلمـانيون والتقدمـيون ودعاة فصل الدين عن الدولة ضد هذا التـسيس للدين وضد تدخل ايران والملالى فى شئـون لبنان ، وضد ارتباط شيعـة لبنان بقوة غير لبنانـية . . . معك حق . . لكن خـذ قلما وأعـد قـراءة هذه الفقـرة بعـد حذف كلمـة ايران ،وضع مكانهـا الفاتيكـان وكلمة المسيـحيـين بدلا من المسلمين والشـيعة والسنـودس بدلا من الحوزة . . فـستـصل الى النص الاصلى الذى نشـر ولـم يغضب أحـد وهو هذا :«بديهيـات تعكس اهتمام الفاتيكان بلبنان : العيش المشـترك والحد من الهجرة وانهاء العداوات.» قالت الصحيفة اللبنانية :

تعترف القيادات المسيحية بوجود سياسة فاتيكانية واضحة ، من معالمها قيام مجتمع مـسيـحى جديد لـه منطلقات جـديدة وقـيادات شـابة منزهة عن اعـتبـارات الماضى

وحساباته وتملك تطلعات تتوافق وروح العصر وتأخذ فى الاعتبار المسلمات الكثيرة التى اصبحت من ثوابت الدولة الشرعية والتى لا يمكن تجاهلها او الانقلاب عليها وتقول ان الاهتمام الفاتيكانى بالشئون المسيحية ما هو الا جزء من اهتمام شامل بوضع المجتمع اللبنانى وخصوصا المسيحى والوقوف على حقيقة مخاوفه وهواجسه والعمل على تجنبها من خلال دعم هذا المجتمع ومساعدته على ان ينظر ليعرف ماذا يدور من حوله ويتأقلم مع الواقع المحيط به ويتفاعل ليقوم بما يترتب عليه من مسئوليات فى اعادة بناء لبنان وانهاضه سياسيا واقتصاديا وعمرانيا.

«وتعترف بأن الفاتيكان عندما اطلق فكرة السنودس من اجل لبنان فعل ذلك ليساعد على ايجاد المواطن الجديد واللبنانى الذى يتمتع بتفكير جديد وتطلعات جديدة مستمدة من تاريخه وتراثه لكنها متصفة بواقعه الذى يصفه المسيحيون بأنه مُر. وتؤكد ان موضوع السنودس ليس مجرد اجتماع عادى ليوم او اسبوع وينتهى ببيان وتوصيات بل انه عملية تغيير شاملة بدأت منذ اللحظة الاولى التى اعلن فيها قيام السنودس وهى مستمرة الان وستتفاعل اكثر فى المستقبل ليصبح فى الامكان القول ان هناك تحولا واضحا فى الاسلوب والقناعات ونمط الحياة عموما، وتشير الى وجود مسلمات اربع يمكن القول انها تشكل اطارا للاهتمام الفاتيكانى بالوضع السائد على الساحة اللبنانية وخصوصا المسيحية.

اولا العمل على الحد من هجرة الشباب اللبنانى عموما وهجرة المسيحيين خصوصا.

ثالثا: الانتشار بدل التقوقع وعودة المسيحيين الى كل لبنان والجنوب والبقاع والشمال والسهل والجبل اى حيث كانوا قبل الاحداث.

« من هنا يعلق الفاتيكان - على حد قول المصادر - أهمية خاصة على عودة المهجرين من كل الطوائف الى كل المناطق التى هجروا منها احياءلصيغة جديدة من العيش المشترك اكثر عمقا وتجذرا من تلك التى كانت سائدة قبل الحرب.

رابعا- العمل على انهاء العداوة القائمة، بين المسيحيين والدولة وتوظيف الكثير

من الجهود الصامتة والبعيدة عن الاضواء لردم الهوة القائمة الان والتى تزداد عمقا واتساعا يوما بعد يوم بسبب وجود عوامل كثيرة تساعد على ذلك .

«ومن الان الى ذلك التاريخ يبقى السؤال الكبير: هل يتمكن الفاتيكان من تغيير كل هذه القناعات وتحقيق المصالحة المطلوبة بين غالبية المسيحيين والدولة.»

هذا هو النص الاصلى الذى نشر بل واضافت الصحيفة بعد ايام تفاصيل اهتمامات السنودس المقترح وهى :«وزعت امس فى بيروت نسخة من ٧٢ سؤالا تتضمنها وثيقة السينودس التى ستناقش على مدى سنتين تحضيرا لصدور وثيقةالعمل الاساسية التى سيبحثها .... منها تحقيق مشروع وحدة التعليم المسيحى المباشر به منذ العام ١٩٦٩.. ما هو الموقف المطلوب من كل كنيسة تجاه ظاهرة البدع ؟ هل مشاركة ابناء الكنائس المختلفة باسرار بعضهم بعضايشكل مشكلة . هل تنظرون الى سر مناولة القربانة الاولى للاولاد الارثوذكس فى المدارس الكاثوليكية كيف تنظرون الى كون الطقوس الدينية التى تقام فى المدارس الكاثوليكية هى من لدن واحد فيما الطلاب متنوعو الطوائف . هل ترون مناسبا ايجاد تأهيل رعوى مسكونى لراغبى الزواج من طوائف وديانات مختلفة . ما رأيك بالعمل السياسى حاليا هل ترون ضروة تأمين تربية مدنية وسياسية للشباب اللبنانى . وماهى عناصرها كيف تنظرون الى قوى الاعلام وعلاقتها بالمواطن وبالكنيسة هل تبررون قول البابا بدعوة لبنان التاريخية وبقوله ان لبنان قيمة حضارية ثمينة هل تعتقدون بضروة تفعيل ومتابعة الحوار الوطنى هل هو صحيح القول ان لبنان هو نموذج للتعايش هل توافق على ان حضارة الشرق العربى هى تراث مشترك بين المسيحيين والمسلمين هل من المستحسن اظهار التراث العربى المسيحى »

وكما قلنا لم يعلق كاتب واحد مستنكرا لأن تدخل الفاتيكان فى لبنان محمود ومطلوب .. والعدو الاوحد المرفوض دينا ودنيا هو الاسلام.. لا ابناء البلد يحق لهم ان يطالبوا به ولا ان ينصروا مسلما يتعرض للإبادة فى بلد اخر..

حرام على بلابله الدوح ...حلال للطير من كل جنس !

فصل الدين ام الكنيسة ..

.. عن الدولة ؟!

وهكذا ترى انهم كاذبون فبينما يرفضون اشتغال المسلم بسياسة بلده ، بحجة فصل الدين عن السياسة ،تراهم يباركون التدخل السياسى فى بلادهم لأكبر مؤسسة دينية اجنبية !

كذلك فإن شعار فصل الدين عن الدولة هو مقولة باطلة يرددونها اما استسهالا، او جهلا او تزويرا وتدليسا ، فليس هناك ما يسمى فصل الدين عن الدولة الا فى الدول الشيوعية التى ناصبت الدين العداء او ان شئت الدقة ناصبت الاديان السماوية العداء لنشر دين ماركس . وقد كان دينا بالمعنى المتخلف فيه كل الغيبيات والمسلمات والعصمة للكهنة القائمين على امر الدين الشيوعى الذى ما من دين غيره ينطبق عليه تعريف ماركس . . افيون الجماهير .

وقد كنا والله من خيرة المثقفين فى زماننا وملحدين علمانيين ، بالمعنى السوقى للعلمانية (٧) ومع ذلك كنا نرفض ان نناقش ولو من الناحية النظرية احتمال ان يخطئ ستالين ؟ وكنا نسمى هذا اللغو . . «التفكير العلمى» وما يبشر به «الاشتراكية العلمية » ونتطاول على ديننا فنصفه بالغيبيات والايمان بالمطلق ، وما كنا نعلم او لعلنا عرفنا وجحدنا وقتها ان نبينا المعصوم صلوات الله عليه ، يقول لأصحابه انما انا بشر اخطئ واصيب !ويعلمهم صلوات الله عليه ان رأيه فيما لا يخص الدين قابل للمناقشة بل ويحتمل الخطأ ويقبل التصويب. .صلوات الله على الصادق الامين وخسئ الكذاب ستالين!

فباستثناء محنة الشيوعية «والتى كانت تهدف اساسا لمحو أديان الاخرين داخل الدولة او الامبراطورية الشيوعية لسحق قوميتهم وهويتهم» ليس هناك ما يمكن وصفه بفصل الدين عن الدولة . بل لكل دولة - كما سنرى دينها وحضارتها وهويتها وعقيدة شعبها ، واقصى ما وصل اليه الامر هو- كما قالت صحيفة الاندبندنت - الدولة المحايدة ازاء الدين وهى الدولة الامريكية ، ولم تصدر هذه الدعوة فى امريكا

ازدراء للدين أو عزوفا عـنه ، بل طرحها روجر وليم عام ١٦٣٨من فـرط تدينه عندما قال انه لا توجـد حكومة بشرية تملـك من الطهر ما يخـولها فرض الدين الصـحيح ، وكما قـالت الصحيفـة انه «رغم النص على فصل الدولة عن الكنيسـة ، فى الدستور الامريكى ، فـإن الدين يلعب فى حياة الامريكـيين دورا اكبر مما فى بريطانيـا حيث لا انفصال بين الدولة والكنيسة.»

وفى اعتـقادنا ان الفصل بهـذه الحدة فى امريـكا انما عكس حقيـقة كونهـا تجمع اقليات هاربة من المـذابح الدينية فى اوربا حيث كـان البروتستنت يذبـحون الكاثوليك وهم بدورهم يحرقـون البروتستنت والارثوذكس والثـلاثة يحرقون المسلمين واليـهود والوثنيين الى القـرن السابع عـشر ، فكـان اختـيار الامـريكان الا تكون هناك كنيسـة رسميه للدولة هوضـمانة للكل ضد الكل ،خاصة وانهم مهاجرون من قـوميات شتى فلم تكن هناك كنيسة وطنية يرتبط بها اويتـجسد فيها الولاء للوطن ، بل كلهم هاربون من قهر الكنيسة الرسمية او الوطنية .

وربما ادى ذلك ، اعنى الحرمان من كنيسة وطنيـة رسمية ، الى النمو الشاذ والذى لا مثيل له للمؤسـسات الدينية والاندفاع للارتباط بأى كنيسـة !وانتشار النصب باسم الدين ويمكن القـول ان اعلى نسبـة فى العالم لمتـرددين على الكنيـسة واكبـر تمويل للنشاط الدينى، وكذا اضخم وانشط حركة تبـشيرية ، فى العالم المسيحى كله ، هى بين الامريكيين . وقد شاهدنا فى ثمانينيات هذا القرن مولد الحركة الاصولية المسيحية ونجاحهـا فى التحكم فى نتيـجة الانتخابات حـتى اصبح المرشح لرياسة الجمـهورية ، يحمل فى يد الانجيل وفى اليد الاخرى برنامج حرب الكواكب !

والغريب ان المسـتشار كـان فى امريكا وشاهد ذلك بعـينه فلم يتعلم من زعيـمة العالم التكنولوجى المتحضر العلمانى بزعمه بل جاء يقول ان شعار «الدين هو الحل» هو شـعار مـسـتورد من امـريكا «لقـد شـاهدت بعيـنى ريجان يحـمل الانجـيل سنة ١٩٨٤. . ويقول: هذا هو الحل ! »

انا شـخصـيا الفت كـتـابا بعنوان الحل الاسلامـى سنة ١٩٨٠ قبل ريجـان بأربع

سنوات! وهب اننا تعلمنا ان الدين هو الحل من امريكا ماذا تعيبون فى ذلك . .اليس الانفتاح والاقتباس هو ما تنادون به . . وكيف يكون الذى يصلح لامريكا قائدة العالم الصناعى غير صالح لنا . . عدنا لحكاية حرام على بلابله الدين ؟ !

فالدين لم يخرج من حياة الغرب كما يقولون لكم ، ولا هناك فصل بين الدين والدولة انما الشعار الذى طرح فى اوربا وطبق فى بعض البلدان هو فصل الكنيسة عن الدولة وليس الدين والفارق كبير . . ولكنهم لادخال الغفلة عليكم ، ولتزوير ما يهدفون ولأنه ليس فى الاسلام كنيسة فقد جرى تزوير الشعار فأصبح فصل الدين عن الدولة. .وهم فى الحقيقة يقصدون الغاء الدين الاسلامى فقط !

وقد اثبتنا انه لا وجود لما يسمى فصل الدين عن الدولة فلكل دولة دينها القومى . . بل كنا اول من كتب بالعربية عن صراع الحضارات وان المواجهة بيننا وبين الغرب هى صراع حضارى، بين الحضارة العربية -الاسلامية من جانب ، ضدالحضارة المسيحية البيضاء بشقيها: الغربى الكاثيو- بروتستنتى، والشرقى الارثوذكسى على الجانب الاخر. .وقلنا اننا ندعو لاسلامية الحضارة والهوية والوعى بالمواجهة الحضارية، لتحرير ارادتنا وانهاء تبعيتنا وبناء حضارتنا . .قلنا ذلك من ثلاثين سنة واليوم يصرح به علماء الغرب !ولكن ماذا نفعل ان كان العرب لا يقرأون ولا يتركون الناس تقرأ ![8] فلنعد للسؤال : كيف تم فصل الكنيسة عن الدولة وهل فصلت؟

ربما كان اول صدام حاسم بين الكنيسة والدولة فى العصور الحديثة هو الذى وقع فى انجلترا [9] رغم ان حركة الاصلاح الدينى او البروتستنتية نشأت خارج انجلترا وقبل صدام هنرى الثامن مع الكنيسة . . ولا غرابة فالافكار لها نشأتها المستقلة، ولكنها لا تصبح عقيدة محركة للتاريخ الا حيث توجد التربة المستعدة لاستقبالها ، والراغبة فى تبنيها لأنها تعبر عن حاجة مادية فى هذا المكان المعين والزمان المعين . فالمسيحية مثلا نشأت فى الشرق ولكنها اصبحت فلسفة ودين الغرب، والتشيع ظهر فى بلاد العرب ولكنه لبى حاجة القومية الفارسية ، والماركسية ظهرت فى ألمانيا ليعتنقها أو إن شئت يفسدها الروس والصينيون . . . وهكذا قامت الثورة على البابا

أولا فى القارة . ولكن أشهر الانشقـاقات هى التى وقعت فى تلك الجزيرة التى كانت تبدو بعيدة عن التاريخ فإذا بتلك الثورة الدينية تضـعها فى مقدمة التاريخ ، بل وتجعل منها مـهد النظام الصناعـى الرأسمالى الديمـوقراطى البـرلمانى الذى عرف بالحـضارة الغربية المعاصرة ، وفيها -اى انجلترا - ولدت أيضا أو بالضرورة الكنيسة الوطنية .

والاصل فى المسـيحيـة التى بشر بهـا السيـد المسيح عليـه السلام أنها فـصلت بين الكنيسة والدولة فى عبارة المسيح الشهيرة :اعطوا ما لله لله وما لقيصر لقيصر . . وقد رفض المسـيح صلوات الله عليـه أن يمـارس أى شكل من اشكال الحكم فـرفض أن يرجم الزانية ، ولو كان له الحكم أو جاء صلوات الله عليه ليـقيم حدا أو ينفذ حكما من احكام الشريعـة والناموس لكان بلا نزاع أول قاذف لهـا بحجر - طبقـا لشرطه - ولكنه لم يفـعل لا لأنه ـ بأبى وأمى ـ لم يكـن بلا خطيئـة ، فـهو المعـصـوم الطاهر المطهر، ولكن لأنه جاء برسالة روحية لا دخل لها فى الحكم والعقوبة ، كذلك عندما سأله أحد المؤمنين به أن يقسم له ميـراثه مع أخيه رفض قائلا انه لا دخل له بهذا . . وهذا يكشف تهافت تلامذة المفلسين من المستـشرقين عندما يحاولون اللعب على كلمة احكم بينهم . . بالزعم أن الحكومة المقصودة هى التحكيم أو الموعظة وانها لا تعنى الحكم بمعنى السلطة ! لو كانت مـجرد واسطة خير فلماذا امتنع المسـيح عنها ؟ وكيف تفسرون الاختلاف بين من رفض حتى ان يقـسم بين أخوين فضلا عن أن ينفذ حدا وبين من انزلت عليه تفاصيل الميراث وأمر بتطبـيقها بالقوة وحكم فى كل القضايا التى عرضت عليه ورجـم وجلد وعذر وسجن وقتل وفرض ضـريبة وجمعـها وولى وعزل وحارب وصالح وعاهد وتبادل الاتصالات الدبلوماسية برؤساء الدول ؟

وقد سلمت الكنيـسة بسلطة قيـصر ودعت المسيحـيين للولاء له والابتعـاد تماما عن قضية السلطة . . ولم تحاول الكنيسة الاولى لا مقاتلة قيصر ولا قلب نظام الحكم ولا إقامة أى شكل من أشكال الدولة . بينما هرع المسلمون ينتخبون حاكما قبل ان يدفنوا رسول الله صـلوات الله عليه ، ثم يأتى من نصح عـلى بن ابى طالب بحرمـانهم من العلم فيزعمون أنه لا حكم ولا حكومة فى الاسـلام وانهم فهموا الاسلام افضل من الذين اجتمعوا فى السقيفة يشكلون حكومة وجثمان الرسول لم يبرد بعد !

ونبتلى بمن يتصل بك تليفونيا يسألك " هل صحيح أن سيدنا عمر قتل .. تقول نعم فيسأل وابو بكر تقول :لا.. يشكرك ويذهب ليدبج مقالا فى خطأ الدعوة لتطبيق الشريعة! وصدق من قال :تعلموا الحلاقة فى رؤوس الايتام ..اصبحنا ايتام الدهر !

ولما اعتنق قيصر المسيحية قامت سلطتان ؛ سلطة الكنيسة على أرواح الناس ودينهم فهم يعمدون بعد ميلادهم فى الكنيسة ويشاركون فى طقوسها ويتزوجون فيها ويعمدون أولادهم ثم تصلى عليهم ويدفنون فيها ، بينما انفرد قيصر بالحكم فى كل ما يتعلق بحياة الناس والمجتمع الدنيوية ، وربما كان رفض المسيح ان يكون له أى شأن بالحكم هو أساس اعتقاد الحواريين وآباء الكنيسة الاوائل بأن نهاية العالم قريبة جدا، وأن أمر الدنيا فرغ ولا يستحق الاهتمام به ·

على اية حال مع قوة نفوذ الكنيسة وتدهور الامبراطورية وانقسامها إلى دويلات أصبح البابا يلعب دور الحكم والمرجح بين الملوك والامراء ، وانتهى الى الانغماس فى قضايا الحكم والدولة اكثر من اى حاكم زمنى.

وإذا تأمل المتأمل جوهر المسيحية والاسلام فسيجد انهما التقيا فى الهدف تماما وإن اختلفا فى الطريق .. فالهدف هو -كما قلنا - فصل ما هو مقدس فى الدين غير قابل للنقاش او الاعتراض عن قضايا المجتمع والحكمُ التى من طبيعتها التغير والتبدل وتقوم على أساس نسبية الصواب باختلاف ظروف الزمان والمكان ..

ولأن المسيحية أخذت بنظام الكنيسة التى يرأسها المسيح ، وبالتالى فالمشرفون عليها لهم نفس قدسية المسيح ، وهم فى كل ما ينطقون أو يحكمون أو يحلون أو يربطون تتقمصهم الإرادة الإلهية .. ومن ثم لا تجوز معارضتهم ولا نقدهم ولا حتى الشك فى أحكامهم .. من هنا ولكى لا يقع التناقض حرم على رجل الدين المسيحى الحكم وحرم على الكنيسة ممارسة السلطة الزمنية فبقى الحكم عملا مدنيا قابلا للتطوير..

ونفس النتيجة فى الاسلام .. لأنه يربط بين الدين وإدارة المجتمع أو حياة الناس فقد منع وجود طبقة رجال الدين فلا أحد بعد الرسول ينطق بالوحى ولا بلسان السماء ولا بالسلطة الالهية .. وهكذا فلا قدسية لحاكم ولا لنظام حكم.

ولكن . .

النفس البشرية تتطلع دائما للسلطة ، وكل صاحب نفوذ أو كل من له اتباع يتطلع الى توظيف ذلك للاستحواز على السلطة ، وتحويل رأيه أو إيمانه الى قانون ، سواء لاغراض مادية من النفوذ والثروة والتسلط او لاغراض سامية للتعجيل بتنفيذ برنامجه المفيد للرعايا . . أو كما يقال أن الله ليزع بالسلطان من لا يزع بالقرآن . . ولذلك لم يلتزم رجال الدين بدعوة المسيح بالبعد عما لقيصر بل تحول البابا الى سلطة تصارع وتحارب الملوك ويحاربونها بل اصبحت اوربا يحكمها الكاردينالات الذين احتكروا منصب الوزير الأول الى مطلع القرن الثامن عشر ، وكان من المحتوم أن يتدخل قيصر فى الكنيسة ردا على تدخل الكنيسة فى ما لقيصر، وهكذا اختلط الدين بالسياسة وما لقيصر بما لله ، ووقع التناقض بين ما يفترض من تقديس لرجل الدين وفقا للعقيدة المسيحية وبين ضرورات الصراع السياسى من تبادل الاتهامات بل والاغتيالات . وكان لابد ان ينتهى الصراع بين الملك والكنيسة الى ما حدث فى بريطانيا والمانيا وهولندا. . استقلال الامير عن كنيسة روما .وكان من الطبيعى ان تطالب البروتستنتية التى هى ثورة على ممارسات البابا الدنيوية ، على لسان لوثر بالفصل بين كلمة الله فى الكنيسة وقانون الرب فى المجتمع المدنى ، إلا أنهم فى التطبيق حرصوا على ربط الكنيسة بالسلطة وتحول الامير الى دور الاسقف لأنهم كانوا فى حاجة لحماية عسكر الامير البروتستنتى ضد عسكر البابا والامير الكاثوليكى. . ثم لما دخلت الطبقة الوسطى فى الصراع ارتفع شعار فصل الكنيسة عن الدولة او اخضاع الكنيسة للدولة. . وانتهى بعزل الكنيسة الكاثوليكية أيضا عن الحكم .

ويبدو أن أوربا قد عادت لتستأنف معركة فصل الدولة عن الكنيسة مع العودة الكاسحة للفاتيكان ليصبح أكبر قوة سياسية فى العالم ، و البابا هو أكثر المشتغلين بالسياسة من بين زعماء العالم قاطبة ، فقد خاض معركة ضد الشيوعية وقلب نظام الحكم فى بولندا على الاقل ويحكمها رجاله . . وهو يؤثر فى الانتخابات الامريكية باصدار البيانات ضد سياسة المرشح أو معه ، وهو يفتش على الوضع فى السودان

واندونيسيا وله تصريحات وبيانات حول كل قضية سياسية فى العالم ، ويعد طرفا مباشرا فى الحوار اللبنانى بتبنيه الموقف المارونى ، متدخلا متداخلا فى صميم الشئون اللبنانية السياسية كما أشرنا فى اول هذه الدراسة .

وتأمل كيف كان البابا يستقبل فى بولندا كالقديسين أو كأنه المخلص حقا ، وذلك فى فترة سيطرة الكنيسة الشيوعية على الدولة . . عندما هرع البولنديون الى الكنيسة الكاثوليكية يحتمون بها فى مطالبتهم بفصل الدولة عن الفاتيكان الشيوعى فلما تحقق مطلبهم ، سقطت الدولة تحت سيطرة الكنيسة الكاثوليكية . . من الاحزاب الى المقررات الدينية فى المدارس التى وضعت تحت اشراف الكنيسة منذ ١٩٩١ وفى نفس العام وافق البرلمان على قانون يلزم وسائل الاعلام باحترام القيم المسيحية ، وقد ساندت الكنيسة حزب الاتحاد الوطنى المسيحى فى الانتخابات . .ولكن ما ان ذهبت نشوة التخلص من الكنيسة الشيوعية وكرادلة موسكو ، حتى بدأ التململ من كرادلة روما، وعاد البولنديون يشتكون من « وجود السيد العقائدى الجديد» وقالت نائبة :«ان الخلط بين العقيدة الدينية والتشريع هو اساس قيام دولة دينية . وليست هناك دولة تقوم على الأصولية وتحترم الحقوق المدنية »

وبدأ التراجع فمن ١٩٨٩ الى اليوم هبطت نسبة التأييد للكنيسة من ٩٠ ٪ الى ٤٣٪ ولابد أن تعود الحرب بين العلمانيين ورجال الدين . . ولابد أن تظهر كنائس وطنية ولابد أن يرتفع شعار فصل الكنيسة عن الدولة مرة أخرى ، وتعود الحرب جذعة بين العلمانيين ورجال الدين فى اوربا القرن الحادى والعشرين . . حتى وان كان هو القرن الذى سيشهد عودة الكنيسة للتعبير عن الوطنية .

كل هذا تجنبه الاسلام فى حسم وللابد برفض وجود رجال دين ، برفضه وجود كنيسة مسلمة . فكلنا الصالح والفاسق مجرد بشر نحكم ونعزل ونعدم . . فلم تظهر عندنا مشكلة فصل الدين عن الدولة ولا فصل الكنيسة . . وإنما هى مشكلة تفتعل افتعالا .

ولعلى أذكر هنا ان الحزب الشيوعى المصرى عندما وضع برنامجه عام ١٩٥٠ رفض أن يضع مطلب فصل الدين عن الدولة وقال انها مشكلة لا وجود لها فى مصر

أو فى العالم الاسـلامى وكان هذا هو التنظيـم الشيوعى الوحـيد فى مـصر الذى يدأ متحررا من النفوذ الصهيونى . .

ونعود لانجلترا وكنيستها أو ثورتها على الكنيسة الكاثوليكية التى كانت بداية ظهور الحضارة الحديثة المعاصرة .

اقول يبدو من القراءة السطـحية للتاريخ ان الثورة ضد البابا والكنيـسة الكاثوليكية فى هذا الوقت ، لم تقع حول العقـيدة بل لأسباب جنسية !! فقـد كان هنرى الثامن مزواجا ومتدينا فى نفس الوقت حتى ان البابا كرمه بلقب "حامى العقيدة " لشدته فى التنكيل بالمنشقين عن الكاثوليكية. بل لقد استمر تنكيله بالبروتستانت حتى بعد انفصاله عن روما . .

اراد ملك بريطانيا ان يتخلص من زوجتـه كاترين اوف اريجون ليتزوج "آن بولين " ولما كانت المسيحية ومازالت لا تسمح بالطلاق أو زواج المطلقين فقد كان الحل هو ان يعلن البابا كليمنت السابع بطلان زواج الملك من كاترين . .على اساس انها ارملة اخيه المتوفـى ارثر ، وذلك محرم فى دينهم .ولكن هذا الحل كان يهدد سمـعة البابا وسلامتـه فى نفس الوقت ، اذ انه هو نفسه الذى حكم بشرعـية الزواج على أساس اعتراف كـاترين أن ارثر لم يدخل بها ولذلك فزواجهمـا لم يقع ، ومن ثم فهى تحل لأخـيه الملك هنرى ! وعلى هـذا الاساس ومع هدية مناسـبـة سمح البـابا بالزواج! والان يطلب منه أن يفسخـه على أساس أنها أرملة أرثر أى أن يقلب فتـواه كما يقلب الجورب . . مع ما فى ذلك من إحراج وتلاعب ، ولكن ربما كـانت هدية اكثر مناسبة تجعل البـابا يلين ، لولا العنصر الاخـر وهو ان كاترين هى خالة شـارل الخامس ملك اسبانيا ، امبراطور الامـبراطورية المقدسة ، وأقوى ملك فى اوربا فى ذلك الوقت أو حتى فى العالم بعد السلطان العثمانى .والذى كان يسيطر على البابا وسبق ان حبسه سنة!

ورفض البابا مؤثرا اغضـاب هنرى البعيد على إثارة فيليب الذى يستطيع معـاقبته! ولم يكن هنرى بالذى يتـحدى البـابا ويترك قسـاوستـه واساقفـته يعمـلون ضده فى بريطانيا، فحدد سلطة البابا على رجال الدين فى انجلترا، ثم اعلن استقلاله عن كنيسة

روما، واعلن نفسه السلطة العليا الدينية والدنيوية فيما يمكن وصفه بأبرز صور امتزاج الدولة بالكنيسة!وبنص عبارات دائرة المعارف البريطانية ١٩٩٢: «تولى توماس كرومويل الذى اقترح فصل كنيسة انجلترا عن روما لكى تصبح مجرد مصلحة روحية فى الدولة الانجليزية تحت سلطة الملك الذى هو نائب الله فى الارض»

وهذا هو أصل فرية المتخرصين حول أمير المؤمنين وأنه ظل الله على الارض وهو ما لم يدر بخلد مسلم، بل هو تعبير مستورد من اوربا.

وصودرت أموال الاديرة الكاثوليكية لمصلحة التاج ثم حلت، وبالمقابل نما دور البرلمان ليملأ الفراغ أو ليعيد التوازن الذى كانت تشكله الكنيسة إزاء سلطة التاج. وفى تلك الفترة كان اشهر الذين اعدموا من رموز الكاثوليكية توماس مور وجون فيشر وغيرهما، وفى النهاية قطع رأس كرومويل نفسه وهو بالطبع غير اوليفر كرومويل الذى سيقطع هو رأس شارل. ويؤكد سيادة البرلمان ومولد النظام الديموقراطى وسيسمح حتى لليهود بالسكنى فى انجلترا الا الكاثوليك فسيستمر حظرممارستهم العبادة علنا.

واصدر البابا قرار الحرمان ضد ملك انجلترا، وهكذا بدأت الحرب بين الدولة والكنيسة الكاثوليكية فى بريطانيا.. وليس ضد الدين ولا ضد الكنيسة كمؤسسة بصفة الاطلاق بل ضد الكنيسة الخاضعة والمرتبطة ببابا روما عدو الملك وانجلترا، ونقف لحظة لنتأمل كيف استطاع ملك انجلترا فى القرن السادس عشر ان يغير دين شعبه لاسباب جنسية.. هل حدث ذلك فى العالم الاسلامى الذى يوصف بالتخلف والاستبداد.. الخ؟!

فى الحقيقة ان تصوير الامر على انه خلاف حول زواج هنرى وطلاقه هو تبسيط شديد للأمور.. رغم ان هذا هو السبب الظاهر والمباشروالذى اقتنعت به الأمة، ولكن ما كان هنرى الثامن وورثته لينجحوا فى تغيير دين الانجليز وخلق واحدة من اقوى الكنائس فى العالم المسيحى بل واكثرها ارتباطا بالدولة والوطن والوطنية والجنسية، لولا وجود عوامل وطنية - او ان شئت مادية - مكنت لهذا النجاح بل

فرضته فـرضا . . ففى هذه الفترة بدأ الصراع الانجليزى الأسـبانى على العالم الجديد والسيطرة على البـحار واوربا . وكانت البابوية قد اختـارت أسبانيـا كحامية للعـقيدة الكاثوليكية وذراعهـا أو سيفها فى اخـضاع العالم لسلطة بابا روما وكنيسـته، والعرش الأسبـانى بالطبع ، وسيطرت أسبـانيا على أوربا والكنيسـة . واصبح رجال الكنيـسة الكاثوليكية فى انجلترا طابورا خامـسا لملك أسبانيا من خلال تبعيـتهم لبابا روما المرتبط بالملك الأسبانى أو الخاضع لمصالح العرش الأسبانى . .

ومن ثم كان على انجلتـرا إن أرادت مكانا تحت الشمس ان تقاتل أسبـانيا والباباوية معا.(١٠) ولم يطرح هنرى الثـامن فى البداية اكثـر من تحدى سلطة البـابا ولكن ابنه «ادوارد السادس هو الذى فـرض بروتستنتيـة اكثر وضـوحا ونشر أول كـتاب صلوات بالانجليزية كمـا جرى اضطهاد الكاثوليك، ونبذ عقائدهم .وكـما هى العادة، لابد ان تحدث نكسة او ردة مؤقتة تعمق القرار التاريخى، بل وتضاعف سرعة التحول.وجاءت النكسة عندما تولت العرش «١٥٥٣» الملكة مارى بنت كاترين اياها وكانت كاثوليكية مثل أمها ونكاية فى أبيها أعادت الكاثوليكية وشنقت البروتستنت. وتقول كتب التاريخ أن الانجليز اندفعوا لاعتناق البروتستنتية رغم إرادة الملكة، وهذا دليل الدافع الوطنى، وتعبير القرار عن الارادة التاريخية للأمة .

فلما تولت اليزابث الاولى أعادت البروتستنتية و أصدرت قانونا يعلن أن الملكة هى السلطة العليـا لكنيـسـة انجلترا (١٥٦٣) وان ابدت بعـض التسـامح فـقبلت وجـود الكاثوليك بشرط ان يصلوا مثل البروتستانت وبالانجليزية! اى يكفوا عن ان يكونوا كاثوليك!

والصلاة باللاتيـنـية مازالت محـرمة فى بريطانيـا الى اليوم .وربما كان قـرار تحريم الصلاة باللاتينيـة ، هو قرار أمن اتخذته الدولة الانجليزية ، حتى يـتمكن العسس من مراقبة ما يقوله القساوسة ومنع دعاية البابا وملك أسبانيا . . ربما . . ولكنه اى القرار كان يعبر ويـلبى حاجة تاريخية هى بروز الوطنية الانجليـزية متمثلة فى الاعتزاز بـلغتها ونشر هذه اللغة بمسرحيات شكسبير والصلاة بها وغزوات الاسطول . . وما من عامل يـوحد القومـية ويعـبر عنهـا الا اللغة الوطنيـة ولذلك فإن نفس الانجلـيز الذى يحرمون الصـلاة باللاتينية الى اليوم هم وعملاؤهم فى لجنة تخـريب الوحدة الوطنية

يحاولون شق القومية المصرية ببعث اللغة القبطية ، متحدين الوعى المصرى الذى وحد الصلاة بالعربية اختياريا وبلا قرار منذ اكثر من الف سنة !

نعود لانجلترا، حيث صدر هذا الاسبوع (مارس ١٩٩٣) كتاب بعنوان:

"THE ENGLISH BIBLE AND THE SEVENTEENTH CENTURY REVOLUTION /BY: CHRISTOPHER HILL "

«الانجيل الانجليزى وثورة القرن السابع عشر " بقلم كريستوفر هيل والكتاب يدور حول مقولة ان الانجليز اقاموا ما يسميه الغوغاء بالمجتمع العلمانى عن طريق القيام بثورة دينية . فهم لم يثوروا ضد الدين بل ثاروا بالدين يقول ماركس : «ان كرومويل والشعب الانجليزى أخذوا شعاراتهم وبياناتهم وتطلعاتهم من العهد القديم «التوراة» فلما تم انجاز التحول البورجوازى حل فلاسفة الرأسمالية مثل لوك محل انبياء التوراة » ويفسر البروفسور هيل هذا القول فيقول لقد ترجم البروتستانت فى القرن السادس عشر الانجيل للانجليزية واتاحوه للعامة فتحول الى بيان ثورى استعانوا به فى شن ثورتهم الاصلاحية ، اذ زود الناس بالحجج الدينية التى تصبغ الشرعية على مطالبهم البورجوازية وتبرر الحرب الاهلية واعدام شارل الاول .فقد رأوا فيها صدق ما جاء فى سفر الرؤياعن سقوط عدو المسيح ليحل محله حكم الصالحين ، وانهم هم المنفذون لإرادة الله ، كما أُنزلت فى كتابه .»

«فمن الكتاب المقدس استمد الثوريون والعلمانيون الانجليز فى منتصف القرن السابع عشر سندهم القوى ، لدعم مطالبهم الجريئة فى التغيير الدينى والسياسى والاقتصادى فأصبحت اسرة ستيوارت هى ملوك بابل وفرعون مصر، والاساقفة الكاثوليك هم الفريسيون ، وروما والباباوية هى الصيغة الحديثة لمصر وبابليون وسدوم مدينة قوم لوط .وكان المتطهرون يصيحون فى معسكرات المتطوعين ضد الملك شارل صيحات التوراة: اقطعوا رأس الحية ! الى خيامكم يا بنى اسرائيل! اقتلوا العمالقة ومزقوهم اربا . .شارل هو لعنة الدم الذى بدون قتله لن يعود السلام ولن تتطهر الارض .»

ويلخص البروفسور الذى ناهز الثمانين كتـابه بقوله : "ان التغيير العظيم فى منتصف القرن السابع عشـركان ثورة انجيلية بمعنى ان الانجيل كان مطروحـا لتبرير سلوك ثورى ولكنها سرعان مـا اتبعتها ثورة انجيلية ثانيـة ولكن من نوع اخر وهى رفض النصوص الدينية كأساس للمناقشة بين المثقفين "

وهو نفس مـا حدث فـى العالم الاسـلامى بعـد ان انجز المسلمـون ثورتهم وتأكـد انتصار حضارتهم فاهتموا باثبات النقل بالـعقل . . ولكن كتاب عصر التجهيل يريدوننا ان نبدأ بخلع الدين !

قـام الانجليـز بثورة دينيـة ورفـعـوا الانجيل واتاحـوه للشـعب لكى يحـقق ثورة البـورجوازية الانجليـزية ويبنون الدولة الانجليـزية ثم الامـبراطورية ، واصـبح حكم البورجوازية هو الحكم بما انزل الله . .

واضيف ملاحظة هنا أو قل ملاحظة وعـبارة فقضية اتاحة الانجـيل للناس أو كتمه وحصره بين الكهنة اشار اليها القرآن قبل عـشرة قرون من ثورة البروتستنت ، واعتقد انهم تعلموها من مـوقف المسلمين من القرآن الذى رأوه مـتاحا للعامـة بلا تفريق ولا كهنوت ولا حظر ، بل يبدأ الطفل المسلم حفظ القـرآن قبل ان يتعلم القراءة ، وربما اطلع قادتهم على قوله تعالى: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتـاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ﴾**

[ال عمران: ١٨٧]

لو تساءلنا كيف عـرف محمد فى غار حراء بالقضـية التى لم تظهر فى اوربا الا فى القرن السابع عشـر وكيف اخذ فيها الموقف السليم . . كيف اثبت ان العـهد أو الميثاق أو تعاليم الرب كانت تطلب اتاحة وتبيـين الانجيل للشعب .ولكن الكهنة اخفوه لكى يبيعوا الإيمـان ويبيعوا الانجيل ثم صكوك الغفران بعـد الف سنة . . لو تساءلنا لقالوا اننا نشجع الارهاب !!

اتبع البـروتستنت كلام القـرآن فأتاحـوا الانجيل للشـعب الانجليزى وان احـتفظوا بتعـصبـهم فظهرت نظـرية: «الانجليز شـعب الله المختـاراو الشعب الذى اخـتاره الله»

لتحطيم عدو المسيح اى البابا» وبينما كان قراصنة بريطانيا يدمرون تجارة أسبانيا، ويغيرون على ممتلكاتها عبر البحار ويصبح السير فرنسيس دريك بطلا قوميا لما يكيله من ضربات لاقتصاد واسطول وممتلكات أسبانيا ، وبينما تنتصر اليزابث على اكبر اسطول اقترب من شواطئها حتى ذلك الحين وهو الارمادا الأسبانية ، كان الشعب الانجليزى يندفع للقتال أو الاستشهاد فى تصفية الامبراطورية الأسبانية الكاثوليكية واقامة الامبراطورية الانجليزية البروتستانتية وهو يردد عن اقتناع ان « اليزابث هى التى ستعيد اسرائيل أو اورشليمنا جنة الله على الارض »

الانجليزى كان يحارب ويستولى على العالم لتحقيق كلمة الله ونشر رسالة دينية واقامة مملكة الله أو اورشليمنا الانجليزية وليس لنشر الكفر أو نصر العلمانية أو لفصل الدين عن الدولة الخ الاكاذيب التى روجها الانجليز فى بلادنا لكى يحرمونا من السلاح الذى انتصروا به كما حرموا علينا صناعة المدفع واجبرونا على حرق الاسطول!

وقطع الانجليز رأس ملكة اسكتلندا واعتنق الاسكتلنديون المذهب البرسبتارى وبذلك امكن توحيد البلدين اذ كان من المستحيل – على حد تعبير دائرة المعارف – «ان تتوحد انجلترا مع اسكتلندا الكاثوليكية !»

وتعاظم المد البروتستنتى واستقلال وتميز كنيسة انجلترا خلال حربها ضد أسبانيا والبرتغال الاثيرتين عند البابا حامى الكاثوليكية والذى قسم العالم الجديد بينهما ! ثم خلال الحروب ضد فرنسا حيث اختار لويس الرابع عشر الكاثوليكية مذهبا رسميا لفرنسا والالزاس عندما استولى عليها سنة ١٦٤٨وذبح الهوجنوت والبروتستنت وكل المخالفين الذين فروا الى انجلترا وهولندا والمانيا واصبحوا من غلاة الوطنيين ضد فرنسا لأن الدين كان الوطن .

وهكذا ظهرت اول كنيسة وطنية فى اوربا واول كنيسة تنطبق تماما على حدود الوطن ، أو كما لخصت دائرة المعارف البريطانية دور هنرى الثامن فقالت :«ان هنرى الثامن أعطى أمته ما كانت تتطلع اليه . . أعطاها وطنيتها. »عندما اعطاها كنيستها ودينها الوطنى.

الإسلام وحده فصل الكنيسة عن الدولة !

شرحنا كيف انجزت انجلترا ثورتها الدينية ، واقامت كنيستها الوطنية التى تجسدت فيها الدولة والوطن و شكلت القاعدة والمحرك لبناء الامبراطورية البريطانية. ولقد كان ظهور الدولة القومية فى كل اوربا مرتبطا بكنيسة معينة بل لم تكن هناك تفرقة بين الدين والجنسية والدولة أو كما قال اندرو براون . . :«عندما اخترعت كنيسة انجلترا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر لم يكن هناك فرق واضح بين الكنيسة والدولة فقد كان الناس يسلمون كبديهية بأن كل دولة يجب ان يكون لها دينها و كانت الحدود الدينية تعنى الحدود الوطنية بل وتحددها وكان على المواطن لكى يتمتع بكامل حقوق المواطنة؛ ان يعتنق دين الدولة ، وكانت الدولة على استعداد لحرق الهراطقة أى الذين لا يتبعون تعاليم كنيستها و حتى عام ١٨٢٨ كان من المستحيل فى بريطانيا ان تصوت أو ان تنتخب أو تشغل اى منصب حكومى الا اذا كنت منتميا لكنيسة انجلترا. وحتى السبعينات من هذا القرن (١٩٧٠) كان لابد من تغيير القانون ليسمح بتعيين رئيس لمجلس اللوردات من الكاثوليك ،اما الان فلا يشترط ان يكون من المذهب الانجيليكى الا العاهل وزوجه «الملكة وزوجها أو الملك وزوجته» ومازال رجال الدين يتمتعون بعضوية مجلس اللوردات ويحضرون بثيابهم الكهنوتيه وبصفتهم هذه ولهم نفس حقوق الاعضاءفى الحديث والتصويت ويسمونهم اللوردات الروحيين فى مقابل اللوردات الدنيويين أو العلمانيين .»

وقد قلنا منذ ثلاثين عاما ان دين الدولة هو اختيار حضارى او الهوية الحضارية للشعب وقد لا ينطبق تماما على التدين ولا حتى على دين الفرد المواطن. . وهو ما تؤكده الدراسات التى نشرت هنا والتى تثبت ان المترددين بانتظام على الكنيسة الوطنية فى انجلترا اقلية مذهلة بالنسبة للتعداد العام بل واقل من المتدينين الكاثوليك.[١١] ومع ذلك فهى الكنيسة الوطنية لأنها الهوية التى ميزت بريطانيا عن المسيحية الاوربية ، كاثوليكية كانت او بروتستانتية وليس لأنها - كما يقول كاتب الدراسة - تعقد قران ثلث المتزوجين سنويا، وتنصر ربع الاطفال. وربما كان الاقرب

للدقة هو قول الدكتور هابجوود فى رسالة للتايمس : «ان الناس فى يسرهم وعسرهم حتى غير المتدينين يلجأون الى الكنيسة الانجليزية لأنهم يعتبرونها كنيستهم ـ»

بل حتى الذين ثاروا ضد قرار تكريز قسيسات فى كنيسة انجلترا وقرروا اعتناق الكاثوليكية . . ساعدتهم كنيسة روما باعلان انه يمكنهم ان يكونوا كاثوليك انجيليكان (تصريح الكاردينال بازل .) ويقود اسقف لندن المنشق حركة الانجلو -كاثوليك، وتقول التايمس انه يشجع اللجوء الجماعى الى روما «افتتاحية تايمس ١٩ فبراير ١٩٩٣»

ولو سمح لنا القارئ ان نستخدم تفسيرنا المادى للتاريخ فهل يمكن القول ان هذا الاتجاه لتوحيد كنيسة انجلترا مع الكنيسة الاوربية الكاثوليكية ، ولو انه يبدو مرةاخرى كخلاف جنسى ، الا انه يعبر فى نفس الوقت عن اتجاه الوحدة الاوربية وانتهاء المرحلة التى بدأت بظهور القوميات الاوربية فى القرن السادس عشر وتصارعها؟ وهل ان ظهوره كانشقاق فى كنيسة انجلترا فى نفس الوقت الذى ينشق فيه حزب المحافظين حول اقرار معاهدة الوحدة الاوربية هو مجرد مصادفة(١٢) كما كانت ازمة زواج هنرى الثامن مع ظهور الصراع الانجلو اسبانى ثم الانجلو/ فرنسى على تجارة العالم وسيادة البحار والمستعمرات؟

ليس فى التاريخ صدف . .

ثم تأمل هذه المفارقة بل المطابقة:

اصبح الاسلام هو الدين الثالث او الرابع فى بريطانيا ، واشتدت مطالبة المسلمين بالاعتراف بمدارسهم الخاصة الاسلامية ، وارتفع الاحتجاج حتى من الصحافة البريطانية على انكار حق المسلمين البريطانيين وحدهم فى ممارسة حقوقهم الدينية فى ادارة مدارس اسلامية خاصة وقد اصبحنا فى نهاية القرن والتاريخ معا !ولم يعد من الممكن الاستمرار فى القهرالغبى المكشوف للمسلمين وحدهم.

احست حتى الصحف البريطانية ان استمرار التمييز الصارخ ضد المسلمين قد يفتح عيونهم، ويعرقل عملية ابادة الاسلام فى بلاد المسلمين ذاتها .كتبت صحيفة

الاندبندنت : «المدرسة الاسلامية مهددة بالاغلاق . ابلغ المشرفون على المدرسة الاسلامية فى برنت بشمال لندن آباء التلاميذ بأنهم سيضطرون لاغلاقها اذا ما رفض طلبهم فى الحصول على دعم الحكومة . والمدرسة بها ١٨٠ تلميذا وهى تجاهد منذ عشر سنوات لكى تعامل بنفس المعاملة التى تنالها اكثر من اربعة الاف مدرسة خاصة للكاثوليك والانجليكان واليهود وكلها تدعمها الحكومة». (الاندبندنت ٢٤/ ٣/ ٩٣)

الا مدرسة المسلمين !!

اما التايمس فكانت اوضح واعرف بما يجب ان يتبع فخصصت افتتاحيتهاللدعوة للاعتراف بالاسلام والمسلمين ومدارسهم ولكن . . نعم ولكن فى اطار الالتزام بالاختيار الحضارى للدولة . تحت عنوان :« حان وقت قبول التعددية ، قالت التايمس : ان على السيد جون باتن وزير التعليم ان يتخذ قراره فى قضية اعتماد اول دعم حكومى لمدرسة اسلامية . ان فكرةوجود مدارس اسلامية تصدم الكثيرين هنا ، ولو ان هناك بالفعل عشرين مدرسة خاصة اسلامية فى بريطانيا وكلها تتميزبجدية تعليمها . ورغم انه من المبادئ المقررة ، دعم الدولة لأى جماعة تفتح مدرسة خاصة اذا استطاعت ان توفر١٥ ٪ من مصاريفها . ورغم ان كنيسة انجلترا تدير ربع مدارس بريطانياويتنظر ان تزيد النسبة . ولم يعد من الممكن التوفيق بين هذه الحقائق وبين الرفض الفورى العدائى للمدارس التى تقوم على التبرع الاختيارى للمسلمين! «فى بلاد المسلمين فقط يمكن ذلك ، ففى احدى البلاد العربية يوجد للفاتيكان ٧٧ مدرسة ولجمعية من المهاجرين غير المسلمين فى كندا ٤٥ مدرسة، فى هذا البلد العربى المسلم . . بينما اغلقت حضانة اطفال اسلامية بالشرطة . انظر كتابنا الناصريون قادمون»

وتأمل أعزك الله . . ان التايمس تقول فى نهاية القرن العشرين انه قد آن الأوان للانجليز لكى يقبلوا بالتعددية! والاسلام قبل التعددية منذ القرن السابع فأصبحت لليهود والنصارى مدارسهم ، بل وشهدوا ازدهار ثقافتهم الدينية على نحو لم يعرفه اليهود بالذات ولا عندما كانت لهم دولة !

نتابع افتتاحية التايمز :

«ان قبـول وجود المدارس الاسـلاميـة لن يكون اختـيارا سهـلا«!!» وهى لابد ان تخضع للتفتـيش للتأكد من ان المدرسين يلتزمون بالبرامج العامـة والشهادات الوطنية وان القضايا الثـقافية الحساسـة مثل التاريخ والجغرافـيا لن تجرى اسلمتها كـما يتمنى بعض الاصوليين «. . .» وكذلك تأمين وضع التلميـذات فلا يفرض عليهن الحجاب ولا يُعلمن ان العـباية هى اللبـاس الطبيعى لـلمرأة ، فكل مدرسـة دينية فى بريـطانيا ملزمة باعداد طلبتـها لمواطنة ديموقراطية بقدر ما تعلـمهم التدين .وهذه المبادئ يجب فرضها . »(التايمس ٢٢/ ٢/ ١٩٩٣)

نستميح القارئ لحظـة لكى نشرح ما جاء فى افتتاحية التـايمس وقد تخصصنا منذ زمن فى الكتابة للمغفلين:

١- هناك رفض فورى وعدائى فى بريطانيا - العلمانية بزعمهم - لمطلب الاعتراف بمدارس خاصة للمسلمين رغم مـخالفة هذا الرفض للقانون والعرف والواقع ، ورغم ان كنيسة انجلترا تدير ثلث المدارس فى بريطـانيا والرقم فى ازدياد والكاثوليك واليهود والانجليكان لهم اربعـة الاف مدرسة خـاصة دينية . . الا المسلمـين !وبالطبع هذا هو عكس ما اجـبرونا عليه بقـوة الاحتلال من علمنة تعليـمنا والسماح لجـميع الكنائس الاجنبية بفتح مدارس خاصة دينية فى بلادنا قبل قرنين ، وقالوا لنا ان هذا هو التقدم والتحرر وان الذى لا يفعله يكون رجـعيا اصوليا متخلفا مـثل الانجليز الى نهاية القرن العشرين !

٢- تقـول التايمس ان منع المدارس الاسـلاميـة لم يعد ممكنا وعليـه يسمح بـها بشـرط ان تخـضع لنظام الشـهادات الانجليـزية وعندنا اسـتطاعت شـهـادة الجى سى البريطانية ان تمحق وتذل شهادة التوجيهية وتدخل اطفالا الجامعة !

٣-تعترف التـايمس ان قبول مدارس المسلمين هو امر كـريه وابغض الحلال ولكنها تقبل بشرط منع اسـلمة التاريخ والجغرافـيا بالذات . . وهما لب الاختيـار الحضارى واسـاس تكوين الامـة والمواطنة والانتـمـاء فـلا يمكن لهـذه المدارس تدريس الفـتح

البريطانى لمصر على انه استعمـار وهزيمة للاسلام .ولا يمكن الانحياز لصلاح الدين ضد ريتشـارد قلب الاسد «المدارس التابعـة للفاتيكان فى لبنان تأخذ جانـب ريتشارد» ولايمكن ان تدرس لطالب مـسلم بريطانى خطأ وعد بلفـور ولا تقسـيم فلسطين ولا حتى الحـديث عن فلسطين التى محيت مـحوا من دائرة المعارف البريطانيـة . . كذلك يجب الاخذ بوجهة النظر البريطانية المسيحـية فى الحجاب وهذا ما لا تسامح فيه بنص كلمات التايمس ، وقس على ذلك .

وللمقارنة البريئة ليس الا . .نشير الى ما كشفته الاستاذة «مايسة عبد الرحمن» فى صحيفة الاهرام الغـراءعما يحدثه الامريكان من تطوير فى برامجنا التعلـيمية -جزاهم الله ما يستحقون ، واعطى معاونيهم من المـصريين بعضه - قالت الاستاذة مايسة ان مـركـز تطوير المنـاهج والمواد التـعليـمـيـة الذى انشـئ عـام ١٩٨٨ بأمـوال المعـونة الامريكية[١٣] ويضم مـجـمـوعـة من المستـشـارين الامـريكـان وترأسـه السـيـدة كوثـركوجك. . و شـارك فى اعداد الكتب لطلبـتنا كمـا تقول الكـاتبة « ٢٩ اسـتاذا ومستشارا امريكيا بمركز تطوير التعليم بواشنطن»

وقرر الامـريكان اننا وبحمد الله لا نحـتاج مسـاعدتهم فى تطوير علوم الطبيـعة او الكيمـياء او الرياضة فـنحن فى هذه عال العال وليس فى الامكـان ابدع مما هو كائن، فاسـتمتـعوا بتخلفكم لا غـفر الله لكم ! أما اين يكمن قـصورنا واين نحتـاج لمعونة الخبراء الامريكان . .

حزر فزر . .؟ ولو كنت ذكيـا لالتقطت الجواب من افتتاحـية التايمس ولقلت على الفور: فى التاريخ والجغرافيا !

طبعا !

لأنه لا يجوز اسلمتهما لا فى برنت شمال لندن ولا فى الغورية شمال المغربلين!

وقد تولت المعونة الأمـريكية «منع اسلمة »التاريخ والجـغرافيا فى مـدارسنا فأصبح يدرس للطلبـة فى بلادنا اتـهام النـبى صلوات الله عليـه «بالطمع والرغـبـة فى الملك والسلطان قـالوا :« لم يقنع بتأسـيس دولة عـربية وانما اخـذ يطمع (اللى هو حضـرة

النبى) فى مد سلطانه الى ارضهمــا الفرس والروم» ودرسوا لاولادنا او ايتامنا خريطة كتب عليها «يثرب اليهودية » مكان تلك التى كانت تسمى المدينة المنورة!

والحمد لله ألغى هذا الكتاب كما اكــدت كاتبة الاهرام التى تضيف انهم استأصلوا تدريس التاريخ الاسلامى «فـعلى مدارسنوات الدراسة من الابتدائى الى الجامـعة نجد انه تقلص تقلصــا حادا حــتى اقتصــر تدريسه على الـصف الثانى الاعدادى فـقط من خلال ٤٠ صفحة لا غير بعد ان كان يدرس ايضا فى الصف الخامس الابتدائى والثانى الثانوى. ./ ٤

«منهج الصف الخامس الابتدائى تحول من التاريخ الاسلامى الى التاريخ الفرعونى وبه ملحق صغيــر عن مصر الاسلامية وصلاح الدين الايوبى ثــم بتر الجزء الاسلامى وتحول الكتــاب الى الانسان والبـيئة ويشــتمل على بعض الاجـزاء الفرعونـية، منهج الصف الثــانى الاعــدادى تحول من كــتــاب «معــالم التــاريخ الاســلامى» وكله تاريخ اسلامى الى« مصر والعالم الاسلامى » ثم مصر والوطن العربى وكله تاريخ فرعونى فيما عدا فـصلين موجزين فى اخر الكتاب .وبذلك تم التركيــز على التاريخ الفرعونى فى كل المراحل التـعليميــة بينما اقـتصر التــاريخ الاسلامى على عــام واحد وفى ٤٠ صفحة . . » (١٤) كما تكشف الكاتبة عن الكتب التى صممت للاطـفال لتبغيضهم فى الحجاب والتــراث والتقاليد الاسلامــية « انظر الاهرام سلسلة مقالات الاستــاذة مايسة عبد الرحمن من ١٨ مارس ١٩٩٣ »

انهم يعرفون مــا الذى يحمى الاوطان والاديان فيحرصــون على إلزام المسلمين به فى بلادهم وتطالب بــه التايمس الـعلمانيــة التـقــدميــة ، ويمنعــونه او يدمــرونه او يختصرونه او يعفون المسلمين منه فى بلادنا !

نعود لحديثنا عن ارتبــاط الدين بالدولة فى بريطانيا فنشير لهذا التـقليد الهزلى فى النظام البــريطانى الذى يوضح لك ارتباط الدين بالـدولة وحتمـية خـضوع او انتــماء الحاكم لدين الشعب بعد ان انقلب الشــعار من : الناس على دين ملوكهم الى الملوك على دين شـعــوبهم . . فكمــا قلـنا ولدت كنيـســة انجلـترا وعـبــرت عن الوطنيــة

الانجليزية. . والانجليز كانوا الاغلبية السياسية والتاريخية التى اخضعت اسكتلندا وايرلندا وويلز. . الخ ولكن القومية الاسكتلندية رغم هزيمتها ظلت حية وتمثلت فترة فى الاصرار على الكاثوليكية ثم تحولت الى كنيسة خاصة هى البرسبتارية . . وملكة بريطانيا يفترض فيها ان تمثل انجلترا واسكتلندا ولذا فإن الملكة طالما هى موجودة فى انجلترا فهى عضو ورأس الكنيسة الانجيلية ولكن بمجرد ان تعبر الحدود الى اسكتلندا تخرج من المذهب الانجليكى وتنتمى الى البرسبيتيريان!!

ولنقف لحظة لنلخص ما قلناه :

١- النهضة الاوربية الحديثة التى بدأت فى بريطانيا او فى انجلترا بالتحديد بدأت بعودة الحمية الدينية باعتناق دين وليس بالتخلى عن الدين ، بدأت بالتحام صريح ومباشر وكامل بين الدولة والدين ، اذ اصبح الملك هو رأس الكنيسة الوطنية الجديدة التى انشئت انشاء لتعبر عن الوطنية الصاعدة وتحمى استقلالها. ومن هذا التلاحم بين الوطن والشعب. .القومية والدولة والكنيسة والدين . .تحققت معجزة هذا الشعب الصغير حجما وارضا والبعيد عن مركز العالم ، ولكنه واجه العالم بحمية الايمان بدين جديد ، فأقام اقوى دولة فى العالم وترك بصماته بعد سيطرته على تاريخ وجغرافية الدنيا كلها .

٢- لا معنى لقولهم فصل الدين عن الدولة بل المقصود والاصح هو فصل الكنيسة عن الدولة . وليس صحيحا ان كل الدول المتقدمة فصلت الكنيسة عن الدولة فهاهى بريطانيا مهد العالم الصناعى لازالت الدولة فيها مرتبطة بالدين على نحو يضارع ان لم نقل يفوق الوضع فى اى بلد مسلم . وترتبط فيها الكنيسة بالدولة فى المظاهر التى عددتها الصحف البريطانية خلال ازمة العرش واهمها : تتويج الملك اى مراسم تنصيبه وهو احتفال دينى تماما- بنص كلمات صحيفة ألاندبندنت - يتم بكل الطقوس الدينية ، ويقوم به الكاهن الاكبر او اسقف كنتربرى ولا يصبح الملك ملكا شرعيا الا بعد رسمه من قبل الكاهن القس . وتقول الدراسة التى نشرت فى لندن عن مشاكل المطالبة بفصل الدولة عن الكنيسة ان « التتويج هو اجراء دينى لا يمكن بسهولة جعله علمانيا فمن الصعب ان نجد احدا غير اسقف كنتربرى يصلح لتتويج

الملك ؟ وايضا اذا حصل خلاف داخل الكنيسة فمن يكون الحكم الا الملك ؟»

وفعلا عندما نشب الخلاف داخل الكنيسة حول قرار السماح برسم قسيسات لجأ رجال الدين المعارضون لهذا القرار، للملكة طالبين تدخلها لمنع تنفيذ القرار !ها هم قد طلبوا من قيصر الا يدع ما لله لله بل يحكم فيه ويأمر ! وكان فى مقدمة الكاتبين للملكة الراعى انطونى برسكوت زعيم الكهنة المعارضين فى برمنجهام ، وبرررت التايمس «١٤ فبراير ١٩٩٣» هذا الطلب بأن الملكة تعتبر «هى السلطة العليا لكنيسة انجلترا»

وقد دعا الدكتور هابجود اسقف يورك لتغيير القسم الذى يقسمه الملك عند تتويجه «للاعتراف بأننا نعيش فى مجتمع مسيحى امى متعدد العقائد وهذا يجعل قادة الاديان الاخرى يلعبون بعض الدور فى مراسم التتويج كما فعلت كنيسة اسكتلندا فى مراسم التتويج الماضى ! «لأول مرة تشترك كنيسة اسكتلندا فى مراسم تتويج ملكتها كان فى عام ١٩٥٣ !!»

ورد اسقف كانتربرى الدكتور جورج كارى انه يؤيد ما قاله الدكتور جون هابجود اسقف يورك حول ضرورة تعديل مراسم التتويج لتعكس الاعتراف بمجتمع متعدد الاديان ولكنه اضاف ان القسم الذى يحلفه الملك لتأكيد الارتباط بكنيسة انجلترا سيكون من الصعب تغييره.»

وبعكس ما يروج المضللون عن فصل الكنيسة عن الدولة منذ قرون مازال النقاش على اشده فى بريطانيا :هل من المصلحة الفصل ام لا ؟! فهو لم يقع بعد!

ويقول المؤيدون لفصل الكنيسة عن الدولة فى بريطانيا ان ذلك سيحرر الكنيسة من سيطرة الدولة ، وينفى عنها تهمة الخضوع لها وخدمة مصالحها بينما يرى انصار استمرار الربط بين الكنيسة والدولة ان هذا الفصل سوف يكون بمثابة الاعلان بأن بريطانيا لم تعد دولة مسيحية ، ويطالب جون تايلراسقف سانت البانز ، بالربط لمصلحة الإمة لأنه يجعل الدين جزءا من حياتنا الدستورية ، وهو لمصلحة الدولة لأنه يمنع الكنيسة من ان تتحول لديكتاتورية ، او سلطة لا معقب عليها . ولأن المسلمين

والكاثوليك لا يوافقون علـى ارتباط الكنيسة والدولة ، فإن دكـتور هابجود يريد ان يبقى كنيـسة انجلترا الكنيســة الوطنية مع التخـفيف من صفتـها ككنيسة الدولـة . فهو يعتقد انه لابد من وجود كنيسة يذهب اليها الانجليز من المؤمنين وغير المؤمنين»

بل ان القانون هناك ظل حتى سبعينات هذا القرن اى منذ عشرين سنة فقط يحظر المناصب الكبـرى على الذين لا ينتـمـون لدين الدولة الرسـمى .. ونحن يا بنى نلام لأننا لم نضم يهود خيبر فى السقيفة قبل الف وخمسمائة سنة !!

وحتى اليوم مازال القـانون فى بريطانيا يشترط ان يكون رئيس الدولة مسـيحيا من المذهب الانجليكانى اى من اتباع كنيسة انجلتراهو ومن يتزوج ، ويعلن الانجليز اتفاقهم مع الكنيـســة بأنه لا يمكن ان يتـولى عرش بريطانـيا من يتـزوج مطلقـة او مطلقٌ او مـرتكبٌ لجريمـة الزنا ، لأن ذلك مـحـرم فى دينهم . ولا يمكن ان يحكمـهـم من يخالف تعـاليم الدين او تعليمـات الكنيسة . وعندمـا انفصل شارل عن زوجـته ثارت الشكوك حول صلاحيته لتولى العـرش وقد سألوا اسقف كانتربرى : « هل يمكن ان يكون الامير شارل هو رأس الكنـيسة وحامى العقيدة - كـما هى ألقاب الملك - قال اننا نتوقع من قادتنا ان يتبعوا التعاليم والاخلاق المسيحية »

وقالت النيويورك تايمز مجازين فى مقالها الذى دعت فيه لخلع بيت وندسور ونقل العرش لحفيد جورج الخـامس بدلا من الامير شـارل قالت : « من الواضح ان بيت وندســور غيـر قـادر على اداء الوظائف الدسـتورية للملكيـة الدينيـة والاجـتمـاعيـة والسياسية، فالملك هو حامى العقيدة ودعامة كنيسة انجلترا (UPHOLDER) والأمير شارل الذى من المؤكد ان حياته الزوجـية ستنتهى بالطلاق ، لا يمكن ان يكون رأس الكنيسة التى ما زالت تحـرم الطلاق .من الصعب تصور الامير شارل كحـامى العقيدة كمـا سيكـون من الصعب على الجناح التـبشـيرى فى كنيـسة لـندن قبـول زان كرأس للكنيسة .

والملكة تقسم عند تتويجها على حماية الكنيسة ، وهى كرأس للكنيسة يجب ان تقر كل تشريعـات الكنيسةالتى يسنها المجـمع المقدس ولا سلطة للبرلمان عليـها .. وكان

للعرش منذ هنرى الثامن الحق فى تعيين جميع رجال الكنيسة ولكن مع انتقال سلطات الدولة الى البرلمان ممثلا فى رئيس الوزراء انتقل هذا الحق معه فأصبح ينفذ بواسطة رئيس الوزراء ثم عدل الحق فى ١٩٧٧ ليصبح حق الترجيح بين مرشحين من قبل مجلس يعينه التاج ويضم ممثل الملكة واسقف كنتربرى وممثل عن المجمع المقدس وممثلين عن الشعب .وبالطبع فالذى يعين رئيس الكنيسة يملك خلعه . . وهذا فى بريطانيا .

وربما يحسن هنا ان نتوقف عند نادرة فى سفر الدين والدولة فى مصر . . فدعاة الغاء الدين من حياتنا لا يكفون منذ ستين سنة عن ترديد حكاية او موقعة تتويج الملك فاروق! ، وللاسف سقط فى احابيلهم بعض المؤرخين الاسلاميين !

فقد اراد القصر ان يقيم احتفال التتويج فى الازهر بوصفه اقدم مؤسسة مصرية او لاعطاء الملك الصغير شعبية دينية . ويقول المعادون للدين ان ذلك كان بهدف اعلانه خليفة وانه يحكم باسم الدين وان الدولة فى مصر دينية الخ الخ الخ وان هذا الاتجاه كان بعلم وقبول بل وتحريض الانجليز الذين يريدون عزة الاسلام واسلمة الدولة فى مصر ، لولا ان تصدت لهم الحركة الوطنية ، ممثلة فى حكومة الوفد فردت كيدهم وافشلت مخطط بريطانيا العظمى فى الثلاثينيات ومنعت التتويج فى الازهر!!

وقد رددنا على هذه الترهات فى كتابنا "الا فى الفتنة سقطوا." وتأمل كيف ان ملك بريطانيا يتوج فى الكنيسة وعلى يد قسيس وفى حفل دينى بالكامل كما تعترف صحافة بريطانيا تم ذلك فى الخمسينات وسيتم مرة اخرى ولو فى القرن الحادى والعشرين ، بينما خلف جلد الاجرب يدعون انهم كانوافى الثلاثينات اكثر تقدمية وعلمانية من بريطانيا !

والحقيقة ان رجال القصر ارادوا تتويج ملك مصر مثل ملك بريطانيا (١٥) وما كان الانجليز ليقبلوا ذلك ، فاستفزوا الوفد باشاعة ان برنامج القصر على هواهم، فعارضه الوفد فورا بمنطق الوطنية السوقية .كما يمكن القول ايضا- ولعله التفسير الاصح - ان الوفد عارض البرنامج ليس انطلاقا من تفسيرات الملحدين عن العلمانية

وفصل الدين عن الدولة الخ فـالوفد كان يحكم ويتمسـك بدستور ثورة ١٩١٩ الذى يعلن ان دين الدولة هو الاسلام فما عليه ان يتـوج رئيس الدولة اسلاميا ؟ وما كانت الفتنة قد استشـرت حتى يتقول احد ان فى ذلك مساسا بالوحـدة الوطنية بل كان اكبر قبطى فى السياسة المصرية وسكرتير حزب الوفد يقول :انه « مسلم وطنا نصرانى دينا» وهى كما قلنا اروع ما قـيل فى تلخيص الدين كهوية حضاريـة ووطنية . . وما كانت مصر فى الثلاثينيـات لتكون فى مثل تعصب بريطانيا فتقـصر الحفل على شيخ الازهر بل كان بطريـرك الاقباط سـيحضـره ،وما كـانت لتكون المرة الاولى التى يدخل فيـها القساوسة الاقباط الازهر. .

باختصار لم يكن هناك اى سبب دينى او علمـانى يدفع الوفد لمعارضة تتويج الملك اسلاميا، ان صح التعبير!

ولكن ربما رأى الوفـد - عن حق - انه لا وجـه لوضع الازهر فى مـوقع كنيسـة كنتربرى . فالازهر جـامعة وليس هيئة لاهوتية ولا كهنـوتية بأى حال من الاحوال ، ومكانة الازهر الدينية والشعبية مستـمدة من تاريخه السياسى فى تمثيل الشعب والذود عن هويته ،ولأنه يفترض فيه انه يضم اعلم الناس بالدين ، ولكنه ليس هيئة دينية ولا علماؤه رجـال الدين بالمفهـوم الكنسى او اليهـودى . . واهم من ذلك كله ان الازهر ليس مؤسسـة دستورية من ناحية نظام الحكم ، لذلك رأى الوفـد انه لو قبل ان يتوج الازهر الملك ، او حـتى ان يتم التتـويج فى الازهر، فـستـضاف سلطة زمنيـة الى السلطات الدستـورية بل قد توضع فوق السلطتـين التشريعـية والتنفيـذية .ولو كانت سلطة دينية مـقدسة لما عارضهـا ولكنها سلطة دنيوية لا مكان لهـا فى الدستور .وربما روج جهاز الـوفد المحنك اشاعة افـساده لمخطط الانجليز لمنع القصـر من اثارة الشعب والازهر .

ولعله مما يكشف زيف دعوى العلمانيين او اعداء الاسـلام ان يعقد الدارس مقارنة بين حجم العـنصر الدينى فى العرش البـريطانى فى نهاية القـرن العشـرين ، ورئاسة الدولة فى الاسلام لا فى عهد ابى بكر ولا فى عهد مـعاوية ولا ابى جعفر المنصورولا السلطان قلاوون فليـس فى الاسلام كنيسـة يتوج فيـها رئيس الدولة ، ولا رجل دين يقوم بطقوس البيـعة . بل لعلها ليست مصادفة ان الخلافـة الاولى لم تتم فى مسجد بل فى مضيفة او قـاعة اجتماعات . . سقيفة بنى سـاعدة المشهورة التى اعطت الدنيا امجد نظمها واخلد عصورها واساس ديموقراطيتنا . .

بل الارجح انهـا لم تكن مصـادفة بل لحكمـة خالـدة من لدن حكيم عليم تأكيـداً لصلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان ، حتى يتمكن المواطن غير المسلم من الاشتراك فى عمليـتى الترشيح والانتـخاب ، ولو تم اقرار الخلافـة وبيعة ابى بكر فى المسـجد لأصبحت سنة !

واذا كان البعض قـد التبس عليه لقب الإمام فـيظنه مشتقـا من إمام الجامع وخلع بذلك صفـات دينية على الخليـفة او الحاكم فى الاسـلام ، فهذا من جـهلهم او سوء طويتهم . فلفظة إمام لا تعنى منصبا دينيـا ولا قدسيا بل تعنى القائد او الحاكم فلكل امة او جماعة إمامهـا ؛ مسلمة كانت او مشركة . . ﴿ يوم ندعوا كل اناس بإمامهم﴾ وكما ان هناك ﴿أئمة يهدون بأمرنا﴾ فهناك ﴿ أئمة يدعون إلى النار ﴾. ويأمرالله المسلمين : ﴿وقاتلوا أئمة الكفر﴾ فهو منصب او دور للخير والشر وليس رتبة دينية!

واذا كانت الشبـهة معذورة فى بداية العصـر الاسلامى حيث كان الخليفـة هو اكبر شخصية اسـلامية دينا ودنيا . .الا ان المزور وحده هو الذى يعتبـر خلافة بنى امية او العباسيين او العثمانيين حكما دينيا او دليلا على التشابه مع علاقة الكنيسة بالدولة فى اوربا المسـيحـيـة . . وان كـانت بعض العبـارات وبعض الاوصـاف قـد خلعت على السلطان العثمانى فى عـصور متأخرة ، فقد كان ذلك تشبـها بمعاصريه من ملوك اوربا واقتباسا فـاشلا لنظرية الحق الالهى التى كانوا يحكمون بها وتقبله رعيـتهم كمصدر

لشرعية حكمهم واحكامهم .

بينما لـم يحدث فى اى عصـر أن اقتنع المسلمـون بأن الخليفة أو أى أمـير يتـمتع بصفة غير بشرية او بحق الهى . بل هى بيعة بإرادة المسلمين ورهنا باستمرار ارادتهم. فإن كانت ميراثا او حتى اغتصابا بالقهر والتغلب ، فهو لا ينال الشرعية الا ببيعة ولو صورية. . المهم انه مـا من سلطة الهية تولى ولا تحكم . . بل الأمر للـناس أصحاب البيعة ، فكيف تصبح بيعة البشر الذين يمشون فى الاسواق بيعة الهية او حقا الهيا ؟!

والخليفة الاول يعترف علنابأنها بيعة الناس وان من حقهم ان يستر-جعوها بعزله . وأقوى حاكم فى عـصره ، عمر ، يعترف بحق الناس فى مـعارضة سياستـه وتقويمه فوعده مسلم من عامة الناس بتقويمه بـالسيف فحمد الله وشكره ان فى أمة محمد من يعده بالسيف ان ظلم الناس!

وبعض المسلمـين حاولوا اجـبار الخليـفة الـثالث على خلع نفـسه ، فلمـا رفض قـتلوه، وقد فندنا اى ادعـاء بحق الهى فى القـول المنسوب لعـثمـان رضى الله عنه: «ماكنت لاخلع قميصا ألبسنيه الله ».

فالاصل فى الحق الإلهى ليس مجرد ادعاء الحاكم بل وقبول الرعية لهذا الادعاء . والمسلمـون الذين عاصروا انـتخاب عـثمـان والتنافس الحاد الذى كـان بينه وبين على رضى الله عنه وحسم هذا التنافس بالتصويت وترجيح عبد الرحمن بن عوف . . وكذا الاجيال من المسلمين الذين جاءوا من بعدهم وقـرأوا نقاش العلماء والفقهاء حول هذا الانتخاب ، ما كـان يدور بخاطرهم ان عثمان تتقمـصه روح القدس او يحكم بموجب قرار الهى لا يمكن تعديله . .

ولم يأخذ هذا الموقف الذين حاصـروه فقط بل فقهاء الاسلام الذين ادانـوا اغتيال عثمان . . وقالوا إنه كـان الواجب عليهم محاكمته فإن ثبتت ادانتـه طالبوه بالاستقالة واخذوه بالشدة حتى يستقيل!

تخيـل اننا فى القرن الـسابع قبلنا مـبدأ مـحاكمـة الملك وعزله . . ولم يقـبل هذا الفهم، فى بريطانيا ، الا فى القرن السابع عشر، والثامن عشر فى فرنسا !

أُقـر مبـدأ الخلع فى الاسلام وعـمل به منذ الخليـفة الاول ،واسـتقـر فى عقليـة المسلمين وضميرهم. . ابو مـوسى الاشعرى ممثل على بن ابى طالب خلع عليا رضى الله عنه رابع الخلفـاء الراشدين . والحسن خلـع نفسه من الخـلافة . واقـر المسلمون ذلك واعترفوا بشرعـيته حتى غلاة الشيعة بدليل انتقـال الامامة للحسين وليس لأولاد الحسن . . وتعددت حوادث الخلع حتى اخر خليفة عثمانى . . ومن ثم فلا اساس على الاطلاق لوصف الخلافة بالسلطة الإلهية او الحكم بالحق الالهى --- الخ

باختصار لم تقم شبهة فى عـقل المسلم السنى حول مدنية وبشرية نظام الخلافة . . الا فى هذا العـصر عندمـا اضطرب الفكر واخـتلطت الامـور وحدث الغـزو الفكرى فأصبحنا نستورد ليس فقط مـا نتوهم انه الحلول لمشاكلنا ، بل نستورد المشاكل ذاتها ، لنعود فنبحث لها عن علاج اوروبى الصنع نتعاطاه على يد طبيب مستورد !

وقد ثار لغط كـثير حول الحكومـة الاسلامية وربط تيـاران متضادان بين الخـلافة واسلامية الحكم المرجوة ، وكلا التيارين مخطئ رغم ما بينهما من تناقض . .

الطائفة الاولى: وهى الحسنة النية التى تزعم ان الخلافة بذاتها هى من صميم الدين وانها يجب ان تعود بشكلها ورسمها واسمها والا فلا يكتمل لنا اسلام !

وذهب فريق منهم فى الغلو إلى حد ادعاء السلطة الالهـية للحاكم المسلم استنادا الى اسلامية او حتى دينية الحكم . . وهم الشيعة بمذاهبهم المتعددة – باستثناء الزيدية ـ الى ـ حـد ما ـ اذ رغم تمسكهم بإمـامة أهل البـيت الا انهم عندما أطلـقوها فى غـير السلسلة الاثنى عشرية فقـد قبلوا بشرية الامام واعترفوا بحق الامـة فى الاختيار -اما عموم الشيعـة فقد اعتبروا الامامة نصا لا خيـرة فيه للناس . وان الامام يخلف النبى فى وظائفه وخصـائصه الدينية ، بما فى ذلك العصمة .وهذا الرأى يخـالف ما اجمع عليه جـمهور الأمـة والصدر الاول من المسلمين الذين تلـقوا هذا الدين عن من انزل عليه مباشرة ومن ثم فهم الذين عرفونا بديننا . . وممارستهم هى أصدق شهادة وأصح تفسيرا.

وكذلك اتفـقت كلمة السلف الصـالح على ان الخلافـة بمفهوم الحـكومة هى من صميم الاسلام . وكما قلنا اكثر من مرة ان الاسلام يتميز او يختلف عن المسيحية فى

ان الدولة جزء لا يتجزء من اهتمامه وهى فى مقدمة مسئوليات المسلم ، بل لا يمكن تصور مجتمع مسلم بغير إسلامية الحكم ، لأن الحكم هو المؤسسة الوحيدة التى اقامها الاسلام وحملها مسئولية حياة الناس. فالسلطة او الحكم ، وليس الخلافة بعينها ، هى من صميم الدين . . و ليس شخص الحاكم ولا شكل الحكم ولا أى هيئة تتولى هذا الحكم ، ولا الصيغة التى تقوم بها الحكومة ، وتنتقل بها السلطة فذلك كله من اجتهاد الناس كما حدث فى السقيفة . وهذه التفرقة بين المبدأ والصيغة يعجز الكثيرون على الجانبين عن ادراكها فيخلطون بين ضرورة الدولة والحكومة فى الاسلام ، وبين الصيغة التى اختارها المسلمون بقدر اجتهادهم واحتياجات وامكانيات عصرهم فيظن بعض الاتقياء -كما قلنا - من غير الشيعة أن الخلافة وأمير المؤمنين والبيعة التى اتبعت هى من المقدسات ويجب أن تعود بحرفياتها فى القرن العشرين !

وهو رأى خاطئ بالطبع . فالحكومة هى من الدين. ولكن الخلافة ـ كشكل من اشكال الحكم ـ فهى من اجتهادات المسلمين ومن الممكن بل من الواجب ان يجتهد المسلمون فى كل عصر فى اختيار شكل الحكومة الذى يناسب عصرهم ويلبى احتياجاتهم، وان يتفقوا فيما بينهم على الاسلوب الذى يتم به تشكيل هذه الحكومة.

غير انه يمكن القول بأن التسليم بهذه المبادئ ، يمكن ان يغتفر معه التطلع لاحياء التراث وتأكيد الانتماء باطلاق الاسماء التاريخية على مستحدثات عصرية ، فلا مانع ان يسمى الحاكم المنتخب الديموقراطى بالخلافة أو أمير المؤمنين. او ان نطلق على المؤسسة الديموقراطية لقب الخلافة وعلى الانتخابات اسم البيعة .

فكل المجتمعات الناهضة فعلت ذلك ، والا فما الصلة بين الكابيتول او السناتور فى روما قبل الميلاد والمؤسسة التشريعية التى تحكم ارقى الدول تكنولوجية او بين الكنيست الذى كان يديره نبى الله هارون واللاويون وبين التشكيل الذى يحكم اسرائيل اليوم ، ويذل اعناق المتخلفين من المسلمين العلمانيين ؟ وانما الامم تحيى تراثها وتخلق لها جذورا تنتمى اليها ونحن نجتث جذورنا بأيدينا وجهل مثقفينا خيبنا الله وقد فعل !

المهم ان بشرية الحكم حقيقة متفق عليها بين المسلمين ولكن الغريب ان بعضهم يأتى بعد الف سنة ليظن انه اكتشف كشفا وحقق الفتح المبين عندما يقول لنا وكأنه يعلمنا :ان الخلافة ليست من اصول الدين ! بل هى مجرد شكل من اشكال الحكم اجتهده المسلمون ! ومرة اخرى استخدم التعبير الذى قلته من سنوات وهو ان المراهق الذى يظن انه هو الذى اكتشف الجنس ينبه لجهله ، اما اذا وصل به العته الى ادعاء انه هو الذى اخترعه فيجب ان يعالج !

وهى التى تقلب النظرية لتقول باختصار انه لا حكم فى الاسلام من اساسه! واول هؤلاء بالطبع وإمامهم الذى يحاولون اللحاق به ويحلمون بنيل شهرته ولو كانت شهرة قبيحة، هو على عبد الرازق الذى أحس هو بعار ما كتب فامتنع عن نشره بعد ذلك حتى عندما أصبح وزيرا لصاحب الجلالة الملك الصالح العلمانى فاروق الاول!(١٦)

وقد اخذ المستشار بتفسيرنا للقب خليفة بعد فضحنا لما دبجه إمامهم حول مؤامرة اللقب فوافق على ان الخليفة تعنى الذى جاء بعد النبى الذى خلف النبى وأورد حكاية خليفة خليفة رسول الله التى شرحناها قبل سنوات فى ردنا على الشيخ على ولكنه تسليم المحرج الذى لم يجد ردا ، لذا تراه متناقضا فبينما يحاول تجنب تفسير الشيخ ،نراه يحن اليه حنين الفصيل لأمه فهو يكرر انها لم يقصد بها الا التتابع الزمنى ولكنه يعود فيقول ان كلمة خليفة جعلت البعض يتصور خلافته دينيا للنبى! «ان المتأخرين اخطأوا اذ جعلوه خليفة للنبى فى نظام حكمه لأن هذا الحكم خاص به وحده» ص٩٣

وهذه هى الفتوى التى دبجها الشيخ على لحساب المخابرات البريطانية واصبحت اعظم منجزات عصر التنوير ، الذى بدأه المستنير او المنور الاكبر اللورد كرومر، تلك الفتوى التى تقول - بايجاز - ان المسلم لا يشتغل بامور الحكم وما ينبغى له لأن النبى لم يحكم وما كان يصح ولا يجوز ان يخلف (١٧) أحد رسول الله فى الحكم لأن النبى لم يقم حكومة ، ولا فى الاسلام حكومة . . هذا ما يدورون حوله منذ حكم الاستعمار المسيحى للمسلمين.

جوهر الخلاف ؟

فالقضية هى من يحكم المسلمين ، ماهو مصدر الشرعية . . هل يجوز ان يخضع المسلم للسلطة الاستعمارية غير المسلمة . . هل مصدر الشرعية هو الاسلام وارادة المسلمين ام الاحتلال . . ومعاهدة الحماية التى يعقدها الوالى او السلطان مع دولة اوربية استعمارية يتنازل فيها عن الحكم لهذه الدولة ، فيسمع شعبها المسلم ويطيع ، لأن الله أمر بطاعة أولى الأمر! ولأن الدنيا فانية فاتنة للكافر. اماالمسلم فيعمل لأخرته . . ولدنيا المستعمر !او كما افتى الشيخ على ، اصول الحكم ليست من الاسلام ولا يضير المسلم من حكمه ؟!

ام ان الحق والوطنية والتقدمية والتنوير هى فى الاصرار على ان الشعب المسلم هو وحده مصدر الشرعية لحكم المسلمين فى بلادهم . وان الحاكمية للمسلمين وحدهم يحكمون بما انزل الله وما ارتضوا وما اتفقت عليه سنة نبيهم واجماع امتهم واجتهاد مفكريهم . . تلك هى القضية التى يدور حولها الصراع . . ولأن الذين قالوا بلااسلامية الحكم كانوا ، وما زالوا يعبرون عن مصلحة اجنبية لذلك نراهم قد افتقروا لصراحة وشجاعة العلمانيين او اعداء الكنيسة فى اوربا . . فلم يجاهروا علنا برفضهم للدين ، بل مازالوا يتمسحون بالدين ويعتصرون الفتاوى والنصوص ويقسمون عند كل منعطف انهم من فرط حرصهم على الدين يريدون ابعاده عن السياسة والحكم مما جعل كاتبا فى مثل مكانة وطيبة الاستاذ نجيب محفوظ يقول :

«يقوم الصراع فى مجتمعنا بين فريقين . . فريق يدعو الى السلطة الدينية واخر يحافظ على السلطة المدنية دون انكار للدين ومع الرجوع للشريعة الاسلامية عند سن اى قانون ولكنه لا يريد للدين ان يحكم مباشرا ابعادا له عن تقلبات السياسة وضمانا للانطلاق فى التقدم دون عثرات او حرج »

فهل هذا صحيح ؟ هل مؤلف الاسلام السياسى والخلافة الاسلامية ، يعترف بصلاحية الاسلام وصوابه ولو حتى فى فترة النبى والخلفاء الراشدين ؟

هل هو فعلا يريد الرجوع للشريعة عند سن اى قانون ، ولا يختلف الا فى ان

ضرورات العصر اصبحت تتناقض مع هذا الذى تحقق تاريخيا ولابد من تفسير جديد؟

هل صحيح انه لا يريد للدين ان يحكم مباشرة ودون انكار للدين . . الخ

نحن نقول :لا

فهو يرفض التاريخ الاسلامى جملة وتفصيلا هو يشكك فى صحة القرآن ويطعن فى تصرفات الرسول وخلافة ابى بكر وفى تاريخ الخلافة او الاسلام كله فماذا بقى؟!

ولا اظن اننى بحاجة للقول بأننى لا انكر حقه فى القول ولا أنا أخشى قوله ولا أطالب بمصادرته بل ان الغباء كل الغباء فى مصادرة مثل هذه الكتابات التى تكشف المخبى وتفضح النوايا وتثبت أننا لا نتعارك حول رجم الزانى بل على الاسلام كله دينا وتاريخا وانتماء. وما من قول سيأتى به هؤلاء، الا وقال المبشرون والمستشرقون أضعافه، وبمنطق أقوى من تهافت الناقلين عنهم. وأهم من ذلك ان كل هذا الذى قالوه ونقلوه عنهم انما استندوا فيه لما ورد فى تراثنا الاسلامى فلا السلف خافوا القول ولا صادروه ، بل اننى أول من فضح تمثيلية المصادرة المزعومة التى افتعلت فى المعرض وطالبت بتحقيق فيها لم يتم ولا يمكن ان يتم فى المستقبل القريب على الاقل. . وكنت قد كتبت فى يناير ١٩٩٢ عندما وقعت نكتة المصادرة اقول:«قبل ان تضيع الحقائق فى زحمة المولد نطرح بعض الافكارحول زفة المصادرات التى يعيشها الفكر المصرى. .نقول: فى كل جريمة يبدأ البحث عن المجرم بمحاولة الاجابة على سؤال: من المستفيد، لأنه عادة يكون هوالمتهم الاول؟ وفى حكاية المصادرة العجيبة التى وقعت فى معرض الكتاب لا يصعب تحديد المستفيد ..فالمصادرة والاعلان المجانى من شأنه ان يزيد توزيع كتب ظلت فى السوق فترة تتراوح بين ثلاث عشرةسنة وعامين، ولم تثر الاهتمام الذى كانت ترجوه ولا البيع الذى توقعوه ، حتى جاءها التنشيط مجانا يسعى به عصبة غريبة لم تشأ أن تصادر إلا علانية وعلى مرأى من مليون زائروامام كل وسائل الاعلام وفى يوم المولد كأن هدفهم الفضيحة لا المصادرة . .وقد كان !

كذلك استفاد المؤلف الذى فتحت له اجهزة الاعلام والقى القفاز فى وجه شيخ الازهر يدعوه للمبارزة مع ان شيخ الازهر لا علم ولا أمر ورغم انه ما من احد يجرؤ على توجيه مثل هذه الدعوة لأصغر رجل دين خارج بلاد المسلمين ·· واذا كان حامد علام ظهر فى النيوزوييك فإن المستشار اصبح فى كل صحيفة وتحقق ما قصد اليه منذ البداية وهو استفزاز اية جهة لمصادرة كتابه « الخلافة الاسلامية» لتتكرر امجاد على عبد الرازق ، ويأكل الجميع ملبنا ·

المستفيد الثالث أو لعله الأول هو التيار الذى عبر عن قلقه من نجاح جبهة الانقاذ فى الجزائر واراد تغطية الاجراء غير الديموقراطى الذى جوبهت به فجاءت حادثة المصادرة تقول ان المسلمين ايضا غير ديموقراطيين ، ولو حكموا لصادروا ولذلك كان اختيار شيوخ ومن الازهر وباسم الاسلام ، مع ان مخبرا بعصاية كان يستطيع تنفيذ المصادرة اذا كان هناك حكم أو حتى قرار من اية جهة بالمصادرة ! ولعلنا لاحظنا ان حديث المصادرة والدفاع عن حرية المستشار قد غطى على انباء الغاء الانتخابات فى الجزائر واعتقال كل زعماء الجبهة ·· وانه ما من احد سأل عن سلطات هذه الجماعة التى صادرت بل انهال الهجوم على الازهر والاستبدأد الدينى والحكومة الدينية وغزوة بدر ·· الخ

هل لدى الازهر صلاحية مصادرة الكتب وتنفيذ المصادرة ، هل تصادر الكتب فى بلادنا بغير السلطة القضائية والتنفيذية وهل الازهر إحدى هذه السلطات ؟ واذا لم يكن كما اكد الجميع الم يكن التصرف الطبيعى هو القبض على هؤلاء الذين انتحلوا صفة الضبطية القضائية واقتحموا ملكيات خاصة وصادروا منقولات بدون صلاحية·· من الذى يحميهم الى اليوم من مجرد المساءلة ؟ الغريب ان تحقيقا لم يقع كأن البعض يخشى ان تتكشف عجائب مثيرة تخالف كل الصخب والضجيج الصادر من مولد حرية الفكر ولا نريد ان نقول اكثر من ذلك . المهم انه ما لم يقع تحقيق يكشف المحرك الحقيقى خلف هذه الحادثة وعلى ضوء المستفيدين منها فمن حقنا ان نرفض كل ما يقال وكل الغبار الذى يثار ·

ثانيا من قال ان الازهر يحكم بالمصادرة فضلا عن ان يصادرولا ادرى كيف يقول

ذلك مستشار يفترض فيه العلم بالقانون والنظم!!»[18] هذا ما كتبناه من سنتين ولم يقع التحقيق ولا طالب به المستشار والناشر بل اغتنما المناسبة و اهتبلا الفرصة لترويج الكتب البائرة على الاقل فى مصر ونهش عرض الازهر والمشايخ والمسلمين والنظام.

ويقول عن كتابه هذا الذى لم يهتم به احد انه اقلق مضاجع جماعات الاسلام السياسى فى مصر!ص ١٠ قالت تماسكى فسأطير . . قالت ما احسست بك عندما هبطت. . الخ

وقد صدر طبعة ما بعد المصادرة بمقدمة مطولة عن حادثة المعرض ،والغريب انه يعدد هو نفسه الجهات التى يحق لها المصادرة فى مصر وليس منها الازهر بالطبع!ومع ذلك لايمل هو ولا يكل اولاد الافاعى من الحديث عن الارهاب الفكرى الذى يتمثل فى مصادرة الازهر لكتب سيادته !

وحتى عندما اكد شيخ الازهر فى بيانه انه لا امر ولا علم ولا يملك المصادرة يعود صاحبنا فيسأله او يقرعه « ولم يبين شيخ الازهر سبب جنوح مجمع البحوث الاسلامية الى هذا الحد وخروجه على القانون واعتدائه على الدستور وعدوانه على الحرية وقمعه للفكر . . »

هل فعل ذلك مجمع البحوث ولماذا سكت عليه المستشار وقد ارتكب كل هذه الجرائم ثم يتهم المجمع بانه ارتشى من البنوك الاسلامية وشركات توظيف الاموال! والغريب انه قبل خمس صفحات ليس الا اعترض على هذا القول من كاتب معارض له واعتبره ابتزازا للمشايخ!

بل ان المصادرة المزعومة التى لم تقع -فليس هناك كلمة واحدة عن مصادرة فعلية وسحب ولو نسخة من الكتاب او سلطة قضائية حرزت وتحفظت ولا حول امر الكتب للنيابة، كما يتبع مع اى مصادرة ولا حضرها شرطى بشريطين !! - المصادرة المزعومة هذه يصفها سيادته او يتنبأ لها او قل ارادها ان « تظل بلاشك معلما هاما فى معارك حرية الفكر وفى حروب النور ضد الظلام وفى صراعات العلم ضد الجهالة » ص١٠

هل بقى أى شرف للكلمة ! العوض على الله [19] بل الغريب انه هو ذاته يعترف

بأن الازهر لا يملك حق المصادرة «القـانون لا يخول الازهر» الازهر نفى انه صادر او يملك المصادرة !ومع ذلك يصـر على وقوع مصادرة وصـدور قرار جمهـورى بالغاء المصادرة التى لا وجود لها !

فهو يعترف ان كتبه هذه مطروحـة فى السوق « منذ فترات تتراوح بين ثلاثة عشر سنة وستين » فلماذا لم تصادر الا فى يناير ١٩٩٢ وبعدمـا بارت وفشل معظمها فى ان يطبع منه طبعة ثانية !

يقول انه يوم ١٧ يناير اتجهت لجنة من مجمع البحـوث الاسلامية واوقعت التحفظ على « خمسة من كتبنا »

ما هو شكل هذا التـحفظ ؟ المستشـار لابد انه يعرف كيف يكون التحـفظ . . امر قضائى او مـباحثى او اى جهة تملـك التحفظ ثم توضع كل الكمية فـى مكان يتحفظ عليها فيه وتمنع من التداول فهل تم ذلك ؟

يقول ولم تبرز "اللجنة "اى قرار بالمصادرة او تذكر مضمونه اوتبين تاريخ صدوره او تحدد اسبابا له » ص ٨

اولا كيف اصـبحت لجنة وما هى الوثيـقة او القرار الذى لجنهـا ؟ هم مجمـوعة مجهولة الهوية والصفة مريبة التحرك !

ثانيا كيف ينشأ قرار بالمصـادرة بلا نص ولا مضمون ولا تاريخ ولا اسباب . . هل الذى يتحدث مستـشار فى القانون فعلا او بياع كتب على سور الازبكـية يحتال عليه مجموعة من النصابين . . الكتب ديه مصادرة يا جدع هات الحلاوة !

وبالطبع ان الذى دبر المسرحـية فى معـرض الكتاب كان فى انتظارها:« سـرى نبأ المصادرة بين الناس وفى المجتمع سريان الهشـيم فى النار . .فتناقلته وكالت الانباء فى كافـة انحاء العـالم ووالت محطـات الاذاعات العالمـية بالعـربية وبغـير العربـية (او بغيرالحصان ؟) نشر الخبر اكثر من مرة . »

طبعا كانوا فى انتظاره !

المهم يدبج المستشار صفحتين بعد ذلك فى اثبات عدم وجود سلطة مصادرة اصلا ورغم ذلك يتحدث عن المصادرة ويترك اذاعات العالم تشهر بمصر والازهر الذى لا صادر ولا يملك حتى نظريا حق المصادرة !

أهذا موقف كاتب صادق يعالج قضايا الدين والسياسة ؟!هل يبيح الشرف لرجل قانون ان يستثمر حادثة مخالفة لأى قانون او منطق لكى يدعى بطولة والتعرض للظلم، واتهام النظام كله والأزهر والمسلمين بمطاردة كتبه التى لم يكن احد يسمع بها ولا حركت شعرة فى الساحة الفكرية ؟!

لماذا لم يبلغ المستشار النيابة العامة عن مجموعة بلطجية انتحلوا صفة الضبطية القضائية وزعموا لأنفسهم سلطات غير مخولة لهم فصادروا كتبه وكانت فرصة لكشف من هم ومن الذى حركهم وتأكيد حرية الفكر بحكم قضائى مع عقوبة رادعة تنزل بهم لانتحالهم صفة ليست لهم وسلطة لم يخولوها.. اى المصادرة .. لماذالم يفعل .. لماذا اختفى هؤلاء فلم ينشر لا اسمهم ولا تعقب احدهم .. ؟!

لأنهم كانوا مجرد كمبارس فى عملية تلميع الاستاذ وترويج كتبه واثارة عاصفة ضد الاسلام والمسلمين وقد نجحت، ويؤكد انها كانت مطلوبة انهم قالوا ان وكيل الخارجية الامريكية ذاته جاء الى مصر يتحرى حادث المصادرة !! ..

إما ان يحركوا الدعوى القضائية ضد هذه اللجنة المزعومة لنتعرف عليهم وعلى حقيقة دوافعهم ومن الذى حرضهم واحسن اليهم لتنفيذ هذه المسرحية والا ننصحهم ان يواروا فضيحة المصادرة هذه قبل ان يتحرك البعض فيكشف اسرارها وملاعيبها(٢٠)

وعلى سبيل المثال وليس الحصر ، وكرامة للاستاذ نجيب محفوظ نقدم بعض ما ورد فى واحد من كتبه كدليل على ما اقوله مع العلم انه لم يجرؤ على تفنيد حرف مما سبق وقلناه ونشرناه اكثر من مرة وهو انه قال :

١- ان القرآن به اخطاء نحوية ولغوية .

٢- ابوبكر انشأ دينا جديدا غير دين محمد وخلط بين حقوق النبى وحقوق

الحكام ، وخلافته حدث تم دون روية ولا احكام . وحروب الصدقة التى شنها أبوبكر تعد منحنى خطيرا ومنقلبا سيئا انحدرت اليه الخلافة عبر تاريخها ، وشرعت حق الخلفاء فى اغتصاب الحقوق الخاصة بالنبى وسنت قتل المسلمين للمسلمين. وصبغت الاسلام بطابع الميل للغزو ومنهاج يهدف للحرب والضرب فى كل مناسبة ويمسك الرمح والسيف فى كل حين . بل فتوحات ابوبكر لم تكن الا لصرف انظار وسيوف المسلمين عنه .واتبع مع عمر اسلوبا يتهم فيه الخليفة اى معاون له او وزير بالضعف ان لم يوافقه على رأيه .

٣- الاتجاه العسكرى فى الاسلام بدأ بغزوة خيبر ، ذلك ان اهلها ، لم يكونوا من المشركين كما ان اهل خيبر لم يكونوا قد اساءوا الى النبى او الى الاسلام بشىء «ديه لزوم جايزة نوبل !»

٤- الخلافة الاسلامية لا تقوم على حكم شرعى بل نظام فاسد رهيب نتاج ظلمات الجاهلية وتم فى ظل رغبة كل من المهاجرين والانصار فى تصفية الطرف الاخر وسعى كل منهما للامارة لحماية نفسه من الابادة ، وفى الصراع المحموم لتنحية الطرف الاخر تشجع المهاجرون على الالتجاء للعنف .واعتدوا على سعد بن عبادة بالضرب !

٥- النبى ادريس هو اوزوريس وكان اسمه المحمد ولذلك سمى العرب اولادهم محمدا.

٦-فهم العرب من الاسلام هو أن يحكموا غيرهم ويفرضوا عليهم الجزية .

٧-الصحيفة التى كتبها النبى مع الانصار واليهود فى المدينة وثيقة شبه جاهلية وليست اسلامية .

٨- اغتيال المسلمين لبعض اليهود باعد بين اليهود والمسلمين بعد ان رأى اليهود فى ذلك مسلكا عدوانيا ومنهجا ارهابيا مما دفعهم الى الاعتقاد بأن الاسلام سياسة وليس دينا.

٩- العرب الذين حملوا الاسلام صفر اليدين من أى فهم عن علوم السياسة، واى

فن من فنون حكم الدول .

١٠- عبدالله بن عبـاس ابن عم النبى وحبر الأمه - كما عـرفه المؤلف- هو ايضا متبجح لا يستحى مختلس يأكل المال الحرام .

١١ - الاخطل من المهاجـرين وعبر عن تيـار فى المهاجرين يمـيل للحط من شأن الانصار.

١٢- على بن ابى طالب بعـد وفـاة النبى كان يـضع فاطمـة كل ليلة على جـمل ويدور بها على القبائل يحرضها على مبايعته .

١٣- الصحابة ـ او كما عرفهم - المسلمون الاوائل ، المثل العليا والنجوم الساطعة انحدروا الى هذا المنقلب المادى والسعار الـذى لون الاسلام بلونه الاسود ولطخه بكل شائه .

١٤ - فى عـهد الاسـلام الاول ملئت الارض جـورا وحشـيت ظلما .. وكـان طغيانُهم طغيانا لا حدود له ومظالم لا تكف وظلاما بلا اى امل.

والبقية تأتى ...

نناقش هذا وارجو ما دام قد اعطى لنفسه الحق فى اعراب كتاب الله وان يكيل كل هذه الاتهامات لمن حفـروا اسمهم فى ضمير التاريخ ، ان لا يصعـر خده فيرفض ان ننقـد كتـابه او يتـهـمنا بالارهاب الفكرى بل هم الذين يرهـبون ولنقـدهم يمنعـون ويتدخلون لمنعنا من الكتابة[٢١] وبالتطرف يتهموننا وهو مـعاقب عليه بالاعدام بينما لا القانون ولا السلطة تعاقب على الكفر .والغريب انهم يزعـمون الاعتراض على تكفير المتطرفـين للناس بينمـا لا احد يمـارس التكفيـر مثلهـم فكل كتـاباتهم وشعـاراتهم وصراخاتهم تبدأ بصيحة : هذا ليس من الاسلام .. الاسلام منهم برئ .. الخ وان كانت كتاباته لا تشجع على حسن الظن برحابة صدره فكل ما كتب ضده وصفه بأنه «مطاعن بائرة او مـجارح جائرة » الا بعض النقـد الموضوعى الجـدير بالاعتبـار مثل الذى انتقد كثرة التكرار .. وحاجات زى كده !!

أولا لنفرغ سريعا من الاعتراضات الشديدة التهافت. . .

ليس اسخف من القـول بوجود خطأ نحـوى فى القرآن (٢٢) إنه كمـن يقول: المتر قصير! وهو سخف لأن المتر هو اساس القياس فلا يقاس هو ذاته بغيره .

والقرآن هو اساس النحو ، ما ورد فيـه هو الصحيح الذى يضبط عليه النحو لا ان يقاس بكتاب النحـو الواضح الذى درسه المستشار فى المدرسـة الاعدادية . وقد اورد الفقهاء والمفسرون وعلمـاء النحو رأيهم فى هذا الاختلاف الذى ورد فى الاية الكريمة ﴿إن هذان لساحران﴾ على سبـيل المثال وقد اوردنا اقوالهم فى الهـامش وهى تثبت وجود فريق من العرب كان يقـول برفع المثنى حتى وان جاء بعد اداة النصب. . وفريق كان يرى الـرفع والنصب بالالف فى المثنى كقـولك جاء كـلا الرجلين وضربـت كلا الرجلين، ونكلت بكلا الكاتبين !

والقرآن كما هو معروف فيه قراءات وكلمات واعرابات تأكيدا لنزوله بلغة العرب جميعا وليس لهجة قريش وحدها. فهو يقول ﴿إنا انزلناه قرآنا عربيا﴾ ولم يقل قرشيا وان اتفق على ترجيح لغة قريش حين الاختـلاف . . بل لعله سبحانه وتعالى قد اراد بهذه الاية المخالفة لنحو قريش تأكيد انه هو الاساس لا نحو قريش وان ما يرد به هو الاساس الذى تخضع له قريش ونحوها . . «انظر تعليقنا على نصر ابوزيد»

ويمكن القول أيضا ، بل أولا ، ان هذا الذى يحسبه الجاهلون خطأ هومعجزة فى حد ذاتها اذ انه دليل ان القـرآن كتب كما وصل للناسخين او الجـامعين على زمن أبى بكر ولو كانوا قد أباحـوا لانفسهم أن يغيروا أو يضـيفوا أو يصححوا حـرفا لما فاتهم تصحـيح هذان. . «اذ لابد ان يسلم اى عاقل ان الذين جـمعوا الـقرآن فى زمن ابى بكر والذين نسخوه فى عهد عثمان ، يعرفون اعراب اسم ان ومعلوماتهم فى النحو لا تقل عن مـعلومات المسـتشار. . بل ربما تـزيد قليلا !!» ولكن لم يخطر ببـالهم انهم يستطيعون ضبط حرف واحد . .

سبـحانه وتعالى لعله انزلهـا هكذا خصيـصا لكى تثبت العـصمة! وتشـوه وجوه الحاقدين !

على اية حال . . لو كانت معركته مع المتطرفين او مع الذين يسيئون استخدام او تفسير الدين فما كانت حاجته لهذا القول عن القرآن الذى يصدم ويستفز مشاعر العامة من المسلمين . . ؟!

لأنه لا يعارض الاسلام السياسى بل الاسلام الدينى . يقول ان الكتاب الذى فى ايديكم ليس من عند الله والا لما وقع فيه خطأ نحوى ! فادعاؤكم بعصمة كتابكم وحده ادعاء باطل فهلموا للاسلام العيسوى مادام كله سواء !

وان كان الهدف هو ديموقراطية الحكم ومحاربة الاخوان المسلمين . . ما اهمية ان يكون اسم اوزريس بالعربى هو محمد ما اهمية ذلك الا استفزاز المسلمين ولو لمصادرة الكتاب فيروج بعد كساد !

اقول لكم فائدة اخرى . . ان المسلمين يقولون ان المحمود الذى قال المسيح انه يأتى بعده هو محمد رسول الله فيأتى هذا ويقول لهم بل هو ازوريس صنم او اله فرعون . . المقصود هو الفتنة . . الاستفزاز . . وخراب الديار !

لماذا التطاول على رسول الله ووصف الصحيفة التى كتبها النبى مع الانصار واليهود فى المدينة بأنها «وثيقة شبه جاهلية وليست اسلامية .»

كيف يقول مسلم ان النبى يأتى فعلا جاهليا أو يكتب وثيقة جاهلية؟! . . هذا الخبل والجهل المفترى . . كيف تكون وثيقة يكتبها النبى غير اسلامية أليس النبى هو من يعطى الصفة الاسلامية أو ينفيها ؟ !

هذا الحقد على وثيقة او دستور المدينة اصاب المستشار من المستشرقين اليهود الذين لم يتركوا كريهة الا ونسبوها لتلك الوثيقة المفخرة للبشرية جمعاء. والتى سميت بحق دستور المدينة ، وهذه التسمية فى اعتقادنا تتخطى يثرب فهى اول دستور للمدن الحديثة عامة وليست مدينة بعينها لانها ببساطة اول وثيقة بشرية فى تاريخ العالم تقيم وتعترف بالمجتمع المتعدد الاديان وتعطى المواطنة الكاملة لغير المسلمين بلا تمييز (٢٣) ويأتى هذا فيجرد الاسلام منها ، فهى وثيقة غير اسلامية !

لماذا الطعن فى شرعية وانسانية وحكمة فتح النبى لخيبر ووصفه ببداية الاتجاه

العسكرى فى الاسلام وان اهلها ، لم يكونوا من المشركين كما ان اهل خيبر لم يكونوا قد اساءوا الى النبى او الى الاسلام بشىء. وان الاغتيالات التى نفذت فى بعض زعماء اليهود بأمر النبى» باعد ت بين اليهود والمسلمين بعد ان رأى اليهود فى ذلك مسلكا عدوانيا ومنهجا ارهابيا مما دفعهم الى الاعتقاد بأن الاسلام سياسة وليس دينا.»

هل هذا يريد كلمة سواء مع المسلمين ام مع اليهود ؟!

هل هذا فعلا يريد الحفاظ على مكانة الاسلام ؟!

واى مكانة لدين كتابه المقدس يخطئ فى النحو، بينما معجزته الفصاحة ؟

ونبيه عدوانى يحارب متدينين لم يسيئوا اليه

واول نظامه أى «الخلافة » لا تقوم على حكم شرعى بل نظام فاسد رهيب نتاج ظلمات الجاهلية .

هل يهاجم المتطرفين فى تنظيم الشوقيين ؟! . .

لا . .انه يهاجم المهاجرين والانصار ويتهمهم بالرغبة فى تصفية الطرف الاخر وسعى كل منهما للامارة لحماية نفسه من الابادة ، وفى الصراع المحموم لتنحية الطرف الاخر تشجع المهاجرون على الالتجاء للعنف.واعتدوا على سعد بن عبادة بالضرب!

وكل هذا هذر وجهل وافتراء على الحقيقة ونقل بغير تدبر من عبد الرازق . . فلم يحدث قتال بل حوار مما يحدث فى اى برلمان فى العالم ولم يضرب احد سعد ابن عبادة بل لما اتفقت الكلمة نسوا انقسامهم وحوارهم واندفعوا يبايعون أبا بكر ، ونسوا مرشحهم حتى كادوا يطأونه تحت الاقدام من شدة اندفاعهم . . وهذه من بلاغة راوى الواقعة ومؤرخها فقد عاش سعد ممتنعا عن بيعة ابى بكر ولم يتعرض له احد حتى مات .

هو يرى ان الصحابة الذين اقاموا هذا الدين مع وبعد رسول الله «انحدروا الى هذا

المنقلب المادى والسعار الذى لون الاسلام بلونه الاسود ولطخه بكل شائه ٠ وانه فى عهد الاسلام الاول ملئت الارض جورا وحشيت ظلما ٠٠ وكان طغيانا لا حدود له ومظالم لا تكف وظلاما بلا اى امل٠ !!

اى تراث . . واى تاريخ واى اسلام . . بعد ذلك وقد ضاع الامل منذ لحظة الميلاد!

- بالنسبة لابى بكر وهو القول المنقول عن على عبد الرازق عن المستشرقين والحكاية كما شرحناها الف مرة هى مزيج من حقد تاريخى ولؤم استعمارى ، فلولا موقف ابى بكر واقامته الخلافة وتصفية المرتدين وبدء الفتوحات لما كان اسلام ولا مسلمون ولا حضارة اسلامية ولا دولة اسلامية ولا اذلال اوربا وترويعها الف سنة . . من هنا الحقد على ابى بكر مفهوم ومعروف عند المستشرقين الصليبيين والصهيونيين والآكلين من فتات موائدهم.

اما اللؤم الاستعمارى فلأن كل من طالب باستقلال المسلمين ودعا لحكومة اسلامية ولو لتجميع واثارة المسلمين للمجاهدة لاستقلال ارادتهم واوطانهم ، انما يقتدون بما فعله ابو بكر، عندما اقام اول حكومة اسلامية بعد رسول الله . . من هنا كما قلنا كان لابد من الفتوى بأن الحكم ليس من الاسلام . والدين لا دخل له ولا هو من اصول الحكم ، بل اخطأ ابوبكر ، فلا يضير المصرى او الهندى المسلم وقتها او الجزائرى او المغربى او الطرابلسى ان يحكمه انجليزى او فرنسى او ايطالى، ليس على المسلم من حرج بل هو يكفر ان اصر على اسلامية حكومته .

وهى قضية لا تحتاج لذكاء لفهم المستفيد منها . فالانجليز والفرنسيون والطليان ليسوا مسلمين وعندما يهيج «المتعصبون» العامة قائلين انه لا يجوز دينا ان يحكمهم غير المسلم وان من يخضع لحكم غير المسلم فقد كفر وسيدخل النار وانه لا ولاية لغير المسلم على المسلم ولا شرعية، فإن ذلك يضر السلطة الاستعمارية ويريق دم جنودها ورصاصها . اما عندما يقول شيخ معمم انه لم يجد اى سند يشترط اسلامية الحكومة، بل بالعكس ان المسلم قد حرم عليه الاهتمام بالحكم وقضاياه او التصدى له

فالنبى لم يحكم وابو بكر ارتكب خطأ شنيعا فى تاريخ الاسلام.. بل خرج من الاسلام والعياذ بالله لأنه انشأ دينا جديدا غير دين محمد وذلك بأن اقام حكومة مسلمة وهو ما لم يفعله النبى ولا يفعله المسلم الصالح ..!!

اسألوا انفسكم ماذا كانت قضية المسلمين او شعوبنا العربية بالدرجة الاولى خلال القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين الا قضية ان يحكمنا الانجليز والفرنسيون والطليان والروس الكفار ام يحكم المسلمون انفسهم ؟ ثم قولوا من كان التقدمى ومن كان الرجعى ؟ !

وحتى لو تفهمتم المسألة فلن تعرفوا الجواب لأن الحس الوطنى انعدم بين هذه الفئة المستهجنة من المثقفين التى تطفح على وجه المجتمعات العربية .. فهم فى الجزائر لا يريدون التعلم بالعربية لأنها لغة متخلفة، فلماذا يتأخرون عن الركب الحضارى الذى على مسافة مركب شراعية من شاطئ فرنسا ،وحيث الفرنسى الاخ الاكبر المتحضر، الذى يبلغ من كرمه وعطفه ان يرسل لهم المدرسين مجانا يعلمهم اللغة الفرنسية التى تفتح لهم باب الثقافة العالمية وتبلغهم أول بأول اخر صيحة فى عالم العلم والتكنولوجيا !

لماذا يفتشون عن ثقافة عربية او اسلامية وهذه ثقافة العالم امامهم فى باريس وفرنسا الام الحنون كما كان يسميها نصارى لبنان ..

ثم لماذا اقتصاد عربى ولماذا سياسة عربية؟ الجزائر جزء من فرنسا ، وهذه المرة بطلب رسمى على ورقة دمغة من الجزائريين ولذلك ليس مصادفة ان يسن قانون التعريب مع تصاعد المد الاسلامى ويلغى فور ضربه !

وعادت القضية ساخنة فى هذه الايام مع عودة الاستعمار وبدء مرحلة الامبراطورية الاسرائيلية فبدأت من جديد نغمة لا يهم من الذى يحكمك المهم ان اى حكومة افضل من حكم المسلمين الذى ليس فقط متخلفا بل وهو حرام يتبع البدعة التى ابتدعها ابو بكر مخالفا نهج الرسول !

اما التمحك فى خلاف ابى بكر مع عمر او حروب الردة فتمحيك لداغ اللبان،

لو لم يختلف ابو بكر وعمر لقيل ان الاسلام لا يسمح بالخلاف مع الحاكم وان ابا بكر قرر مقاتلة مانعى الزكاة فلم يجد صوتا واحدا يعارضه . وربما وقف شيخ فى مجلس الشعب بعد اشراق انوار التخلف والجهالة يقول : نفوض عبد الناصر كما فوض المسلمون ابا بكر . . !!

اختلف ابو بكر وعمر وتبادلا الاراء ثم الاتهامات . . لا بالخيانة بل بالضعف والجبن «أجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام . .» مما يدل على ان عمر كان مشفقا من نتائج الحرب الاهلية ، وليس مدافعا او مؤيدا للمرتدين ! فلما أقنعه ابو بكر بالحجة والحوار الهادئ والعنيف، وليس بحمزة البسيونى وكلابه، اتفقت الكلمة واتحدت الارادة وكان ما كان مما تذكره الدنيا ويغيظ الكفار .

وفتنة الردة نقلها المستشار عن الشيخ على الذى نقلها بدوره عن النوع المنحط من المستشرقين الذين بدورهم تصيدوها من تاريخ الرافضة الذين ارادوا سب ابى بكر بأى وسيلة ، وادعاء حق النبى وحده فى الحكم ثم الوصى وبالتالى حق ائمتهم وحدهم فى تحصيل الزكاة . . قد قلنا رأينا فى حروب الردة وهذه التسمية كانت تعنى فى جزء منها الذين ارتدوا عن الاسلام وادعوا النبوة وتبعهم قومهم تعصبا وقبلية ، وهؤلاء كان لابد من قتالهم لأنهم خرجوا عن الامر كله الدين والدولة . والفريق الاخر الذين شملتهم كلمة المرتدين هم الذين ارتدوا للجاهلية القبلية ارتدوا عن الطاعة ، رفضوا وحدة الدولة رفضوا السلطة المركزية للمدينة هؤلاء لم يكفروا بالاسلام بل بالدولة . . بالوحدة الوطنية . . ولذلك قال قائلهم ما معناه :

اطعنا رسول الله مذ كان بيننا فيا لله ما لابى بكر وهذا الامر؟!

وهؤلاء كانت القاعدة معهم صريحة : اذا اقتربتم منهم وسمعتم الاذان فلا تبادروهم بحرب بل اطلبوا منهم الزكاة اى اعلان وتأكيد الخضوع للدولة .

فهم لم يقبلوا السلطة الجديدة وامتنعوا عن دفع الضرائب فوجب ارغامهم كما استقرت القاعدة فى جميع النظم والدول والحضارات من عهد اوزريس الى دوكاكيس .هل لو امتنع كاردينال نيويورك عن دفع الضرائب ، وتسلح فى كاتدرائيته ، تقف

الحكومة مكتوفة اليدين حتى لا تبيح قتال المسيحى للمسيحى .. ألم تقتل السلطة الامريكية اكثر من سبعين مسيحيا امريكيا ما بين طفل وامرأة لمجرد اتهامهم بمخالفة قوانين التبغ والاسلحة النارية ؟!

يأتى هؤلاء فيذرفون الدمع على المرتدين ، ويتحسرون على من شرع قتل المسلمين للمسلمين !

هل كانت سجاح والعنسى ومسيلمة من المسلمين .. ام هل تقف الدولة ساكنة امام من شق عصا الطاعة وهدد الوحدة ورفض الدولة وامتنع عن تسديد الضرائب انكارا لشرعية السلطة التى كانت تتوقع الغزو الفارسى والرومى وبدأت فعلا محاربة الروم ؟

هذا بعض ما قلناه منذ سنوات .. ولكنهم لا يسمعون ولا يطيعون الا لأئمتهم .. وكما قلت هناك السوقة من المستشرقين الذين لا يتورعون عن ساقط القول والمتهافت من الروايات وهم اصحاب فتنة الردة .. وهناك صنف اكثر علما واكثر احتراما لقارئه واكثر دهاء من ان يردد هذه السخافات واحدث الكتب التى وصلت الينا هى « المجتمع والدين من الجاهليةالى الاسلام » للاستاذ الاسرائيلى م. ج. كيستر نلخص ما قاله فى قضية الردة لعلهم به يهتدون . . . !

« ثورة القبائل العربية بعد وفاة النبى المسماة بالردة ، كانت تهدد صميم وجود الجماعة الاسلامية فى المدينة كما كانت تهدد استمرارية الاتحاد الذى انشأه النبى . القبائل الثائرة احست بضعف القيادة الجديدة ، فهبوا يتحللون من ارتباطهم بسلطة المدينة ، ورفضوا الخضوع للخليفة الجديد ابى بكر . واعلنوا سقوط الاتفاقيات التى عقدوها مع النبى وطمحوا لاسترداد الوجود المنفصل لقبائلهم ، والتحرر من سلطة المدينة ليستأنفوا معها علاقة من طراز ما كان يربطهم بمكة فى الجاهلية .. وكانوا على استعداد للتفاوض مع القيادة الجديدة فى المدينة لعقد اتفاقيات عدم اعتداء » ويقدم صورة لما وصل اليه الوضع بفعل انشقاق وعصيان او ردة القبائل ان « بعض رؤساء القبائل عرضوا الدفاع عن المدينة ضد هجمات القبائل مقابل جعل يدفع لهم . وقد

رفض ابو بكر التفـاوض مع رؤساء القبائل وقـرر مقاتلة القوى المعـادية حول المدينة « كذلـك ساد الشك فى اسـتمراريـة السلطة فى المدينة حتى بين صـفوف المكيـين . . وقرروا الامـتناع عن دفع الزكاة لواليهم حـتى ناشدهم عقـلاؤهم الا يكونوا اخر من اسلم واول من ارتد . . او كفر . .

وينقل المؤلف اليهودى كيف « اعتلى سهيل بن عمرو المنبر بعدما ساد الشك مكة بعد وفاة الرسول بسبب ثورة القبائل ونفروا من دفع ضـرائبهم فدعا سهيل قريشا بعد ان اشار الى ضخامة ثروته الى دفع الزكاة للحاكم مـؤكدا انه سيعوضهم عن كل زكاة دفعت اذا انهار الـنظام فى المدينة . . ووعد سيد عـبد القيس قومه بـدفع ضعف ما سيـخسرون اذا مـا ظلوا مخلصين للاسـلام » « وقال ابن حنبل لو امـتنعوا عن دفع الزكاة لتـقووا بها واستـمالوا قلوب الناس و صعب ردهم للطاعـة ، ولذلك تصرف ابوبكر بسرعـة ، واثبت الجاحظ رواية على لسان ابى بكر، انه لو قبل التنـازل لقبيلة لفتح الباب لمطالب القبـائل ولانفرط امر المسلمين» ويقول الاستاذ كـيستر: «ونجحت القوات المسلحة التى ابتعثها ابوبكر فى سحق الثورة واخضاع قبائل شبه الجزيرة لسلطة المدينة وهكذا اكـد ابوبكر استمـرارية ودوام الاتحاد حولهـا وما ان أعـاد أبوبكر قوة القبائل لسلطة المدينة ورسخ وحدتها وتضامنها حتى أرسلها تحت قيادات من المدينة فى اتجـاه الحدود الـشمـاليـة والشـرقيـة للجـزيرة وهكذا بدأت ملحـمـة النصـر على الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية . »

وهذا هو ما يغيظ الكفـار والمنافقين الى اليوم . . وقد لخص الحـسن البصرى رأى المسلمين عندما اعتبر قرار أبى بكر بقـتال أهل الردة أحد أربع أفعال وضعت المسلمين على المحجة الى يوم الدين . . صدق والله

يتابع البـروفسير كـيستر « الجـانب الاخر فى الحركـة الانفصالية هو ادعـاء رؤساء القبائل انهم عاهدوا النبى وقبلوا سلطـته واقسموا على الولاء له ولكن ليس لديهم اى التزام نحو ابى بـكر » وينقل اليهودى من شرح النووى على صـحيح مسلم تقسـيمه للمرتدين الى قـسمين: الذين اشـركوا باتباع مدعى النـبوة او الذين تخلوا عن الدين

تماما والفئة الثانية هم الذين لم ينكروا الاسلام ولكن امتنعوا عن دفع الزكاة ومن قبله ميز الشافعى بين الذين كفروا باتباع مسيلمة وغيره والذين رفضوا دفع الزكاة وان ظلوا على اسلامهم . وفسر وصف الفريقين بالردة استنادا الى الاساس اللغوى الذى يعنى الرجوع الى الوراء عن الموقع السابق وذلك يشمل الشرك والامتناع عن دفع الزكاة، وقال الشافعى: ان قتالهم وقتلهم مشروع لأنهم مثل البغاة ، وايد بلا تحفظ موقف ابى بكر من مانعى الزكاة وقال الخطابى ان فيهم من كان يريد الدفع ولكن زعماء القبائل منعوهم . »

ونحن مع البورفسير كيستر فى ان الروافض هم الذين اخترعوا حكاية الخلاف حول تفسير الاية ١٠٣ من سورة التوبة : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم** ﴾ [التوبة:١٠٣]

فكما لاحظ كيستر بذكاء وعن حق ان الخلاف لم يكن ايديولوجيا « ولا يعقل أن أبا بكر دخل فى حوار مع زعماء القبائل حول تفسير الاية فجهلهم بالقرآن كان معروفا حتى انه لما تقرر بعد ذلك امتحان المجاهدين تبين أن عددا كبيرا من مشاهير المحاربين الذين ينتمون للقبائل لا يعرف من القرآن الا البسملة ، وإنما رفضت القبائل سلطة المدينة »التى كانت وحدها تمثل الوريث الشرعى لسلطة النبى . .

وعندما ظهر الانشقاق الشيعى وبالذات المتطرف منه الذى يسميه المسلمون الرافضة لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر أى رفضوا التاريخ الاسلامى بالكامل منذ وفاة الرسول واعتبروا ما جرى على يد أبى بكر وعمر غير شرعى لانهما مغتصبان فى زعمهم بما فى ذلك فتح فارس طبعا !! كان من الطبيعى ان يهاجم الروافض موقف ابى بكر من اهل الردة . . والجدل الذى نسبوه للاعراب تفوح منه رائحة الفقه الشيعى المتأخر فى الزمن . . فالزكاة لا تدفع الا للنبى مقابل الصلاة وبالتالى لابد ان يكون الحاكم إماما له خصائص النبى ويستطيع الصلاة على دافع الزكاة ، اى ائمتهم هم او بالآحرى وكيل الامام الغائب ! كما لم يفتهم ادعاء ان اهل الردة امتنعوا عن الزكاة لأنهم شكوا فى ذمة ابى بكر !!

اما من الناحية الدينية البحتة فالزكاة من اصول واركان الدين . . لا جدال فى ذلك فقد وردت ٣٢ مرة فى القرآن كلها ملتصقة بالصلاة الا هذه الايات . . :

﴿ قد أفلح المؤمنون ۞ الذين هم فى صلاتهم خاشعون ۞ والذين هم عن اللغو معرضون ۞ والذين هم للزكاة فاعلون ۞ والذين هم لفروجهم حافظون﴾

[المؤمنون: ١-٥]

﴿وما اتيتم من ربا ليربوا فى اموال الناس فلا يربوا عند الله وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون ﴾ [الروم: ٣٩]

﴿ الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون ﴾ [فصلت ٧]

نعود للحجامة فنقول ان اتهام المستشار لابى بكر انه هو الذى شرع القتال والضرب والرمح والسيف ونفذ هذا ، فهو طعن فى جوهر الاسلام فالله ذاته هو الذى كتب القتال علينا . . والرسول قاتل المشركين كافة .

ولن نضيع وقتنا فى مناقشة مشروعية القتال واستمراريته منذ ظهرت الخلية الاميبية الاولى الى حرب الفضاء . . قل موتوا بغيظكم

قتال النبى لليهود سواء بنى قينقاع أو خيبر ، قضية اكبر من ان يفهمها واوضح من ان يزورها فالنبى بدأ مسالما متعاونا محالفا، وقلنا انه لا يوجد كتاب دينى ولا التوراه ذاتها مدح اليهود واثنى على بنى اسرائيل مثل القرآن الذى شهد بأن الله فضلهم على العالمين .ويكفى كما قلنا تسميته لهم بأهل الكتاب . وعندما وصل النبى للمدينة وبايعته أغلبيتها أو قيادتها حاكما على المدينة دخل اليهود فى البيعة ووقعوا مع النبى ما عرف باسم دستور المدينة الذى اشرنا اليه والذى اعطى اليهود حقوقا متكافئة أهمها حريتهم الدينية ، ووقع اليهود انهم سيكونون معه على من حاربه وسيكون معهم على من حاربهم . ثم خانوا العهد ورفضوا ان يكون للعرب نبيهم لأن العرب ليسوا من بنى اسرائيل أو من غير اهل الكتاب بل من الاميين ، حتى لو لم يطالبهم نبى العرب بالايمان به ثم تحالفوا ضده ، وقالوا للمشركين عبدة الاصنام أن دينهم اصح من دين المسلمين . هنا أصبحوا محاربين كلهم ، فى داخل المدينة وأطرافها حيث كان يلجأ

الهاربون والناجون من كل موقع يقاتلهم فيه المسلمون داخل المدينة ويستولون عليه . . وقد ثبت خطورة استمرارهم فى المدينة مع خيانتهم ، واستعدادهم لمحالفة من يغزوها حتى لو كـانوا من المشركين فى غـزوة الخندق أصبحوا خطـرا داهما على أمن المدينة والمسلمين . .

وفى ظل الحـرب من حق الدولة ان تتـخـذ أى إجراء يحـقق سـلامـتهـا وأمنهـا وانتصارها وقد فندنا حكاية استنكار ان يأمر الرسـول باغتيال زعماء العدو . . وطالبنا سيادته بأن يستنكر اولا اغتيال اقوى دولة فى العالم واكـثرها ديموقراطية للشخصيات المعادية لهـا وقلنا انه بعد كل مـا قتلوه لم يستطع الـكونغرس ان يشتـرط الا الاحاطة مسبقا بقرار اغتيال رؤساء الدول فقط!!

اتشطر على الذين يستضـيفونك لتحاضر عن خطأ اغتـيال فى القرن السابع ، وهم يدبرون ويتنادون فى صحفهم فى نـهاية القرن العشرين بمشروعية اغـتيال رؤساء دول ليسوا فى حالة حرب معلنة ضدهم !

واليهـود هم الذين دبروا مؤامرة اغـتيال النبى نفـسه ، وقد ذهب اليـهم يطالبهم بتطبيق اتفـاقياتهم وهم الذين بدأوا بالابـتعادوفى فتـرة المسالمة والتحـالف وليس بعد الاغتـيال . فـلا يليق أن تصف سلوك النبى صلوات الله عليـه بأنه مسلـك عدوانى ومنهاج ارهابى ، توددا لليهود ، وتعـتذر لهم فيما لا يعتذر عنه غلاة اليـهود انفسهم وتقول انهم نفروا من الاسلام لأنهم بهذه الافعال قالوا : اخ ده سياسة مش دين!

و الله يعلم. وأجهل طالب فى التاريخ يعـلم انهم كرهوه وحاربوه لأنهم رأوه دينا وليس لأنهم رأوه سياسـة . بل عندما انتهت مرحلة الصراع الدينى عـاش اليهود فى كنف السياسة الاسلامية وكانوا خير جواسيس واعوان الدولة او السياسة الاسلامية .

فَتَعلَّمْ بالفتح قبلَ انْ تُعْلِمْ بالضم!

لا تقولوا انه يعترض فقط على الاسلام السياسى او حكم الاسلام اليوم ،بل هو يعتـرض عليه من الاساس وهو يتـخير اكـاذيب التراث التـافهة لكى يشـوه التاريخ الاسلامى. .فيقول : على بن ابى طالب بعد وفاة النبى كان يضع فاطمة كل ليلة على

جمل ويدور بهـا على القبائل يحرضـها على مبايعـته!! وهو ما يستـحى رافضى ان يذكره.

فاطمة مرضت وماتت بعد ابيها صلـوات الله عليهما بستة شهور . . وعلى الذى استنكر ان تخرج عائشة يوم الجمل أكان يخرج بفاطمة على جمل !ولو وقع ذلك منه اما كـان اصحاب الجمل يحـاجونه بها ويقـولون انما اتبعنا سنتك ! ولكانت صاحـبة الجـمل اذا ذكرت فى تاريخنا انصـرف ذلك لفـاطمة اولا . . اغلب الظن انهـا رواية اختـرعها زبيرى أو أمـوى ليشنع على على رضى الله عنه الذى وفقـا لهذه الرواية لا يرحم مرض فاطمة ولا حـزنها بل يحملها على قتب يستصـرخ بها القبائل . . وعلى كان اشجع الناس . . حاشا لله !

او لعل مخترع الرواية اراد ان يدافع عن الزبير بأنه انما اخرج عائشة رضى الله عنها بسنة على صـاحب الجمل الاول ! ام ان آية ﴿ **وقرن فى بيوتكن** ﴾ تواجه بها زوجة النبى فقط وليست ابنته ؟!

نحن نرفض تستـره خلف ادعاء التقوى والذود عن الاسـلام ، ونطالبه ان شاء ان يكون من نجوم عصـر التنوير ان يجاهر برأيه ولا يخشى لومة لائم فالتـاريخ لا يغيره الخائفون والاديان لا تتبدل بوشايات المجهولى الهوية . .

قضية الخلافـة نتحدث فيها وتحدثنا اما حكاية صراع المحمـوم والاعتداء على سعد فربنا يشفى كل محموم. .

اما القول بأن العرب اساءوا فهم الاسلام فنكتة سخـيفة . .العرب فهموا الاسلام جيـدا جدا و استطاعوا اقناع الف مليـون به وانت لا تستطيع ان تقنع ستـة لهم حرية الاختيار بما تـقوله على الاسلام. الاسلام الذى فهمـه هؤلاء العرب واقاموه واورثوه لنا . . وليس من حقنا ان نأتى اليـوم ونقول . . لأ دا فهمـوه غلط . . هذه كحكاية المصحف فيه غلط فى النحو!

وهل صـحيح ان « العـرب الذين حـملوا الاسـلام صفـر من اى فـهم عن علوم السياسة ، و اى فن من فنون حكم الدول ٠»

كيف كان ذلك ؟

كيف يستطيع جاهل او صفر فى علم السياسة او فن حكم الدول كيف يستطيع ان يدير حربا على ثلاث جبهات على الاقل ويهزم الدولتين او الامبراطوريتين الاكبر فى العالم فيبيد واحدة تماما وينتزع جل اقاليم الثانية ويقيم فيها حكما دائما لمدة الف سنة؟!ويعقد المعاهدات والتحالفات . .

كيف هذا؟!

من هو الصفر بالناقص ان لم يكن قائل هذا الكلام . . هل كان الفتح الاسلامى اجتياحا مغوليا ينحسر حتى وهو يزحف . . ام اقاموا حكما مستقرا راسخا وغيروا خريطة العالم للابد ؟ بل استطاعوا ان يكسبوا ولاء المحكومين ضد حكامهم ولو كانوا من بنى جلدتهم ودينهم ؟ مما مكنهم من ان يخوضوا حربا اهلية لاكثر من عشرين عاما دون ان يتمكن اعداؤهم من الاستفادة من تقاتلهم . .

ولكن ماذا نقول فى من يفتى ان الاخطل من المهاجرين وعبر عن تيار فى المهاجرين يميل للحط من شأن الانصار.!!

والاخطل مسيحى كما يعرف طلبة الاعدادية![٢٤]

وهذه هى الصورة التى يقدمها لمؤيديه فى الولايات المتحدةوالمنكل بهم فى سجون النظم العلمانية !

ونظرا لفقر العرب السياسى يحق له ان يستنتج :

«وهكذا انتهى الفقه الاسلامى الى ان يصبح خلوا من اية نظرية سياسية واضحة وصفرا من اى نظام سياسى متكامل»ص١٩

كيف اصبح اذن فى خدمة النظام كما تتهمه ان لم ينظر لهذه النظم سياستها الداخلية والخارجية كما سنرى من قائمة اتهاماتك . . وماذا عن الثورات التى نشبت والدول التى قامت أليست هذه سياسة ؟! ألم تقل فى اول سطر فى الكتاب اراد الله الاسلام دينا وحوله المسلمون الى سياسة !

كيف تسمح لنفسك بادعاء الموقف ونقيضه تماما .. تنعى عليهم تحويل الدين لسياسة .. وتقرعهم لأنهم لم يعرفوا السياسة ..بل كانوا صفرا فيها !

لا حول ولا قوة الا بالله كتب علينا ان نناقش امثالك ونفند كلا الادعاءين !

كيف تحول الدين الى سياسة الا عن طريق الفقه وكيف تكون سياسة بدون فكر او نظام سياسى ؟!

يقول :« لا يلتفت الفقه الى ضرورة قيام نظام سياسى محكم سليم واضح متكامل يسير طبقا لضوابط محددة وينطلق وفقا لقواعد مرسومة ويتعدل تبعا لاسس مدروسة ولا يكون الحاكم فيه الا جزءا من النظام واجهته ومظهره .. » ص٢٠

زى اللى عندكم ؟ !ام مثل الجمهورية الفرنسية الخامسة ، أوالنظام الملكى فى بريطانيا ؟

اين قام هذا النظام الذى يحدثنا عنه ومتى حتى ندين المسلمين لأنهم لم يقيموه منذ ١٤ قرنا ! !

وكما قلت فى تعليقى على رشيد رضا ان العاجزين عن اقامة نظام دستورى فى القرن العشرين يلقون مسئولية عجزهم على المسلمين فى القرن السابع !

فى موضع يهاجم الغلطة الفظيعة التى ارتكبها المسلمون عندما اشتغلوا بالسياسة، او حولوا هذا الدين الذى ليس له علاقة بالسياسة او الحكم الى سياسة. فكانت المذابح التى لابد انها عنده اكبر وابشع مما حدث فى الثورة الفرنسية والثورة البلشفية ومن مذابح ستالين والثورة الثقافية فى الصين .. ،مما فعلته اوروبا فى سكان العالم بل وفى حروبها ومذابحها.. ويعلمنا انه «نتيجة ذلك انسحب المسلمون من الحياة العامة الى شئونهم الخاصة »ص٢٠

ومن القرن السابع الى القرن السادس عشر كان المسلمون اكثر اهل الارض انشغالا بالحياة العامة وليس فى تاريخ حضارة ولا أمة ولا دين مثل هذا العدد من الثورات والحروب الاهلية التى قام بهاالمسلمون. .انسيت ما كتبه معلمك عن التاريخ الثورى

للمسـلمين ؟!! هل كان الانجـليزى او الفرنسـى او الالمانى طوال هذه القرون اكـثر اهتمـاما بالحياة العـامة من المسلم ؟او هل كان نظامـه السياسى افـضل ؟ او هل كان ملوكه مجـرد واجهة فى اطار نظام الخ الهلس الفكرى الذى يتقـيأونه !وهل لما الغيت الخلافة كـان حالنا افضل بل هل كان هناك فعـلا اى اثرعملى للخلافة العثـمانية فى حياتنا منذ الغزو الاوروبى !

ولا نكاد نمضى خطوات حتى نجده يسجل لنا من اهتمامات المسلمين عجاجا من الحياة العـامة باسلوب انشائى يسراستاذ اللـغة العربية فى مدرسة سـمنود الابتدائية : «وفى حـمى التنافس ولهـيب التـسـابق توافـقت قوى وتناقـضت وتحـالفت تيـارات وتصارعت وتألفت جبهات وتقطعت وتداخلت خيوط وتفاصلت »(كذا) ص ٢١

ثم يضرب شقلباظ فـبعد ان عير العرب بأنهم صـفر فى السياسة يعود فيـهاجمهم لأنه: «أراد الله للإسلام أن يكون دينا، وأراد به الناس أن يكون سياسة» ص٧

لا توجد عبارة اكثر ادعاء من هذه !

اذا كان الناس كل الناس قـد أرادوه او رأوه سياسة فمن انت حـتى تخالف الناس كل الناس . . هل انت ممثل الله . . ؟!

ثم يمارس معنا اسلوب النصابين الذين يريدون الاختلاء بالضـحية فإذا اعترضهم غريب ناصح قالوا له مش مقـامك يا بيه . . ينهال الاستاذ العشمـاوى على السياسة سبـا فيقول لنا :«الدين يسـتشرف فى الإنسـان أرقى مافيه وأسـمى مايمكن أن يصل إليه. والسياسة تستثير فيه احط ما يمكن ان ينزل اليه وادنى ما يمكن ان يهبط فيه. . . »

«لكل أولئك فإن تـسييس الدين أو تديين السـياسـة لا يكون إلا عملا من أعـمال الفجار الأشرار أو عملا من أعمال الجـهال غير المبصرين، لأنه يضع للانتهازية عنوانا من الدين، ويقـدم للظلم تبريرا من الآيات ، ويعطـى للجشع اسـما من الشـريعة ، ويضفى على الانحراف هالة من الايمان ويجعل سـفك الدماءظلما وعدوانا عملا من اعمال الجهاد. »ص٧

فالسياسةُ ـ كما ترى من تعريفه ـ عملٌ فاجر شرير ظالم جشع منحرف سافك للدماء يمارسها اشرار فجار . . وكتابه هذا ليس كتابا دينيا بل هو كتاب سياسى وبالتالى تنطبق عليه كل هذه النعوت . .

اذا كان الصحابة اشتغلوا بالسياسة ،كما اعترف امامك الشيخ على، ولم يفسد ذلك الدين بل امتد وازدهر حتى ادخل اسلاف الشيخ على وصبيته فى ملتهم فكيف ينهانا هذا عن السياسة ويحذرنا منها ويبغضنا فيها ؟ وكيف ينهانا عن السياسة فى القرن العشرين ويعيرنا بأننا لم نمارسها ولم نتفقه فيها فى القرن السابع؟!

ويحاول ان يعتذر فيقول ان القصد «من التمييز بين السياسة والدين ان تقوم الاعمال السياسية باعتبارها أعمال بشر ليسوا مقدسين ولا معصومين وان الحكام مختارون من الشعب وليسوا معينين من الله» ص١٥

هو يتحدث عن المسيحية أو إسلام غير الذى نتحدث عنه ، فليس فى اسلامنا احد معين من الله الا محمد بن عبد الله ، وعندما اجتمع المهاجرون والانصار فى السقيفة لم يدخلوا غارا ولا غطوا رؤوسهم فى انتظار اختيار الله لهم من يحكمهم بل اجتمعوااجتماعا عاما مفتوحا صاخبا لاختيار امير يعين من قبلهم وبإرادتهم ووفقا لاختيارهم وقالوا منا امير ومنكم امير ولم يقولوا منا نبى ومنكم نبى !

فمن يعلم هذا وفى من يبشر بضرورة الا يكون الحاكم معينا من الله! وليس عندنا من بشر مقدس ولا معصوم الا رسول الله وفى ما أوحى به اليه ولذلك لا نحتاج للتفرقة بين السياسة والدين فالسياسة محكومة بمبادئ وقيم واخلاقيات الدين ومع ذلك فلأنها من اجتهادات بشر غير معصومين فهى قابلة للنقد والتخطئة والتجريح و التعديل ، ولو بالسيف كما شرع أول خليفة وأول جمهور مسلم. !

ليكن هذا ظنه بالسياسة ويقينه بفسادها وانحرافها الابدى ولكن الاسلام جاء ليهذب السياسة ليرتفع بمستوى السلوك والممارسة ليطور اخلاقيات الناس لكى يكونوا أتقياء أطهارا إذا ما وقفوا بين يدى الله يؤدون الصلاة ثم ينقلبون الى اشرار فجار فورالتسليم وممارسة الحكم أو السياسة كأنهم دكتور جيكل ومستر هايد او كضباط

البوليس السياسى أيام الملك فاروق الذين كانوا يؤدون الفرض وبعضهم له زبيبة صلاة مثل أثفان الابل ثـم ينفلتون من صلاتهم فيـعذبون الشباب الوطنى ليـجبروهم على الكذب ..

لا..

الاسلام جـاء يحارب هذه الازدواجيـة ، وهو لا ينجح فى جمـيع الاحوال لأن الناس تخـتلف ولأن الاخـتلاف هو أسـاس العـدل فى الثواب والـعقـاب ولكنه أى الاسلام لا يكف عن المحاولة والتعليم والتوجـيه من أجل عالم إنسانى أفضل ..ولا يمكن إلا لمارق أسود القلب انكار مـا احدثه الاسلام من تقدم فى العلاقـات الانسانية والمسلكيات الـسياسـية . ولا يمكن ان يتنحى الدين عن مـيدان السيـاسة لأنه بذلك يسلم بعبث تغـيير اخلاقيـاتها فيفـضل النأى بنفسه .. اليس الذين سيـمارسون هذه السياسة اللئـيمة من المنتسبين لهـذا الدين فما قيمته ومـا دوره ان كان لا يحاول حتى تحسين سلوك المؤمنين به؟!

وما دخل الدين فى انحـراف الحاكمـين ولو باسمـه .. هل تضار الديموقـراطية كمبدأ لأن كل ديكتـاتوريات أوربا الشرقية كانت تتسمى بـالديموقراطية او لأن النظم الديموقراطية قد ظهر فيها من يستغل أسمها أو أساء استخدامها أو انه تبين بها قصورا معـيبا ؟!ولماذا لم نـسمع هذا القول عن الاحـزاب الأوروبية التى تحـمل اسم الحزب المسيحى والـتى حكمت غرب اوربا منذاكثر من قـرن ، مع ان المسيحيـة صريحة فى النهى عن السياسة ولكن هذه الاحزاب اخذت بمفـهوم الاسلام .. فلا اعتراض على اشتغال المتدينين بالسياسة بل الاعتراض والخوف هو من اشتغال طائفة رجال الدين بها

وفجأة يعلمنـا انه « لابد ان يكون من المفهوم الواضح ان الاسلام غـير الصيغ التى يظهر بهـا او التى ظهر بها خلال التـاريخ ... وفساد هذه النظم او بعضـها لا يعنى فساد الدين نفـسه او بطلان الاسلام ذاته ، بل ان دمجهـا فى الدين وخلطها بالاسلام هو الذى يفسد ويبطل » ص١٦

وهكذا يطمعنا فى إسلامـه وإن لم نوافق تماما على منطقه ولكن سرعان مـا نتبين

انه يجر رجلنا ليقول « ولقد بدت نزعة غربية تزعم ان التاريخ الاسلامى قد زيف اذ عمد العباسيون الى تشويه اعمال الامويين . . وقصد الشيعة الى العبث بكل افعال واقوال السنة . . لـلغرابة لم يصدر عن غير المسلمين بل ممن يريدون اخفاء عورة التاريخ الاسلامى . . الذين يرمون التاريخ الاسلامى كله بالتزييف لكى لا يقروا بوقائع خاطئة»ص١٦

«إن دعوى تزييف التاريخ الاسلامى لإخفاء وقائع ضد الاسلام تعمل من حيث تدرى او لا تدرى على توطيد احتمالات عودة مثل هذه الوقائع وتكرارها مادامت لا تستنكرها ولا تستهجنها ولا تعرف انها ضد الاسلام ذاته »١٦

والحديث مضطرب يفتقد المنطق لأنه يفتقد الصدق وهو لعب بغير مهارة فمادمت قد سلمت ان ما يرتكبه الحكام لا يجوز ان يحسب على الاسلام ، فكيف تركت لسانك يزل فتقول انها وقائع ضد الاسلام ! اثبت لك على رأى . . اما انها ضد الاسلام او لا علاقة لها بالاسلام ومن ثم فاثباتها او نفيها لايدين ولا يبرئ الاسلام.

اما عن اتهام التاريخ الاسلامى بأنه مزور ، فقد شهد العالم المتحضر كله ان اضبط تاريخ ، الى ما قبل المطبعة ، هو التاريخ الاسلامى فدعك من هذا . .

« كان من شأن الخلط بين الدين والسياسة ان اصبح الخليفة خليفة الله وليس خليفة للمسلمين ، يلى الخلافة بالبيعة أوالانتخاب او ما ماثل . وسواء بالعقيدة ام بالواقع فلقد صار الخليفة معصوما فى فعله وقوله ثم صار مستبدا فى الرأى والحكم»ص١١

الاحرى ان يقال انه نتيجة الفصل بين الدين والسياسة وقع الانحراف وبعض الاخطاء التى ينفخ فيها فهو لم يجد ما ينتقده على حكومة الرسول الا محاربة اليهود! واخذ على ابى بكر - او بالاحرى نقل عن عبد الرازق - اقامته الخلافة وحرب الردة . . الخ واضطر للاعتراف بنموذجية حكومة عمر. وهذه وحكومة ابى بكر ولو كره ولو انكره سبع مرات - كانت اقرب الحكومات «للخلط »بين الدين والسياسة ، فى عقول المخلوطين لأنها كانت اقرب حكومات البشر للدين. ومع ذلك فهى اعظم حكومة باعترافه . ولو كان الدين يسمح لأحد بادعاء تمثيل الله سبحانه وتعالى لكان

عـمر اولى الناس بهـذا الادعاء . .ولكن ديننـا هو النقيض تماـا لأى ادعاء بألوهيـة اوعصمة البشر ، وهو لا يعرف الحكومة الدينية ولا يقرها ولا مارسها بشكل جدى !

وفى عصر الخلافة الرشيدة عندما نادى جاهل سيدنا عمر : يا خليفة الله! رد عمر خالف الله بك ! بل قل يا خليفة رسول الله . فالمنطق والواقع والتاريخ كلها تؤكد ان الخطأ جاء من ابتعاد السياسة عن الدين من ابتعـاد السياسيين عن الدين فغلبت عليهم مفاهيم واساليب عصورهم. ولا جدال انه اذا كـان بعض الحكام المسلمين قد داعبتهم فكرة الحق الالهى فى الحكم فهم قد اقتـبسوا ذلك من اوربا وليس من الاسلام فهنرى الثـامن كـان يحكم بالحق الالهى وشـارل الاول رفض سلطة البـرلمان اسـتنادا للحق الالهى، ومازالت ملكة بريطانيا تترأس الكنيسة!

وكما قلنا كان واجبا على المستشار ان يغتبط لخلو الفقه من اية نظرية سياسية . . اليس هذا ما يدعو اليه وجوهر دعوته ؟

اما نحن فلا نوافقه ولا نوافق من نقل عنه ، وقد تحدينا ان يكون فى كتابه فكرة واحدة غير منقولة . على عبد الرازق قال ذلك قبله بسبعين سنة .

فالفقـه الاسلامى حافل بالنظريات السيـاسية وهو قد شهـد او اتهم وانتقد فى كل صفـحة بأن الحكام برروا سـياسـتهم بالفـقه فكيف يزعم خـلو الفقه الاسـلامى من النظريات السياسية؟!كيف يبرر الفقه الاسلامى السياسة ان كان خلوا من السياسة.

الم اقل لكم انهم بلامنطق ولا يتحرون الصدق فى ما يكتبون او يبحثون !

كل الفقه المتعلق بالامامة هو فقه سياسى وقد وردت فيه جميع الافكار اوالنظريات السياسية التى عالجها الفكر البشـرى منذ اليونان الى القرن التاسع عشر او الثامن عشر .وكل الفكر السيـاسى الاوروبى الى القرن التاسع عشـر له جذور اسلاميـه فى الفقه الاسلامى والفلسفـة الاسلامية وعلم الاجتمـاع الاسلامى حتى الماركسية نسـبها خالد محى الـدين الى كتاب الامـوال لابى يوسف الذى قـرأه كارل ماركس فى المـتحف البريطانى على حد قوله .(٢٥)

يقول :«وخلال التاريخ الاسلامى كان التطبيـق السياسى دائما ضد مصالح الناس وروح الاسلام «واصبح الفقه السياسى الاسلامى يدور حول الخليفة وحقوقه كحاكم» ص٩٣

يعنى عندنا فقه سياسى ؟!

اما انه يدور حول الخليفة وحقوقه كحاكم . . «وسنقبل التزوير فالحديث لم يكن فقط عن حقوقه بل واجباته أو شروطه» ومع ذلك هل كان الفقه السياسى فى اوربا حتى القرن الثامن عشر يدورحول امر اخر؟ هل كان يمكن تصور حديث عن حقوق لشعب فى ظل نظام يقول فيه الملك انا الدولة !

لكن حديث الفقه او الحجامة عن حقوق الملك او الخليفة او الدولة يتضمن بالطبع حقوق الناس والتزامات الحاكم وما لا يجوز تخطيه . . الخ

فى فقرة واحدة تجده يناقض نفسه وكالاطفال يلقى بفعلته على الاخرين فالفقه الاسلامى سارع يضفى الشرعية على حكم معاوية بناء على طلبه « واتجه الفقهاء الى النظريات الغربية يفرغونها فى صيغ اسلامية لتبرير السلطة ومدها بكل اسباب الاستبداد ومن ثم قيل ان الخليفة هو خليفة الله وهو تعبير اسلامى لفكرة ظل الله «كويس قرأت ما كتب ونقلته» كما قيل ان الله رتب بعنايته ورعايته تولى الخلفاء للسلطة وانه يتعهدهم فى كل ما يقولون او يفعلون وهكذا ومن ذلك الوقت ظل الفقه الاسلامى محصورا فى نطاق القانون الخاص المعاملات بين الناس ولم يجسر على الامتداد الى نطاق القانون العام نظام الدولة والعلاقة بينها وبين المحكومين واذا حدث وامتد صار تبريرا لاعمال الحكام وبيانا لحقوقهم دون ان يتعرض لحقوق المسلمين وحاجات الشعوب واذا حدث وتعرض لأولئك فعلى استحياء وباقوال نظرية لم توضع موضع التنفيذ » ص ٩٨

ومن يصدق الفقيه السفيه لو قال ان الخلفاء يعينون من قبل الله وبترتيبه ورعايته وانه يتعهدهم . . الخ والمسلمون جميعا يسلمون بصحة حديث الخلافة بعدى ثلاثين عاما ثم هى الملك العضوض. . !! فمن معاوية الى عبد الحميد هى ملك عضوض !

هل يعين الله الملك العضوض ؟ أو هل يصبح الملك العضوض ظل الله؟ لو صح تعبير ظل الله او ان فى الاسلام سلطان يرسله الله لحكم العباد فهو على الارجح المهدى المنتظر نعم المنتظر والذى لم يظهر بعد. .

كيف برر الفقه السلطة وافـرغ النظريات الغربية دون ان يتطرق لنظام الدولة وكيف برر اعمـال الحكام وحقوقهـم دون ان يتطرق لنظام الدولة وقد قلنا ان تحديد حـقوق الملك يعنى فى نفس الوقت تحديد حقوق الرعية (٢٦)

ويعود فيقر ان الفقه الذى قال انه لم يتعرض قد تعرض ولكن على استحياء!

لا بأس التى جاءت تمشى على استحـياء هى التى تزوجت وما ذنبهم اذا لم توضع اقوالهم موضع التنفيذ ؟!

المهم انهم قالوا وعارضـوا السلطة الاستبدادية وبعـضهم دفع ثمن ذلك من دمه او حريته . . ثم مـاذا عن الفقه الثورى لماذا لا يندرج فى اطار الفـقه الاسلامى ؟ هل كانت كل هذه الفـرق الاسلاميـة المتصارعـة والمتقاتلة يدور فـقهـا الا حول السلطة وحقـوقها وحقـوق الناس الم يكن الثائرمن ال البـيت يمسح رأس اليتـيم ويقول ؛ يقتلنى هذا وامثاله لأننى اطالب بحقوقهم فاخرج على الخليفة فيأخذنى فيقتلنى !

اليس الفـقه الاسـلامى المتـعلق بحقـوق الناس هو الذى يحـرك هذا الثائر ويبـرر خروجه على الدولة ؟ !

وماذا عن الفقه الخارجى اليس من الاسلام ؟

فى كل دولة يوجد فقه سياسى تستند اليـه السلطة وفقه سياسى معارض . . ولكن ليس معنى الفقه السياسى الرسمى انه بـالضرورة فاسد ومنافق انما يتحدد ذلك بموقفك من هذه السلطة ، المهم انه لا يجوز الحكم على حضارة كاملة بشق واحد من فلسفتها السياسيـة أو فقهها القانونى، مـادام الفقه الرسمى والفقه المعارض كـلاهما يستند الى ايديولوجية الجماهير ، ويستمد شرعيته من دين الجماهير. بل اننا نجد الفقه المعارض هو الاكثـر ادعاء بالاسلاميـة فكيف نحذفه من ايديولوجـية الحضارة او تقـييم فقهـها السياسى ؟!

سيعود فيستنكر الفـقه المعارض ايضا « والفقه الذى لم يؤيد الحكام تردى فى اثارة الفتنة بين المسلمين وتبرير الخروج على الحاكم والمجتمع بالعنف والقوة دون ان يتوقع

ان ما قاله او دعا اليه فى ظروف معينة كان بعضها لمقاومة غزاة سوف يصبح مسوغا ومبررا ولو بالتأويل للخروج على اى حاكم واى مجتمع » ١٢٣

مش عاجبه لا الحار ولا البارد

فى هذه النص اعترف بوجود فقه اسلامى ثورى يبيح بل ويحرض على الخروج على اى حاكم واى سلطة . وهذا ينسف اى ادعاء بأن الفقه الاسلامى كان كله تبريرا للسلطة ودعما لها بل وجد الفقه الاسلامى الذى يهتم بحقوق الناس ويعترض على سلطات الحاكم بل والاكثر ثورية من المستشار فى نهاية القرن العشرين فهو يتهم هذا الفقه، بأنه سبب المشاكل ومثير الثورات الى اليوم !

فاذا كان هناك فقه برر كل الحكام فهناك الفقه الذى برر الثورة على كل الحكام. وباكتمال النقيضين تكون حضارتنا قد انتجت الفكر السياسى فى اكمل صوره وهى الحقيقة التى تنقض بل تسفه كل ما ادعاه هو وشيخه عن انعدام الفكر السياسى فى الاسلام !

كيف يكون ذلك وانتم تتهمونه بأنه يبرر سلطة المستبدين وثورة المتمردين الى يومنا هذا ؟

قديما قالوا فاقد الشئ لا يعطيه ، ولكن هؤلاء يتهمون العدم ذاته بارتكاب جريمة. . ينفون وجود فكر ويحملون غير الموجود هذا مسئولية النظام والثورة معا بل وعبر الف وخمسمائة سنة ونتمنى لو انه ذكر لنا بعض امثلة على نقل الفقهاء فى عصور الخلافة الاموية او العباسية من الفكر الاوربى فى العصر الوسيط ص٩٨ انما قلنا نحن ذلك على الدولة العثمانية فسحب قولتنا على التاريخ الاسلامى كله!

والمطالبة بتقنين الفقه لا تعنى تحويله الى نصوص دينية بل العكس تماما اذ سيصدر من سلطة تشريعة وبمرسوم اميرى او جمهورى او ملكى فكيف تأتيه مظنة الدينية او الكهنوتية وليس لدينا حبر اعظم ولا راهب اكبر تعتبر تشريعاته اوامر من الله ؟

ولن نهبط الى مستوى مناقشة ؛ هل الدين هو الذى فرق المسلمين ام السياسة

والمصالح وشتى العوامل التى تفرق الناس فى كل زمان ومكان وباختلاف الاجناس والالوان؟ اما الدين فكان الرابطة التى تجمعهم رغم خلافاتهم الدنيوية . هل يختلف الناس بسبب الايديولوجيات ام تختلف ايديولوجياتهم باختلافهم اصلا . . ومعذرة للقارئ اذ سيجد نفس الاتهام ونفس الدفاع فى تعليقنا على عبد الرازق !

سؤال أُجيب عليه من قرون ، وإن كانت اوربا لم تتعلمه إلا حديثا جدا . . اجاب عليه ابن عباس عندما دعته زوجته لنصرة ابن الزبير على يزيد نصرة للحق الذى يدعو اليه ابن الزبير فقال لها : والله ما يقاتله الا على البغلات البيض التى حج عليها معاوية قبل وفاته !

ونفاجأ به بعد كل ما قاله ضد السياسة وتجافيها مع الدين ، نفاجأ به يعترف ان النبى صلوات الله عليه مارس السياسة . .ولكنه يلتمس لذلك تغطية او عذرا فيقول :

«وعندما ساس النبى ﷺ أمور المؤمنين كان يفعل ذلك بإرشاد الوحى ورقابته، فى كل قول أو فعل أو تصرف، حتى ليمكن القول - طبقا للاعتقاد الإسلامى-ان الوحى هو الذى كان يسوس أمر المؤمنين.» (ص٧)

سيادته يعرف ان كل رأسماله فى التضليل حول قضية الحكومة الاسلاميةهو استغلال حقيقة ان النبى كان رسولاعلى صلة بالسماء يوحى اليه . وان الوحى كان يتنزل عليه ويقضى فى عدد من المشاكل والقضايا التى تعرض ، ولكنه يجب ان يعلم ايضا انه رغم هذه الحقيقة، فإن المسلمين لم يضلوا والوقائع عديدة التى تثبت انهم فصلوا بوضوح وتفهم بين قضايا الدين التى لا ينطق فيها الرسول عن الهوى ، وبين إدارة دنياهم التى يحكمها الرسول كبشر دون الانتقاص أو الاخلال بصفته الخاصة جدا وهى النبوة ، لذلك يحاول المستشار ان يحدد هذه الوقائع فيقدم لنا واقعتين قدمناهما نحن قبل عشرين سنة او تزيد! . .

ونحن نضيف لعلم الذى جاء يعلم ثالثة وهى فى غزوة الخندق عندما اراد مصالحة غطفان وسألوه : أهو وحى ؟ قال لا وانما اردت ان احتال لكم وقد رمتكم العرب عن قوس واحد . . فلما رفضوا عدل عن رأيه ووافقهم .

وتحب رابعة نزفها اليك فهذا حــلال فى شرعنا ، وهى عندما قضى فى امر اسرى بدر وجاء الوحى مخالفا امره · ·

تحب خامــسة شرط ان تطلق واحــدة ؟! عندما جاءه خــصمان فــقال لهمــا بصريح العبارة انه لا يملك العلم بصدقهما مــن كذبهما انما هو مثل اى قاض يحكم بما يعرض عليه من وقائع · ·

هل تريد سادســة · · انت لا تقوى على ذلك تدبر هذه الوقــائع اولا ، وعلى اية حال حتــى لو اقتصر الامــر على واقعتين لانتــفى وانتقض زعمك بأن القاعــدة كانت حكم الوحى · · انما تدل هــذه الوقائع علــى ان القاعــدة هى بشــرية الحكومــة التى اقامــها ومارســها الرسول ، وان تدخل الوحى فى بعض الــقضايا الدنيــوية هو الشاذ والاستثناء نتيــجة الحدث الكونى الفريد اعنى حقيقة كــونه نبيا · · واذا كان الاصل هو حكومة برئاســة جبريل لحق لنا ان نتهم رئيس هذه الحكــومة بالتقصيــر الشديد اذ يتخلى عن اختيار معسكر الجيش ، أو يخطئ الاخــتيار . .فى أول وأهم معركة حربية فى تاريخ الاسلام · · عبــد الحكيم عامر لا يتحــمل مثل هذا التقصــير · ·بل ويترك جبريل اعضاء حكومــته بعد غزوة بدر يختلفون فى مصيــر الاسرى ويتخذون قرارا لا يوافق عليه !

ويخيل لى ان هذه الوقائع ما كانت لترد اصلا فى التاريخ الا من رحمة الله وعنايته لسابق علمه بأننا سنبتلى قبل ظهور الدجال بالمسلمين العيسويين الذين يحاولون الزعم لنا بأن حكومة النبى كــانت حكومة السمــاء او ملكوت الله كما يعتــقد المسيحــيون فى حكومة المسيح القادمة فجاءت هذه الوقائع لتخرس تقولهم ·

«فحكومــة النبى ﷺ إن صح تجاوزا أن تسمى حكومة، لأنهــا بالتعبيــر القرآنى : امارة ، حكومة من نوع خاص جداإنها حكومة الله»ص٨

«وحكومة عــمر بن الخطاب ،ثانى الخلفــاء الراشدين او إمارته بالمــعنى القرآنى ، هى حكومة تخــالف طبائع الاشــياء وتجانب قوانــين الواقع ، ومن ثم فقد بدت فــترة مثــالية . . تحققــت بظروفها وطبيــعة الحاكم ، فــهى لا تتكرر ولم تتكرر ابدا ذلك ان

عمر هذا هو الذى قال عنه النبى ، إنه محدث اى ملهم أو متنبئ وان الحق على قلبه ولسانه وانه لو كان نبى بعد النبى لكان عمر ، ومن يقل عنه النبى هذا بوحى من الله يكون من طبيعة خاصة وتكوين استثنائى ادنى الى طبيعة الانبياء وادخل فى حقيقة الدين وبهذا التكوين وتلك الطبيعة وقف عمر - بقوله ورأيه وفعله - ضد قوانين الحياة الدنيا التى تعمل على غلبة السياسة واخلاقياتها عندما تختلط بالدين او تقترب منه»ص٨ كنا نعلم منذ ان بدأ فى الثناء على عمر انه يتبع اسلوب سلفه جمال سالم عندما انهال مدحا على يوسف طلعت تبريرا لاعدامه ، ولكن هيهات ان ينال جناح البعوضة من قمة الجبل ولا حتى ان يصل اليها ٠

ولعلنا لا حظنا خفة اليد التى اسقطت ابا بكر من التاريخ فالقيم الدينية استمرت ايام عمر وماذا عن ابى بكر ؟! قلنا انه حاقد على ابى بكر او قل ينقل حقد على عبد الرازق على أول الخلفاء قضاءه على اهل الردة لأنه ببساطة لولا ان ابا بكر شن هذه الحرب لتمزق العرب ولما قامت لهم دولة ولا فتحوا مصر واتوا بالاسلام وأوجعوا قلب المبشرين والمنصرين والاستعماريين٠٠ فليخرج ابو بكر من التاريخ ٠٠ مسكين. .ابوبكر طبعا !اعترف به العالم وخسر اعتراف المستشار!

اما عمر فهو نصف نبى !ومن ثم فحكمه مخالف لقوانين الطبيعة وهو كان يمارس اختصاصات نبى ، ومن ثم حق له ان يخالف او يلغى نصا قرآنيا ٠٠ !!

على اية حال هذا المخالف للقوانين البشرية والقواعد الطبيعية واصول السياسة سيطر على السياسة العالمية فى عصره عشر سنوات غير فيها خريطة العالم وللأبد رغم انوفكم٠٠ وعمر رضى الله عنه ما ادعى صفة غير بشرية ولا زعم انه يتلقى الوحى او انه يلهم ، ولا خطر ببال المسلمين الذين عاصروه انه يحمل ترخيصا خاصا أو أنه على اتصال بالوحى . بل بدأ حياته السياسية بعد وفاة النبى بخطأ فادح ينفى اية صفة ميتافيزيقية يمكن نسبتها اليه وذلك عندما انكر وفاة النبى ٠٠ وعمر هو الذى كان يصرخ بأعلى صوته : «كل الناس افقه منك يا عمر ٠٠» «ويل عمر لولا على» ويتراجع أمام اعتراض امرأة من العامة ٠ولا داعى للإطالة فالمستشار سرعان ما يرد

على نفسه . . يقول : «وبالروح العظيمة السامية استطاع عمر ان يفهم روح الاسلام فى الحركـة والتجديد لمواكـبة الواقع ومـتابعة الاحـداث ورؤية المستقـبل - حتى وان خالف نصا صـريحا فى القرآن الكريم - فلقد الغى زواج المتعة والغى حـقوق المؤلفة قلوبهم فى الصدقـات ، مع قيام هذه الحقـوق وذلك الزواج على آيات من القرآن لـم تنسخ . كما أنه منع الفاتحـين من الاستيلاء على الاراضى المفتوحة رغم اتفـاق غالبية المؤمنين على خلاف رأيه واستـنادهم فى ذلك الى آية الغنائم فى القرآن الكريم وسنة النبى فى تقسيم اراضى خيبر بعد فتحها . » ص٨

اصلحك الله ما دمت تعلم ان هذا التفوق العمرى مبعثه الروح السامية وتفهم روح الاسلام فى الحركة والتجديد ومواكبة الواقع ومتابعة الاحداث ورؤية المستقبل. . فما يمنعك ان تتشبه ؟! لماذا سلمت بانعـدام الروح القادرة على تفهم روح الاسلام ؟!مع الاعتذار للركاكة فى تكرار الروح ، ولكنه مضطر والمضطر يركب الصعب فهو لا يريد ان يقول ان عقل عـمر او وعيه هو الذى فهم روح الاسلام ، والا لكان الامـر عقلا وعلما ،وحق لكـل صاحب عقل ان يجـتهد ولكل مـجتهـد نصيب. . وانما يتـخابث المستـشار فيـجعل المعـجزة العمـرية نتاج الروح السـامية او الجـوهر الخاص او الروح القدس . . فاهم !

وهو لا ينتبه الى تناقـضه او لعله ينتبه ولا يهتم فـشعار هؤلاء اللى تغلب به العب به! فهو يقول ان عمر حكم ضد قوانين الحياة الدنيا ! ثم يعود فيثنى عليه لأنه تماشى مع هذه القوانين وتفـهـم روح الاسلام فى الحركة والتـجديد لمواكبة الواقع ومـتابعة الاحداث ورؤية المستقبل - حتى وان خالف نصا صريحا فى القرآن الكريم-»

ما ترسى على بر خلينا نعرف نناقشك . . كيف يكون مشـاليا مخالفا لقوانين الحياة ومتمشيا معها الى حد مخالفة النص القرآنى - بزعمك- انصياعا لقوانين الحياة ؟!

اليست هذه حيثيات معيبة تبيح لنا رد المحكمة !

لن نناقش تقوله فليس فى الامر مـخالفة صريحة لنص كـما يزعم انما هو فى حالة زواج المتعة الاستناد الى تحريم النبى له . . والبـعض لم يقر عمر استنادا الى ان اخر

مرة كانت الاباحة وليس التحريم ولم يقل احد فى هذا الجدل الدائر الى اليوم انه نص لا يجوز الاقتراب منه ، بل كله خلاف بين من شهدوا تحريم الرسول ، والذين لم يحضروا هذه الواقعة ، فبقوا على الاباحة التى شهدوها ، وهو كنظام تكررت فيه الاباحة والتحريم ، يعنى - كما فهم المسلمون - يرتبط بالظروف السائدة ، بل هناك من السنة من يرون اليوم ، ان الزمان قد دار بحيث اصبح جواز المتعة ضرورة ويطالبون بالعودة لاباحته وبالذات للشباب المغترب .وفى دين يؤمن بالنسخ ، لا يمكن ادعاء وجودحدود على حرية الفكر . ولا قيود تجعل المسلمين يعجزون عن متابعة التطور وسبقه دون حاجة الى عمر شخصيا . وفى حكايات عن عمر التى كتبناها قبل ربع قرن قلنا ان معجزة العهد العمرى ليست بسبب عبقرية عمر وحدها ولا اساسا وانما بسبب عظمة وعبقرية الامة التى حكمها عمر .. وها هو المستشار يؤكد بعد ربع قرن ان الاسلامى هو التقدمى هو الثورى هو الشعبى .. فالمستشار العلمانى جدا يرجع انتصارات وعبقريات العهد العمرى الى عنصر ميتافيزيقى هو الروح السامية او الالهام او كونه مشروع نبى .. اما نحن فأرجعنا ذلك كله الى الامة التى رباها الرسول فعرفت حقوقها وامتلكت المنهاج الذى يجعلها تميز بين القشور وجوهر القضايا .

اما نحن فنقول ان شريعة الله هى المبادئ والاسس والتعاليم والاوامر والنواهى التى تنزلت على محمد بن عبد الله اما الفقه او مجموع الاحكام والحلول التى صدرت لمواجهة ملايين القضايا وأفتى فيها علماء المسلمين فهذه هى شريعة المسلمين.

الاولى لا تتغير ولا تتبدل والثانية تعدل وتلغى وتتطور .. فسحقا لقوم لا يفقهون.

واذا كان بعض الفقهاء قد لوى النص ليجد مخرجا شرعيا لمصلحة وقتية او تقية لسلطان فهذا لا يعيب الشريعة ولا الفقه كما لا يعيب القانون ان يتلاعب طاغية او قانونى لاعتصار النص او التعسف فى تفسيره لمصلحته، وقد ظهر عندنا ما عرف باسم ترزية القوانين وهم يفصلون ما يريده الحاكم ويأتى شكلا فى اطار قانونى ودستورى

لا تملك المحاكم الا ان تحكم به ويخضع له الناس ورغم اتفاق الناس على انتهازية المشرع ولا شرعية القانون من ناحية روح القانون ولكن لم نسمع هجوما على الحكم بالقانون ولا دعوة لإلغاء القانون من اساسه مادام بعض التـرزية يفصل منه ماشاء الحاكم. او لان مكرم عبيد استطاع ان يخرج تاجر مخدرات براءة لان محضر التحقيق لم يثبت اذا كان الحشيش المضبوط ذكرا ام نتاية كما تقول الرواية سواء صحت او كذبت .او ان المحامى يمكن ان يترافع عن موقف وضده فى نفس المحكمة فى قضيتين مختلفتين . . هذا كله لا ينكر حاجة الناس للقانون ولا حمايته لمصالح الناس . . فما الجديد ؟

اقول لكم . . المستشار مثل بتوع الحاكمية لا يدخل عقله ان الفقه او الاحكام التى يصدرها الفقهاء وتحكم المسلمين يمكن ان تكون من عند البشر مثل القانون الفرنسى بل هى مقدسة منزلة من عند الله فكيف يغيرون فيها او يتلاعبون . . المحلل تلاعب وهذا صحيح وقد لعنه النبى وسمى عندنا الديوث . . ولكن القول بأن «الوقف الاهلى تحايل على قانون الميراث تحت اسماء ومسميات لم ترد فى القرآن ولا السنة وانما شرعها الفقهاء » ص ٥٥

هو كلام مفضوح كان يروجه فقهاء الرأسمالية العالمية الذين زحفوا على العالم الاسلامى ينهبون عقارات المسلمين بحيل شيطانية تدعمها وتفرضها البوارج والقناصل فلا يقف فى وجههم الا الارض الوقف والعمارة الوقف ومعروف ان عمارة واحدة فى شارع سليمان باشا «طلعت حرب» ظلت مملوكة للمصريين لأنها عمارة وقف !

فالوقف كان المخرج القانونى او الفقهى الذى حمى به المسلمون املاكهم لهم ولوارثيهم من عدوان السلطة ثم من نهب الاستعمارية الاوربية واليهودية التى كان من اهم مطالبها حل الوقف وجندت اقلام المأجورين لمهاجمة الوقف حتى تم لها ما تريد . . دون ان ننسى ما اصاب النظام من تدهور وتخلف فى عصور الانهيار الشامل مثل كل اسس النظام الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . . الخ ولكن هذه الاوقاف هى التى اقامت المدارس والمستشفيات . . الخ

وهو جـهل لأن نظام الميراث يستمـر بنفس الحصص الشـرعيـة فى الريع وان أسَقط المالك الواقف حق التـصرف . وفى الواقـع أن المالك لا يتصـرف فى ميـراثه بل فى ملكيته على حياة عينه وهذا من حقه .

وهو قول بذىء اذ انه لابد قد سـمع ان الوقف بدأ بنصيحة للنبى لسيـدنا عمر فلا يجوز وصفه بالتحايل او المنافى لاحكام الاسلام !

وهو يهاجـم السنة تحت غطاء تصنيفـها ضمن الـفقه فـالذى رجم هو النبى وليس الفقهاء .

ثم تصل به البجاحـة الى ان يسألنا نحن مستنكرا « هل يمـكن بعد هذه الوفرة فى الفقه والشـمول فى الاحكام ان يقال ان الامة الاسـلامية لـم تحكم نفسـها أو أنها لم تشرع لنفسها ولم تنشئ المبادى والاحكام والقواعد » ص٥٥

مين اللى قال ؟ احنا ولا هم ؟!!

نحن نقــول انهـا حكمت وشــرعت وازدهرت وعـدلت وانصــفت واصـابت واخطأت. . وكله كان حكما اسلاميا وحكومة مسلمين وتشريعات اسلامية . .

كل قضية فيها قولان والمذاهب الاساسـية اربعة وان شئت فأكثر. والدولة تفرض الرأى الذى ترى فيـه المصلحة واذا كنت تعتـبرها دولة شرعـية التزمت بحكمـها والا فاختر احد القولين او فتوى امام اى من المذاهـب مادام ضميرك يرتاح لشرعيته. المهم ان يكون قانوننا وتشـريعنا ينبع من اسلامنا او قل ان يكون مـجتمعـنا اسلاميا عـربيا مصريا كما يريد الوزير الفرنسى اسلاما فرنسيا . .

اما القول بأن مسلما يعتقد ان الحكم الذى ورد فى الآية ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فـيما شجر بينهم ثم لا يجـدوا فى انفسهم حرجا مما قـضيت ويسلموا تسليما** ﴾ يشمـله اذا تولى هو الحكم بين الناس ! فهـو من افتـراءات المستـشار ولا نعتـقد ان مسلمـا قال به او يقبل من مـسلم بل ان مدعيـه مرتد واخر مـا وصل اليه الطغاة فى ذلك عندما راحوا يفسرون للناس الاية الكريمة ﴿ **انما المؤمنون الذين آمنوا**

بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ...﴾ [الحجرات:١٥] بأنها تعنى الموافقة على قبول عبدالناصر لمشروع روجرز بلا حرج ! وعبد الناصر هو اكثر حكام مصر علمانية بالمعنى السوقى للكلمة أما ان يطالب مسلم أى مسلم أن تكون كل احكامه مقبولة بانشراح نفس كأحكام الرسول ، فلم نسمع به . حتى عمر قال لهم والله لاحملنكم على الجادة . وخليفة رسول الله لم يقل لهم ان رأيتم اعوجاجا فاقبلوا ولا تشعروا بأى حرج فى نفوسكم ! بل دعاهم الى تقويمه .وعندما عين ابوبكر عمر كلهم ورم أنفه حتى بين لهم.

وطاعة اولى الامر قضية مختلفة عن الرضا النفسى والاقتناع بقراراتهم . . هذه بديهيات يعرفها طالب القانون او العسكرى المرابط الذى يتعلم :اطع الامر ولو خطأ!

ويدبج لنا صفحة (ص٤٨) او لعلها مقالة كاملة حول نص لا ذكر لنا مصدره ولا احسن نقله فلم نفهم منه شيئا الا افتراء على مجهولين بأنهم يزعمون نزول قرآن جديد عليهم وهو ما لم يقم عليه هو اى حجة . ولو حدد من يتهمهم لوجبت عليه البينة او حد فى ظهره ، ولكنه لا حدد القائل ولا ذكر المصدر ولا ابان القول فيما ادعى وليرجع اليها من شاء . . فلعله يقصد البهائيين ، لولا اننا نعرف انه ما انتقدهم قط!

نعود لحكاية خطف الكلام والعجز عن فهم المرام

يقول ان الاية قالت ﴿أحل الله البيع وحرم الربا﴾ ويعلق جنابه «مع ان هذه الايةواضحة صريحة قاطعة فى حل البيع عموماً فقد حرم الفقه بيع المزابنة اى بيع الشيء بالجزاف وبيع المحاقلة اى بيع الزرع فى سنبله وبيع . . . الخ اى ان الفقه حرم حلالا وخصص عاما دون ان يتهم بالكفر.» الفقه لم يحرم حلالا بل حاول تحديد ما هو البيع وماذا يعد من قبيل الربا او المضاربة . . ولا يجوز لطالب فى الاعدادية ان يقول احل الله البيع فلماذا تحرمون على بيع عرضى او اختى اوبيع حقن الهيروين او بيع اسماعيل لاسهم قناة السويس او بيع سندات البنك الواضحة الربا او بيع كتب المستشار لغير المغفلين . . !

التشريع الدستورى يضع المبادئ العامة ثم يأتى القانون فيحدد ما تنطبق عليه ارادة

المشرع . . مـاهو البيع وهل يندرج هذا اللون من التـعامل تحت تعريـف البيع الواضح الذى لا مقامرة فيه ولا تغرير ولا غبن وكل ما ذكره هو صفقات شبه احتيالية مما اعتاد بها المضاربون سرقة مـجهود المنتج . . والغريب انه هو ومفتييـه قد مارسوا نفس الشئ بالمقلوب فاحلوا الوانا من الربا بزعم انها ليست المقصودة بالربا المحرم فى الاية بالنص الواضح الصريح . . والـغريب او غيـر المستغـرب من امثاله انـه بعد ان انتقـد إقدام الفقهاء على تحديد تعريف البيع رغم أن النص بإباحة البيع، صريح نجده يدعو لمناقشة انواع الفائدة مـثل الفائدة على الديون التى يرى البعض انها من الربـا . . لماذا نحتاج لتحديد المعاملات التى تندرج تحت الربا ولا نفعل نفس الشئ فى البيع . . حقا الغرض مرض . ، والتعصب يعمى عينه عما فى نظام التسرى من حل شديد الانسانية للمشكلة التى توصف بأنها اقدم مهنة فى العالم، وهى اضطرار المرأة للتكسب بجسدها .

وفى العالم المسيحى الغربى الصناعى الان ما لا يقل عن ثلاثين مليون امرأة تتعيش من البغاء الـذى اصبح مهنة رسميـة محترمـة تمارسه الجامعيـات ! بل كاد يكون المهنة الرئيسـية فى روسيا وشرق اوربا مع الانـفتاح الاقتصـادى. مع ما فى ذلك من اهدار لأدميـة المرأة اذ تصـبح مجـرد سلعة تبـاع يوميـا واحيـانا ثلاث مرات فى النهـار لمن يستخدمها كمرحاض يتخلص فـيها من توتره ثم لا يلتفت اليها . ولا يهتم حتى بمعرفة اسمها . وتتحمل هى كل النتائج العائلية والصحية فهى لو حملت فهو ابن سفاح لا اب له ولا عائل وهى تصاب وتنقل الامراض ، وهى تواجه شيخوخة مرعبة .

ومهنة البغاء اصبـحت تجارة لها اسمها وهو الرقيق الابيض ولها شـبكاتها وجرائمها وضحـاياها . . ومادام القانون يبـيح البغاء فمـاذا يضيره لو اباح التـسرى وهو بالطبع افضل فى الاتى :

١- صـيانة كـرامـة المرأة فهى تصـبح لرجل واحـد وليـست لأى رجل ولا تضطر لعرض جسدها فى انتظار من يشتريه لسـاعة او بضع ساعة . بينما فى نظام التسرى - الذى يظن اننا نعير به - فهى انسانة وشخصية وان كانت فى وضع قانونى اقل ولكنها ما ان تحمل حتى يحرم بيعها حتى ولو اجهضت وتصبح ام ولد يلتزم الرجل بكفالتها كالزوجة.

٢- منع الامراض لأن العلاقة ستكون محدودة مثل الزواج بين رجل وامرأة.

٣- حماية حقوق الطفل فأمه المسترقه تلده حرا كامل الحقوق بالنسبة لأبيه يحمل اسمه ويرثه قهرا ان لم يكن طوعا .

اذهب يا سيدى المستشار ونظم استفتاء بين ملايين البغايا العاملات والمتقاعدات والمرشحات وقل لهن إنك تفضل البغاء على التسرى وانظر ان كنت تنقلب الى اهلك سالما !

لاتسخر من ديننا فهو التفوق الاكبر هو الحل الامثل لكل مشاكل البشرية وما من حضارة استطاعت التفوق عليه .

وهذا ما نقوله فقط لمحاجتك . . اما عن الرق ذاته فما ابتدعناه ولا دعمناه بل هو سابق على حضارتنا لاحق لها بل نحن أبطلناه أو أوقفناه قبل امريكا بخمسين سنة . . وكل الحضارات مارسته قبلنا ومعنا وبعضها استمر فيه بعدنا .

و ديننا يكره الرق ويتمنى تصفيته وحاول تجفيف منابعه وفرض فى ميزانية الدولة بندا خاصا ثابتا لتحرير الرق ،ولكن البديل كان وما يزال أكثر شرا وأقل انسانية ،ومن ثم حاول الاسلام تصفية الجوانب الوحشية فى نظام الرق حتى تصل البشرية الى اكتمال الانسانية .

ففى القرن السابع كان المسلم اذا حملت منه الجارية استحال بيعها واصبح ابنها حرا يرث اباه أو سيد أمه سابقا . . بينما فى امريكا حتى القرن التاسع عشر كان السيد الامريكى المتحضر لا يبيع فقط الجارية التى وطأها بل وابنه منها . . !أنحن نعير بما ملكت اليمين . . ؟!

والله لو قامت جماعة الان تطالب بأن ينص القانون على ان اى رجل يستأجر امرأة ليمارس الجنس معها تصبح فورا ملك يمين ولها كل الحقوق المترتبة على ذلك وعليها الواجبات لو وجدت هذه الجماعة لفازت باصوات اكثر مما يمكن ان يطمح فيه اى مستشار يحاول ان يتذاكى على المسلمين .

اما اذا تقدمت البشرية وتخلصت من كل مصادر العبودية وكل عناصر الرق ، فليس فى الاسلام نص واحد يأمر بالاسترقاق نخشى ان يعطل ، وانما فيه اكثر من نص على تحرير الرقبة . .

قرر المستشار ان يمحق دعاة الاسلام السياسى فوضع لنا هذا الكتاب الذى لا يهتدى أحد به ولا يضل الا الضالين خلفه . وبكل تواضع يقدمه لنا : «فى هذا الكتاب أستخدم عنوانه الاسلام السياسى لأول مرة لمهاجمة الجماعات التى تقول أن السياسة جزء من الاسلام او ان العمل السياسى فريضة على المسلم وهى مقولات فندها الكتاب خلال فصوله »ص٥

كشفنا اكذوبة حق الاختراع [٢٧] كما أننا لا نناقش ادعاءه بأنه فند ذلك فى كتابه أو أن معلمه على عبد الرازق قد فند شيئا، فتلك قضية تعنى الذين سيقدم لهم كشف الحساب على نشاطه ونجاحاته. وانما الذى يعنينا، ومعذرة للتكرار، لعل أحدهم يتعلم..

أن هذه الدعوة منذ ان افرخت فى وكر المخابرات البريطانية وروجها على عبد الرازق ومصر محتلة بالانجليز .هذه الدعوة هدفها اقناع المسلم ان السياسة ليست من الاسلام ولا من شأن المسلم الحسن الاشتغال بالسياسة !

أصحاب هذا الفكر أصبحوا وزراء وتطبع كتبهم مؤسسات معادية لاهدافنا الوطنية بل هى العدو التاريخى لشعوبنا .وتستخدم كتبهم فى سجون عملاء المخابرات الامريكية لفتنة الشباب المسلم الذى يعمل بالسياسة لتحرير وطنه وتوحيد أمة العرب .ثم يصعب على بعض العمى ان يفهموا مصدر هذا الفكر وفى كيس من يصب . . هل يمكن ان يكون ثوريا او وطنيا او مصريا من يتفرغ لاقناع الشباب فى بلد مستعمر متخلف بأن عملهم السياسى الوطنى ليس من الدين بل هو ضد الدين !

ونسمع كلاما مضحكا فيقول ان هذه الجماعات «تهدف للسياسة اساسا والحزبية أصلا » ص٥

كأنه عيب او كأن هناك جمعية أو حركة اسلامية فى تاريخ مصر انكرت ذلك وأدعت ان مطلبها هو تكية تصلى فيها التراويح ، وهل عندما ذهب عبد الناصر ليحلف عندالاخوان على المسدس والمصحف كان يظنهم مشيخة صوفية ؟!

ماهذا التهافت ؟!

ما العيب فى السعى للحكم . . أليست السلطة هى الوسيلة المثلى لتطبيق البرنامج؟!

وهو يطرح قضيته هكذا : ان تسمية السياسة بالسياسة يجعل من الممكن المعارضة فيها والتخطئة دون ان يتهم احد بالكفر ولكن « صبغ السياسة بالدين وتلوين التحزب بالشريعة ينقل المسائل الى منطقة حساسة جدا ، وخطرة للغاية ، هى مجال الحل والحرمة فكل عمل أو كل قول للحاكم - مهما يكن - حلال وشرعى ، وله من القرآن سند ومن الشريعة أساس وكل عمل أو قول للخصم - مهما يكن - حرام وغير شرعى ، وله من القرآن نقض ومن الشريعة رد . . » ويزيدنا علما فيقول :« ومع ان الخلاف بين عثمان ومعارضيه والخلاف بين على ومعاوية والخلاف بين الامويين والهاشميين وبين الهاشميين والعلويين كان فى جوهره خلافا سياسيا فلقد أضفت عليه صبغ الدين وأسبغت عليه معانى الشريعة فصارت كل فرقة تدعى لنفسها احتكار الحق وتزعم أنها وحدها على جادة الايمان --- وبهذا تشعب الاسلام فرقا وصارت حومة الدين ساحة للسياسة أبيحت فيها كل حرمة --» ص١٠ ثم السباب المعهود مما ترتاح نفسه اليه كلما ذكر الاسلام وتاريخ المسلمين .

نقول تانى

لا يمكن منع الناس من الخلاف ولا يمكن منعهم فى مجتمع مؤمن بدين أو فلسفة أو شعارات مهما تكن ، لا يمكن منعهم اذا اختلفوا من أن يدعى كل فريق انه صاحب التفسير الصحيح لما تؤمن به الجماهير وما يلتزم به المجتمع . . فكل صاحب رأى يريد ان يلتف الناس حوله وان يلتزم المجتمع بوجهة نظره ، كل صاحب دعوة ، لابد ان يقول ان رأيه هو الحق والا لما دعا الناس لتبنيه والموت فى سبيله . فليست هذه هى القضية انما المهم هو ماذا يترتب على مخالفته .

اختلف الصحابة ومن بعدهم اختلف المسلمون كما يحدث وحدث فى كل حضارة مزدهرة ومجتمع مفتوح . . وقناعة المجتمع كله او التزامه هو الاسلام فمن الطبيعى ان يحاول كل فريق ان يكسب الجماهير بتأكيد انه هو الذى على المحجة هو الذى

يلتزم بالقرآن والسنة وخصمه منحرف التفكيروالتفسير : قاتلناهم على تنزيله ونقاتلهم على تأويله . .

ونفس الشيء فى خلاف لنين وبليخانوف كل منهما ادعى انه الماركسى الاصيل وكلاهما استشهد بنصوص ماركس ، وبعدهما اختلف تروتسكى وستالين ، ثم ستالين وتيتو وخروشوف وماو . .الخ وكل منهم ادعى انه مؤيد بنصوص لنين وكل حاول قتل الاخر بتهمة الخروج على النص · الى هنا ونحن مع المستشار فى التحذير من خطر ادعاء اى فريق انه هو الحق و لكن اين التضليل ؟

التضليل الذى لم يهبط اليه اضل فقيه من فقهاء التعيش ، هو زعمه ان السند من القرآن والسنة مع الحاكم دائما وأنهما ضد المعارض دائما !!

قد يكون هذا ادعاء الحكام او بالاحرى بعض الحكام ، فحتى والى معاوية عندما عارضه معارض بنص القرآن ، لم يجادل كما يفعل المستشار، لم يزعم انه مادام هو الحاكم فلابد أن يكون القرآن والسنة والحق فى جانبه . .كما يفتى المستشار ! بل قال صراحة وعلنا : لا سبيل الى فرض الطاعة الا بعصيان الله او كما قال « لن نبلغ فيك وفى أمثالك ما نحب الا بأن نخوض اليكم الباطل خوضا»

بل ان سيدنا على أمير المؤمنين . . من نزل بعض القرآن فى بيته ونزل كل القرآن فى حياته ·· لم يزعم هذا الذى يزعمه المستشار بل بالعكس دعا ابن عباس الى تجنب المحاورة بالقرآن منبها الى قدرة كل خصم على تفسيره لصالحه. . قائلا : لا تجادلهم بالقرآن فهو حمال اوجه. وبالطبع لم يقصد سيدنا على ان القرآن هو الذى تتغير اوجهه بل اوجه الناس أو اجتهاداتهم هى التى تختلف وتحتمل التأويل فى فهم نصوصه بحكم الاتجاه الذى ينظرون منه للنص ، وبحكم الوجه الذى تنصرف اليه مصلحتهم . ومن قبل سيدنا على أوصى النبى قائده الا يقبل من يدعوه الى حكم الله لأنه لا يدرى ما حكم الله !

مندوب النبى ﷺ لا يستطيع ان يدعى انه يحكم باسم الله ولا بحكم الله . . ورسول الله حى يتنزل عليه الوحى بكلمة الله فمن ذا الذى يمكنه ان يدعى احتكار

التعبير عن ارادة الله أو حتى النطق بارادة الله ؟! الم يغضب عمر ونهر من قال ان حكمه هو حكم الله وأمره ان يقول بل هذا ما قضى عمر فإن يكن حقا فهو من الله وان يكن خطأ فهو من عمر .

فهذه ليست من اكتشافات المستشار بل حقيقة يعرفها المسلمون . . لأن الكتاب الصالح لكل زمان ومكان لابد ان يختلف الناس فى تفسيره واستنباط احكامه باختلاف العصر والمفاهيم . . ولكن الفيصل فى النهاية هو قناعة الاغلبية فى المرحلة المعينة .

المهم فى هذه القضية هى عصمة الحاكم . . هل من يتولى السلطة يصبح مثل البابا تتقمصه روح القدس ومن ثم فقوله هو الصواب المطلق وهو وحده الذى يمتلك التفسير الشرعى للنص الدينى وتصبح احكامه تشريعا دينيا ٠٠؟

هل وجد عندنا الملك او الحاكم الذى يستطيع اصدار قرار دينى فى كروية الارض او يغير دين الأمة لكى يتزوج ؟! (٢٨) البابا قال ان الارض لا تدور فانصاع اكبر عالم فلك ! وعندنا فشل امير المؤمنين فى انتزاع التأييد لرأيه فى قضية فلسفية هى خلق القرآن.

الاسلام يرفض هذا تماما منذ سأل الصحابة رسول الله أهذا وحى ام الاجتهاد والرأى والمكيدة ؟

فكل امور الدنيا كل قرارات الحاكم فى شئون الدنيا قابلة للنقد والتخطئة بما فى ذلك قرارات رسول الله خارج دائرة الدين صلوات الله عليه وسلامه. ما من حاكم سيرقى الى مرتبة رسول الله ورسول الله كحاكم قراراته نوقشت وبعضها عدل بناء على اعتراض المسلمين. ولم ينسب قراراته للدين ولا معارضيه للكفر٠ فمن ذا الذى بعد رسول الله يملك ان يعلن عصمة قراراته وادعاء انها تنزيل من السماء لا يناقش؟!

سيمارس الناس السياسة وسيختلفون وسيدعى بعضهم انه هو الحق وسيكذبه الاخرون فإن تمكنوا منه ساقوه للمشنقة ،وقد يتهمونه بالكفر بالدستور او بالأمة او بالله ولكن لا المشكلة هى الايمان بالدين ، ولا الحل هواستبعاد الدين من السياسة او

حياة الناس !

ثم نهبط الى مستوى الهزل والشعوذة فيورد لنا بعض الحكايات عن الصراع السياسى مثل الرواية التى تزعم ان السفاح قد ذبح بقايا الامويين ثم تناول الطعام فوق أجسادهم .. ثم يتأسف « صار كثير من المسلمين وغير المسلمين يعتقد خطأ ان هذا النظام السياسى جزء من الدين بل ربما عدوه ركنا من اركان الايمان »ص١١

اللى هو ايه ؟

تناول الطعام فوق الجثث .. هل ظن مخبول مسلما كان اوغير مسلم أن أركان الدين الخمسة زادت ركنا وهو اكل الطعام فوق الجثث ؟

وأى رواية هزلية هذه .. هل جرب المستشار ان يأكل فوق قطة مذبوحة ليرى كيف يمكن الجلوس فوق جثث خمسين او مائة من الرجال.. هل كل الطرائف والدسائس التى زورها المؤرخون حسب ميولهم ، أو المتأدبون لإدهاش قرائهم نحسبها من التاريخ.. بل ونقول ان المسلمين جعلوها سنة .. وماذا عن الجرائم التى ارتكبها البابوات فى صراعهم على السلطة والسياسة وما فعله الكاردينال ريشيليو وميزينى وبردليان وفوستا .. وآل بورجيا ، هل اعتبرها أحد من اركان المسيحية ..و لا أحد يدين المسيحية او المسيحيين عامة بأعمال وآراء كوريش الذى ادعى انه المسيح فى تكساس وقاد اتباعه الى مذبحة!

ماهذا الهراء ؟!

بل هل يوجد شيوعى مهما كان فجوره يدعى ان ذبح الملايين على سنة ستالين هو من أركان الشيوعية الواجبة فرضا ؟!

المستشار يروى هذه القصة ليهرب من القول بأن المسلمين ظنوا ان الخطأ الذى «قام واستمر اربعة عشر قرنا » هو من اركان االدين ! ومرة اخرى ها انت ترى انه ضد التاريخ الاسلامى على مدى الاربعة عشر قرنا هو لا يرى هذه القرون الا خطأ قام واستقر فما قولك يا استاذ محفوظ؟!

اذا كان عمر رضى الله عنه يحذرهم ان يجعلوا أحكامه هو شخصيا سنة فكيف

يتصور أن تصبح تصرفات الطغاة سنة ؟ تصبح تقليدا لمن يخلفهم من الطغاة ولكن لا أحد غير المجانين والمستشرقين يسجلها على انها سنة او فرض ![29]

ثم يقدم برنامجا او تفسيرا لشعار الاسلام هو الحل جمع فيه كل الافكار الشاذة والتيارات الغريبة ، فهويتقمم شاذ الفكر لكى يصل الى هدفه فى تشويه دعوة الحل الاسلامى ، هو مثلا رغم قراءته وتأثره بالعديد من افكارنا لا يستعرضها ابدا ضمن أفكار الحل الاسلامى ولا يناقشها بل يمسك فى المودودى الذى فندنا افكاره واستفاد هو من ردنا فهم يتصيدون المتشابهات [30] . . واحيانا يكون هناك تقسيم آدوار فيكتب مخرب افكارا فاضحة الاستفزاز والخطأ ويهرعون للرد عليها كأنها هى الاسلام!

هو لا ينقل عن الفكر المتطور المعاصر للاخوان المسلمين ولا حتى فكرالمؤسسين وانما شطحات شباب لم ينل علما وان تفوقوا علينا جميعا باخلاصهم واحساسهم بالمصير المفزع الذى تنحدر اليه بلادهم وأهم من ذلك إحساسهم بالمسئولية إزاء هذا الوضع وتطلعهم لإنقاذ الوطن والشعب منه.

وحتى فى مناقشته لمن يتصيدهم يلجأ للتهريج . .فيزعم ان الاسلام السياسى يقول «انه بتطبيق شرع الله الذى لا يقوم به أحد الا قادته يؤدى الى انفراج كل ازمة وتحقيق أى أمل ورضاء كل فرد هكذا دون اتباع سنن الله فى الحياة »٢٦

تهريج وشغل اعلام يخاطب مسجونين مقيدين والا لتحرز فى القول!

أولا :كل حركة سياسية فى العالم تزعم أنها وحدها التى تملك الحل ووحدها التى تصلح لتطبيقه على الوجه الاكمل فلا عيب فى ذلك .

من الذى قال ان دعاة الاسلام السياسى هم من أهل الخطوة يعتقدون ان المشاكل ستحل ببركة النبى ودون اتباع للاسباب ؟ !

لا هذا من الدين ولا من التاريخ ولا من سيرة النبى أو سيرة بتوع الاسلام السياسى والا لتركوا العمل واكتفوا بالدعاء عليكم ولكنهم انشأوا التنظيم الخاص وأعدوا بإحكام لعملياته . . فلماذا تفترض انهم اذا ما وصلوا للحكم سيتخلون عن التخطيط والاعداد ويكتفون بالدعاء والبخور! ومن اين سيأتون بنص يبيح لهم ذلك

والنبى كان يحارب بدرعين ويحفر الخندق ويعطى أصحابه السهام ليقذفوا بها!

يقول « ان قيام نهضة اسلامية امر هام جدا وضرورى للغاية لصالح الدين وصوالح المسلمين ولنفع الانسانية جمعاء ولكن النهضة لا تكون الا اذا قامت على تجديد للروح وتحديث للعقل . » ١٥

لا نعرف كيف يكون تجديد الروح .. لأننا اصلا لا نعلم من امر الروح شيئا! ولا نعرف كيف يتم قيام نهضة اسلامية اذا كنا سنمنع الاسلام من الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والادبية والفنية .. اليس هذا ما يطالب به رواد عصر التنوير من عادل امام وعايدة رياض والمتحدثة العالمية باسم العلمانيين الراقصة لوسى والمستشار ولولاكى يا جراده ما وقعت يا عصفور ؟!

هذا كلام ماكرين يريدون استئصال الاسلام كدين من الحياة ولكن ينافقون ويقولون انما نريد نهضة اسلامية !

ولمزيد من التغرير بنا يتدروش المستشار رغم كل مجده العلمانى فهو يريد «نهضة اسلامية لا مدا اسلاميا »ص١٥ وينشئ حركة منافسة للاصوليين يسميها : «الاصولية العقلية الروحية . .»

ولكنه يحذرنا ان «ينقلب المد الاسلامى الى حركة مادية » ص١٥

وحتى لو كان صادقا فهو مخطىء لأنه لا نهضة بدون مد . المد هو الذى يخلق الحافز والصبر والجلد لبناء النهضة .

يقول لنا « من المسلم به أن أية دولة لا يمكن إلا أن تقوم على المبادئ والقيم الدينية للغالبية من شعبها وبهذا المعنى يمكن ان يفهم شعار الاسلام دولة ودين على انه لا يهدف الى المعنى السياسى - بل يرمى الى ان تستوى الدولة والمجتمع على كل القيم الدينية الانسانية وهذا المعنى يفرض على المجتمع وعلى كل فرد فيه ان يعمل بجد واخلاص لارساء القيم الدينية ، اخذا وعطاء ، وقولا وعملا ، ذلك ان القيم والاخلاقيات صيغ اجتماعية وممارسات جماعية ولا يمكن ان تكون فروضا حكومية

او قيودا سياسية انما على شاكلة ما يكون الشعب يكون الحكام وكيفما يكون الناس يولى عليهم ٠»ص١٥

وهو غير جاد فيما يدعى قبوله ، مخطئ فيما يرفض .. لأنه اذا سلم بأنه لابد ان تقوم الدولة على مبادئ ، وقيم دين الاغلبية فلماذا يستثنى المسلمون من هذه القاعدة ، وتطالبوننا بابعاد الدين تماما عن السياسة وهل النظم الحكومية التى اعترفت «إنت» بضروة ان تتبع او تستند الى دين شعوبها هل هى الا سياسة ؟!

لو كان صادقا فيما يقرره ، لما كانت هناك مشكلة فانصار النهضة الاسلامية لا يطلبون اكثر من ذلك .. اعلان هوية الدولة كدولة مسلمة والتزام المجتمع والدولة بكل القيم الدينية « الاسلامية وليست الانسانية » بمعنى ان تصبح الدولة اسلامية الهوية والانتماءوالسلوك .. ولكنه يقفز من هذا التسليم الذى اراد به مسايرتنا الى الادعاء المسيحى او ما كان الطغاة من طراز عبد الناصر يقولون به :«كل واحد يحكم على اهله ٠٠» ونحن نقول ان الفرضية القائلة بأن النهضة تبدأ بالفرد المسلم فرضية صحيحة ولكنها هنا كلمة الحق التى يراد بها الباطل .

الاسلاميون ينفذون ما يدعوهم اليه المستشار وهو خلق الفرد ثم المجموعة والجماعة بل وربما الامة المسلمة ايمانا وسلوكا فيما تطيق . ولكن قيام الامة المسلمة لا يمكن ان يتحقق تماما بدون اسلامية السلطة التى تتولى فى مرحلة معينة اتمام عملية التشكيل ، وكذلك ظهور افراد مسلمين لايفضى تلقائيا الى ظهور المجتمع وقيام الدولة المسلمة . لأن الدولة الكافرة لا تتنحى طواعية ، منذ ان رفض الكفار الامة التى رباها محمد بن عبدالله وقاتلوه وقاتلهم ، الى ان سحق العسكر المتفرنسون ارادة الشعب الجزائرى ..

وكيفما تكونوا يولى عليكم يطرحها بالمفهوم الاستعمارى الطغيانى اى هذا قضاؤكم!!

لا ..إنها شعار ثورى يعنى اذا قبلتم هؤلاء الولاة ، فهم ما تستحقون، اما اذا رفضتم الظلم والكفر فستغيرون الوضع وتولون من هم على شاكلتكم او على

مـرادكم .ولذلك شـرع القتـال فى الاسـلام ، وتفـرد الاسلام بـالنص على الدولة واعتبـارها ركنا اساسيـا فى قيام المجتـمع الاسلامى لأن الله يردع بالسلطان ، من لا يرتدع بالقرآن .

وعندما يحـدد ملامح الاسـلام الذى يدعو اليه لا يبـتعد كـثيرا عـن اسلام التكايا والطرق الذى كان يصوغه خبراء الاستعمـار الاوروبى فهويلوى حديث الجهاد الاكبر والجهـاد الاصغر ليقنعنا بالتـخلى عن الجهاد الاصـغر(القتال) لأنه « لا يلزم للجـهاد الاكبر» ١١٦

و الهدف هو منعنا من مـجاهدة الذين يقهـرون او يطمعون فى اوطاننا بحـجة ان ذلك هو الجهاد الاصـغر!! نحن نلتزم بالحـديث الشريف « فرغنا من الجهـاد الاصغر ويقى الجهـاد الاكبر . » أى لابد من ان نفرغ مـن الجهاد الاصغـر اولا . . نعم عندما سنفرغ من الجهاد الاصغر ونتتصر كما فعل النبى ستتفرغ للجهاد الاكبر.

وبالطبع فالانسان يجـاهد نفسه فى كل وقت ولكن الحديث صريح فى اسـبقية أو أولوية الجهـاد الاصغر الذى يـؤمن حرية الفكر والعمل والأمن لـلمجتـمع الاسلامى لكى يمارس ويطور فضائله . .

ثم يتصيد رواية منسوبة لعمر يستنتج منها ان "العمل افضل من الجهاد" ص ٢٦

وهو تزوير وتضليل وعجز عن فهم الجهـاد الذى قال فيه رسول الله انه ذروة سنام الاسلام ولم يدر بخلد مسلم ان هناك تناقضا بين العمل والجهاد ، ولا يقبل من كاتب يحترم نفسه ان يقول ان العمل أفضل من الجهاد وبلاده تغزى او شعبه يخوض معركة تحرير.

واذا كان الله سـبحانه وتعالـى قد أكد احتـرام العمل والعلم حتى خـلال الحرب، فاعـترف الاسلام بدور ومكانة الذين يقـعدون للدراسة او التفـقه فى الدين، إلا أن جمـيع الحضـارات والدول تعطى المكانة الاولى للمـجاهدين دفـاعا عن الوطن فـهى اشرف مهنة (٣١) وليس الا الاستعـمار وعملاؤه واتباع الموسـاد هم الذين يروجون فى البـلاد العربيـة ان اى شئ افـضل من تحريـر بلادهم والدفاع عن شـعـوبهم ووطنهم

وعقيدتهم ! ان خير العمل هو الجهاد لتحرير الوطن وازالة الظلم المسبب للتخلف.

ولا يفوته وهو يعدد مزايا ، وتميز ، أصوليته عن أصولية الاخرين تأكيد التزامه بالبرنامج الامريكى فى تحديد نسل المسلمين فيعلن ان من جرائم المتطرفين «الالحاح على التكاثر العددى فى امة الاسلام وفى الشعب المصرى (وهى)دعوى تعمل على تقويض المجتمع وتهديد الاسلام »ص٢٧

فى الكونغرس وفى صحافة وبرلمانات الغرب لا يقولونها بهذه الطريقةالفجة التضليل، بل يقولون صراحة ان تزايد عدد المسلمين يهدد امنهم وحضارتهم ومن ثم لابد من وقفه بأى ثمن (٣٢) وهم ينفقون الملايين على منع الحمل فى بلادنا ويزودوننا بالعازل الذى يأخذه الفساد فيبيعه للاطفال بالونات ! ومن الطبيعى ان تتضمن الميزانية المخصصة من الغرب المسيحى لوقف زيادة سكان العالم الثالث والمسلمين بصفة خاصة بندا لغسل المخ ينفق على المؤلفة قلوبهم من الاساتذة والمحاضرين والمستشارين الذين يروجون نفس الكلام ضد زيادة المسلمين والمصريين بصفة خاصة .

كيف يمكن اقناع مصرى بأن زيادة السكان عمل ضار وهو يرى عدوه القومى يشجع النسل على ارض العرب بل ويستورد فحولا من جميع انحاء العالم لزيادة تعداده ليقهر تعداد المسلمين؟ ! لماذا تكون زيادة عدد اليهود صحية ومفيدة لاسرائيل والانسانية ومضرة لمصر ؟ الأنكم ببساطة عاجزون عن خلق النظام الذى يستوعب هذه الزيادة ويحولها الى مزيد من الانتاج والتقدم. بينما نجحت اسرائيل دولة التوراة فى ذلك. اليس من حق كل اب مصرى تعدون اولاده او كل ام محتملة تحرمونها من الحمل بينما الاسرائيلية تنجب قاتلى العرب. اليس من حقهما ان يقولا لكم تنحوا لقد فشلتم فى اطعام الموجود وليس لديكم اى خطة لاطعام المقبل الا قتله والاستدانة لدفنه او وأده ! تنحوافنحن نعتقد انكم مستأجرون لاقناعنا بالفناء حرصا على امن عدونا الحضارى . . الا يدعو للشبهة ان يبذل هؤلاء كل هذا الجهد لاقناعنا باهداف هنتنجتون ؟!

وهو يدعونا للكف عن الحسد فلا نتطلع لحياة مثل التى تعيشها المجتمعات التى

يسافر اليها ويحاضر فيها فعلى المسلم الصالح وفقا للاصولية المستشارية ان يقيد طموحه بقدراته وتطلعاته بظروفه ولا يسعى الى التكديس المادى الخارجى كميزة له ولا يحسد غيره على ما لديه » ص ٧

بلا عصر التكنولوجيا بلا فضاء اتركوا ذلك للذين يقدرون عليه فى اسرائيل ولا تحسدونها على زيادة نسلها او قنبلتها الذرية بل على قد لحافك مد رجليك ويابخت من بات شحات . . كنا نظن ان هذا حديث لا يقوله علمانى ولكن متصوفة وتكايا عصر الهزيمة ومشايخ الاستعمار . .

ولأنه يطرح نظرية إسلامية أصولية خاصة لذا هو مضطر للعب على الحبلين يتهم الاصوليين الاخرين من منافسيه انهم ينكرون الولاء للوطن بدعوى الولاء للجماعة الاسلامية ، وبعد ان يسرف فى سب هذا الموقف ، يعود فيجامل زبائنه المنتظرين فيعلن ان التخلى عن الولاء للوطن انتماءلجماعة المسلمين مشروع «ولكنه الهدف البعيد»ص٢٧

وقد ناقشنا هذه الدعوى التى حاولت ترجيح النظام على التراب وانتقدناها وفندناها ولم نضطر للمجاملة او المناورة فنحن لا نرى اى تناقض بين الولاء للوطن والالتزام بالاسلام، ولانرى أحقية لأى نظام فى الاستيلاء على شبر من أرض الوطن مهما كان تفوقه على النظام القائم فى الوطن . وقد حذرنا بعض الفصائل الاسلامية، التى خدعتها مصالح وتنظيمات دول لها أطماع فى أرضنا ، فقلنا ان الشيوعيين فضلوا النظام الاسرائيلى على التراب الفلسطينى فباءوا بخزى فى الدنيا والاخرة . . وضربنا مثلا بابى رغال الذى يرجم الى اليوم لأنه قاد الاحباش لغزو وطنه، مع انه اذا كان الاحباش الذين جاءوا كما تقول الرواية من أهل الكتاب فهم كانوا أفضل دينا من قريش ولكن أبا رغال يرجم لانه خان التراب وكذلك قتال النبى مع قومه ضد الفرس وكلاهما مشرك . .

قلنا ذلك بأوضح واحكم مما يهمس به المستشاروجمعه، لأنهم فى الحقيقة لا ينطلقون من قناعة بل يتصيدون التهم بدليل انه يعود فيبشر بالانسانية بعد سطر واحد

فيقول «ان كل عمل لابد ان يتواشج مع الانسانية لانشاء حضارة سامية سامقة يكون الله قبلتها ويكون كل انسان فى العالم محورها ومركزها .» ص٢٧

ما الفرق بين إلغاء الوطن فى ظل حضارة انسانية مزعومة وبين الدعوة للامة الاسلامية ؟ الفرق ان دعوته تعنى افناء مصالحنا الوطنية فى حضارة المتفوقين لأنه فى ظل اى حضارة عالمية متاحة ، لسنا الا الطرف الاكثر ضعفا .اما الأمة الاسلامية فقد قامت على المساواة الكاملة ولم تعرف سيطرة وطن بعينه الا فى اواخر الدولة العثمانية . وقيام أمة اسلامية الآن يعطى مصرالاسلامية بالذات مركز الصدارة فيها فمادامت تهدف لإلغاء الوطن ، فدعوة الاصوليين المنافسين للمستشار اقرب لمصلحة الوطن واكثر مراضاة لله واتباعا لتعاليمه .

والغريب انه يعلمهم ان التضحية باليقين (الولاء للوطن) فى سبيل المشكوك فيه «الأمة او الجماعة الاسلامية» ينذر بالويل والثبور . . ولا ندرى ايهما ابعد يقينا واقرب للشك قيام امة الاسلام التى قامت الف سنة ، ام الحضارة «الانسانية السامية السامقة» المزعومة التى يكون «كل انسان فى العالم محورها ومركزها .»

خلال مائة مليون سنة عاشها هذا الانسان على هذه الارض لم تقم هذه الحضارة التى تعتبر الانسان اى انسان او كل الانسان هو محورها. .

أهذه الحضارة الغربية التى يغرينا بها اعتبرت الانسان كل انسان؟

هذا هو الوهم المشكوك ليس فقط فى امكانيته بل فى اهداف ترويجه. فمفكرو الغرب هم الذين يتنادون الآن بانقسام العالم الى حضارات متصارعة وأن عدوهم الاول هو الحضارة الاسلامية والمسلمون. . ان كان الذئب مصمم على الاختلاف مع الحمل وأكله فكيف يمكن للحمل اقناعه بوحدة الحضارة الحيوانية ؟!ومن يدعو الحمل للفناء فى حضارة الذئب هو ذئب ماكر يروج لالتهام الحملان! «انظر الفصل الخامس مقالة صمويل هنتنغتون»

ويعلمنا بالتقدم العالمى فيقول : « كان الفكر السياسى خلال القرن الماضى نوعا من الفرز السياسى يجعل من اوربا اقليما للمسيحية بينما يجعل الشرق الاوسط اقليما

للاسلام غـير ان هذا الفرز زال وانـتهى لقيـام نظام الدولة المعاصـرة الذى يجعل من الجنسية اساسا للانتماء للوطن . . ففضلا عن وجود مسلمين فى الشرق الاقصى اكثر من الشرق الاوسط (!!!) ص ٢٣٩

من يقرأ هذا النص يظن ان القوميات ظهرت فى هذا القرن العشرين او ان الاسلام دخل اندونيسـيا والهند في هذا القرن . .ولكن هذا القـول لا يستغـرب ممن لا يفرق بين عمر بن الخطاب وعمر بن عـبد العزيز و يدخل الاخطل عنوة فى الاسلام ويجعله زعيمـا للمهاجـرين . . ان معاهد الابحاث الاسـتراتيجيـة فى وشنطن هى التى تقسم العالم الى حـضارات دينية وتضـعنا فى دائرة المسلمين المنبوذيـن ، ومستشـارى البيت الابيض هم الذين يتحدثون عن الحضارة المـسيحية الغربية والحضارة المسيـحية اليهودية . .وليرجع الى اوراق الاعـتماد التى قدمـها جورباتشوف للدول الاوربيـة لكى تقبل عضوية روسـيا حيث لم يجد شـهادة افضل من دور روسيـا فى حماية المسيـحية من الاسلام !

أوربا التى أدارت وحمت مـذبحة البوسنة لكى لا تقـوم على أرضها دولة مـسلمة مازالت تعتـبر نفسها قارة المسـيحية اما الدولة المعاصـرة التى قامت فى هذا القرن ومن أجلها يجب ان تزال أو تسقط صـفة الاسلامية عن الشـرق الاوسط فهى اسرائيل يا سيـادة المستـشار . . ولسـوء حظكم فـهى أول دولة تقوم على أسـاس الدين فى هذا القرن وفى الشرق الاوسط أليس كذلك ؟

بتضحكوا علينا ام على روحكم ؟!

الحاكمية والحكم..

قبل ان نخوض فيما ارتكبوه حول الحكم فى الاسلام وحكومة الرسول والحكم بما انزل الله او انزل الشيطان نقول كلمة هنا حول شعار الحاكمية الذى يسئ الطرفان فهمه وعرضه مع أنه لا عـذر لهم فقد شرحناه بإفاضة منذ سنوات عـدة. .ولذلك قد يقول قـائل ممن يتخطفـون الكلام، إننى فى هذا الفـصل إنما أرد على ما سـبق وكتـبتـه أنا شخصـيا فى كتابى خواطر مسلم ضـد دعاة الحاكميـة. . ولمن يقول هذا القول بعض العذر اذا اشتبـه عليه الامر لأن المستشار اسـتعان بما كتبناه فى الرد على الحاكـمية قبل كتـابه بثلاث سنوات، والحق ان ما كتـبناه كان الاول تاريخا ونوعـا. . وبالأمانة التى عرفت من أمثاله لا اشار لكتاباتنا ولا وضعها فى موضعها، بل استعان بها فى مهاجمة دعاة تأكـيد الهوية الحـضارية الاسلامـية. ومن هنا نرانا نضطر لنقـده فيبـدو أننا ننقد افكارنا، والحق اننا ننقد استخدامه السئ لها، فهناك فارق بين من يريدون ادعاء سلطة الهية، وبين من يريدون سلطة اسلامية. وما كتبناه كان ضد الفريق الاول، والمستشار استخدم حجتنا ضد الفـريق الثانى! وهذا ملخص شديد الايجاز لما كتبناه ولا يغنى عن الرجوع الى الاصل . .

قلنا : « شهدت السنوات الاخيرة استخداما واسعا لشعار « الحاكمية لله»حتى اوشك أن يعـيدنا الى ذكـريات المرة الاولى التى اطلق فيـها هذا الشـعار، فـرد على ابن ابى طالب رضى الله عنه بقولتـه الخالدة: «كلمة حق أريد بها باطل». والشـعار قد يصلح فى الجدل السياسى، ولرفض القوانين المعينة فى الظرف والمكان المعينين، ولكنه قاصر كل القصور عن الاحاطة بمفهوم التوحيد ودلالاته ونتائجه ، ليس هذا فحسب، بل ان الشعار قد فسـر تفسيرا خاطئا، بل أذهب الى القول ان بعض هذه التـفسيرات خالفت المفهـوم الاسلامى والممارسات الاسـلامية الثابتـة ، وهذه التفسيـرات تحاول أن تضع الاساس لقيام طبقة من الكهنة تدعى أنهـا تحكم بالتفويض الالهى، وانها وحدها تملك تفسـير وممارسـة هذه الحاكـميـة، ولعل اخطر ما يثـيره أصـحاب هذا الشعـار، انهم يعارضون الصيغ الديموقراطية المتعارف عليها، يعارضون المبدأ الديموقراطى الذى تقوم

عليه قواعد المجتمع الحر سياسيا وهو أن الامة مصدر السلطات ، ونواب الأمة هم السلطة التشريعية ، فهم يرفضون ان تكون الجمعية التشريعية مصدرا للتشريع ، شاهرين فى وجه المطالبين بنقل السلطة للشعب ، شعارالحاكمية لله ، والله وحده هو مصدر التشريع . . صدقنا وآمنا فهل يعنى ذلك أن التشريع توقف أو حرم منذ أن انقطع الوحى ؟ أم انهم والذين شرعوا من قبلهم ويشرعون اليوم يمتلكون طريقة لا نعرفها فى الاتصال بالسماء واستصدار التشريعات من العزيز الحكيم ؟ الواقع ان فقهاء الاسلام والصحابة من قبلهم، قد عرفوا أن «النصوص محدودة والواقع غير محدود » ومن ثم وجد الاجتهاد أى التشريع فالاجتهاد لا معنى له ولا مفهوم الا اذا كان يعنى اباحة التشريع . . وذلك مقرر منذ حديث معاذ . . ولا داعى للتشكيك فى الحديث، فهو مفخرة إسلامية وجميع الممارسات تؤكد صحته .المسلمون شرعوا عقوبتى اللواطة وشرب الخمر . . وعمر رضى الله عنه عندما وقف يشرع للمهور لم يكن عن شرك ولا جهل بأن الحاكمية لله . . ولم يتراجع الا عندما جوبه بما اعتبره واعتبرته المعارضة نصا صريحا ، وان كنا نخالف هذا التفسير . . ونعتقد ان عمر رضى الله عنه كان من حقه تشريع حد أقصى للمهور . . فليس من حق المسلمين تشريع قانون فيه مخالفة لنص صريح، هذا هو القيد الاول بل ربما الوحيد على التشريع البشرى ، ولكن ما من نص ولا رأى حرم الناس من حق التشريع ، ولا إثم على المشرع ولا على المحكوم مادام التشريع لا يخالف نصا ولا اجماع الاغلبية المسلمة فى زمن التشريع .

نحن لا نرى خطأ فى القول بأن الأمة مصدر السلطات ، او حتى وصف او تحديد الهيئة المنتخبة من الأمة كالسلطة التشريعية بل نرى الخطأ فى مهاجمة ذلك دون طرح التصور الواضح لكيفية حكم الجماعة ووسيلة تشريعها . .

هذا ما قلناه وسنرى كيف اساء المستشار استخدامه ، فى محاولة انكار حق المسلمين فى الحكم ، وليس كما ذهبنا نحن ، لتأكيد حقهم فى الحكم والتشريع ، ومن خلال الشعب او الامة وبدون وصاية او كهانة. اخذ المستشار حججنا لا ليرد بها على منحرفى اليوم بل على التاريخ الاسلامى كله ابتداء من السقيفة!(٣٣)

لما تحدث سيادته عن أوربا العصور الوسطى قال ان «الفلاسفة ورجال الدين قالوا

ان الحاكم هو ظل الله على الارض وان له حقا مقدسا فى الحكم وانه جاء ويحكم بالعناية الالهية وان احكامه هى احكام الله»ص٤٠

ولأننا يجب ان نكون مثل أوربا فهو يعلن انه : «بمجرد ما انتهى عهد الخلفاء الراشدين بعد ثمانية وعشرين عاما فقط من وفاة النبى صارت دينية بالفعل» ص١٤٣

وقلنا ان دينية الحكومة لا تقوم على مجرد ادعاء الحاكم بل وقبول الجماهير. ولم نسمع عن أحد تصور أن حكومة معاوية هى مثل البابوية او حتى حكومة هنرى الثامن، ويستحسن دراسة تاريخ اوربا فى فترة الحق الالهى للملك وكيف كان كل شى. ممكنا الا عزل الملك او قتله علانية ، وحيث كان الدم المقدس ينقل العرش الى ورثة الملك حتى لو كان انثى او طفلا او ابله مخبولا لأن الوراثة من الله والدم المقدس . وعندنا قُتِلَ اثنان من الخلفاء الراشدين. !وقد قلنا ان ظل الله او خليفة الله هو فكر غريب عن الاسلام معنى وروحا فهل تستطيع ان تجد هذا فى الاسلام ام تخطف كلمة قالها احد الحكام من باب البلاغة وليس لها اى انعكاس لا دينى ولا سياسى ولا فقهى، والا فمن من المسلمين صدق ان معاوية حاكم كهنوتى او ينطق بلسان الله ومن الذى قبل حكما لابى جعفرالمنصور على انه فريضة دينية، بل كان عبد الملك بن مروان فقيها يُستفتى قبل ان يبايع بالخلافة فلما تولاها افتوا بقتله وقتاله وسقط فقهه كله !

ولا نقبل خفة اليد او ارباك المتهم فهو يشهد ان دعاة تسييس الدين بفرقهم المختلفة حتى بتوع العنف يقرون انه لا كهانة ولا كهنة ولا حكومة دينية فى الاسلام. ويعتبرونه مأثرة الاسلام الاولى وهو قول حق .. » ٤١
طيب زعلان ليه يا خواجة وعامل مشكلة ؟

يقول ولكنهم «يطلبون من أتباعهم ومن كل الناس تباعا ان يسلموا امرهم لهم هم وان يتبعوهم وحدهم وان يأتمروا بأمرهم دون امر غيرهم وان يقبلوا تفسير مرشديهم وامرائهم . . . وان هذا يفضى الى استعباد العباد للعباد »! ص٤١

وهى ليست بعيدة عن كلامنا، ولكن بتحريف زور معناها ومغزاها فنحن اعترضنا

على ان تحتكر فئة لنفسها الزعم بأنهــا وحدها التى تملك حق التشريع وان تشريعها هو تنفيذ لمبدأ الحاكمية لله ! اما هو فيرفض ان تطلب اى جماعة من الناس ان يتبعوها . . الخ وهذه مغــالطة . . بصرف النظر عــمن يتكلم عنهم وحقــيقة اهدافــهم فليس فى مطالبتهم أتباعــهم بطاعتهم ولا دعوتهم الناس كافة لقبول تفــسيرهم والالتزام به ليس فى ذلك بدعة ، ولا حاكمية ، ولا يشكل فى حــد ذاته استعبادا للناس . فكل حركة سياســية تفعل نفس الشئ ، تطلب من اتباعــها السمع والطاعة والالتــزام بوجهة نظر التنظيم . وهذه الحركـات تتفاوت فى الــديموقراطيــة الداخلية من تحريم المناقــشةالى تنظيمــها. ولكن لا يتــصور تنظيم سيــاسى يحاول تطبيق وجــهة نظره على المجــتمع والتــاريخ، ويقــبــل ان يتــحــول الى هايد بارك ، تطرح فــى داخله كل الاراء ويبــاح لاعضــائه ان يصبحــوا معه ويــبيتــوا فى تنظيم معارض ! وليــس فى دعوة الناس الى برنامج واحــد عبــودية فكل الناس تفعل ذلك مــن ستــالين الى كلينتون المهم مــا هو البــرنامج ، والأهم هو حــرية الاخــتــيــار فى الانضــمــام والالتــزام ، وحق الرفض والانفصال ، فلا يبايع أحــد أحدا ولا حزبا واللج فى عنقه، ولا يدعى أحد انه ممثل السلطة الالهية .

ولا استطيع أن افــهم كيف يكون المســتشار ضــد معاوية وضــد الخوارج فى نفس الوقت؟! كيف كان يمكن الاعــتراض على انحراف معــاوية المزعوم الا بالخروج على سلطته ورفض شرعيته !

والسبب فى التخبط هو انعدام الفهم لحركة الخوارج و طبيعة انتصار معاوية معا. . و لا علاقة على الاطلاق بين شعار الخوارج فى مواجــهة على وبين شعار الحاكمية لله الآن، الا بلاغة الاستشهاد بكلمة على كــما فعلنا ، لكن المضمون مختلف. . والحق علينا ان لم نشرح المثل عندما ضربناه .

ومعــاوية لم يقل لا حكم الا لله والا لما حكم . . ولا أساس لادعــاء المستــشار ان دعاة الحــكومة الدينيــة هم الخوارج ، وهو يدل بذلك على انه لا يــفهم ما يــقال ولا يعرف شيئاعن الخوارج لان آخر من يصح اتهامه بالدعوةللحكومة الدينية او الكهنوتية هم الخوارج . فــهم اليســار المتطرف فى قضــية الامــامة ، رفضــوا أن تكون لابن عم

رسول الله بل ورفضوا أن تكون فى قريش بل وقال بعضهم إنها فى غير القرشى بل العبد أفضل ليسهل خلعه ان انحرف ، وبايعوا امرأة مرة .. لا اساس لأى كهنوت فى امامة الخوارج ولكنه رمى طوب ، ونبطى من اهل السواد يدرس للخواجات دين وانساب اهل الفلاة !

و إن كان يدرى فهو يرفض التاريخ الاسلامى والخطاب الاسلامى بشقيه الرسمى والثورى .. السلطة والمعارضة معا .

ويقول: «ان اى شعار يزعم ان نظام الحكم هو من صميم الاسلام انما هو شعار خاطئ..» ص ١٦٨

لو كانت نيته صافية او هويقول فعلا ما يضمر فى قلبه لقال اى شعار يزعم ان نظاما بعينه للحكم هو وحده ودائما من صميم الاسلام او لا تنطبق الاسلامية على حكم الا اياه ... لوافقناه على استنكار ذلك .

وقد فصلنا القول فيما سبق حول ان الاسلام أقر وألزم بقيام سلطة ولكنه لا حدد شكلها ولا طريقة قيامها ولا أسلوب انتقالها ليكون ذلك من اختيار المسلمين وفق احتياجاتهم وامكانياتهم! وقد اعترف هو بذلك او قل نقل ذلك فى اكثر من موضع..

أما القول بأن وصف الحكم الاسلامى أو حكومة الاسلام بأنها كانت من الدين يعنى تحميل الاسلام فساد الخلفاء ١٦٨

فدجل وتهويش لآن الصلاة من صميم الدين ولكن الاسلام لا يتحمل مسئولية الذين هم عن صلاتهم ساهون .والزكاة من صميم الدين ولكن ما مسئولية الاسلام عن من يغش فى الدفع ومن يغل فى الجمع ومن لا ينصف فى التوزيع !

كذلك فإن القضاء والدبلوماسية هما من اشرف المهن ، ولكن لا يضير شرف المهنة ان يبيع بعضهم وطنه ودينه !

بل ان المستشار - كما قلنا - هو الذى يؤمن بالحاكمية فى اسوأ صورها ، فهويزعم انه « فى عهد النبى وحده حكم الله اسما وفعلا كما كانت الحاكمية لله وحده » ٤٢ «هو حُكم الله فعلا ، وفيه تتحقق حاكمية الله »ص٣٤ من الطبعة الاولى

ويقول ان شعار الحاكمية صحيح «فى مفهوم ان يكون لله وحده حق التشريع والقضاء والحكم بما انزل الله يكون فى القضاء فقط » ص ٤٣

اذن عندما يطالبون بالغاء المحاكم الحالية والقانون الوضعى يكونون على حق فلماذا تؤلف فى مهاجمتهم !

وهذه لغوصة وتجديف.. ولا نستطيع ان نفهم كيف كان الله يحكم اسما وفعلا ! أليس هذا القول هو الحاكمية بعينها بل وبافحش صورها.. حكومة الله؟!

هذا تفكيره الاصيل أما عندما يخطف تعبيرنا دون فهم فيعلن فجأة مثل ال.. كما يقول العامة : ان حكم النبى على الرغم من وضعه الخاص ليس حكم الله ولكنه حكم بشر » حرفيا ص ٤١ الطبعة الاولى !!

هذا ليس فقط مجرد عجز عن استيعاب نظريتنا عن الطبيعة المزدوجة لحكم الرسول بل دليل التلفيق والهبش وانعدام اى منظور.. كيف يقبل من كاتب ان يتصدى لمثل هذه الامور وهو فى سبع صفحات ينتقل من تأكيد ان حكومة النبى هى حكومة الله اسما وفعلا الى إعلان وتاكيد أنها حكومة بشر !! كيف وصلنا الى هذا المستوى؟!

ان النتيجة التى طرحناها وهى أن الحكم بعد الرسول هو حكم بشرى كله لا يمكن ان تستقيم أو تؤصل الا اذا قبلت نظريتنا عن ازدواجية صفة الرسول وانه فيما يتعلق بحكم الناس كان يمارسه كبشر وليس كتجسيد مباشر وتلقائى لإرادة الله وحكمته ومعرفته وقراراته سبحانه وتعالى .

ولا يجدى الدجل بالمبالغة فى تقديس حكومة الرسول ونسبتها لله اسما وفعلا وكأن الله كان يتقمص الرسول ولا حتى الوحى أو جبريل أو الروح القدس كان يتقمص نبينا فى أحكامه وممارساته مع الناس .الوحى كانت له فترات محدودة يتنزل فيها بإرادة الله وليس بناء على طلب الجمهور، ولا حتى برغبة النبى .وفى تلك الفترات بالذات، ولتأكيد هذه المعانى كان الرسول يسمو فوق هذا العالم فلا يخاطب ولا يخاطب.. اما الحياة اليومية فكانت تدار باجتهادات بشرية تماما الا ما ورد فيه نص وهى حالات محدودة تؤكد القاعدة ولا تنفيها فالقاعدة هى ازدواجية او ثنائية صفة الرسول.

على اية حال هو نفسه سيعود فيقول ان «كل التصرفات فى الاسلام مدنية او بشرية حتى لو قامت على نص مثل عقود الزواج والبيع»١٦٨ وبدلا من ان يكتشف تناقضه المضحك، يظن انه هو وحده الذى يعرف ذلك ولذا لا يكف عن لعب دور النذير العريان ويصدع رؤوسنا بهذه الحقيقة المعروفة قبل ان يتخلق فى الارحام !

ويعود فيقول «فى الحقيقة لاتوجدآية واحدة فى القرآن الكريم توجه المسلمين الى اية حكومة سياسية معينة او حتى تشير الى النظام السياسى فاذا كانت الخلافة او الامامة او الامارة «او اى شكل للحكومة» من صميم العقيدة الاسلامية لكان من الضرورى ان ينص القران على ذلك وان يحدد شكل هذه الحكومة او حتى يرسم لها الخطوط الرئيسية كذلك فان الاحاديث النبوية الصحيحة لم ترسم او توص بأى شكل للحكومة ولو كان ثمة حديث صحيح . . . » ص ٩٦ وبقية العبارة نتعرف فيها على كلامنا فى ردنا على الشيعة . .

وهو مثل امامه الشيخ على عندما احيط به يعترف ان جمهرة المسلمين اجمعوا على ان الخلافة كشكل للحكم ليست من اصول الدين فيقول :«بينما جمهور المسلمين من السنة لا يرون ان الامامة او الولاية ركن من الدين بل تصرف من الناس فى شئون دنياهم وفى رأيهم كذلك ان الحكومة فى الاسلام ليست دينية تصدر عن أمر علوى من الله بوضوح أو تعيين أو ترتيب بل هى اختيار من الناس لصالح الناس » ص ١٢٧ اذا كا ن ذلك بشهادته رأى الجمهور او غالبية المسلمين أو غالبية السنة فأين القضية؟

لماذا كل هذه الحرب وكل هذا التهويش بالحكومة الدينية ؟

اما انهم يفتعلون معركة لا وجود لها ويشغلون طريق الفكرالسياسى بلا مناسبة ولا مبرر ، واما انهم يقاتلون معركة اخرى و يرفعون شعار الحكومة الدينية للتعمية عن العدو الحقيقى الذى يحاربونه وهو الاسلام ، رفض ان تكون للمسلمين مجرد حكومة منهم .وهو ما قلناه فى ردنا على امامه عندما تساءلنا؛ مادام الشيخ اعترف بأن الخلافة ليست من الاسلام فما اعتراضه ؟ ولماذا الف كتابه خلال الحرب العالمية

الاولى خدمة للمجهود الحربى البريطانى ثم أعـاد نشره فى مواجهة حركة التحرر التى كانت تجتاح العـالم الاسلامى. . وكان مركزها وطليعتهـا. . الثورة المصرية ضد الحكم البـريطانى ، والتى كانـت تحرك وتلهم الشـعوب فى كـل مكان من آسيـا الى شمـال افريقيا فجاء الشيخ على يقول بكفر المسلم الذى يسعى لحكم بلاده !

واذا كنا نكرر الرد فـلأنهم لا يكفـون عن تكرار واجـتـرار سـقط القـول . . قلنا للشيخ على ما نقـوله لجلد الاجرب اليوم . .ان الانطلاق من حقيـقة أن الاسلام لم يحدد شكل الحكم للزعم بأنه حـرم الحكم هى عملية خفـة يد وثلاث ورقات . .اقام الشيخ معادلة فاسدة وهى :بما أن شكل الحكومة لم يتحدد فى الدين فالحكم ليس من أصول الدين ، ثم زقـة صغيرة فيـصبح الحكم ضد الدين ، وتطلع المسلميـن لتحرير السلطة فى بلدانهم عـمل مخـالف للاسلام ولا يليق بالمسلم الصـالح ، وان محـمدا يجب أن يكون نبيـا فقط شأنه فى ذلك شأن اخوانه من الانبـياء . .كما زعم كـبيرهم ابن عبدالرازق . «مع تأكيدهم أ ن اليهـودية دين ودولة ولكن هذا امتياز خاص لبنى اسرائيل لـم يمنح للمسلمـين فى كامب ديفـيد!» لماذا يتمـيز الاسـلام ولماذا يتمـيز محمد؟! وهو تساؤل يتميز بالوقاحة والجـهل معا. . فما يتميز به الاسلام فعلا او قل ينفرد به هو انه دين ودنيا ، فقه وسياسة، وحى وحكم او دولة . .

هذا هو دين المسلمـين وهذا هو اختـيار من يدخل فى الاسـلام ، ولا أحد يجـبر أحدا على اعـتناق الاسلام ولمن شـاء أن يقتنع بأن المسـيحيـة افضل وانه كـان يجدر بمحمـد ان يلتزم بشعـار: مالله لله وما لقيـصر لقيـصر. .فذلك من حـقه ، ولكن ان يفرض ذلك على الاسلام ويعلـن أن المسلمين أخطأوا منذ محمد بن عـبدالله أو حتى منذ أبى بكر ، وأنه وجب تصـحيح تاريخـهم اليوم وتصـويب عقـيدتهم لتـتطابق مع المفهـوم المسيحى ، فـذلك افتئات غـريب، ومحاولة لفـرض الاسلام العيـسوى الذى تحاوله الجـمعيـات التبشـيرية الامـريكية وتقرر فى اجـتماعـهم الشهيـر لبحث تنصـير المسلمين، التى أشرنا اليها فى كتابنا «ألا فى الفتنة سقطوا »

ديننا يختلف وهذا من حـقه وحق المؤمنين به. وحق الاختلاف هو مـبدأ أساسى

فى حرية العقيدة والتعددية. ولو كانت الاديان تتطابق حرفيا لما كان لتعدد الرسل منذ خروج آدم من الجنةمن معنى ولا هدف.. والله يهدى الناس بالرسل والبراهين، لما فيه مصلحتهم فى الزمن المعين والمكان المعين. حتى كان الاسلام خاتم الاديان، فاجتمعت فيه خصائص الصلاحية فى كل زمان ومكان.. ولا يصلح أمر الناس الا بالحكم.. ولذلك احتلت قضية السلطة مكانها الطبيعى فى عقيدة الاسلام وممارسات المسلمين.

محمد كان نبيا واميرا حاكما مارس كل السلطات المعروفة للدولة .. واعتبر اقامة هذه الدولة من صميم مهامه كنبى مرسل ..ولكن حكومته واحكامه كانت فى مجموعها الا فيما ندر ونص عليه هى مجرد اجتهادات البشر الامير، وليس كما يزعم الدجال انها كانت حكومة الوحى !

لا..

صحيح ان الارض كانت على اتصال مباشر بالسماء فى هذه الفترة بواسطة محمد النبى، صلوات الله عليه. ولكن الغالبية العظمى من قرارات محمد حاكم المدينة ثم حاكم جزيرة العرب، كانت قرارات بشرية لم يتدخل فيها الوحى لا قبل اتخاذها ولا لحظة اتخاذها. وان كان احيانا قد عقب عليها.. وذلك فى حدود علمنا وحدود ما يلزمنا .

وهذا ظرف نادر وحالة استثنائية اجتمعت فيها صفتا النبوة والحاكم فى شخص واحد هو محمد رسول الله.. ولتلافى اللبس الذى يمكن ان يحدث من اجتماع صفتى النبى المعصوم والحاكم البشر ، حرص النبى على تنبيه المسلمين بصريح اللفظ الى التفرقة بين الصفتين، فقال لهم كحاكم «انما انا بشر مثلكم اخطئ وأصيب..»

ولكنه صلوات الله عليه فى أمور الدين هو الكمال المطلق والعلم اللدنى الذى لا يفوقه علم ولا عالم من البشر، ما جاءنا منه كنبى نلتزم به بلا تردد ولا حرج.. إلا أنه فى امور الدنيا يقول لهم - بأبى وأمى «انتم اعلم بأمور دنياكم» وهذه صفة الحكم الديموقراطى فى ارقى صوره ، اذ لا يشترط فى رئيس الدولة او القائد السياسى أن

يكون العليم فى كل القضايا الفنية والعلمية مثل تأبير النخل، بل ان الفلاح او الدكتور فى الزراعة لابد ان يعلم اكثر منه بعكس ما يدعى الطغاة فى العالم المتخلف، حيث يقال ان نظرية ستالين هى التى ادت لنمو ثمرة البطاطس او ان الزعيم كيم ايل سونج او موبوتو اكتشف الخلل فى السد او المصنع وقد غفل عنه العلماء . . !

وقد وصف الإعلام الروسى ، دابة القرن العشرين المسمى بستالين ، وصفه بأنه ملهم فرق الدبابات وراقصات الباليه !

حاشا لله ما كان معلم البشرية ليرسى اسس هذا الجهل الفاجر بل قضى عليه نهائيا عندما اعلن انه وهو سيد البشر وافضل من حكم واخر كلمة الوحى على الارض، انه اذا ما كان الأمر يتعلق بالعلم والزراعة والتكنولوجيا وامور الدنيا فأهل كل مهنة اعلم بأمورها . . فشاه وجه كل من يدعى العصمة أو العلم كل العلم بعده. وهذا بالطبع من وحى وفى اطار الأية الكريمة : **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾** وهى الآية التى تخبط المستشار فى فهمهما او تعثر فى محاولة اختراع تفسير لها فأتى بالغرائب والعجائب كما سنرى. .

ويؤكد لنا ان اليهودية وحدها هى دين ودنيا «لأن بعض الاسرائيلين يقولون أن التوراة تشريع الهى مفصل لا محل لتشريع بعده » ص٥٣

واذا قالت اسرائيل فصدقوها !ولا ندرى لماذا صدقهم وحكم انها دين كامل التشريع؟! هل فى التوراة قانون البورصة او نظام تراخيص السيارات او اتفاقية اياتا ام لا يقال هذا الهراء الا لنا ؟! ويعود فيقول ان اليهود اضطروا لاستكمال نقص التشريعات فى التوراة بما طوره الاحبار ونقحوه حتى اصبح الحكم بالتلمود وليس بالتوراة !! فلماذا يباح لهم ما لا يباح لنا مع الفارق انهم هم الذين ادعى أحبارهم ان هذه القوانين هى التى من عند الله وهذا هو الكفر، هذا هو ما رفضه الاسلام وفسر به النبى لحاتم النصرانى آية **﴿واتبعوا أحبارهم﴾** قال يحللون لهم ويحرمون فيعتبرون ذلك من عند الله بموجب السلطة المدعاة لرجل الدين. أما عندنا فعمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول أن أصبت فمن الله وان اخطأت فمن عمر. والفقيه يبدأ

بالاعتراف بأنه بشر يجتهد لنا ويسأل الله السلامة. والمفتى يختم فتواه بقوله والله اعلم. والشافعى كما سمعت ولم تفهم عندما غير تشريعاته بانتقاله من بلد لبلد كان يؤكد انها تشريعات بشرية قابلة للخطأ بتغير الزمان او المكان ولكن الشافعى لا يقول أن أحكامه هى النص الاسلامى الأوحد أو المنزل، ومن لم يتبعها يصلى نار جهنم ، ولا يقول عما عدل عنه انه ليس من الاسلام ولا ان الحاكم يجب ان لا يحكم بالاسلام لأن النبى لم يحكم ! كل مسلم مطالب بأن يتحرى قدر طاقته ان تكون اجتهاداته مطابقة للنص وروح الشريعة تشريعا ومنهاجا فإن اصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر. ومادام كل رأى يحتمل الخطأ والصواب بموجب حديث الاجتهاد فلا مجال لشبهة بادعاء فقيه او حاكم بألوهية قراراته او فتاويه .

ويبحث المستشار عن سبب غير جائزة نوبل مذلة أعناق الرجال ، يبحث عن سبب غير رضاء الذين يوجهون الدعوات فى الولايات المتحدة لقبول اليهودية كدين ودولة وإنكار ذلك على الاسلام والمسلمين فيتفتق ذهنه عن ان اليهودية وحدها هى ديانة التشريع والحكم لأنه قاس طول آيات التشريع فى التوراة ، وعد ايات التشريع فى القرآن وقسمها على عدد ايات القرآن بعد ما ضرب فى تسعة وطرح واستخرج الجذر التكعيبى فوجد ان العدد اكبر فى التوراة مما خوله ان يعلن ان الاسلام ليس دين التشريع بل اليهودية. وبناء عليه قرر أن يعلن أن الاسلام دين رحمة واخلاق وناس طيبين ليس لهم شأن بالحكم ولا دياولو كل هذا لانه لم يجد فى القرآن الا سبعمائة اية فقط تتعلق بالتشريع ، كأن القرآن موسوعة القانون الجنائى ؟!(٣٤)

لعبة النسبة هذه لعبة سخيفة مضحكة ولو كنت صادقا مع نفسك لجمعت ايات التشريع فى التوراة وقسمتها على عدد آيات العهد القديم وستكتشف ان نسبتها اقل من القرآن ، إن كان يمكن قبول هذا الهذر! اذ يمكن ان يقول أحدهم أن فرنسا دولة غير دستورية ما دامت نسبة عدد كلمات الدستور لمجموع الكتب المؤلفة بالفرنسية أو حتى مجموع القوانين ولا واحد فى المليون ! ما هذا الهذر؟ هل القضية تحدد بالحجم او بالنسبة ام بالمبدأ؟!

فى المسيحية المبدأ ملتزم بوضوح فلم يرد عن المسيح ولا حكم تشريعى واحد. . ما

لقيصـر لقيصر ومـالله لله .و المسيح رفض ان ينفذ حكما او ان يحكم بين مـتنازعين لتأكيـد المبدأ .ولو رجم عليه السلام او قسم ثروة كـما طلب منه متخاصـمان مؤمنان راضيان بحكمه ، لو قبل لاصبحت ممارسة الحكم شريعة المسيحيين، ولذلك لم يفعل لكى يؤكد الفصل بين الدين والسلطة فى المسيحية كما سبق وأوضحنا .

اما فى الاسلام فإن الرسول - وايضا لتأكيد المبدأ - قد حكم ومارس السلطة فى كل جوانب الحيـاة الموجودة فى زمانهم ، وما كنا نتوقع أو نطالب بأن يشـرع فيما لم يحدث ! وان كنا نرى انه حكم فى كل قضـايا عصره من العلاقات الخـارجية والحرب والصلح الى شروط طلاق من تشكو من صغر عضو زوجها . .ولا حياء فى الدين !

فالقضية هى قضية المبدأ وليس بالعدد، فالمصريون يعرفون ان العدد فى الليمون!

وانت الذى اعتـرفت: «ان المسيـحيين لم يـعملوا أبدا على تأسـيس دولة او انشاء حضارة أو مقاومـة السلطة حتى وإن قدمتهم للوحوش. . تم اتخذت المسيـحية وضعا اخر بعد أن فـرضها امبراطور رومـا دينا رسميا للدولة . . . امـا الاسلام ففى المدينة كان حكومة . . . ومن ثم فحياة المسيحـيين الاوائل ليست كحياة المسلمين الاوائل من اى جانب»ص١٣٨

ما تقول لروحك . . ام ان هناك مؤلفا اخر يشترك معك ويخالفك الرأى !

ورغم هذا الوضـوح فى اختـلاف الدينين وحول قـضيـة السلطة والدولة ، نراه يستمر فى محاولته فيفتى سيادته :« لقد وردت كلمة الرحمة بنصها فى القرآن ٧٩ مرة خلاف تصريفاتها بينما ورد لفظ الشريعة اربع مرات فقط » ٤٤

حاجة تـسد النفس فكرنى لما كنا فى الابتدائى ونحـاول نثبت ان النيل اطول من المسيسيبى فنختلف بفروعه ولا من غير فروعه . . . !

ولماذا لا يكون الاسلام دين الـعدل هل يمكن ان تكون الرحمـة بغيـر العدل وهل يتحقق العدل بغير حكومة وسلطة ؟

وان شئت العبث فلماذا لا يخرج علينا جهول بادعاء انه قرر تسمية الاسلام ، بدين

العذاب فعدد الفاظ العذاب فى القرآن تعادل او اكثر من الفاظ الرحمة «العذاب ورد بلفظه فى القرآن ٢٦٤ مـرة اقسم ٢٦٤على ٧٩عدد الفاظ الرحـمة =٣,٣٤ مرة او ٣٣٤ ٪ يبقى دين العذاب !»

ايه الهلس ده تحب نستمر فيه :ابليس ورد ١١ مرة فى القرآن و محمد صلوات الله عليه ورد ٤ مرات فقط يبقى دين ابليس وفقه المتاعيس والعياذ بالله ؟!

مـاهذا الذى نخـوض فيـه . . الاسـلام دين الرحـمة والعـدل والموعظة والحكمـة والسيف والكلمة والعلم اولا واخيرا فكمـا احصى استاذ هندى ووجد ان كلمة العلم هى التاليـةفى العدد بعد لفظة الجـلالة فى القرآن . . الاسلام هو الكمـال لكل زمان ومكان فلابد انه يتسع لكل الصفات والمتطلبات.(٣٥)

اما الذى يفقع حقا فهو ادعاءه ان علماء الاسلام افتقدوا المستشار فساروا فى خطى اليهـودية دون ان ينتبهـوا ان موسى جاء ليـحكم ويشرع أما الاسـلام فحصـة اخلاق «رسالة رحـمة واخـلاق » جهل المسلمون ذلك فـارتكبوا خطيـئة الاهتـمام بالاحكام التشريعـية التى وردت فى القرآن على قلتهـا (تصور اخطأنا اذ اهتممنـا بآيات قرآنية) كما اهتم الفكر الاسـلامى "خطأ" بالاراء والاحكام والفتاوى والاجتهـادات المتعلقة بها واصبحت هذه جـزءا من الشريعة بل ان لفظ الشريعة فى وقتنـا الحالى عندما يذكر فى الفكر الاسلامى انما يعنى اسـاسا الفقه الاسلامى ولا يقـصد المعنى الاصلى للفظ الوارد فى القرآن وفى معاجم اللغة العربية وهو: الطريق، السبيل المنهج وما الى ذلك ﴿لكل جعلنا منكم شرعـة ومنهاجا﴾ ﴿ثم جعلناك على شـريعة من الامر فاتبـعها﴾ «ومعاها خارطة!» وراجع فى ذلك كتابه اصول الشريعة الذى تضمن بيانا وافيا

للخطأ الذى وقع فيـه المشرع المصرى المدنى والدستورى والجـمعية العـامة لمحكمة النقض و محكمة النقض والمحكمة الادارية العليا وخلطهم جميعا بين الشريعة والفقه وهكذا فالتشريع هو محور رسالة موسى والرحـمة والاخلاق هى محور رسالة محمد والخلط بين الرسالتين وتوجيه الاسلام لكى يسير فى طرائق اليهودية» (بيخوفنا)(٣٦). .

جميع فقهاء ومفكرى وعلماء ورجال الاسلام من ابى بكر وانت جاى حتى المشرع

لمصرى المدنى والدستورى والجمعية العامة لمحكمة النقض ومحكمة النقض والمحكمة لادارية العليا كلهم اخطأوا فى خلطهم جميعا بين الشريعة والفقه واصاب المستشار ـحده ! المستشار وحده عرف ان الشريعة معناها الترعة .. الطريق ولذلك كان يجب ـويلها لقلم المرور يا عصفور!

ويغنى ويرد على روحه فيقول «لو ان الاسلام رسالته تشريع لكان عدد ايات لقرآن فى مادة التشريع اكبر» ٤٤

ولكنه يرد بأن هذه القلة عن حكمة «اذ تركت للأمة تجتهد فيها بما تشاء تبعالظروف لزمان والمكان وأخذا بروح القرآن » ٤٤

تمام اسم الله عليك .ما عبيط الا بنى ادم لقيتها فين ؟ ! طبعا مش حتقول .. لكن ش لايقه عليك ! لأن هذا هوعين ما نقول وقاله قبلنا كل من فهم الاسلام .. كتفى القرآن باقرار مبدأ السلطة والتشريع ، ولو لم يفعل لتحرج كثير من المسلمين ن ممارسة الحكم ، وانت ترى ان الكنيسة الكاثوليكية الى اليوم رغم كل ما مارسته ن سلطة تدعى انها لا تحكم وتتجنب اى حكم .

أقر القرآن مبدأ الحكم وأقام الرسول دولة أو حكومة أو سلطة مارست جميع مهام لحكومة من الناحية المبدأية أو على الاقل مهام الحكومة فى عصره وأورد احكاما محدودة بحكم الحالات التى عرضت او ما شاء ان يلهمنا فيها روح القرآن ثم ترك لنا لاجتهاد .. فما سبب الضجة التى تثيرها وما مشكلتك ؟!

ويوافق بل يصر على أهمية «اعمال الاحكام التشريعية التى وردت فى القرآن » بل حتى نظام الفوائد يطالب ببحثه دينيا «لمعرفة اذا كان هو الربا المحرم»ص١٢٤

ألم تقل أن الناس جميعا اخطأواعندما ظنوا ان شريعة معناها تشريع وانه لا تشريع ى القرآن والاسلام فلماذا تعود لاستخدام اللفظ الخطأ ؟ وعكس ما ورد فى قواميس العربية !

وبعد ان سلم بضرورة الحكم بما انزل الله واعمال تشريعاته وتراجع عن جميع ؤلفاته ادعى ان خلافه ينحصر فى انه « لا ينبغى أبدا أن يستمر الالحاح عليها

وحدها وإغفال الشق الاكبر والهام جدا فى القرآن الذى يتناول اصول الرحمة وقواعد الاخلاق» ٤٥

تكرم عينك !

جميع الحركات الدينيـة وغير الدينية تهتم بالمسلكية والاخلاق والتربيـة النفسية قبل القانون .والرسـول ظل يعلم المسلميـن الخلق الاسلامى ١٣ سنة قبـل ان يشرع لهم الاحكام والقانون. وهذاالتـخبط سببـه محاولة التهـرب من القضية الرئيـسية : هل يحكم المسلمـون مـجتمـعـاتهم أم يتـركـون السلطة للفـرنسـيين والروس والـيهـود والامريكان!! هل نحكم بقانون إسلامى أم نستورد إسلاما فرنسيا ؟!

وهو يعـرفنا انه من بدائه الامور ان «اى مـجتمع يـحتاج الى حكومـة بل ان اية جماعة ولو كانت من ثلاثة أفراد فى حاجة إلى رئيس أو أمير أو قائد» ص١٤

وتظن انه سيسـتشهد هنا بحديث :« امـروا ولو على ثلاثة » ولكنه لا يفعل ! هل عن جهل فهو لم يسمع بالحديث او عـن اصرار لأن جوهر كتابه هو ان الحكومة فى التاريخ الاسلامـى كانت خطأ ، وبعكس ما فعل واراد النبى ومن ثم فـالحديث يجب أن يخفى بكمه كـما فعل اليهود بنص التوراة ! ولذلك نراه يؤكـد الحاجة لحكومة أو أميـر ولو على ثلاثة ليس بالحديث الواضح بل المطابق حـرفيا والذى أصـدره الرسول فى القرن السابع الميلادى . . بل يستشهـد لنا بما « افاض الفلاسفة والمفكرون وخاصة فى فرنسا وبريطانيا فى بيان الأسس الفلسفية والاجتماعية لذلك كما دلل علماء الاحياء . . . الخ » ص ١٤

الحديث سبق علماء الاجتمـاع والفلاسفة فى اوربا ب١١ قرنا وابن خلدون اوشك الا يترك لمجتهـد بعده ما يجتهد . . وقبل ابن خـلدون افاض علماء الاسلام فى الرد على الذين قـالوا لو انصف النـاس لما احتـاجـوا لحكومـة . .فلمـاذا تتـرك ذلك كله وتستشهد لنا بالفرنجى الذى ليس هو البرنجى ، فى هذه القضية على الاقل !

ومادمت قـد سلمت بأن كل مجتـمع يحتاج لحكومة بل « حـتى فيمـا بين الطيور والحيوانات لابد من قيادة » ص١٤ ولابد ولو بكرم اخـلاقك من اعتبار هذا السرب

الذى توفى عنه رسول الله و الذى غير- لاسف امثالك - تاريخ الدنيا هو ايضا مثل الطيور يحتاج لحكومة ، فما خطيئتهم فى تشكيل حكومة ؟ يقول ان «الخلط عن جهل او عمد هو بين هذه الحاجة الى حكومة وبين ما يسمى بالحكومة الاسلامية»ص١٤

من الذى خلط؟!

المسلمون الاوائل الذين اخترعوا هذا الشكل من الحكومة لم يسموها بالحكومة الاسلامية لأن المعروف لا يعرف بل هى تسمية جاءت من غير المسلمين !فهى اسلامية لأنها حكومة من المسلمين بالمسلمين للمسلمين . . فماذا تكون ؟ حكومة بوذية ؟!

ثم يطرح تساؤلا يؤكد انه لم يدرس القضية التى يعالجها فبعد ان يعترف بأنه لابدلكل قطيع حتى لو كان من الحشرات من قائد ، وهذا تسليم بأن المسلمين لم يرتكبوا اثما عندما اجتمعوا بعد وفاة النبى وقرروا انشاء حكومة تخلف سلطة النبى كحاكم ! يقول ليس الخلاف اذن على ضرورة الحكومة بل الخلاف «حول شكل هذه الحكومة هل هى حكومة تتركز فى فرد له سلطة مطلقة ام تقوم على نظام دقيق ومؤسسات محددة لا يكون الحاكم فيها الا جزءا» . . الى اخر الكلام المحفوظ ص١٤

لو جاء جاهل من خارج المجموعة الشمسية وقرأهذا التساؤل وتلك القضية المثارة لظن ان المسلمين هم الذين اخترعوا نظام الحاكم الفرد وأن خوفو وخفرع كانوا من الهاشميين او بنى امية وان لويس الذى قال انا الدولة كان على مذهب الامام أبوحنيفة وهنرى الثامن الذى غير دين بلده ليتزوج كان من الانصار او من المهاجرين مثل الاخطل ؟! ولو قرأ كلام المستشار طالب من الذين حرموا دراسة التاريخ لظن ان بنى أمية وحدهم كانوا يقيمون حكم الفرد بينما كانت شعوب أوربا والهنود الحمر ينعمون بنظام المؤسسات --

ماهذا الجهل ؟

النظام الابوى او حكم الفرد المطلق الصلاحيات هو نظام تاريخى مرت به جميع الشعوب والحضارات مع فارق ان الحاكم المسلم مهما تحدثنا عن استبداده فقد كانت

سلطاته محددة بالشريعة الى حد ما يتفـاوت بتفاوت قوة العلماءاو قدرة قيادات الامة على تحريك الرأى العام فـى عصره. وقد وصل الأمر الى حـد قدرة العالم على طرح السلطان فى المزاد تنفيذا لحكم الشرع !

ثم تخطت البـشرية هذه المـرحلة ودخلت فى مرحلة المـؤسسـات فمـا الذى يمنع المسلمـين من دخول هذا العـصـر؟ اين هو النص الذى يفرض عـليهم الديكتـاتورية الفردية ويجعلها من صميم الاسلام الا فى افتراءات المزيفين ؟!

قلنا ان الحكم على اى حضارة يكون بمقارنة ما حققـته ومنحته لشعوبها ، بما كان متـاحا لمعـاصريها مـن شعوب الحـضارات الاخرى او مـا قبلهـا لا ان نقارن حـضارة الفراعنة بالثورة الفرنسية !

رغم تفوق مبادئ الاسـلام حتى يومنا هذا وتفوق حضارة الاسلام على مـعاصريها خلال ما يقرب من الف سنة الا ان مايأخذه سـيادته على تجمع السلطة فى يد الخليفة ليس فيه مـا يعيب الاسلام فحتى القـرن السادس عشر وظهور البـورجوازية الانجليزية كان الامـر كذلك فى كل مكان . ولقد استطاع ملـك بريطانيا تغيـيـر دين الانجليز فى القرن السادس عشـر بسبب رغبته فى الزواج ولا استشـار ولا استخار، ولكن هؤلاء يريدون ان يستشير معاوية فى القرن السابع ! او ان يجـرى استفتاء قبل خوض معركة ذات الصوارى !هذا إذا قـبلنا حكاية ان الخليفـة لم يكن يستـشير وهو غـير صـحيح فالمجنون والابله هو مـن لا يستشـير وغالبا مـا تكون نهايتـه سريعة وأليـمة ، ولكن السلطة والقرار فى يد الحاكم لا خلاف على ذلك .

وهل تاريخنا حافل بالحروب والمؤامرات والدسـائس اكثر من تاريخ الاخرين ؟! ثم ها نحن قد تخلينا عن الاسلام فهل تخلت عنا الحروب والمكائد والمؤامرات؟!

واخيـرا اين المصداقيـة فى التباكـى على الديموقراطيـة والتحذير من الـديكتاتورية . .اى نظام طغيـانى ديكتاتورى لايؤيده المستـشار واضرابه ممن يخـوفوننا من احتـمال ديكتاتورية النظام الرأسمالى لو قام ، وهم غارقـون فى تأييد الديكتاتورية القائمة فعلا . . يا غليظ العنق انظر الغابة التى فى عينك قبل ان تخرج الغبارة من عين المسلمين !

اهل الجهل واهل الذكر !

يقول المستشار : «احدى المقولات الرئيسية فى تسييس الدين بالتطرف والعنف وفى اقوال بعض الفقهاء الذين يريدون فرض احتكارهم للدين وانفرادهم بالشريعة وابتداع كهانة فى الاسـلام أن يكون المرجع فى التفسير والافتـاء والحكم لأهل الذكر يستندون فى ذلك الى الآية الكريمـة: ﴿فـاسألوا اهل الذكـر ان كنتم لا تعلمـون﴾ . . وبينما يقصد تيار تسـييس الدين بأهل الذكر مرشديه وقادته وامـراءه ، يقصد من يركن الى هذه الاية من الفقهـاء، انفسهم هم . وفى حقيقة الحـال ، فإن الركون إلى هذه الاية بالمعنى الذى يريده هؤلاء وهؤلاء انما يسفـر عن طويتهم ويبدى ما بنفوسـهم من رغبة السيطرة على النظام القانونى والقـضائى والدستورى والتشريعى للمـجتمع مع تحريف معنى آية ليـخدم اغراضـهم السياسـية وطموحـاتهم السلطوية . ورجوعـا الى القرآن يوضح حقيقـة دعواهم وطبيعة سندهم ، فلفظ الذكـر فى القرآن لا يعنى القرآن ذاته دائما فهو يعنى ذكر الله عموما ﴿ انا نحن نزلنا الذكـر وإنا له لحافظون ﴾ / ٣. وقد يعنى التوراة ، والاية التى يستند اليها الراغبون فى احتكار الدين والهادفون الى فرض وصايتـهم على المسلمين تعنى بالذكـر التوراة او تعنى الكتب السابقـة على القرآن . . التوراة والانجـيل» «اى حاجة الا القـرآن ! ج» اى فاسألوا اهل التـوراة والانجيل . . فلم يكن فى عهد النبى رجال دين اسلامى ولا فـقهاء . . الخ «الاسلام السياسى ص ٦٣/٦٢

ومادمت قـد ابحت سؤال اهل الانجيل والتـوراة فلماذا تحرم سـؤال أهل القرآن؟ هل هم أهل الذكر ونحن اهل النسيان ؟!

الحكاية التى روتها بنت الـشاطئ تدل على مدى تقدم فـهم العامة للاسـلام وفهم هذه الاية بالذات ومدى التخلف والتعسف فى تركيب منطق المستشار.

الحكاية تقول أن أحـدهم تحدى واحدا من أهل الذكر ان يثـبت ان القرآن صادق فى آية . . ﴿ وما فرطنا فى الكتاب من شئ ﴾ . . ان كان كذلك فهل يـخبرك القرآن كم رغيـفا يمكن صنعه من كـيلو الدقيق؟ قال العالم : نعـم واتصل تليفونيا بالمخـبز

وسأل الفـران كم رغيفـا فى الكيلو ثم نقل الجواب للـمتفـاصح الذى دهش وقال ؛ ولكنك لم تعـرف ذلك من القـرآن . . ؟ قال العـالم : بلى . . لأن القرآن يقـول ﴿ واسـألوا اهل الذكـر ان كنتم لا تعلمـون ﴾ وانا لا اعلم وصـاحب المخـبـز فى هذه القضية هو أهل الذكر . .

هذا هو الفهم الاسـلامى المعجز فى بساطتـه وبلاغته . . ويفهـمه المسلم الذى لم تفسد طويته . . حتى لو كان خبازا او فرانا . . لا ان نقول ان اهل الذكر الذين يجوز للمسلم ان يسألهم هم خبراء بنى اسرائيل فقط . . حتى فى امور ديننا ! ولا ان نزعم أن الذكـر كل الذكر قـد ورد فى القـرآن والفقـهاء هـم وحدهم أهل الذكـر ، الذين يقدرون على استـخراجه من بين دفتى المصحف حـرفيا فالقرآن منهـاج ودليل للتفكير وليس دائرة معارف !!

وأهل الذكر هم الذين يعـلمون الامر الذى لا يعلمـه السائلون . . والاية موجـهة للسائل فهو الذى يحـدد من هم أهل الذكر ، لا ان فئة بعينها تعين نفـسها اهل الذكر . . كل حلاق صحة يدعى انه اهل الذكر فى الـطب ، فإذا ترك المريض مشاهير أهل الذكر فى الـطب المرخصين الحـاصلين على أرقى الشهـادات وصدق ادعـاءات حلاق الصحة ، فهو وشأنه لا يضر الا نفسه .

وعلوم الدين أو الفقه مـثل أى علم لا يجوز فيها حـديث من ليس من اهل الذكر ولابد ان يسأل الذين لا يعلمون ، ويريدون ان يعرفوا رأى الدين، لأمر ما (!!) لابد ان يسألوا أهل الذكر أى العلماء المتبحـرين الذين يثق السائل فى علمهم ويعتبرهم أهل الذكر ، من دينه طبعا وليس من اليهود والنصارى كـما يصر المستشار فى مكر لتحليل الخضوع لمندوب البنك الدولى ولجنة تطوير البرنامج وخبراء الزراعة الاسرائيليين وغداً خبرائهم فى الدين !

امّا إن حسب البعض علوم الدين وحـدها مثل الكلأ مباحة لـكل محتطب بليل ، يسومها كل مفلـس ، وكل من لعبت له الاجهزة العالمية اصبعهـا فيدعى انه أهل الذكر . . فى هذه الحالة فإن الذى يسـتفتيه يحـمل وزره لا ينقص ذلك من وزر أحدهما ،

ضعف السائل والمسئول !

وبالطبع فى كل حركة سياسية يعتبر القادة انفسهم أهل الذكر الذين يجب رجوع مريديهم أو اتباعهم اليهم فيما لا يعلمون ، وهذا يرجع لاختيار الذى بايعهم بالقيادة ولقانون التجربة والخطأ فإما يثبت أنهم فعلا اهل الذكر أو يمحى ذكرهم. .

لماذ يعجز المستشار عن هذا الفهم البسيط الواضح ؟

لأنه يريد كما قال أن يعلو ضجيجه على ضجيج المتطرفين او أن يأخذهم بالصوات لكى لا يغلبوه بالعياط الا يقول فى مقدمة كتابه انه- اى الكتاب «عالى النبرة حاد العبارة كيما يواجه أصواتا عالية. . »ص٥

قلنا أن الاسلام ، عندما أعلن انه حتى سيد البشرالذى يتنزل عليه الوحى انما يحكم اذا حكم شئون الدنيا كبشر بدليل أن قراراته قابلة للخطأ والتصويب. . وبذلك سد الطريق على دعاوى الاستبداد او استرقاق الطواغيت للمستضعفين بحجة العصمة او التفويض الالهى . ولترسيخ القناعة بانعدام عصمة البشر فقد وردت فى السيرة وقائع دبرتها العناية الالهية تدبيرا لتعليم المسلمين ونفى أى ادعاء لقدسية أو عصمة بشر بعده صلوات الله عليه . . مثل النخل والخندق والمصالحة والاسرى والاعمى. .الخ كلها دبرت لنفى أى قدرة لبشر على امتلاك الصواب المطلق او الحقيقة المطلقة ، بل لتعليمنا أننا جميعا بشر وكلنا نجتهد. وما الصواب إلا حصيلة اجتهاد المجموع وما الحقيقة الا ضالة المؤمن ينشدها حيث وجدت وبالاسلوب الافضل . .

فمادام النبى صلوات الله عليه يمكن ان يتخذ قرارات يصوبها صحابته فأى أساس لادعاء قدسية الحاكم او عدم معارضته ؟!

ومادامت قرارات النبى صلوات الله عليه تقبل النقد والتصويب فبأى حق يحظر من يحكم المسلمين بعده على محكوميه ، حق الاعتراض عليه ونقد احكامه بل ورفضها. . هذا هو الجانب البشرى من حكومة النبى الذى اريد به ان يترسخ فى الفهم والممارسة الاسلامية بعد انقطاع الوحى وانتفاء صفة النبوة عن الحاكم الذى

يعقبه . . فـهذا الطابع الخاص لحكومة النبى أعنى كونها تجـمع بين النبى والامير كان حالة خاصة فـريدة فى التاريخ لا تتكرر وكانت بالطبع ضرورة لاجتـماع صفتى النبى والحاكم فى مؤسس الدولة المسلمة . .

ولاشك أننا أفضنا فى قضية بشرية أحكام الرسـول فى غير قضايا الدين وما نزل به الوحى ، افـضنا فى ذلك منذ سـنوات ، واذا كانـت القضـيـة مـوجـودة فى الفكر الاسلامى منذ البداية الا أننى أسـتطيع بقليل من التواضع الزعم بأننى اول من اثارها بوضـوح وتفصـيل فى النصف الثـانى من هذا القـرن ، وأهم من ذلك اننى أول من استنتج منها هذه المعانى المؤصلة لبشرية الحكم فى الاسلام وديموقراطيته، وقد اقتبسها من اقتبسها عن غير فهم أو ربما لأن البعض يكتب بغير ايمان وانما يتصيد حجة من هنا وادعاء من هناك لسنـد فكره المتهافت. فـأحدهم ينقل كل ما قلنـاه عن بشرية احكام الرسول وأنها قابلة للخطأ بل لا يستطيع ان يتجاوز مثالا واحدا مما عددناه ! وفى نفس الوقت يعلن هذا الحكم الذى، لو صح ، فإنه ينسـف كل أساس لما نقوله وما اقتـبسه عن بشرية الرسـول فهو يقـول حرفيا: «وعندمـا ساس النبى أمور المؤمنين كـان يفعل ذلك بارشاد الوحى ورقابته فى كل قول او فعل او تصـرف حتى ليمكن القول - طبقا للاعتـقاد الاسـلامى - أن الوحى هو الذى كان يسـوس امر المؤمنين . . . فـحكومة النبى ان صح تجاوزا ان تسـمى حكومة ، لأنها بالتعـبير القرآنى إمـارة ، حكومة من نوع خاص جدا انها حكومـة الله تسير طبقا للوحى واتباعا له والحاكم فـيها أو الامير وهو النبى مختار من الـله. . فهى حكومة تحكيم يلجأ اليها الناس مـختارين وينفذون احكامها راضين طائعين وليست حكومة حكم تفرض على المواطنين باسم القانون أن يلجأوا الى سلطاتها وان يخضعوا لأوامرها وان يصدعوا لتنفيذ أحكامها وقراراتها ولو جبرا عنهم . . ان حكومة النبى هى حكومة الله» «كان الحكم فى عهد النبى وحده - حكم الله اسما وفـعلا كما كانت الحـاكمية لله وحده طالمـا ان الفهم الاسلامى يؤمن بأن النبى كان يعمل بارشـاد الوحى وتحت رقابته . . هو حكم الله فعلا وفيـه تتحقق حاكمية الله » ص٤٢

كيف يستقيم هذا مع القول فى موضع اخر ان النبى لما سئل فى بعض الاحكام قال

هى من عنده وليست من الوحى وقوله للمتقاضيين انه قد يخطئ الحكم فى حدود ما يقدم له من معلومات مضللة « صرح بأن حكمه اى قضاءه فى المنازعات هو حكم له ورأى وفتوى لبشر وليس حكم الله وهذا الحديث قاطع على ان حكم النبى - على الرغم من وضعه الخاص - ليس حكم الله ولكنه حكم بشر »ص٤٩

كيف يستقيم هذا مع ذاك ؟ لا يفصل بينهما الا صفحات !!وربما فارق الزمان بين التأليف والاستنارة ! وهل نشتط اذا قلنا انه بهذا التناقض الصارخ يثبت انه لطش فكرتنا وشواهدنا التى استخرجنا منها الحكم ولكنه لا استوعب ولا صدق والا لعرف انها تنسف جوهر دعوته او ما نقله عن على عبد الرازق. فإما انه لا يفهم ما يقتبس او انه حاطب ليل يأخذ كلمة من هنا وكلمة من هناك لا يهمه إلا تزوير حجة يخدع بها من يكتب لهم !

هل كانت حكومة رسول الله كما يتقول :« حكومة تحكيم يلجأ اليها الناس مختارين وينفذون احكامها راضين طائعين وليست حكومة حكم تفرض على المواطنين باسم القانون ان يلجأوا الى سلطاتها وان يخضعوا لأوامرها وان يصدعوا لتنفيذ احكامها وقراراتها ولو جبرا عنهم . . »

هل عندما يحكم النبى بقتل الرجال اليهود ومصادرة املاكهم وسبى نسائهم كان ذلك بناء على اختيار اليهود ولجوئهم طواعية له طلبا لتحكيمه ومن ثم نفذوا الحكم طواعية وبقلب راض وليس اجبارا . . وقد اخترت هذه الواقعة بالذات لأنها كلها تحكيم فى تحكيم . . مما يسمح له بالمماحكة !

واذا كان المسلمون قبلوا حكمه بحكم ايمانهم انه حكومة الله فماهو الاساس فى خضوع اليهودى لحكومته ؟ !

وعندما قتل وصلب وقطع ارجل وايدى وسمل اعين الذين غدروا وقتلوا الحرس وسرقوا الابل . . وطاردهم المسلمون حتى اتوا بهم لقبضة العدالة أكانت محاكمتهم بناء على طلبهم ونفذت فيهم العقوبة بناء على اختيارهم وليس اجبارا؟!

هنا يرد المستشار فيقرر اختصاصات النبى فحيث ان «حكومة النبى هى حكومة الله

فى المفهوم الاسلامى » (حاشا لله ج) . و«قد كانت هذه الحكومة حكومة تحكيم لا حكومـة حكم الا فى حالات الحـرب وفى الحالة الوحـيدة التى طبق فـيها النـبى حد الحرابة ، وهذا امر بديهى لأن الخـصوم المحاربين او الخارجين عـلى النظام والمجتمع بالعدوان لن يحتكموا الى النبى » ص١٨٠

ما هذا الهـذر؟ و هل الدجل الذى يقال للخـواجات بره يليق عرضـه على العرب المسلمين ؟!

هذه حكومة من نوع خاص لا تحكم الا على الخارج عن سلطـتها ! الخاضع لها لا تطبق عليه القانون وانما تفتيه اذا استـفتاها ! وهى تصبح حكومة فى حالة الحرب فإذا عادت من الحرب خلعت وسـقطت سلطاتها وتركت الذين قاتلوا تحت قـيادتها لحكم الجاهلية !!

هل عندما اصر محمدﷺ على قطع يد المخزوميـة رغم احتجاج اهلها ومعارضتهم التى تجاوزت الحد حـتى غضب النبى وخطب فيـهم : . .انما اهلك الذين من قبلكم . . الحديث

أكانت المخـزوميـة واهلها تقطع يدها راضـية هى واهلها . . اليس هذا هـو تطبيق القانون ولو كره المعاقب . .ام هل كان النبى فى حرب معهم كما تعلل فى الاخرى؟!

وعندما نفذ حكم القذف فى عـصبة الافك أكانوا يتهافتـون على تطبيق الحد عليهم كما يزعم ولم يكن فى الامر اجبار، اعمالا لقانون القذف ؟

وماذا عن مسجد ضرار . .عندما امرمحـمدﷺ بتحريق مسجد ضرار مع ان القوم لم يكونوا محاربين ولا مـجاهرين بالعصيان بل دعوه للصـلاة فى مسجدهم ، ولكن المعلومات التى توفرت لرسـول الله أكدت أنه يدار فيه ما يهدد أمن الدولة فـأمر بحرقه . .أكان ذلك بناء على طلب اهل الضرار ؟!

وأخيرا ألا ينتبـه المستشار الى أن أى حكومة فى الدنيا لا تنـزل العقوبة الا بالخارج على النظام والمجـتمع . . المطيع والمنكسر لماذا يعـاقب . . او كـما يقـال فى البلدان

المتقدمة اذا لم تذهب للحكومة فهى لا تأتى اليك . . .

هو قـول هزل . . ومعـذرة للتكرار . . عسـى ان يتعلم . . الاخـيار !!! وكلمـة للآخرين

اعتقد اننى بحـاجة لوقفة هنا لأناقش ما نسب لدعاة الحاكـمية من قولهم أن آية ﴿أطيعـوا الله واطيعوا الرسـول وأولى الامر منكـم ..﴾ تعزز دعوة الحاكمـية التى كما قلنا كنا أول من تصدى لتـفنيدها وأول من نسبهـا للفكر الاسلامى الهندى وأول من قال انها كلمة حق اريد بها باطل كمـا قال على بن ابى طالب عندما ارتفعت لأول مرة فى معسكره نفس الصيحة على لسان الخوارج وان اختلف المضمون .

أعود لدعاة الحاكمية فاقول ان سندهم ان القرآن قال اطيعوا الله . .

ثم

وأطيعوا الرسول . .

ولكنه لم يقل واطيعوا اولـى الأمر منكم بل الحقها بطاعـة الله ورسوله فهم لم يخصوا بلفظة واطيعوا فلا طاعة منفردة لهم . .

وتفسيرنا مـختلف فهذه من الاعجاز القرآنى ، الذى يدعم وجـهة النظر المخالفة التى نؤمن بهـا وهى ان التـشريع فى حـياتنـا اليومـية او الدنيـوية يتم بواسطة بشـر يخطئون ويصيبون ويراجعون ويخالفون ولكن فى اطار الفهم الاسلامى والتعاليم التى نص عليها القرآن والـسنة والحدود التى فرضها الله تعالى. امـا ان الآية قالت اطيعوا الله ، واطيعوا الرسول واولى الامـر منكم ، فنحن لا نراها فصلت طاعة اولى الامر عن طاعة الله والرسول والا لما كانت هناك حاجـة لقوله واطيعوا الرسول ،كان يكفى قوله اطيعوا الله والرسول او لكان المولى عز وجل قد فصل بين طاعة الرسول وطاعة اولى الامر ولقال : اطيعوا اولى الامر فيـما امر به الله ورسوله . . او ماشاء القول والتبيين .

بالطبع لا طاعـة لمخلوق فى معصـية الخالق وقـد تقدمت طاعة الـله ورسوله على

طاعـة ولى الامر. والفـرعى او الخاص لا يجب العـام او الاساس ، ولا يجـوز ان يخالفه ، فطاعة اولى الامر معلقـة على طاعة الله ورسوله ما فى ذلك من خلاف.

.ولكن أوامـر أولى الامر ليـست من الله وهذا هو الاعـجاز فـعندما قـال واطيعـوا الرسول واولى الامر منكم ، يشـير هنا للصفة المزدوجة لـلرسول صلوات الله عليه، فطاعتـه كنبى هى فى اطار طاعة الله ولا تحتـاج للتخصيص على رسـول الله فكل ما سيأمر به عن الله ونطيعه هو فى اطار الطاعـة المباشرة لله . ودليلنا انه سبحانه وتعالى فى ال عـمران يقـول : ﴿ **قل اطيـعوا الله والرسـول فـإن تولوا فـإن الله لا يـحـب الكافرين**﴾ [ال عمران ٣٢]

فهنا قضـية ايمان ولذلك لم يفصل بين طاعة اللـه وطاعة الرسول ولم تكن هناك حاجة لتكرار الامر بالطاعة فطاعة الرسول فى امور الدين هى طاعة الله ولذا استخدم الفعل مـرة واحدة . . ووصف المتولين او العاصـين بالكفر .ولكن الرسول له صـفة اخرى هى ولاية الامر ،الحكم . .رئاسة الدولة الاسلامـية او المسلمة وهنا الطاعة فى اطار ولاية الامر لذلك ألحـقت بها ﴿**وأولى الأمر منكم** ﴾ .فهى دليل بشرية الحكم وان الحاكمية للأمة فى اطار طاعة الله وما انزل على رسوله .

ولو كان عدم تكرار الفعل : اطيعوا . . يعنى ما ذهب اليه تـفسير انصار الحاكمية لكان معنى الآية فى ال عـمران: أطيعـوا الله ملزمة بعكس طاعة الرسـول وهو ما لا يصح عقلا ونقلا !

وتأمل الاعـجاز فى النـص القرآنى اذ انه مـا ورد الامـر بطاعة أولى الامـر فى القرآن الا وخصصـوا ، فى كل مرة ، بلفظة « منكم »وهى بالذات اللفظة التى كان فقهاء الاسـتعمار والطغيان يخـفونها بكمهم كفعلة احـبار بنى اسرائيل . هذه اللفظة هى تاريخ وتشريع وتفوق كامل على مدى القرون فهى :

أولا تفـتـرض ان أُولى الامـر هم من الـناس وليـسـوا من الله أو الـسـمـاء أو أى خزعبلات مما يفتـريها اعداء الاسلام بل «**منكم** » فكيف يقـال ان الحاكم الاسـلامى يمكن ان يدعى الحكم او التعيين او السلطة من الله .

بينما هو « منا » وعلينا كما يقول العامة . بل إن الأمر الالهى يحرم علينا ضمنا طاعة ولى الامر الدى يدعى انه ليس منا او من مرتبة اسمى منا حتى لو زعم انه المهدى المنتظر فلابد ان يكون منا .

والثانى انهم من المسلمين اى بإرادتهم مهما كانت صيغ التعبير عن هذه الارادة فليس صحيحا ما كان يروجه فقهاء الاستعمار عن طاعة الحكومات العميلة أو ما روجه على عبد الرازق ومدرسته عن قبول حكم الانجليز اذا كان عادلا على حكم المسلمين إذا كان ظالما. وقياسا الاسرائيلى على حكم الاردن أو أبوعمار أو حماس . . لأن الاسلام بزعمهم لا دخل له بالحكم ولا جاء فى القرآن نص على ضرورة أن تكون الدولة المسلمة مستقلة تحكم نفسها بنفسها !

هنا لفظة «منكم » تفقأ أعينهم وتمنع قبول الحكم الاجنبى . إذ شرط الطاعة أن تكون الحكومة وولاية الامر من ذات الناس المحكومين المطالبين بالطاعة ، وأن يكون مصدر الشرعية فى ولاية الأمر كون المتولى « منهم » وهذا أمر الهى غير قابل للمناقشة .

وهذا الامر بقدر ما يحرم حكم الاجنبى أو الحكم المفروض بالقوة على بلاد المسلمين فهو يبيح فى رأيى طاعة المسلم الامريكى أو البريطانى ، السلطات الامريكية والبريطانية، اى أُولى الامر هناك لأنه «منكم»من ناحية الجنسية التى اختارها ، مهاجرا كان أو مولودا هناك ، ومن ناحية أنه يشارك فى بيعتهم أو انتخابهم بالمصطلح الحديث . . فهم منه ، وطاعتهم لازمة ، بشرط الا يلزم بمخالفة نص دينى وهذه هدية منا للمشتغلين بفقه الاقليات الذى كنا أول من دعا له ولكن ما اجحد بنى اسرائيل !

نعود للمستشار فنجده يقول :

«يحدث خلط شديد سواء عن عمد او عن جهل بين حاجة أى مجتمع الى حكومة وبين ما يسمى بالحكومةالاسلامية »٢٢

فمادام كل مجتمع يحتاج لحكومة فكيف تظن ان دين المجتمع الاسلامى قد غفل

عن هذه الحاجة ؟ واذا قام النبى والصحابة بإقامة حكومة فماذا تكون إلا حكومة اسلامية؟! ومادمنا اتفقنا انه لا امكانية لقيام حكومة دينية فى الاسلام فأين المعركة واين القضية؟

واذا كنت سلمت ان كل مجتمع يحتاج لحكومة وتنازلت واستخدمت لفظ حكومة بالمعنى الذى يقوله الجهلاء والعامة الذين ستسود الصفحات فى تقريعهم لأنهم يظنون ان الحكومة تعنى الحكومة بنفس المعنى الذى تستخدمه انت هنا بكل اطمئنان ثم تعود لتصدع رؤوسنا بأن الحكومة لا تعنى الحكومة انما هى القضاء او الحكمة . . الخ ما تفاصحت متغابيا او تغابيت متفاصحا . .

اذا كنت قد سلمت بأن كل مجتمع لابد له من حكومة فلماذا استثنيت مجتمع المدينة فجعلته بلا حكومة ونفيت ان يكون النبى فكر فى حكومة أو حكم ! ولو أنك ستعود فتقول إن حكومته كانت حكومة الله !

اللهم عفوك ورضاك ما قامت فى الارض حكومة يمكن وصفها بأنها حكومة الله أبدا سبحانه والارض والسموات ملك يمينه !

هو اعترف انه لابد للناس من حكومة وما هو ضرورى للناس هو بالحتمية من اركان الدين . ما لا تستقيم الدنيا الا به هو فرضا ونقلا وعقلا من صميم الدين. لأن الدين جاء لتقويم الدنيا ولأنه لا قيام للدين ما لم تستقم امور الناس وتتحقق اولى ضرورات قيام المجتمع الذى سيمارس الدين . . أما أن الخلافة بذاتها هى الحكومة الشرعية او المقصود بالحكومة فقد فندنا ذلك .

ثم ندخل فى فزورة الحكم والحكومة والامر والملك وعموم اللفظ وخصوص النص أو التنزيل . .

المستشار يعلمنا أن الحكم « فى القرآن يعنى القضاء بين الناس او الفصل فى الخصومات او الرشد والحكمة » ٤٦

عظيم!

سنوافق على ان الحكم الذى امر الله به رسوله والمؤمنين هو الفصل فى الخصومات وماذا فى ذلك ؟ هذه هى المهمة الاولى ان لم نقل المهمة الوحيدة للدولة ؛ أعنى اقامة العدل أو القانون، الفصل فى خصومات الناس . وجميع سلطات الدولة ستجدها فى هذا الاطار حتى انشاءالمجارى لكى لا يتنازع الناس اين يلقى كل منهم اقذاره . .

والا فماذا يعنى بالحكم بين الناس . . اهو مجرد رأى استشارى ؟ أو فتوى غير ملزمة إلا أدبيا ؟ هل النبى محكمة عدل دولية او لجنة تحكيم اختيارية ؟

وحتى لو قبلنا سخافة القول بأن الحكم الذى خول للنبى هو فقط الفصل فى الخصومات !ألا يستلزم هذا ان يكون له سلطة تنفيذ الحكم ، أى شرطة وسجون ومشنقة للأبعد .

الم يكن من الضرورى أن يواصل أحد هذه المهمة بعده ؟ هل يترك الناس يذبحون بعضهم بعضا بعد وفاة النبى ام يحكم لهم الذى خلفه وفى ماذا يخلفه ان لم يخلفه فى حكمه ؟

ويستمر فى الفتوى فيقول ان الحكم الذى هو الحكم بالمعنى المتعارف بين الناس جميعا . .فيطلق عليه فى الاسلام " الامر"

مرة اخرى عظيم ! ولكنك انت نفسك تستشهد بكلمة لأبى بكر « ان محمدا مضى لسبيله ولابد لهذا الأمر من قائم يقوم به »

وان عليا رضى الله عنه قال : ان المسلمين تنازعوا الأمر من بعد النبى ٤٦

الحمد لله انت قلتها

الأمر هو الحكم بمعنى الحكم اى السلطة . . الدولة

تمام

القائم بالأمر هو الحاكم أى الحكومة . .

أبوبكر- ولابد من التسليم بأنه يعرف محمدا وما كان يفعله محمد أكثر منا - قال

ان محمدا كان قائما بالأمر وتوفى فلابد ان يتولى احد اختصاصاته لابد ان يتولى الأمر واحد آخر. وهذا لا معنى له الا ان محمدا كان يحكم . وما الأمر الذى تنازعه المسلمون بعد وفاة النبى الا الأمر الذى كان قائما به محمد أى لابد من التسليم بأن محمدا أقام حكومة وليس تحكيما . .

فإن قلت انها كانت حكومة الله ، وأن الأمر كان يدار بواسطة الله وأن أبا بكر قام يستأنف الأمر أى يستأنف حكومة الله كنت بذلك أقرب لدعاة الحاكمية وأبعد الناس عن المفهوم الاسلامى !

وأتوقف قليلا عند فتوى مجدد آخر غير معترف به ، شاغب فترة ثم خبا ذكره ربما لأن علمه حال دون تبذله بما يرضى الذين يُشهرون من هم أقل منه ! هو الدكتور محمد أحمد خلف الله الذى دار فى فلك الشيخ خالد محمد خالد فلمع بتوهجه فترة ثم انفصل من مدار الشيخ ليلف حول الماركسيين ويبدو انه قد عز عليه ما تدهور اليه العلمانيون وعز عليه أيضا أن يعترف بما ارتكب فى حق العلم الذى درسه فحاول ان يجبر ويلصم فقال لنا ما يدور المستشار حوله ويحاول اخفاء نصفه .

يقول خلف الله أن الحكم والحاكمية واحكم و الحكم لله هى ألفاظ لم تكن أبدا بمعنى السلطة الادارية التى تدار بها شؤون الحياة فى المجتمع الاسلامى وانما كانت دائما وأبدا بمعنى القضاء والفصل فى الخصومات والمنازعات فالحكم فى الآيات القرآنية جميعها التى دارت حول مادة حكم انما هى للفصل فى المنازعات .

« ان الكلمة القرآنية التى تدور حول مفهوم السلطة الادارية هى كلمة مُلك بضم الميم وسكون اللام والتى يسمى فيها رئيس الدولة بالملك وتجمع على ملوك. القرآن الكريم يستخدم كلمة الحكم فى مفهوم السلطة القضائية ويستخدم كلمة الملك بضم .. الخ فى مفهوم السلطة الادارية او السلطة السياسية وعلى هذا الاساس لا يكون للحاكمية لله مفهوم سياسى أو إدارى وانما هى مفهوم قضائى وهذا هو المفهوم الدقيق لكلمات حكم وملك كما جاء بها القرآن الكريم. »

«ان الحكم فى القرآن هو الذى يكون بين الناس وليس حكم الناس ويكون بين

الناس بما انزل الله من تشريعات »

وها أنت ترى أننا على الجادة سائرون بإذن الله فقد تقدمنا كثيرا فعند المستشار الحكم هو الأمر وهنا الملك ، وربما نكون قد تخلفنا من حيث لا ندرى فالمستشار عندما قبل الحكم بمعنى الأمر سلم بأن محمدا كان يلى الأمر. أما هذا فهو أكثر مكرا فهو عندما نص على أن الحكم هو الملك ومن يمارسه هو الملك وتجمع على ملوك ، فقد استبعد محمدا ومن خلفه من الحكم لأن محمدا ما كان ملكا وما ينبغى له ، ولا خلفاؤه كانوا ملوكا . وعليه يبقى محمد ما حكمشى !

ومع ذلك فنحن نقول بالتقدم لأن الدكتور خلف أجاز للمسلمين أن يحكموا بما أنزل الله فى خصوماتهم و أن يحكموا بما أنزل الله بين الناس وليس حكم الناس . . هذه سفسطة سنرد عليها ولكنها أفضل من المستشار الذى حرم على المسلمين الحكم أو التحاكم أو الفصل بما أنزل الله ، حرم ذلك على المسلمين كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير! فالحكم بما أنزل الله لا يطالب به إلا غير المسلم وهو محرم وليس فقط مكروها على المسلم الذى يستحسن أن يحكم بما أنزل الشيطان !

يقول :«نزلت فى اهل الكتاب وليس لأهل الاسلام منها شئ أى أنها لا تنطبق إطلاقا على المسلمين ولا يوصف بها رجل مسلم أو شعب مسلم» ص١٩٦

واضح انها عنصرية ضد المسلمين !

وقرر كما رأينا ان ليس لله تشريعات يحكم بها والاسلام دين الرحمة وليس دين تشريع واقسم عدد ايات التشريع على عدد ايات المصحف يطلع ليس فى الاسلام تشريعات !! لكن الشيخ خلف الله يتكرم ويعلن ان هناك تشريعات انزلها الله ويجوز للمضطر ان يحكم بها بين الناس ولكن ليس على الناس !

يقول خلف الله : «فالحكم بفتح الحاء والحاكم هو الذى يقضى بين الناس ويحكم بينهم »

وهذا القول من الاسلام العيسوى الذى تعمل له جمعيات التبشير الأمريكية

فالكنيسة تكتفى بابداء الرأى فى عقيدة المتهم ثم تحيل الأمر للسلطة التنفيذية . وهم يريدون اسلاما عيسويا يحكم بين الناس لكن لا يمارس سلطة تنفيذية مثل محكمة العدل الدولية والجمعية العامة للأمم المتحدة .وبالطبع لابد أن يكون الاسلام العيسوى نصفه ثلج ونصفه نار لأن الكنيسة لا تدين ، عملا بقول الانجيل: لا تدينوا لكى لا تدانوا. وهى بالطبع لا تنفذ لأن السلطة الدنيوية محرمة عليها.

أما عندنا فهم يزعمون بشرعية قيام سلطة قضائية تحكم بالإدانة ولكنهم يحرمون قيام سلطة تنفيذية ؟! كيف يتأتى هذا وفى أى منطق يكون قضاء بلا حكومة ؟ ما قيمته وما سلطة القاضى الذى يفصل بين اثنين احدهما يتهم الاخر بالسرقة فيحكم بقطع يد السارق . .من الذى خوله هذه السلطة ومن الذى سينفذ قرار القطع اليست هذه هى الحكومة بسلطتيها القضائية والتنفيذية؟! ومن الذى شرع لهما العقوبة واجراءات تنفيذها ؟ اليست السلطة التشريعية ؟ !

ماذا بقى من الحكومة والدولة . . كيف يكون قضاء بلا حكومة اخزاكم الله؟!

بل ان خلف الله يستشهد وسط العديد من الايات التى اراد ان يزعم بها ان الحكم فى القرآن هو مجرد ابداء رأى فى الخصومة ولا يتوجب ولا يترتب بل ولا يجوز ان تتعلق به سلطة ، يستشهد بالاية الكريمة ﴿ **وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ [النحل:١٢٤] لم يقل لنا ما هى نتيجة هذا الحكم وما جدواه ان لم يكن مشفوعا بسلطة الله التى ستسوق المجرمين الى جهنم زمرا عسى الا يكون منهم! افليس الحكم هنا يعنى السلطة الاجبارية التى لا نزاع فيها؟!

أم هو تحكيم اختيارى يستنير به هؤلاء لمعرفة من كان منهم على حق ومن كان على باطل ، ثم ينقلبون الى أهلهم ؟. . ألا ساء وجهل ما يظنون!

ثم يخفف عنا اكثر سماحة الامام خلف الله فيقول انه من الممكن قبول الحاكمية اذا كانت تعنى « الالزام الدينى بأن يكون الحكم بين الناس قائما على أساس ما أنزل الله من تشريعات . .الأمر الذى قال به الله عندما قال لرسوله فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم ، غير ان هذه الحاكمية بهذا المفهوم لا تلزم أبدا بولاية الفقيه

ولا بأن يكون رئيس الدولـة الاسلامـيـة هو رجل دين ورجل دولة فى وقت مـعـا «يقصد فى وقت واحد او معا» بل يشترط فـقط ان يكون القاضى من العارفين معرفة يقينية بـالشريعة التى نزلت من السمـاءومدرك لعمليات تطبيق هذه الـشريعة إن الولاية هنا ولاية القـضـاء وليست ولاية السـلطة « التى يجـوز بل لعلها تسـتـحب ان تكون للمندوب السامى البريطانى اوالحاكم العسكرى الاسـرائيلى ج» ووظيفة الفقيه هنا هى الفصل فى الخصومات والمنازعات وليست ادارة شـئون الحياة فى الدولة الاسلامية ولا يمنع قبول حاكمية الله بهذا المضمون. القول بحاكمية البشر فيما لم يرد فيه نص »

ألم أقل لكم نحن نـتـقدم فهـاهو قد صـدر اعتراف ولو مـتأخـرا بأن الله قد انزل تشريعات من السماء يمكن الحكم بها وفى المنازعات والاحوال الشخصية بينما المستشار أفتى الشجر وماء الـبحر فى اقناعنا ان الله لم يشرع لأنه وجد فى مخـتار الصحاح ان الشريعـة معناها التـرعة . لكن خلف الله يقـبل او قل يعترف كـارها بوجود شـريعة ولكنه فجأة يخرج بنا من الفـقه للحجامة فيقول انه يقبل بحـاكمية الله شرط الا يعنى ذلك ولاية الفقيه . .

من قال بـولاية الفقـيه قبل الخـمينى . . ؟الذى بدوره وضـع هذه الفتـوى حتى يمكن قيام حكومة غير دينية فى ايران بعد ان كبل نص الولاية الشيعة ، وحرم عليهم الحكم ولو نظريا الى ان يظهـر الامام الغـائب. فجـاء الخمينى بـنظرية ولاية الفقـيه ليخـرج بالشيعة من هـذا المأزق الذى وضعتهم فـيه فكرة غريبـة عن الفكر الاسلامى السنى وهى الولاية أو وصاية المعصوم. أما عندنا فلا صفة خاصة للفقيه إلا انه متبحر فى الفقـه وهو ما لا يرتب له أى حق خاص فى الحكم ومنـذ على بن أبى طالب كان الاجماع على أنه افقههم ولكنهم لم يولوه ولا نازعهم وكان عمر يقول هلك عمر لولا فقه على ومع ذلك هو أمير المؤمنين والوالى عليـه .وكان مالك يفتى فى الحجاز وأبو حنيفة فى العراق وبنو أمية يحكمون العالم الاسلامى كله من دمشق .

من اين يتقمم هؤلاء هذه الافكار وما الذى يجبرهم على مناقشة الاباطيل واذا كان لا عـتب على الاخـرين فهم لا علم ولا أدب فكـيف يقول رجل فى عـلم الدكتـور

خلف الله «ان قبول الحكم بما انزل الله لا يلزم بأن يكون رئيس الـدولة الاسلامية هو رجل دين»

من اين جـاء رجل الدين فى الاسـلام ؟ هل عندنا رجل دين يا شـيخ خلف الله؟ هل حسن البنا رجل دين او السندى او يوسف طلعت . . .هل الفقيه رجل دين؟!

هل تعرفـون سر التخـبط ؟ انه فى تأكيـده «ان الولاية هنا ولاية القضـاء وليست ولاية السلطة »

ونكرر للمـرة الألف ان كل الذين سقطوا فى فخ على عـبد الرازق لا يقـوم لهم كلام الا كمن يتخبطه الشيطان من المس فـعلى عبد الرازق الف كتابه كله بهدف واحد طمستـه الاحداث ، ويخفيه المتآمـرون الى اليوم ، فهو الف كتابه فى الحـرب العالمية الاولى ليقنع المسلمين بجواز تولى غير المسلم حكم المسلمين .وسقوط أى التزام نحو سلطة الخلافة العـثمانية المسلمة . . لكـى لا يستجيب المسلمون لتـحريضات ونداءات السلطان حليـف الالمان بالثـورة ضد حكـومات الاحـتـلال الكافـرة من البـريطانيـين والفرنسيين . .وقد تفنن على عبد الرازق فى خدمة الحلفاء الى حد تحريم الحكم على المسلمين ! ولهذا تجد خلف الله الذى يحاول ان يتـملص من هراء وعمالة عبد الرازق فيعتـرف بوجود شريعة ويعترف بأن الله انزل مـا يلتزم المسلمون بالحكم به . ولكنه لا يزال يتعـثر فى قئ عبـد الرازق فيشـترط «ان الولاية هنا ولاية القضـاء وليست ولاية السلطة » لكى يفتى بجـواز خضوع المسلم للسلطة الاجنبيـة!واخيرا هو يرفض الحكم بما انزله الله ويقبل ما انزله المندوب السامى البريطانـى والفرنسى فى عهد الاحتلال ، فيـقصـر الاسلام على «مـا تعلق بالتشـريعات فى مـجال الاسـرة والزواج والطلاق والنفقة»

حـتى هذه لم توفق فـيهـا فنحن نرى انه فى القـضـايا الشخـصـية والسـيـاسيـة والاجتمـاعية والقانونية يـجوز للمسلمين ان يستـحدثوا لكل قضيـة تشريعا من وحى القـرآن والسنة والتـراث الفقـهى . . فـاسلافنا هم الذين قـالوا بمحـدودية النص ولا محدودية الواقع .

ومن هذا التخبط نجده يعود فيلغى كل ما دبجه فيزعم ان مهمة النبى كانت الوعظ

فقط كائمة وزارة الاوقاف . وأنه قد حرم عليه ممارسة اى سلطة فى هذا المقام لأنه ما على الرسول الا البلاغ لست عليهم بمصيطر لست عليهم بحفيظ ليس عليك هداهم . . وهوينقل هذا عن الشيخ على ، ومثل الشيخ على لا يشير الى لا إكراه فى الدين لأنها تفضح كل التزوير فى هذه القضية الملطوشة او متوارثة من تركة عبد الرازق وقد فندناها فى ردنا على كبيرهم الذى علمهم هذا الافك فالآيات تتحدث عن الدين . . عن العقيدة فمن أول مبادئ الاسلام أنه لا اكراه فى الدين ولا سلطان لأحد ولا حتى للنبى على عقيدة الناس واعتقادهم ولا يسيطر ولا يصيطر على معتقداتهم ولا يجوز له إلزامهم باعتناق الاسلام . . فحرية العقيدة هى وحدها التى لا تخضع للسلطة ولكن الخضوع لحكومة النبى ملزم ولا يحتمل الشك . وهو واجب طوعا او كرها للمسلمين ، او غير المسلمين ، الواقعين تحت سيادة هذه السلطة بدليل العلاقة مع اليهود والمسيحيين فى ما دخل تحت سلطة الرسول . ولا نقبل ابدامن رجل فى سنه وما يفترض من علمه ان يقول « ليس للرسول اية سلطة على من يبلغهم الرسالة ويبينها لهم وهذا هو الدليل على رفض اهل السنة والجماعة لولاية الفقيه . »

خليت ايه للمستشار يا خلف الله . .

ان جميع من بلغتهم الرسالة وكان للرسول سلطة تنالهم ، التزموا بالخضوع لسلطة محمد اسلموا ام ظلوا على كفرهم . . . حتى فى ابسط الاشكال . . الم يكن الذى بلغته الرسالة واسلم ملزما بالصلاة ومنع الخمر والخنزير والربا والسماح للسلطة الاسلامية بهدم او حرق الهه القديم ، ودفعه الضريبة . . الزكاة إن اسلم أو الجزية لمن لم يسلم ، يدفعها راضيا او كارها للحكومة فى المدينة ، ومعاونة جيش المسلمين ، والامتناع عن محالفة او معاونة اعداءالنبى او السلطة فى المدينة . . فهل يليق ان تقول « ان النبى كان يمارس وظيفة النبى الرسول وليس وظيفة صاحب السلطة والسلطان » اى خصوصية من خصائص السلطة لم يمارسها محمد بن عبدالله وخلفاؤه الراشدون ؟!

بل لقد تنبه الفقهاء مبكرا جدا لهذا الفرق بين سلطة النبى وسلطة حكومة النبى،

وذلك عندما اشترطت قبيلة ان تدخل فى الاسلام ولكن لا تدفع الزكاة ولا تجاهد بل واشترط شخص الا يسجد فى الصلاة فوافق النبى وقال سيدفعون الزكاة وسيجاهدون وسيصلى . .

وقد فسر ابن حنبل وغيره هذه الواقعة بتفسير غاية فى الدقة وروعة الفهم لهذه الازدواجية التى اشرنا اليها . . فقال ان الشهادة كافية لاسلامهم ولو بالشروط الفاسدة ولكنهم بدخولهم فى الاسلام يلزمون بقواعد الاسلام فتتوجب عليهم الزكاة والجهاد والصلاة الصحيحة والا جاز للحاكم معاقبتهم .

فالنبى كرسول لا تتعدى رسالته اكثر من ايمانهم بالاسلام وهو شهادتنا: لا اله الا الله محمد رسول الله . .لأنه كنبى ليس عليهم بمسيطر. . ولكن بعد ان يصبحوا مواطنين فى دولة الاسلام لابد ان يخضعوا لسلطة الدولة لحكومة محمد ومن يخلفه وهذه تفرض ممارسة معينة للاسلام وواجبات لابد من تأديتها . .

نعود لفقه المتخلفين فيبشرنا خلف الله : «ان الديموقراطية الحديثة هى التى تكفل لنا تحقيق النظام الاسلامى فيما يخص نظام الحكم وولاية السلطة وفيما يخص تطبيق الاحكام الشرعية الالهية والبشرية الاجتهادية»وراح يشرح كيف تتطابق الديموقراطية مع النظام الاسلامى فيشتط كعادته فيقول « ثم ان نظام صناديق الاقتراع فى التعرف على اراء الناس فى من يصلح هو الشكل المتطور لنظام البيعةالشكل الادق والافضل»(٣٧)

لا

بل يكفى القول بأنه هو الشكل المناسب حاليا وليس الافضل ولا الادق . واذا كنت تعتقد فعلا بتطابق الديموقراطية المنشودة مع الاسلام فلماذا لا تصل للديموقراطية عن طريق الاسلام . . ومتى تمسكتم بالديموقراطية او استشهدتم من اجلها الا نكاية فى الاسلام . . ما نراكم اتبعتم الا الاراذل من الحكومات بادى الرأى!

ما انزل الله وما انزل الشيطان!

ونعود للمستشار فيدخلنا فى متاهة خصوص التنزيل وعموم اللفظ «فالفقهاء اخطأوا عندما قالوا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهذه قاعدةفقهية اى انها من انشاء الفقهاء وليست قاعدة شرعية . . اساءت الى روح الاسلام والى معانى القرآن أيما اساءة » ص ٥١

وهو يثير هذه القضية ويرفض ما استقر الناس فيها لكى يقول ان الأمر بالحكم بما انزل الله خص به اليهود فقط « ان هذه الايات يقطع بأنها نزلت فى اهل الكتاب وانهم وحدهم هم المقصودون بها لا المؤمنين . . المسلمين . . وعلى ذلك معظم الثقاة من مفسرى القرآن» ص٤٩

ونحن هنا امام مغالطةمفضوحة ، فعندما يقول المفسر -عن حق - ان هذه الاية نزلت فى واقعة للنبى مع اليهودفذلك لا يعنى أبدا أنهم وحدهم المعنيون بها. وهى لا تخص المؤمنين المسلمين بمعنى انه يحرم على المسلمين الحكم بما انزل الله ! او تلزم المسلمين بالحكم بما انزل الشيطان !

إن معظم آيات القرآن نزلت بمناسبات خاصة فهل يعنى ذلك انه كتاب تاريخى مرتبط بوقته وبسبب النزول ولا يخص ولا يعنى الناس فى غير زمن الحادثة او حتى غير اطراف الواقعة ؟

ماهذا؟!

كيف اصبح حد القذف ثمانين جلدة مع ان الحكم نزل فى حادثة معينة وفى اشخاص بعينهم . . ؟هم عصبة الإفك (سورة النور)

بل حتى الآيات التى استشهد بها مؤكدا على خصوصية التنزيل لا تسند له حجة ولا تقيم منطقه فهو يستشهد بقوله تعالى مخاطبا النبى فى واقعة محددة: ﴿**يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك**﴾ ﴿**وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾ [التحريم]

وهى فعلا آية شـديدة خصوصية التنزيل ومع ذلك هل يمكن لعـاقل أن يقول انها خاصـة بالنبى وحـده لأنها نزلت فـيه وفى وقـائع حدثت له صلوات الله علـيه ؟ الا تصلح لتوجيـه وتقريع اى مسلم يحرم على نفـسه ما أحل له الله مراضـاة لزوجته او خشية الناس ؟!

لقد والله استشـهدت بهـذه الآية وانا أغصب نفسـى على الصوم فى سـفرتى فى رمضان الماضى خشية كلام الناس مع ان النص صريح .. ﴿فمن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ وقوله صلوات الله عليه «ليس من بر صـوم على سفر ..» وما افطرت الا عندما تمثلت بالاية .

ولا بأس من الترويح عن النفس ببعض المزاح ..

تخيل مختلسا أمام محكمة الشرع يدافع عن نفسه بأن الله لم يأمر برد الامانات فإذا جوبه بالآية الكريـمـة التى تقول : ﴿ إن الله يأمركم ان تؤدوا الأمـانات إلى أهلها ﴾ واستدعى المستـشار للدفاع عنه فإذا بالمستشار يقول إن الـنيابة ترتكب خطأ فادحا يصل الى الشرك لأنها تأخذ برأى الفـسقة من الفقهاء الذين يعتمـدون عموم اللفظ وليست خصوصـية التنزيل . فالاية نزلت فى بنى شيـبة خاصة ومع فرد منهم هو عـثمان بن طلحة بن عم شيبة بن عثمان ابن ابى طلحة الذين كانت لهم سدانة الكعبة وأراد على بن ابى طالب أخذها منهم فنزلت الآية وأعـاد النبى المفتاح لهم فالآية لـيست ملزمة لأحد من المسلمـين ، بل بالعكس من حسن الفهم ان يختلس المسـلمون الامانات ولا يردوها أبدا لكى تخلص نيتهم وتسمو ثقافتهم فى معرفة أسباب التنزيل !

اما اذا كان لابد من رد الامانة فيجب أن تكون مفتاحا وموكلى اختلس ساعة بتدق وتطاهر !!

أظن ان المحكمة ستحكم بقطع عنق المختلس واحالة اوراق المحامى للطبيب الشرعى.

فـالايات اذا تضمنـت مبـدأ عامـا تخطت حـدود الزمـان والمكان والاشخـاص ، وأصبـحت ملزمـة لكل من يعلن الايمان بالقـرآن . ـ والمستـشار يعـرف انه ليس فى القانون زينب فحتى المشرع الوضعى اذا ما سن مادة لظروف استدعتها واصبحت قانونا

فلابد ان يخضع لها الجميع ـ إلا إذا نسخت الآية أو ورد نص يفيد وقف حكمها . . وليس هناك اى نص يفيد ان المسلمين لا يحكمون بما انزل الله ! فكل المؤمنين بالله يحكمون بما انزل الله . . اى عقل يقول ذلك ولكن قد نختلف هل انزل الله ما يحكم به وما هو ؟

هكذا يتكلم العقلاء أما تسويد الصحايف وافتعال المعارك حول الزعم بأن اليهود وحدهم هم الذين امروا بالحكم بما انزل الله وأن المسلمين لا يحكمون بما انزل الله فهو تهريج بل ونصب لأن من يقرأ لهم يظن ان الآية وحيدة واختصت اليهود فعلا سواء بتفسيرنا او بزعمهم عن المقصود بالحكم !

والحقيقة عكس ذلك تماما فالايات لم تترك مجالا لادعاء من هذا النوع فهى واضحة صريحة فى انها تشمل اليهود والمسيحيين والمسلمين وها هى الايات :

﴿ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه .... ﴾ ﴿ سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ۞ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبارُ بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ۞ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ۞ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ۞ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾

﴿وأنزلنا إليك الكتٰب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتٰب ومهيمنا عليه فاحكم

بينهـم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم عـما جـاءك من الحق لكل جعلنا منكم شـرعـة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ..... ﴾ ﴿....وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبـهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفـاسقون ۞ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون . ﴾ سورة المائدة من٤٢/ ٥٠

الأيات مـن أول "**ومن الذين هادوا**" حـتى "**وقفينا**" تتحدث عـن اليهود وتلزمـهم أن يحكموا بما ورد فى التـوراة وأن من لا يحكم منهم بما أنزل الله فـأولئك هم الكافرون والظالمون .

وهذه لا خلاف عليهـا مع المستشار فهـو شديد التحمس لاثبات أن الأمـة الوحيدة التى يحق لها ان تحكم بما انزل الله هم بنو اسرائيل !

وبعدها مـباشرة يتحدث القـرآن عن النصارى : **﴿وقفـينا على آثارهم بعـيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجـيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمـتقين ۞ وليـحكم أهل الإنجيـل بما أنزل الله فيـه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون .﴾**

خـرجت الآيات والحكم مـن دائرة اليـهـود وشـملت النصـارى بـصـريح اللفظ وألزمـتـهم بالحكـم بما أنزل الله فى الإنجيل ومن لم يحكـم بما أنزل الله فى الإنجـيل فأولئك هم الفاسقون .

والأيات تقـول أن عيسى علـيه الصلاة والسـلام مصـدقا لما بين يديه مـن التوراة فالأمر هنا يعنى الحكم بما فى التـوراة والمسيحيون عمومـا يطلقون لفظة الانجيل على العهدين او التوراة والاناجيل الاربعة ، ومن ثم فالأمر بالحكم بما انزل الله فى الانجيل يشمل التوراة . وان كان بعض المسيحيين يذهب الان الى ان الانجيل او العهد الجديد فيه تشريع يحكم به !(٣٨)

على أية حال الأيات لم تترك مجالا للتفاسير فقد نصت على ايمان المسيح بالتوراة والتزام المسـيحيـين بها وهو ما حـدث فعلا والمهم ان الحكم بما انزل الله ملزم لليـهود

والنصارى.

ثم تنتقل الآيات لمحمد والمسلمين :

﴿ وأنزلنا إليك الكتٰب بالحق مصدقـا لما بين يديه من الكتب ومهيمنـا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهوائهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شـاء الله لجـعلكم أمـة واحـدة .... وأن احكم بـينهم بما أنزل الله ولا تتـبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وأن كثيرا من الناس لفاسقون ۝ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾

أنزل الكتـاب على محـمد كـما انزل على عـيسى ومن قـبله موسـى . . ومحـمد والمسلمون مصدقون لما سبق من الكتب على القـرآن ، مع فارق الهيمنة على ما سبق من تشريع ، وما وقع من تبديل للكلام عن مواضعه ومن هذه الهيمنة اعطى النبى او الاسلام الحق فى الحكم بينهم جـميعا اليهـود والنصارى والمسلمين بالطبع مع التـأكيد باخـتلاف الشـرعـة والمنهاج بين أهل الاديـان الثلاثة لأن إرادة الله شـاءت ألا يكون الناس أمة واحدة ثم يأمر النبى ان يحكم بينهم بما أنزل الله ولا يتبع أهواءهم ويحذره أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله اليه .

فلا مجال للزعم أن ما أنزل الله هو على اليهود أو على أهل الكتاب وحدهـم ، أو أن النبى مكلف بالحكم بما أنزل الله على الـيهود والنصـارى فقط فإذا تبـوأ مكانه بين المسلمين حكم بينهم بما أنزل كسـرى وقيصر وعبد شمـس ؟! بل انزل الله على محمد ما يـحكم به . . ثم نص واضح الدلالة على المسلمـين فى قوله أفـحكم الجاهلـية يبغون . . والجاهلية تعبير قرآنى خاص بوضع العرب قبل الاسلام .

ثم ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون . .

والقوم الذين يوقـنون هم المسلمون فقـد تحدث عن اليهـود باسمـهم وكذلك اهل الانجيل . . وفى هذا المجال وبمفـهوم القرآن والمسلمين لا يمكن ان تـعنى جملة قوم يوقنون إلا المسلمين .

المستشار كما قلنا فى كل سوق بزى يهاجم الذين يأخذون بعموم اللفظ . . لكن فى الخمر يؤيد أبا جندل لما شرب الخمر واحتج بالاية ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ...** ﴾ وهو هنا يأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص التنزيل ولكن عمر وابن عباس اخذا بخصوص التنزيل ويعلق المستشار مع أن الفاظ الآية لا تفيد قصرها على الماضى ! وكذلك إذا أعجبته الآية أو رأى بتصوره انها تدعم حجته أخذ بعموم اللفظ حتى ولو كان اللفظ شديد الخصوصية! فهو يرى ان الدعوة لتقنين الفقه خطأ شديد نهى عنه القرآن ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** ﴾ ص ١٧٦.

رهبان واحبار حاجة تخص اليهود والنصارى بكل وضوح وحسب منطقه لا تعنى المسلمين بأى حال ! وأيهما أقرب للتعميم . . من لم يحكم بما أنزل الله . . أم الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ؟ نحن لا عندنا احبار ولا رهبان ولا نتخذهم أربابا من دون الله. وهو فى الحقيقة ما تعرفشى مع ايه ولكنه يعترف بحق ولى الأمر فى ترجيح رأى على رأى وتغليب تفسير على تفسير ٦٥

يقول «فالامة الاسلامية هى التى قامت بالتشريع لنفسها . . . والفقه الاسلامى المسمى خطأ بالشريعة الاسلامية هو اجتهاد الناس للناس حدث على مدار التاريخ الاسلامى كله دون ما اعتراض او احتجاج او قيام سبب لهذا أوذاك »ص٥٤

وفى هذه المقولة جليطة فهو بدأ بقوله ان النبى «اجتهد ودفع أصحابه وتابعيه الى الاجتهاد حتى تكون فقه اسلامى خصب كثير التفاصيل » ص ٥٤ فكيف يجرؤ بعد ذلك على تخطئة من يسمى فقه الرسول والصحابة بالشريعة الاسلامية ؟!

ان اجتهادات الرسول كلها من صميم الشريعة الاسلامية والفقه هو الشريعة هل نسيت ما قرأته فى مختار الصحاح ان الشريعة هى المنهاج . . و المشكلة هى انك الوجه الاخر للمتطرفين دعاة الحاكمية لله فأنت أشد التزاما منهم بشعار أن الله وحده هو الذى يشرع وبالتالى فما شرع المسلمون بما فيهم النبى ليس الشريعة ولا حكم الشريعة!!

هذا الالتقاء فى المضمون ،رغم التقاتل على الشكل ، معروف فى كل الفتن.

ولاشك لدينا انه من الافتراء الجاهل القول بأن عمر « أمر بوقف العمل بالاية الكريمة ﴿وانما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ التوبة

ويثرثر مرة أخرى بحكاية المؤلفة قلوبهم وحد السرقة دون فهم ولا علم فيقول إن عمر بن الخطاب أوقف حكم المؤلفة قلوبهم وأوقف حد السرقة ص٥٧ وهو يريد أن يقول ألغى ولكن تخونه شجاعته.

عندما رأى عمر أن المؤلفة قلوبهم كظاهرة انتفت الحاجة اليها او حتى لم يعد لها وجود وافقه المسلمون بدليل أن أحدا من بعده لم يغير أو استأنف إعطاء هؤلاء المؤلفة قلوبهم ..

أدركوا وقتية الحكم بالنسبة لهذه الفئة بذاتها وأنها حتى من الناحية البيولوجية فئة منقرضة لابد ان يفنيها الدهر ، ومن ثم فالنص القرآنى لا يمكن حصره فيهم، إنما هو مبدأ عام يجيز للحكومة المسلمة كسب بعض القوى بالمال .

وهذا الحكم لم يبطله عمر ولا يمكن ان يبطل، لا دينا ولا سياسة ، ومارسته وما تزال تمارسه كل الحكومات المنتسبة للاسلام ، بل والحكومات الديموقراطية ، كما تنفق الولايات المتحدة مثلا على بعض المروجين لسياستها بدعوات ومحاضرات وندوات او كما تنفق تونس على بعض الكتاب بشراء كتبهم او منحهم جوائز . . فاذا قامت دولة اسلامية فقد ترى من السياسة تأليف قلوب هؤلاء الكتاب فتدفع لهم من هذا البند فهو قائم وهو من ضروريات الدولة . مع الفارق طبعا فى الاسلوب والهدف والنوعية .

عمر بن الخطاب رأى أنه بالنسبة لهذه المجموعة بعينها بأشخاصها لم يعد الهدف أو التعريف ينطبق عليها فقد مات بعضهم فهل تستمرالدولة فى تأليف قلوب أولادهم واحفادهم ويبقى ساريا الى يومنا هذا كمخصصات الاشراف ؟ فيصبح امتيازا يورث؟!

وبعضهم لم يعد بحاجة لتأليف قلوبهم فقد ارتبط بالاسلام إما عن اقتناع بعدما

شاهد من أدلة صدق الدعـوة او عن مصلحة وقد اتسعت الفتوح وتـخطت حصته من الغنائم أى اغراء كان بوسع دولة المدينة تقديمـه . ومعظم من تبقى من المؤلفة قلوبهم كانوا يقاتلون دفاعا عن الاسلام فما الحـاجة لتأليف قلوبهم . . بل ان استمرار قيدهم على هذا البند يشكك فى تدينهم . ويجعلهم فئة او طائفة خاصة بين المسلمين . انه بند فى الميزانية لا يوجـد من يستحقه فاوقف الصرف ورحل امـا للعام القادم او لبنود اخرى حتى يظهر مستحقون فأين وقف أو الغاء الحكم ودعنا من الحوار المسبوك الذى يثبته المؤرخ . وكل ما اغدقه الخلفاء على الشعراء والقواد ومشايخ القبائل يندرج فى منطقهم او تبريرهم تحت بند المؤلفة قلوبهم . . فلا يحق لجاهل ان يتقول : عمر ألغى نص المؤلفة قلوبهم أو أوقف العمل به . . لا بل عمر رأى ان فئة بعينها لم تعد تندرج تحت البند او الصفة فالبند لم يُلغَ ولا بطل بل جهة الاستحقاق هى التى بطلت .

وقد قـيل انه على عهد عمـربن عبد العـزيز وليس ابن الخطاب يا سيدنا ! خـرجوا بالزكاة فلم يجدوا مسلمـا فقيرا يريدها فطلبوا ذميا فلم يجـدوا فردوها لبيت المال فهل يعنى ذلك انهم ابطلوا آية الزكاة !

وكذلك البند الخـاص بالرقاب لا وجه لانفاقه فى تحـرير العبيد كـما يبدو من نص الآية لمن يتخطفون القول ولا يتبعهم شهاب لأنهم أهون على الله والناس . . ولكن البند قائم ويمكن ان تقرر الدولة الاسلامية انفاقه فى تحرير رقاب مسلمى ومسلمات البوسنة المستعبدين فى قـبـضـة الصـرب أو السـجناء فى سـجـون اسـرائيل والطغـاة من حكام المسلمين. أو تحرير الرقـيق الابيض الذين واللاتى تتاجر فيهم وفيـهن عصابات الرقيق الابيض مستغلين ظروفهم المادية فتحررهم الدولة من هذا البند. . فليتأدب المتأدب قبل ان يغمز بعينه ويخرج لسانه ويقول لنا الاية بطلت او عمر ألغاها !

اما قضية الخراج او الاكتفاء بضريبة على الارض المفتوحة بدلا من معاملتها معاملة الممتلكات المنقولة ، فقد اجتمع المسـلمون وتحاوروا فى تفسير النص ، ولم يقل أحد هذا كفر أو هذه مخالفة للنص ! بل كانوا اكثر فـهما وتفهما من جناب المستشار ورأوا أن تقسيم المنقول معقول بعكس تقسيم العقار .

كذلك كان الفاتحون على أيام النبى يمثلون كل عائلات المجتمع الاسلامى . أما بعد فتح الدنيا فقد كان المنطق السليم هو ما وصلت اليه جماعة المسلمين من فهم حكمة آية الغنائم ، حكمة حفظ الثروة ومنع الفتنة ومنع أن يكون المال دولة بين الاغنياء ٠٠ورأى عمر أن الغنيمة هى ما يمكن للجندى حمله ونقله الى بيت المال الدائم أو المؤقت فى الحرب حيث تجرى له القسمة الفورية وأن الارض لا يمكن نقلها ولا غنمها . . فاستقر الرأى على تفسير عمر. . وأهم من ذلك كله ان كل الذين يتشدقون بحادثة رفض تقسيم الارض ينسون أن عمر رضى الله عنه استند الى نص صريح مجمع عليه وهو ترك النبى أرض خيبر لليهود بعد ان صالحهم على خراج يدفعونه قيل انه نصف المحصول فعمر لم يخالف نصا بل فسر نصا بنص .ورغم وجود قضية من قضايا الفقه وهى هل تنسخ السنة القرآن ام تبينه ،فنحن لا ندرج هذه تحت هذا الباب بل نرى ان عمر حوَّل حصة المسلمين فى الغنيمة من القبض نقدا فى ارض المعركة الى التأمين الدائم من خلال الدولة لهم وورثتهم اى حصتهم فى ايرادات الدولة من هذه الارض . . ولذلك كان المسلمون يصفون هذا الايراد بأنه فئ المسلمين ويطالبون الحكام به رغم مرور القرون على الفتح واختفاء الذين فتحوا او اصحاب الفئ بالتفسير الحرفى . وليس صحيحا بل افتراء القول « رغم اتفاق غالبية المؤمنين على خلاف رأيه٠٠ وبعد وفاة عمر عادت الامور ادراجها ٠٠ » ص٨

ليس صحيحا اصلا وفصلا. .وافق الناس على اجتهاد عمر وتفسيره للنص، واصبحت سنة وتشريعا الى يومنا هذا ولم تعد الامور ادراجها ابدا بعد وفاة عمر على الاقل فى هذه القضية وفى زواج المتعة وهما ما استشهد بهما، فلماذا تزوير التاريخ؟!

ويظن انه قفش قفشة فى قضية الرق وملك اليمين فيقول « ان القول بأن احكام الرق باقية لكل زمان ومكان لا يستطيع احد ان يقفها للصالح العام وإلا كان كافرا وان المسلم بهذا المنطق مطالب بأن ينادى باعادة اسواق النخاسة وتخويل من شاء شراء الاماء والتسرى بهن حتى يحمى نفسه من الانحراف ويحمى ذاته من الزنا ص٢٠٧

سيادة المستشار يسأل او يقرع أحد القضاة من زملائه متحديا وساخرا فى نفس

الوقت من الموقف الاسلامى كله !

طبعا هى أحكام صالحة لكل زمان ومكان بشرط وجود الرق ولكن المسلمين رأوا ان المصدر الشرعى للرق قد انتفى وهو الاسرى فى الحرب . وكذلك أجبرتهم القوة المسلحة للغرب المسيحى على قبول النفاق الغربى ، بتحريم استرقاق الفرد واباحة استرقاق وابادة الشعوب !المهم اختفت واقعة الرق ، ولذا فإن الاحكام لا تستعمل . امااذا عادت الظروف المسببة ، واتفقت مثلا الاطراف المتقاتلة فى يوغوسلافيا على ان يكونوا اكثر تحضرا فيسترقون الرجال بدلا من قتلهم ويتسرون بالنساء بدلا من الاغتصاب الجماعى ، فإن قوانين الرق الاسلامى تصبح ضرورية واكثر تقدمية مما يجرى تحت سمع وبصر ومباركة عالمك المتمدين وحضارتك المسيحية البيضاء! .

ان المسلمين يقولون ان القاضى الذى عينه عمر فى المدينة ، قدم استقالته بعد عام معتذرا انه بلا عمل فلا أحد يتقاضى اليه . اى ان القانون ظل معطلا فى مفهوم المستشار عاما كاملا ، فهل يعنى هذا سقوط القانون او التشكيك فى صلاحيته ؟ ! تماما كما لو اختفى الزنا لأى سبب فذلك لا يعنى ان الحد سقط او كان قاصرا عاجزا عن تلبية الاحتياجات!

بل حتى فى حالة الرق ذاته الذى يضربه لنا مثلا ويتشبث به فرحا كأنه امسك لنا مسكة . . توقف قوانين الرق مثل توقف قوانين تحريم الرق . . فنحن لا نعرف حالة طبقت عليها قوانين تحريم الرق فى مصر منذ مائة عام لأنه لا أحد يسترق أحدا . . فهل يقول قائل ان هذه القوانين بطلت او يسخر من فكرة وجودها ؟ !ام انها قائمة ويمكن اعمالها لو جد ما يوجب ذلك ؟! ولو تمكنا من منع الخمر نهائيا بحيث بطلت صناعتها فى بلادنا او حتى فى العالم كله أيحق لأحد ان يعيرنا بأن عقوبة الخمر سقطت ؟!

يستمر فى الفتوى : «وحد السرقة مثل باقى الحدود العقابية وجميعها ستة حدود لا يطبق الا ضمن المنهاج الاسلامى ومن خلال الشريعة الاسلامية التى تشترط قبل اعمال هذه الحدود اقامة مجتمع من المؤمنين الذين يكون فيهم ضباط تقاة وشهود

امناء وقضاة عدول حتى لا تطبق الحدود نتيجة ضابط زائف او شهادة مزورة او حكم جائر كما انها تشترط قبل تنفيذ نظام الحدود اقامة العدالة السياسية والعدالة الاجتماعية والعدالة القضائية » ١٢٤

اضبط يعنى فى شريعة اسلامية ! ما هياش الطريق ولا مورد الماءكما يصر «ص ١٢٣» فى شريعة وهى تشترط لتطبيقها كذا وكذا . . وفيها حدود وعقوبات جنائية ليست اختيارية، فهى تطبق رغم انف المجرم وليس بناء على طلبه. .الخ مما ينقض كل ما سطروه عن الحكم والحكومة. .ما علينا نناقشه فى وضعه الجديد!

يفهم من كلامه اننا نعيش فى مجتمع لا يقيم عدالة اجتماعية ولا سياسية ولا اقتصادية !لأنه يشترط قيام ذلك كله قبل تطبيق الشريعة. .أى انه لا وجود حاليا «للعدالة السياسية والعدالة الاجتماعية والعدالة القضائية» وكذلك لا يوجد«ضباط تقاة ولا شهود أمناء ولا قضاة عدول. ومع ذلك فإن ضميره لا يهتز وهو يحكم بالسجن أو الاعدام «نتيجة ضابط زائف أو شهادة مزورة أو حكم جائر» الاعدام فى ظل هذه الاوضاع لا بأس به ، ولكن جلد زان مائة جلدة أو شارب خمر ثمانين جلدة أو قطع يد هو الخطأ الفادح بل الجريمة التى لا يقبلها ضميره !

بيضحك على مين ده! ورجعنا لحكاية مش مقامك يا بيه. . الاسلام عظيم والحدود على العين والراس بس احنا ما نستهلهاش ! لسنا فى المستوى اللائق بتطبيقها .لما انشاء الله يدينا طولة العمر ونبنى المدينة الفاضلة بتاعة افلاطون أو ابن طفيل ساعتها سنستورد حرامية لقطع يدهم إعمالا للشرع وإرضاء وتسلية للمطالبين به !

ومن قال أن المسلم ماسك سكينة ويتحرق شوقا لقطع يد اللصوص ؟ !ان الدعوة للاسلامية هى دعوة شاملة حضارية ثورية تهدف الى تحرير ارادة المسلمين، وتأكيد هويتهم الاسلامية والاعتزاز بتاريخهم وحضارتهم، وان يكون قانونهم نابعا من دينهم وتاريخهم وحضارتهم واحتياجات مجتمعهم وليس مستوردا ولا مفروضا.

المضحك انه يندفع فى اثبات ان المجتمع الاسلامى ليس متحرقا للقطع فيذكر حديث ادرأوا الحدود وتعافوا فى الحدود الى اخر ما عرضناه فى كتاباتنا ولا ندرى

كـيف يصل من ذلك لالغـاء مطلب تطبيق الـشريعـة فى قانون الـعقـوبات ثم حكاية المجاعة التى تذكر بمناسبة وبغير مناسبة وبلا فهم غالبا !

نعم الاسـلام أوقف تنفيذ الحـد فى المجاعـة ، لأنها اعـتبـرت كارثة ، كمـا تعلن الحكومة الامريكيـة احدى الولايات منطقة كوارث فتـبطل فيها عدة قـوانين، ولفترة. فلا يستنتج مخرف ان هذ دليل عدم واقعية القوانين ولا يتخذها حجة لابطالها طالما ان العالم معرض للكوارث !

واذا كان الاسلام يحارب المجاعـة لتعود الاوضاع لطبيعتهـا ، فيخيل لى ان هؤلاء يريدون اسـتمرار المجـاعة ، اسـتمـرار الفسـاد وخربى الذمة فـى البوليس والشـهود والقضـاء لكى يكون لهم حجة فى منع الشـريعة . . والتحريض على المطالبـين بها : اخرجوهم انهم قوم يتطهرون !

حد السرقـة لم يلغه عمر بل نفذ نصـا اسلاميا آخر وهو ادرأوا الحدود بالشـبهات والمجاعـة التى تخرج الانسان عن طوره وتحـوله الى وحش كاسـر لا يتورع فى بعض الاحيان عن اكل أخيه الانسان عمر اعتبر المجاعة هذه شبهة فدرأ بها الحد . .

فهو أعمل نص : ادرأوا الحدود بالشبهات ولم يبطل نصا ! فماذا فى ذلك ؟ واين المجال لـلتخـرص بأنه أبطل الحد؟ هو اعـمل الحد مع ايقـاف التنفيـذ ا او بالتـعبـير الاسلامى درأه . .

ألا يحكم المستشار بوقف التنفيـذ أيكون بذلك قد الغى القانون ؟ الم يحكم قاض بريطانى بحكم اسلامى تقريبا «لا قطع فى مالم يحرز» عندما رفض الحكم على سارق من خزنة بنك وجـدها مفـتوحة ، ولم يأمـره ولا حتى برد المبلغ المسـروق قائلا ان البنك لا يستحق إعادة الاموال اليه .وكان الرجل قد سرق ٢٤ الف جنيه استرلينى(٣٩)

هل نقول ان القـاضى البريطانى الغى عقوبة السـرقة او اباحها ؟ لو فـعلنا لهبطنا الى مستوى المستشار .فالقانون باق واى قاض آخر يمكن ان يحكم على نفس الرجل واى شخص يسرق بنكا سيعاقب. ولكن هذا القـاضى بالذات وجد ظرفا ينفى قيام جريمة السرقـة فلعله رأى فى فعل البنك اهمالا يصـل للغفلة والقانون لا يحـمى المغفلين او

غواية حرضت الرجل وسهلت وقوعه فى اغراء اخذ المال المتاح.

المهم انه ما من عاقل يقول ان القانون الغى في بريطانيا وأبيحت سرقة البنوك، أو تبين ان القانون الذى يعاقب على سرقتها غير صالح!

ولقد أوقف المسلمون تطبيق الحدود فى أرض العدو ورأوا فى ذلك مصلحة لأمن الدولة وسلامة الجيش المحارب. فهل هذا الغاء للحد او اعتراف بخطئه ؟ ام تعبير عن الفهم المتفوق للحدود والمصالح ؟!

ان الحاكم اذا وجد نصين فهو مخير فى استخدام النص الذى يرى انه الانسب والاصلح في الحالة المعينة. او عمل بالرخص .. انطلاقا من ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يلتزم بنواهيه .

كذلك لا نرى المستشار تحرى الصدق ولااصاب الحق ، عندما يقول ان عمر رضى الله عنه اوقف الحد وقفا شاملا وعاما !

كذبت

جميع الروايات بما فيها انت تقول لم ينفذ أو أوقف حد السرقة عام المجاعة اى سنة المجاعة فكيف يكون عاما وشاملا اذا كان مقترنا بظرف المجاعة أو عام المجاعة وفى البلد الذى اصابته المجاعة فلم يعرف أن أمرًا قد صدر للولاة بايقاف القطع فى البلاد التى لم تصبها المجاعة ولذا فوجهة نظره مرفوضة، ونحب ان ننبه ان بعض السوقة يستخدمون حادثة المجاعة ليزعموا ان حد السرقة يجب الاينفذ الا اذا قام مجتمع الوفرة الذى كان يخرف الشيوعيون مبشرين به. لا .. المجاعة فى الجزيرة العربية اعتبرت كارثة غير عادية ، اما فى الظروف العادية وقبل حل كل مشاكل الجماهير، بل وحتى مع وجود الفقر والحاجة، فإن حد السرقة يوفر الأمن على الاقل، وهو شرط ضرورى للتنمية لحل مشاكل الجماهير ولابد من تطبيقه ، فكفوا عن ابتذال عام المجاعة!

وكذلك نرفض زعمه ان المسلمين اقتدوا بعمر ونبذوا النص عندما يقول «ان الفكر

الاسلامى عمومـا تأثر بمبدأ وقف العقوبة وقفا عامـا شاملا» ص٥٦ لم يحدث ابدا الا بعد دخول الاستـعمار والغاء الطابع الاسلامى للدولة والبلد الوحـيد الذى لم يخضع للاستعـمار الغربى مازال يطبـقها الى يومنا هذا واخـشى ان يصدق المستشـار نفسه او يصدقه قارئ فتقطع يده فى الارض المقدسة فلزم التحذير!

على اية حال هو يعـرف جيدا ان اقـامة الحد مـوجودة هناك ويشنع بأنها عـقوبة قاسية وينسى عقوبة الاعدام او السجن المؤبد الذى يحكم به .

ويقول «ولينظر الى بلاد مجاورة قطع فيها الابرياء ونكل فيها بالخصوم واعدم فيها المظلومون واستغلت الشريعة والحدود استغلالا مقيتا لا يرضى عنه المؤمنون»ص٢١٩

طب وانت مالك . . مش راضى ليه ؟

اين ذلك ؟

واين هى تلك البلاد المجاورة التى قطع فيها يد خصم سياسى باسم الشريعة؟

نحن نعـرف بلادا مجاورة وغـير مـجاورة بل نعـيش فيـها قطعت اعناق خـصوم سياسيـين باسم الاشتراكية والثورة والتـقدمية والعلمانية ، ونسـمع عن تمزيق الاحياء وسمعنا عن اذابة انسان فى حـامض ، وسمعنا عن صحفى قطع لسانه ويده وقـضيبه وهو حى. ولكن لم نسمع عن حادثة واحدة قطع فيها خصم سياسى فى السعودية ان كانت هى التى لا تجعله ينام الليل من كراهية ما يجرى فيها من تطبيق الحدود . . متى احتج سيادته على اعدامات وتعذيب ناصر والبعث . . الم يسمع بما يجرى فى سجون البلاد التى تطبع كتبه وتترجمها لكى تستخدمها فى التنكيل بالخصوم السياسيين مع الضرب والتعطيـش والكى بالكهرباء وعصـر الخصـيتين وهتك عـرض النساء والرجـال وقراءة مؤلفاته وكتابات مستشار روكفلر وصبى هنرى كورييل!

هل مما يرضى المؤمنين أن يطلب فى زمن العلمـانية السعيـد من الابن هتك عرض ابيه كما شهد وزير الداخلية ؟ استحوا !

ولم يحـدث قط ان وقف نص ضد حـركة الـتاريخ اواحـتيـاجات امـة حيـة . .

والمسلمون الذى سـادوا الدنيا الف سنة لم يشعروا ابدا بحـرج من نص أو بشلل امام مشكلة تحتاج لاجتهادات ولا ادعى أحد ان اجتهاده هو كلمة الله ، او يبطل او يحدث نصا وانما هوتفسير يتفق والواقع وماجد من متطلبات .(٤٠)

وهو يفتـينا بعدم تحريم الخمـر من قبل الدولة أو العقـوبة عليها بل تركهـاالاسلام مسألة شخصية بين الانسان وضميره ص٥٩

وهوقول غـير صحـيح .فالله وصف الخمـر بأنها رجس من عمل الشـيطان وامرنا باجتنابها، والدولة فى الاسلام ملزمة بهذا الامر ملزمة بمعاقبة من لا يجتنب ما أمر الله باجتنابه أما عدم النص على العقوبة فى القرآن أو السنة فهـذه قضية اخرى كتبنا فيها. وانما ما اريد قوله انه بمنطقه هذا تكون المخدرات اكثر مشروعية من الخمر فلم توصف بأنها رجس مـن عمل الشيطان ولا ورد امـر بتجنبـها بالاسم. لماذا لا يعـارض تحريم القانون المصرى للمخـدرات. . لماذا هذه الحماسة للخمر وحدها والغيـرة على شاربيها الا لأن الاسلام وحده يمنعها بنص صريح(٤١)

وهو يطمئننا بأن القوانـين المصرية كلها الا اللمم متطابقة مع الشـريعة ولو كان من فلاسفة عصـر التنوير ما احتاج لمنافقتنا ، بل لقال ان العبرة فى القـانون هو ما يحققه من المصلحة العامة وليس مطابقته او عدم مطابقته مع الشريعة . .وأبوحيان التوحيدى قبـل ١١ قرنا كـان اشجع منك عندمـا قال ان قـوانين اليونان لا تسـتند الى دين ولا شريعة بل تتحرى المصلحة العامة ، ولكن المسـتشار لا يحمل رسالة ولا يؤمن بقضية وانما يخادع ويناور ويـضرب على الوتد والحجـروعلى السندان والحافـر حسب الطلب . . فبينما نراه هنا اسلاميا متطرفـا يشترط ان يتوافق كل قانون فى البلاد مع الشريعة ويعد بالاجتهاد فى ما خالفها من نقاط قليلة (ص٦٠) اذا به يرتد مستغربا يدافع عن فرنسة القـوانين المصرية منذ عام ١٨٨٣ ولا يستوقفـه هذا التاريخ بالذات ، ولو فعل لعرف ان الذى نحى الشـريعة أو قوانيننا الاسـلامية أو البلدية ، وفـرض علينا قانون الاوربيين المسيحيين هو الاحتـلال البريطانى الذى انتقلت اليه السلطة فى هذا التاريخ (١٨٨٢) وانتزع الشرعية والحاكمية . . والمسـتشار الذى ينكر الحاكمية لله يقبلها للورد

دوفرين واللورد كرومر !

ويتحمس فى الدفاع فينسى مبادىء القانون التى تعلمها فى سنة اولى حقوق يقول اننا لم نأخذ عن القوانين الفرنسية الا الشكل والصياغة فقط . . وهل القانون الغربى الرومانى الاصل الا الشكل والصياغة ؟ ان القاضى اذا نسى فى بريطانيا ان يضع الشعر المستعار على رأسه عند نطقه بالحكم بطل الحكم .

والاجراءات فى القانون الفرنسى، والمصرى المستورد اهم من الوقائع .تاجر المخدرات الاكثر من مشهور والمضبوط بالحشيش فى جيبه برىء لأن اذن الضبط قدم له بعد ان وضع الضابط يده فى جيبه،او ان الاسم فيه محمدى وهو محمد.

فى صراع الحضارات الصياغة او الشكل لا تقل اهمية عن المضمون . . ومادام المضمون فى رأى المستشار هو الاهم، ومادام مقتنعا هو والاحتلال البريطانى ان مضمون القانون أو الاحكام لم يتغير، فهل سأل نفسه لماذا تكلف الاستعمار عناء تغيير الشكل والصياغة واستفزاز الجهلة من المصريين ؟اكيف تحرص بريطانيا العظمى بل وكل دولة اوربية على الدخول فى معركة مع الشعب المسلم فى مستعمراتها من اجل مسالة هايفة مثل الشكل والصياغة؟! الا انها اصل القضية، إلغاء الهوية الاسلامية والشخصية الوطنية المستقلة واعلان وتأكيد إلحاق مصر والمغرب واندونيسيا بالحضارة المسيحية المنتصرة ؟ اليس كذلك ام ليس لكم عقول؟

هذا اذا صدقنا الزعم بأن التغيير اقتصر على الشكل والصياغة . . وان إباحة الزنا واللواطة والربا مجرد تغيير فى الشكل والصياغة !ولا نهبط لمستوى مناقشة استخدام السيارة والطيارة والزمارة فقد فندنا هذا قبل ثلاثين سنة .

ما هذا البلاء الذى ابتلينا بمناقشته !!

وترهات اخرى !

وقفشاته المبتكرة أو المنقولة عن مبشرى او مستشرقى القرن الثامن عشر لا نهاية لها فهـو قد عثـر على طرفة هى فى الحق تحـفة فى السخـافة والضـحالة فهـو يقول ان فتوحات المسلمـين لم تكن لنشر الاسلام وانما كانت توسعا امـبراطوريا .. (او كما قال فى مكان اخر: حـكم الاخرين وتحصيل الجزية وهذه عن عـبد الرازق عن ارنولد عن الدارسين الاوربيين .. انظر فصل عـبد الرازق) ودليله « المصريون على سبيل المثال ظلوا علـى دينهم لمدة ثلاثة قرون أو أربعة بعـد الفتح الاسـلامى ثم تحول كثـير منهم بعد ذلك الى الاسلام، وفى الاندلس ظل كثيـر من السكان ، مسيحيين طوال الحكم الاسلامـى الذى استمـر حوالى سـبعة قـرون وبينما فى هذا دليـل قوى على تسامح المسـلمين فإنه يقطـع بأن الفتوح لم تكن كـلها لنشر الاسـلام فإذا كـانت لهذا الغرض حقيقة فإن المسلمين يكونون قد تراخوا فى مهمتهم فترة طويلة »ص ٩٥

هذا هو التسمم الفكرى !

هو يظن أن نشـر الاسلام يعنى فـرض الاسلام ! ومعـه حق فهـذا ما فعـلته اوربا وقيـاسا على فعلها الـذى هو الحق والمثل الاعلى دائما ، يكون المسلمون قـد تهاونوا جدا جدا فى نشر دينهم . ففى ثمانى سنـوات وليس سبعة قرون استطاعت ايزابللا وفرديناد «نشر» المسيحية بين المسلمين واليهود فى ما كان يسمى بالاندلس عند المسلمين فلم يبق على ظهـرها غير الكـاثوليكى!فلماذا لم يفـعل المسلمون ذلك؟! يا عـدمات الدين والغيرة !

هنا اوقـعنا المستـشار فى مطب ؛ اذا كنـتم حاربتم فـعلا لنشـرالاسلام فلمـاذا لم تذبحوهم جميـعا لتصبح مصر والاندلس مسلمة فى عـشر سنوات ..؟! والله قد كان ذلك بوسعنا وفـعله غيرنا قبلنا وبعـدنا بثمانية وعـشرة قرون ..بل ويمارسـه الصرب والكروات اليـوم . ولاننا لم نفـعل فحـروبنا لم تكن طاهرة شـريفـة مثل حـروب الصليبـيين والاسبانيـين وكل اصحاب الرسالات الذين يبـيدون الشعوب المخـالفة فى بضع سنين!!! اذن انتم حـاربتم لتـحصـيل الجزية والمجـد الامبـراطورى أو لو كنتم

خرجتم لنشر الدين فقد تهاونتم فى مهمتكم .. فاختاروا واحدة اما انكم مرتزقة او متهاونون .. وما فيهما حظ لمختار !وهكذا يظن الولد الشقى انه اوقعنا فى مأزق!

لا يا شاطر!

نحن حاربنا لنشر الاسلام فعلا ولأسباب أخرى غير التى تتقاتل عليها الامم منذ ظهورها الى اليوم . ولكن نشر الاسلام ، ان قلنا انه هدف الجهاد المباشر وهو ليس كذلك عندكم لم يعن ابدا فى مفهومنا وممارساتنا ، اجبار الناس على الدخول فيه او منع حرية اعتقادهم وتعدد اديانهم ، بل كان الجهاد وسيبقى لتأمين المسلمين ، واتاحة الفرصة للاختيار الحرلغير المسلمين ، بتحرير الارادة من قوى القهر ، باخراج العباد من سيطرة العباد الذين يفرضون عليهم الكفر فيصبح خيارهم لهم ان شاءوا اسلموا وان شاءوا بقوا على كفرهم .

وهذا ما فعله الفتح الاسلامى ، حرر الشعوب من قهر الدولة والكهنوت فدخل من هداه تفكيره فى دين الله واستعصم من استعصم بباطله فترك عليه .

يتحفنا بقفشة ثانية .

«ولإعطاء الخلفاء تأييدا لسياستهم الخارجية قام الفقهاء بقسمة العالم قسمين احدهما دار السلام او الاسلام وهى جميع البلاد التى تدخل فى الخلافة وغالبية مواطنيها مسلمون ودار الحرب وهى اى مكان اخر وهذا التقسيم لم يرد فى القرآن الكريم ولا فى الاحاديث النبوية لكنه من عمل الفقهاء وقد حان الوقت للعدول عنه حتى يظهر للاسلام وجهه الحقيقى فى التسامح والمساواة والسلام ولازالة الاثر السيئ الناجم عن بعض تصرفات منسوبة للاسلام » ص٩٥

ايوه يالله يالله الغوا التقسيم بلاش فضايح .. ! بل الرجل كريم يكتفى بالاشارة للفضايح التى ارتكبناها وآن الاوان ان نكفر عنها « ان فتح المسلمين للاندلس ثم اجلاؤهم عنها وغزو الهند بواسطة المغول ثم شرق اوربا بواسطة الاتراك ترك اثرا سيئا فى نفوس الكثيرين ....»٩٥

لا ما كانشى يصح ابدا واشمعنى دول ؟ وماذا عن فتح الشام ومصر وفارس

وشمال افريقيا هو الغلط فقط ما خسرناه !

«ولقد ان الاوان لكى يقدم المسلمون روح الاسلام الحقيقية فى المساواة بين الناس وفى احترام حقوق الجميع » ص ٩٥

قدمنا والله كل ده وما كفاش لم تبق دويلة فى اوربا الا واستعمرتنا وفرضوا الامتيازات فى قلب بلادنا كل هذا ولم نكفر ولم نعتذر عن جريمة فتح الاندلس وفتح المغول للهند ! طب المغول ماهم فتحوا بغداد ذاتها يا مولانا المستشار ! وهل فتح المسلمون من بلاد العالم مثل ما فتح البريطانيون لماذا يكون فتحنا نحن عيبا والفتح البريطانى مجدا وتعميرا واستعمارا ! أيمكن لمؤرخ شريف ان يفضل الاستعمار البريطانى فى معاملته للشعوب المفتوحة على الفتح الاسلامى ؟ !

ويظن انه ومن علموه مسكوا لنا ذلة او زلة بحكاية دار السلام ودار الحرب . . كأننا اول او اخر من لجأ لهذا التقسيم !الم تكن هناك الامبراطورية الرومانية المقدسة وما عدا ذلك برابرة بل و كان العالم الهيلينى والبرابرة خلفه .الم تقسم اوربا العالم الى المتمدين او المتحضر وما خارجه ارض بلا صاحب يباح فيها كل جريمة ، ورفضوا صراحة تطبيق القانون الدولى خارج اوربا على الشعوب الهمجية اللى هو احنا واصبحت بلادنا هى دار الحرب بل الدار التى لا يعتبر غزوها واستئصال شعوبها بالحديد والنار وكل ما تفتقت عنه عبقرية الاستعمار الاوربى حربا ، او تهديدا للسلام، بداية من ابادة الاسبان للهنود الامريكان حتى مذبحة سطيف وغزو السويس .انما الحرب هى ما يدورفقط بين الجنس الاسمى وفى دار التمدين أو دار السلام فى اوربا .

ثم من الذى قسم العالم الى العالم الحر الذى يضم الدول الرأسمالية او دار السلام والحرية والتعاون ومشروع مارشال وحلف الاطلسى ، فى مواجهة العالم الشيوعى الذى تفننوا فى تسميته من الستار الحديدى الى امبراطورية الشر ، واعدوا له كل كريهة وشنوا عليه الحرب الدائمة اليسوا هم احبابك الانجليز والامريكان ؟ الم تكن فى امريكا كما قلت وشاهدت ريجين يحمل الانجيل الم تسمعه يخوض الحرب دينيا

وخلقيا وسياسيا ضد دار الحرب والشيوعية ؟!وبالتالى او بحجة ان الاخربن قسموا العالم بدورهم الى دار السلام والاشتراكية والكميكون وحلف وارسو فى مواجهة دار الحرب والاستعمار الرأسمالية ؟!

ثم الم تكن فى وشنطن وسمعت او ارسلوا لك تقارير الذين قسموا العالم فى تسعينات القرن العشرين الى دار سلام ودار حرب وكلهم تقريبا جعلوا بلادنا دار الحرب !

لماذا لا تتثقف قبل ان تكتب واذا كنت قد تخصصت فى الكتابة للمسجونين فلماذا تنشر كتبك وجهلك وافتراءاتك على الذين هم خارج قبضة الشرطة ويملكون الرد . . انحن وحدنا الذين قسمنا العالم ؟!

بل لا يتورع عن تهديدنا بابن عمه الخليفة فى وشنطن ويلفق لقومه اتهاما ويوجه لهم انذارافيقول ان هذا التيار الذى يهاجمه « يجعل من الاسلام حربا على المجتمع الوطنى والمجتمع الدولى واذا كان المجتمع الوطنى متسامحا ولو الى حين فإن ردود فعل المجتمع الدولى رهن بعوامل لا يستطيع هذا التيار ولا غيره ان يتحكم فيها فاذا حارب المجتمع الدولى من يعلن عليه الحرب فمن الذى استعدى على الاسلام ومن الذى اثار عليه ومن الذى يدفع الاخرين الى البدء بالهجوم ربما كخير وسيلة للدفاع » ص٧٦ ثم نصف صفحة فى التغزل فى حضارة الغربيين !

اظن انه ما من كاتب شريف مسلم او وثنى الا وشهد واقتبس ونقل تصريحات الغرب عن ضرورة ضرب الاسلام ، والبحث عن عدو يوحد كلمتهم ويشحذ همتهم بعد سقوط الشيوعية ، ولم يفتشوا طويلا ، اذ سرعان مااتفقت كلمتهم على ان الاسلام هو العدو المنشود (٤٢) واخبرنا من الذى استعداهم على الاسلام واهله فى يوغوسلافيا وبلغاريا وبورما والهند. .الخ هل كانت هناك حركات اصوليةتستفزهم؟! الم يقولوا ان مسلمى يوغوسلافيا وبلغاريا هم اكثر الناس علمانية ؟! هل يطمح مسلمو بورما فى اقامة دولة اسلامية ام مجرد الستر؟!

الا تستحى من اهدار دم قومك . .ألا تستحى من وصف هجمة الغرب المستمرة

من اربعمائة سنة ، بأنها ردة فعل على استفزازنا وتطرفنا ؟! وتهددنا بأن صبرهم سينفد!

الا تستحى من استعداء الغرب وتهديدنا به . . ولكن هؤلاء لا يستحون فقد طلبوا على صفحات الاهالى بعرض قضية الاسلاميين على مؤتمر السلام لكى تأخذ اسرائيل بيدهم!(٤٣)

وهو شاهد ملك ضد الاسلام والعالم الاسلامى كله وليس المتطرفين وحدهم فهو يقول: « وليس الوضع السليم ما يفعله العالم الاسلامى . . . من رفض للقيم الرفيعة للحضارة ثم الانكباب على منتجاتها المادية والتهالك على نوافلها الاستهلاكية » ص٧٧

عبارة حافلة بالغش

اولا اخذ منتجات الحضارة الغربية المادية لا عيب فيه بل هو من صميم الدين وقد ارسل الرسول بعض المسلمين الى جرش الخاضعة للروم ، لتعلم صناعة العرادات او الدبابات . والتكنولوجيا هى ميراث الناس جميعا فما من شعب الا وساهم فى تقدمها بقسط فليس من حق سمسار ان يعيرنا بالسعى لامتلاكها او حتى استيرادها . وليس من حق امة ولا شعب ولا حضارة احتكارها وفرض شروطها على امتلاكها كما تفعل الحضارة الغربية فعلا اذ تفرض الاخذ بنظمها وقيمها كشرط لبيع التكنولوجيا وهو ما تفعله مع الصين وفعلته مع روسيا وبعض المسلمين . ولا علاقة بين المنتجات المادية وبين التهالك على السلع الاستهلاكية المنتجة فى الغرب فالاول مطلوب والثانى مكروه كراهية التحريم لانه يستنزف مواردنا ويضيع فرصتنا فى امتلاك الاول .

أما مربط الفرس فهو الزعم الذى فندناه قبل ثلاثين سنة ، وهوالقول بأن التمدين لابد ان يشمل نقل التكنولوجيا والايدز والحروف اللاتينية والاستربتيزالخ

اسلافهم قبل ان نتصدى لهم كانوا يقولون ذلك فعلا اما هم فقد اجبروا على التأدب ولذا يغرر بنا فيقول لماذا تتركون القيم الرفيعة للحضارة الغربية . .

مثل ماذا . .

ماذا فى حضارتك هذه من قيم رفيعة - وان فيها لكثير - لا نجده فى حضارتنا

حتى نضطر لاستعارته؟

عدد لنا على سبيل الحصر او المثال :

النظام . . وهذا يتعلمه المسلم من ساووا الصفوف وتعلمناه من امروا ولو على ثلاثة وطاعة ولى الامر . . واول حركة اسلامية انشأت النظام الخاص ها ها !

النظافة . . ؟!

نحن علمناهم الاستحمام ونحن نتوضأ خمس مرات وأوصينا بنظافة الثوب والطريق . . . عمربن الخطاب كان يحارب الدولتين الاعظم فى عالمه ويجد وقتا ليطوف شوارع مكة يفتش على النظافة فوجد اقذارا امام منزل ابى سفيان الذى كان له ابنان يقودان جيوش المسلمين ، يأمره عمر ان ينظف امام بيته وينصاع ابوسفيان . . بل فى تراثنا حديث ان الوحى امتنع عن النزول لأن المسلمين اهملوا نظافتهم . . يا عار من يحدثنا عن تعلم النظافة من الغرب الذى مازال يستخدم الورق وهو يعيش فوق انهار جارية بينما العربى يستعمل الماء فى الصحراء فى تنظيف نفسه !

الامانة ؟

اذا صدقنا ان الحضارة الغربية تمتاز فعلا بالامانة ؟ والدليل ما حدث فى نيويورك عندما انقطع النور أو فى لوس انجلوس عندما اختفى الشرطى أو سرقة شعوب العالم الثالث وخداع سكان استراليا وامريكا وافريقيا . . الخ ثم البورصة وبنوك التسليف والادخار . .الخ

الغربى لا يعرف الامانة . .هذه حقيقة لا يشك فيها ولاالاهبل ، ولا يشكك فيها الا مطيباتى . وانما الغربى يخاف من القانون . . ومع ذلك أنحن نحتاج للتغرب لكى نتعلم الامانة ؟! من خان امتى فليس منا . . اللهم صلى على الامين . ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات . .

الدقة ؟

ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا ان يتقنه . .

التجديد والتخطيط والتعاون

كل هذه خصائص الحضارات المزدهره . هل خلت حضارتنا من التخطيط والتجديد ؟ عندنا المجدد افضل من المقلد وعندنا شيخ اسمه المجــددى وكان مشايخنا يسعدهم ان يلقبوا بالعالم المجدد . . وعندنا حديث يبعث الله على رأس كل مائة عام من يجدد . . وعندنا اعقلهــا وتوكل اى خطط واعدوا لهم ما استطعــتم وهل يكون الاعداد الا عن تخطيط وبالتخطيط . . وعندنا وتعاونوا . .

الدراسة والبحث وروح خدمة الغير؟

امرنا بالدراسة حتى فى آيات الله !

ومرة اخرى الحضارة الغربية فيها روح خدمة الغير واحنا لأ؟

يا رجل استحى ماذا عن ويؤثرون على انفســهم ولو كان بهم خصاصة ؟ الامريكى لا يتبرع للكنيسة الا لان التبرع يخصم مــن ضريبته ولا يعطى الافريقى رغيف خبز الا ليســرق روحه بالتبــشير !ورضى الله عن محــمد اسد الذى دخل الاســلام عندما رأى تراحم المسلمين المتخلفين فى افريقيا!

ولكن المستشــار يستهويه سب الاجــداد فيندفع . .« ظلت الخلافة مـقصورة على بعض الاجناس عرب ترك » ص٩٣

وماذا تقترح اليس هذا هـو قانون الحياة ، ينهض جنس فيتغلب عــلى منطقته قدر طاقته حتى يظهرجنس اقوى فيزيحه ، ويحل محله.

الحمد لله ما من فتوى قالت انها لجنس واحد ولا ان جنسا افضل من جنس وانما هى لمن غلب . هذا قانون الطبــيعة ، وحكمــة الله فى التنوع والعدل ولكى لا يكون الملك والحضارة دولة بين جنس بعينه . اما ان الجنس بعينه يحتكر السلطة ولا يثق الا فى بنى جنســه فتلك من طبــائع البشرالــتى قاومهــا الاسلام ولم يمــارسها المــسلمون الصادقون . وهو يــشهد بذلك فى ص ١٥٣عندما يقــول : « ان تاريخ الاسلام تحول لصالح غير العرب فساد الفــرس والروم والترك والمغول والتتار والكرد كل فى فترة او

فى دولة »

ولا ندرى أهذا مدح او نقد ؟ ! لعله هو نفسه لا يدرى !

«وبالفهم الخاطئ اصبحت الخلافة وضعا قبليا سواء لدى السنة أو الشيعة فقد ادعت قريش قبيلة النبى أن الخلافة حق مقصور على ابنائها فقط واحتجوا فى ذلك بحديث يقول: الائمة من قريش وقد ظلت الخلافة فعلا فى هذه القبيلة فترة طويلة امتدت تسعة قرون الخلفاءالراشدون والخلافة الاموية والخلافة العباسية » ص ٩٣

الجهل ليس عيبا فقد تعودنا عليه من دعاة التنوير ولكن الدس معيب جدا فالقول بأن قريش احتكرت الخلافة ثم دس عبارة قبيلة النبى كأن هذا هو السبب فى نيل قريش الخلافة فى صدر الاسلام . . ! وهذا القول تضليل وضلال ، فالشيعة والسنة فندوا هذا الزعم . فالشيعة وان اعتمدوا على القرابة فى ادعاء الخلافة الا انهم اعترفوا بأن المسلمين لم يأخذوا بقرابة النبى كمصدر لشرعية الحكم او وراثته ، بل ابتعدوا بالخلافة عن أهل النبى. وواضح أنها فعلا اعطيت لأبعد الناس عن رهط النبى أو قرابته. .أبى بكر، ثم عمر ثم اقتربت شكليا مع عثمان لتبعد اكثر فى الواقع فلم يكن فى خاطر أحد ان قرابة النبى أو قرابة قريش للنبى هى مصدر الشرعية . وفى السقيفة قال ابو بكر قد علمتم ان العرب لن تطيع الا هذا الحى من قريش ، ولو قال الا لاقرباء رسول الله لاخذها ابو سفيان او على اوالعباس . . . الخ وابن خلدون لما ارخ قبل سبعمائة سنة لم يتحدث ابداعن قرابة النبى بل عن اهل الحل والعقد، وعرفهم بأنهم من عندهم القدرة على ضبط البلد وحكم الرعية ، وهؤلاء كانوا فى قريش ثم فى البيت الاموى . لم يستطع أحد أن ينازع فى هذه الحقيقة ابدا ومن السخف والجهل البين ان يتصور احد ان ذلك كان لعنصرية . . أو عائلية لأنها قبيلة النبى وان بنى امية نالوها بسبب قرابتهم للنبى !

من كان سيحكم العرب بعد وفاة النبى الا العرب ؟! ومن كان سيحكم العرب الا اقوى واقدر قبيلة اى قريش ؟ ومن يمثل قريش الا البيت الاموى. .؟! لقد كان ابن الزبير يسيطر على الدولة الاسلامية من العراق لليمن ، بعد ان انقرض البيت

السفيـانى، ولم يبق فى يد الامويين الا الشام . وقـبل مروان الخلافة مـترددا بعد أن حاول كبـار الدولة مبايعة ابن الزبير ثم هـزمه عبدالملك .واستطاع البـيت الأموى مرة اخرى ان يعـيد الوحدة الاسـلامية ويسـتأنف الفتوحـات فيغـزو اوربا وينتزع أسبـانيا والبرتغـال ويزحف الى اوربا بينما عجزت كل البـيوتات والقوى العربيـة الاخرى عن تجمـيع كلمة العرب حولـها أو إقامة دولة حـقيقيـة أو أن تشكل مزاحمـة جدية على القيادة لبنى امية ما يقـرب من قرن كامل ، رغم أنه ما من دولة فى تاريخ العالم كله شهدت من الثورات والخروج مثل دولة الامويين ولكنها اثبـتت كفاءة غير مسبوقة ولا ملحـوقة فى القـدرة على الحكم ،. وفـشل بنو هاشم فى جـمع كلمة العـرب تحت رايتهم، حتى أسلموا زمامهم لفارسى وأمروه أو هو ادعى انهم أمروه ان لا يبقى على عربى جاوز الشـبر ! ولما سقطت دولة بنى امية فى النهـاية تحت ضربات الفرس الذين تستـروا بالعباسيـين هرب أموى واحد فى مـغامرة أسطورية حـتى نزل بشاطئ اوروبا وحيدا شريدا مطاردا فاقام مجد العرب فى الاندلس !

هذا هو البيت الذى ألقت اليه أمة العرب بمقاليدها لأنه وحده الذى كان قادرا على الحكم فلا قـرشيـة ولا قبليـةولا قرايب النبى ولا هذا السـخف الذى يقال ويصـدقه العيال!

وهل هناك من يأخذ القرشية على محمل الجد فى دولة العـباسيين او بقية التسعة قرون؟ لقـداكتـشف الرشيد ان الدولـة بيد الفرس فـقاوم آخـر مقاومـة عربيـة بقتل البرامكة. . ليـعود الفرس فيـقتلو اكبر ابنائه يذبحـونه ذبحافى قصر الخـلافه فى قلب بغداد . ويفزع المأمون الى حد التفكير فى الخروج من الخلافة ومبايعة العلويين تهدئة للفرس . ويـحاول المعتـصم ان يوازن الطغيـان الفارسى بالتـرك فيسـيطر هؤلاء على الخلافة وينكلون بالائمة من قريش حتى يجعلوهم أمثولة ما بين متسول أومن سملت عيناه وقطعت يداه .ومن نجا منهم فهو ببـغاء فى قفص! أيجوز للمؤرخ الحاصل على الاعدادية ان يقول ان قريش ظلت تحتكر الخلافة تسـعة قرون !ماذا يقصد بالخلافة ؟ هذا الببغاء فى قفص؟!

ومن كـان يعنيه أمـره ؟ومن هو الاعجـمى الذى نجح فى الاسـتيـلاء على السلطة

وأعجزه العثور على طرطور من بقايا قريش ؟

وكما قلنا كان قبول المسلمين خلافة العثمانيين وهم لا من قريش ولا من العرب هو أكبر دليل على ان المسلمين لم يأخذوا حديث الخلافة فى قريش على محمل التكليف الدينى بل النبوءة المشروطة .

ومتأثرا بكتابات السوقة من المتطرفين يهاجم الدولة العثمانية لفرضها «الجزية على مصر كأنها أرض محتلة وليست بعضا من العالم الاسلامى »ص٩٤

بل هذا دليل أن الجزية لم تكن ذلة ولا انتقاما ولا طائفية كما اشاع المستشرقون ومن اتبعهم بغير إِحسان . بل بدل الدفاع الذى اختصت به الدولة العثمانية ، ولم يعدعلى مصر ان تقوم بمهمة الدفاع عن نفسها فتوجب انتقال ميزانية الدفاع للدولة العلية . وعندما احتل الفرنسيون مصر كم انفقت الدولة من مال وأموال لاخراجهم .. اليس هذا هو مبرر الجزية وهو يسقط عنها كل التشنيعات التى تحاول اثبات انها تحط من قدر غير المسلمين ؟!(٤٤)

ويقول ان «الخلفاء كانوا فى الغالب أعداء لاى تعليم شامل وأيه ثقافة رفيعة» ص٩٥

رفيعة هانم

ونحن نقول أنه لم يمر على البشرية حكام يشجعون التعليم ومولعون باثقافة الرفيعة مثل الخلفاء الى ما قبل القرن التاسع عشر وحتى القرن العشرين وقيام حكم الشعوب..

وقد شرحنا ذلك كله فى مؤلفاتنا الاخرى . .ان حضارة انجبت المعرى وابن رشد وابن سينا والبيرونى وابن الهيثم وابن طفيل والغزالى وابن المقفع وأبو حيان التوحيدى واخوان الصفا بل حتى ابن عبد ربه والاصفهانى . . وانتهت بابن خلدون من العار ان يأتى مستغرب فى زمن التخلف ويتهمها بأنها حاربت الثقافة الرفيعة ؟!

وله تقاليع يستحسن ان يقلع عنها مثل قوله ان الكفر لا يعنى الكفر بالله ففى قوله

تعالى ان الله ينزل الغـيث فيصبح قوم به كـافرين اى كافرين بنزول الغـيث لا كافرين بغيـره ! يعنى ايه ؟! وكيف عـرف حقـيقة مـا قالوا ؟ هل قـالوا لا لم تمطر وهذا الماء النازل علينا رخ هو من مـاسورة شبـرا . . وسبـحوا الله وحمـدوه ان جعل مـاسورة شبـراتنفجر لأعلى وتمطر ماء طهـورا توضأوا به وصلوا الضحى ! ام كـفروا بمن انزل الغيث ؟! وهـو المعقول والا مـا قال الله سـبحانه وتعـالى فى اول الآية ان الله ينزل الغيث . .

احنا حنقرى ! ما تروحوا تتعلموا القراءة قبل ما تكتبوا !

ولماذا يكون حديث من ترك قتل الحيات خشية النار فقد كفر يعنى كفر بالله . . لماذا لا تقول كـفر بالنار او بالحيات لأنه يدس الحـية فى التراب بدلا من قـتلها . .هو على كيـفك . . وتستغرب هذا المأزق الذى وضع نفـسه فيـه !ولكن المضطر يركب الصعب ولأمر ما جدع قـصير انفه فهو يريد ان يـفتى بأن «ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هـم القوم الكافرون تعنى ان من لم يحكم من اهل الكتاب بما ورد فى كتابه من احكام فهو منكر لهذا الحكم لا كافر بالله » !!ص٩١

الا ترى انه يجب ان يؤدب على هذا العـبث . . منكر لهذا الحكم ؟! هل يقـصد انه ينكر وجوده ؟ ام ينكر مشروعيته ؟ وفـى الحالين فهو كافر . لأن من ينكر ما أنزل الله ومـا يقرر الله ذاته أنه أنزله فـقد كـفر بالله . أم يقـصد أن اليـهود دفـعوا بعـدم دستورية القانون ؟ : فهم متمسكون بالشريعة وانما طعنهم فقط فى دستورية هذا الحكم مما انزل الله . . ولماذا لم يفتنا فى أولئك هم الفاسقون واولئك هم الظالمون هل تعنى انهم فسقوا فى هذا الحكم فيـتوجب عليهم حد الزنا ام ظلموا هذا الحكم المسكين ؟ وهل وصفهم بالفسق والظلم اقـرب للكفر بمعنى الكفر ام بمعنى دس الحب فى الطين . .قول ما هى هاصت .

ويؤكد لناان الاسلام ليس فيه رجل دين ولا حـتى علم للدين بل ويتحمس فيرجح الاسلام على المسيحية فى هذه النقطة « اما الاسلام فالعقيدة فيه بسيطة واضحة يدركها اى شـخص دون مـا جـهـد فلسـفى وبغـير نـظرية لاهوتيـة ومن ثم لا يوجـد علم

للدين»ص٦٣ ولا رجل او عـالم دين فـمن اين تخـوفـه من السلطة الدينيـة فى الاسلام؟ !

ويعترف ان الامة كان «صدرها رحبا وافقها واسعـا وعقلها ثاقبا وفهمها مستنيرا فى قبـول الخلاف فلم يكفـر أحد أحـدا فى رأى ولم يقتل أحـد أحدا فى قـول انما كان التكفـير فى التـاريخ الاسـلامى دائما وكـان القتل بالرأى عـلى الدوام عندما تخـتلط السياسة بالدين » ص ٦٦

وهى مقتبسة والا لما استمر الجدال فكل مـستبد يستطيع ان يخلع على نفسه ما شاء من صفات وان يـتستر خلف المبادئ الـسامية ويسيئ اسـتغلالها ولكن مـادامت تعاليم الاسلام تقر خلاف الرأى ولا تقتل الناس على الاختلاف فى الرأى ، وبنفس القوة شهـد أن ممارسات المسلمين لم تعـرف التكفيـر فى الخلاف أو القتل باسم الدين فـما يضيـرنا ان ذبح هتلر خصومـه باسم الاشتراكـية الوطنية أو أباد سـتالين شعـبه باسم الشيـوعية أو قـتل موبوتو أو أكل بعض خصـومه باسم الديموقـراطية . . المحك هو قبـول المبدأ لتلك الممارسـة وإباحته وقـبول الناس هذه الممارسـة باسم المبدأ . . وهو والحمد لله ما لا يمكن نسبته للاسلام . . بشهادة المستشار . .

فهو يعلمنا :انه فى سفر لـلنبى أفطر البعض وصام البعض فلم يعب هذا على ذاك ولا هذا على ذاك ص ١٤١

لماذا لم تتعلموا من هذا . . لماذا لم تتركوا كريهـة إلا ورميتم بها اللاتى اخترن ان يغطين رؤسهن !لماذا لم تـقولوا دعوا التى تريد التـحجب تتحـجب والتى تريد كشف رأسهـا تكشف . لماذا لم ترحمـوا فنانة فى ذروة العمـر والتألق الفنى واقـبال الحـياة تكتشف أنهـا مصابة بالسـرطان فقررت أن تعمل لآخـرتها . . لماذا اقمـتم الدنيا ولم تقعدوها واتهمتموهن فى نواياهن واعراضـهن وزعمتم ان بعض الخليجيين دفعوا لهن لكى يتغطين . . لماذا يثيـر ذلك احتجاجكم ولم تحتجـوا مرة واحدة على الذى يدفع لتعرية نسائنا وغلماننا وفناناتنا ؟!

الحق اننى لم اعرف فئة أغلظ قلبـا ولا ألد عداوة من هذا الجرب الذى يطفح على

وجه الفكر المصرى محتميا بسيف المعز الامريكى ودولاره !

وهو من الذين يخترعون الاكذوبة ويصدقونها فيعرفنا ان السعودية لاغراضها عند مثله انشأت المؤتمر الاسلامى ليضم جميع الدول الاسلامية ولكن الحريف عبد الناصر ادرك اهداف المؤتمر الاسلامى. فعمل على حربه ورفض انضمام مصرالى المؤتمرالاسلامى سنة ١٩٦٦ غير انه عاد بعد هزيمة يونيو ٦٧ وقبل هذ الانضمام سنة ١٩٦٩» ١٥٤

وهو قول لا تحّرى الدقة ولا التزم الصدق . . لأن عبد الناصر هو الذى انشأ المؤتمر الاسلامىْ أولا وكان انور السادات سكرتيره لسنوات وكانت تهدى له العربات ويوزعها واهدى يوسف ادريس اول عربية ركبها اديبنا الراحل وكانت فولكس . وذلك قبل ان تنشئ السعودية المؤتمر الاسلامى الاخر الذى حاربه عبد الناصر ولم يحارب اسرائيل ولا المؤتمر الصهيونى . فكان ما كان وجاء صاغرا للمؤتمر الاسلامى وكانوا كراما فلم يقولوا له الان وقد كفرت من قبل! والمستشار يسجل دخول مصر المؤتمر الاسلامى من نكسات يونيو . . او على الاقل من نتائجها ولا يسأل نفسه ؛ لماذا يكون لليهود مؤتمرا صهيونى يمثل كل يهود العالم ولا يكون للمسلمين مؤتمر ينسق امانيهم فى مواجهة المذبحة الشاملة ؟ الا تلمس فى هذه الاراء تحيزا فاضحا لاسرائيل وخدمة لمخططها فى تكتيل اليهود وشرذمة المسلمين وعزل العرب عن عمقهم الاسلامى !

أليس ذلك مثل تحريم الاسلحة النووية على العرب وباكستان لأنها خطر وشريرة بينما تكدسها اسرائيل والهند ؟!

المستشار يعيد علينا حكاية الاسلام البدوى والاسلام الحضارى وهى فرية أو دناءة سقط فيها شيوخ علمهم الاسلام الا يتنابذوا بالالقاب يقول « كان الاسلام فى المدينة فى القرن الاول الهجرى إسلام بداوة وكان فى بغداد فى القرنين الثانى والثالث للهجرة إسلام حضارة . وهو بالطبع ضد الاسلام الاول فهو يرجع تمسك المصريين أو بعضهم به الى « قابلية بعض الناس الى الانفتاح على الحضارة الانسانية و استعداد بعض آخر الى الانغلاق على مفاهيمهم وحدها » ص٦٧

ويقول ان المصريين عندما هاجروا للعمل فى دول النفط اكتسبوا اخلاق البداوة من سكانهـا وانصح المستـشـار ان يزور السعـودية لا ليرى المسـتـوى الحضـارى للبلد بل والمستوى الثقافى وليقارن نفسه بمثقفى السعودية ليرى من البدوى ومن الحضرى !

وللمستشار وأمثاله من الذين يحاولون نسبة الاسلام للنفط نقول هذه النكتة . .

سمع الاوغندى الذى يعمل فى السعودية أن النفط ظهـر فى كمبالا . . ففرح وقال لزميله . . بكره لماالنفط يطلع عندنا والسعوديون يطلبوا من سفارتنا تأشيرة للحج ما نعطيهم!

وصدق الدكتور القصيبى عندما قال :

بدو؟! أجل . . زحفوا . . فما نكصوا . . عقدوا . . فلم يُنْقَض لهم عقدُ

بَدو إِذَا ما الضَّيم مسَّهمُ سَعَت الخِيامُ كَأَنَّـهم جُرد

نَفط يقولُ الناسٌ عن وطنى مَا أَنصفُوا . . وَطنِى هُو المجْدُ

والمستشار يعلن ان المعركة « فى مصر بالذات صراع حضارى لم يُحسم » ٦٦

نعم هو كذلك بالتأكيد ، ولكن بين من ؟ واعوذ بالله ان يكون المستشار من السوقة الذين يفهمون الحضارة والصراع الحضارى بمعنى التمدين أو التخلف .

الصراع الحضـارى كما عرفـه كبيركم الذى فى هارفارد لا يـكون ولا يقصد به الا الصراع بين حـضارتين . . حضارتنا وعرفـناها فما هى الحضارة الاخـرى التى تصارع حضارتنا ولم تحسم الامر معها بعد ؟ !

الجواب مـعروف نحن والاستاذ صـمويل هنتنغتون اسـتاذ هارفارد نقول الحـضارة الغربيـة المسيحـية البيضـاء ، والمستشـار سيخفـفها فـيقول الحضـارة الانسانية العـالمية . . . نفس الشئ . .

نحن لا نريد ان يحسم الصـراع الحضارى ضد حـضارتنا وسنقاوم ذلك مـا وسعنا ونعرف ان كتاباتك وشيعتك هى من اسلحة هذا الصراع الحضارى الذى لم يحسم ولا تظن انه سيحسم الا على اجسادنا .

وبتوع الانفتاح على الحضارة الانسانية يتمـيزون عند المستشار هم الفريق «المصقول

الطباع انيق التصرف حسن الفهم واسع الافق لين العريكة » ص٦٧

حاجة الاجه تعحب السياح والمستثمرين ويتفاهم مع المبشرين والاسرائيليين ويرحب بحسم الصراع الحضارى على حساب حضارته ودينه وعرضه اما الفريق الاخر.. اوه سوفاج يايا :« جاف الطبع فظ التصرف خشن الفهم ضيق الافق غليظ العمل » ٦٧

رزيل !

هكذا رأى المشركون اتباع الانبياء .. لم يتبعهم الا الاراذل .. وهكذا وصفَت الطبقات المنهارة قوى التغيير حافرى قبورها ..

أما عن تطبيق النميرى للشريعة فى السودان بصرف النظر عن اى اعتبارات فإن أول اعتراض صدر كان من بوش نائب الرئيس الامريكى الذى ذهب يفتش وقال إن امريكا لن تقبل تطبيق الاسلام على مسيحيين وصدر القرار بعزل النميرى بعد أن حاول إنقاذ الموقف بضرب الاخوان ولكن كان قد سبق الشرعُ الاعتذارَ وما كانت المسيحية الغربية بالتى تقبل ان ينجو حاكم تجرأ على التفكير فى اسلامية الدولة ومن قبله ذبح السادات لأنه قال انا رئيس دولة مسلمة .. !

وانهال سبا فى الدول التى تطبق الشريعة لا لشىء إلا لأنها تقول بتطبيق الشريعة وإلا فإن ما عدده من العيوب فيها يوجد أضعاف أضعافه لا نقول فى الدول العربية او الاسلامية التى لم تطبق الريعة بل فى البلدان المسيحية المتقدمة مثل ايطاليا حيث يجرى نهب المال العام واخذ الرشوة والعمولات بل مقاسمة العصابات مثل المافيا .

ان أحدا لم يقل أن الشريعة هى قطع يد السارق فقط ولا قال أحد بعدم عقوبة المختلس أو المرتشى بالقطع أو الاعدام .وقطع اليد فى اعتقادنا يمكن ان يكون تعزيرا فى بعض الجرائم وليس السرقة وحدها، اذا كان يمكن ادراج جرائم الاختلاس والرشوة فى ما سماه القرآن السعى فى الارض فسادا .. ولا يجادل إلا مريض القلب فى ان تنفيذ الحدود ونظام القضاء الشرعى فى السعودية قد جعلها اكثر البلاد أمنا للمواطن والمقيم.

ولو فكر المستشار فى آداء الفريضة وقارن بين الرعب الذى يعيشه المواطن الامريكى حتى لا يستطيع أن يمشى فى أجمل بلاد العالم واطيبها لمن اراد ان يمشى فى مناكبها ويتأمل جمال ما ابدع الانسان فى ما وهب الله . . ولكن ذلك للاسف محرم على الامريكان فما من شارع ولا حديقة تستطيع ان تسير فيه او فيها آمنا ساعة من النهار او الليل . . بينما فى السعودية يسعى رجل بمشنة او مقطف فيه مليون دولار ولا يساوره خوف !وهى اقل بلاد العالم عدوانا على المال والاعراض والحياة. . ولا تجدى محاولات تشكيكه فى هذا الأمن فوجوده ظاهرة لا تحتاج لاحصائيات ولا تحليلات ولا تخرصات . فنحن نعرف أن الاعتراض على قطع يد السارق ليس له من سبب الا الصراع الحضارى الذى أشار اليه . أى الرغبة فى القضاء على أى مظهر من مظاهر حضارتنا ، اعلان هزيمة هذه الحضارة وانتصار الحضارة المسيحية بالغاء كل ما يمت للاسلام . والا فإن المستشار يحكم بالاعدام ، وكما قلنا قبل ثلاثين سنة أن من يقبل قطع رقبة انسان كعقوبة ، لا يمكن أن نصدق تباكيه على قطع مجرد يده !

وما دمنا قد عرفنا الهدف الحقيقى وانه من جنود الحضارة التى تصارعنا ، فلا نهتم بسقط القول مثل من يعول أسرة السارق الذى تقطع يده . . على الاقل هذا بقى لاسرته يد وعقل وعينان وقدمان ولكن ماذا تبقون لأسرة نفس اللص اذا جوبه بمقاومة فقتل الا تعدمونه كله ولا يبقى منه شيئ لأسرته ؟! من يعول أسرته؟ ولماذا لا تشكل العائلة مشكلة لضمائركم فى حالة إعدام عائلها وتؤرقها فقط لو قطعت يده وحدها بشريعة الاسلام يا سادة يا غير كرام!

بل لقد ذهبنا الى القول أن القطع وهو من أشد العقوبات بعد الاعدام لا يحمى فقط المواطن السوى ويوفر له الامن المفقود فى اكثر البلدان تقدما ولا يحل مشكلة ازدحام السجون الذى اصبح من اخطر المشاكل التى تهدد هذه المجتمعات ، بل ان القطع أيضا يحمى ذات المواطن غير السوى ، من الانحراف .فقوة الردع فيه تمنع نسبة هائلة من المخاطرة بخرق القانون ، وتحميهم مما يجرى فى السجون لو انحرفوا. وأيضا لو تتبع المستشار أرقام الذين يقتلون برصاص البوليس فى حوادث السطو والعنف لوجدهم اكثر الاف المرات من عدد الذين تقطع يدهم. فأى نظامين أرحم

الذى يقتل فـى الشارع رميـا بالرصاص بلا محـاكمـة ام الذى يقطع يد حفنة فـيرتدع المنحرف ويسلم ويسلم الناس والمال منه ؟!

واخيرا ينصحنا سيادته :

بألا نطالب بنفس الحكومة الاسلامية التى قـامت بل « بحكومة اسلامية من نسيج آخر حكومـة تخدم الاسلام ولا تستـغله حكومة تنبنى على الحقائق لا الـشعارات . . الخ ص ٩٨

نود لو قلنا موافقون هذا هو بالضبط ما يطالب به الاسلاميون لولا الدسة الخبيثة فى قوله «من نسيج اخر »

لا والله ولو وضعوا القـمر فى يميننا والشمس فى يسارنا مـا نبتغى غير صـبغة الله صبغة ، وغـير نسيج الاسلام نسيجـا . . وكما فصلنا جوبة وقميـصا من نسيج بلادنا كانا مفـخرة لملوك العالم ، ودخلا جمـيع اللغات «المتحضرة »فـيمكننا ان نصنع الان بدلة فضاء ولكن النسيج لا يتبدل ابدا . .

ماكلين ٨ يونيو١٩٩٣

روجع اكتوبر ١٩٩٣

هوامش الفصل الرابع

١- حيلة الشـاب يارب او النصاب الثورى كمـا سميناه صـادق النيهوم عاد مـرة اخرى وهبل الاطفال فى عينيه يدعى انه اكتشف ان الاميين لا تعنى الجهل بالقراءة والكتابة بل يقصد بها غير بنى اسرائيل او الاميين كما يقول البعض .واذا كان يبدو مضحكا مسليا وهو يتخيل انه مكتشف ذلك ويتحـمس فى اقناعنا به !وان كان مبكيا أنه تمكن من نشـر هذا فى مجلة تقرأ خارج ليبيـا ! الا ان المشين حقا انه حاول فى الزحمـة التشكيك فى الحقيقة المتـعارف عليها وهى ان النبى لم يكن يقرأولا يكتب زيادة فى الاعجاز. وهذا الجهول لا يعرف ان اللفظة لم تستخدم تجاوزا وانما هى مرتبطة بالكتاب وأهل الكتاب فاليهود هم أهل الكتاب الذين يقرأون الكتاب وغيرهم ليس لديهم كتاب فهم أمـيون لا يقرأون الكتاب ونفس الشئ بالنسبة للفرد الذى لا يقرأ اى كتاب .. ﴿ ومنهم أميون لا يعلمـون الكتاب إلا أمانى ﴾ فهنا تعنى انهم لا يقرأون كـتابهم .. ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والامـيين أأسلمتم ﴾ هنا اليهـود وغير اليهود أو الأميين GENTILES ونفس الشئ :﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأمين سبيل ﴾ وكذلك ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا ﴾ اى الذين لم ينزل عليهم كتاب .. اما ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الامى ﴾ و ﴿ فآمنوا بالله ورسـوله النبى الامى ﴾ فهى هنا تعنى عدم القراءة والا فهو انزل عليه كتاب بل افضل الكتب .

٢ - انظر مقال وهل وجد الاخر الا بالاسلام .- مجلة اكتوبر

٣ - انظر رسالة ماجستير لخالد كشك جامعة يوتاه . وهو الذى نبه لموقف الاسلام من المنافقين على عهد النبى ولعل دراسة هذا الموقف تفيد فى تحديد الموقف من المرتدين .

٤ - لا نأخذ بقول من ينصب اخناتون كأول داعية للتوحيـد فمن ناحية ليست لدينا شهادة دينية بذلك ومن ناحية ان صورة الـشمس التى كان يسجد لها أخناتون تخالـف مفهومنا عن الاله الواحد بل عن الاله اساسا.

٥ ـ زوج المسلمة من غير المسلم محرم تحريما قطعيا. وهذا الحكم من الأحكام التى أجمعت عليها الأمة من عـهد سـيدنا رسـول الله إلى يومنا هذا. وصار العلم به ضـرورى يحكم على من اباحه بالخروج من الدين، الفتوى للمرحوم الشيخ شلتوت ٢٧٦.

٦ ـ انظر فضيحة حـسين احمد امين التى نشرها فى الاهالى عن مذابح مـزعومة من نسج خياله

للاقباط فى امبابة وحاول نسبتها للجبرتى فلما ضبطناه بها اعترف بتلفيقها وقال انها من الادب القصصى ! وتدخل لمنع ردنا عليه فى الاهالى فنشرناها فى الشعب وفى كتابنا الا فى الفتنة سقطوا وهى نموذج صارخ على نشاط اليد الثالثة فى زرع الفتنة الطائفية واختراعها اختراعا وقد تبين بعد ذلك انه يعمل لمؤسسة روكفلر الامريكية.

٧ ـ كلمة العلمانية هى ايضا من نماذج التزوير والتزييف فهم يخلطون بينها وبين العلم ويدعون انهم هم دعاة العلم ، والكلمة اصلا لم تكن لها علاقة بالعلم عندما نحتت فى اوربا، وقد اساء المترجمون العرب ترجمتها لأن مقابلها غير موجود فى حضارتنا . .فالعلمانى فى القاموس الاوربى او SECULAR بالانجليزية وبالفرنسية LAIQUE تعنى الذى ليس من رجال الدين او كل من ليس كاهنا ، ثم اصبحت تعنى كل ما ليس صادرا عن الكنيسة ثم اصبحت تعنى كل ما ليس متخصصا ، فمثلا اذا تكلمت انا فى الطب فهو كلام علمانى لأن الكلام الرسمى أو الموثق هو كلام الطبيب . . فلما نشب الصراع بين الكنيسة والدولة فى اوربا ، والغيت سيطرة رجال الدين. .استقل العلمانيون بادارة الدولة وقام المجتمع العلمانى الذى لا يحكمه رجال الدين . . فلا علاقة بين اللفظ والعلم الا تأولا . .كما انه لا علاقة حتمية بين العلم والالحاد!

٨ ـ البروفسورصمويل هانتغتون من جامعة هارفارد نشر مقالا بعنوان صدام الحضارات بتاريخ ١٩ اكتوبر ١٩٩٢وبالرجوع الى الخطاب نجد البروفسور الامريكى يؤكد ان الصراع العالمى كان وسيكون صراع ثقافات ، بين مجموعة حضارات ، وحدد اختلاف الحضارات هكذا حرفيا : « الحضارات تختلف باختلاف النظرة الى العلاقة بين الله والانسان والمواطن والدولة والوالدين والطفل . . وكذا الاختلاف حول الحقوق والواجبات والحرية والسلطة . . ويقول ان كل الخلافات السياسية والاقتصادية يمكن ان تحل الا الخلاف الحضارى ورسم الخطوط التى تفصل بين الحضارة المسيحية والحضارة الاسلامية والكونفوشسية ودعا الى تحالف دول الاولى ضد الاثنتين .

٩ ـ الحقيقة ان اول حرب نشبت بين الكنيسة والدولة هى التى خاضتها كنيستنا القبطية وان كانت فى اتجاه مضاد لثورة هنرى الثامن . . فكنيستنا ارادت رفع يد الدولة القيصرية عن العقيدة عن الكنيسة القبطية وتحقق لها ذلك بدخول الاسلام الذى لا يتدخل فى عبادات الانسان

١٠ ـ وعقـدة الولاء لبابا روما واحـتمال تهـديد ذلك للمصـالح الوطنية ظلت عالـقة فى الفكر الانجلوساكسونى ، فبريطانيا تحرم حتى اليوم ان يكون الملك كاثوليكيا أو متزوج كاثوليكية ، ونقلوا ذلك لامريكا ولَّمـا ترشح اول كاثوليكى لانتخابات الرئاسـة فى أمريكا (كنيدى) أجبروه على أن يدلى بتصـريح صحفى اعلن فيه انه لن يطيع البابا لو اصـدر له امرا بوصفه رئيسـه الدينى اذا ما كان ذلك يتعلق بسـياسة الولايات المتحـدة . .ولاحظ حروب الولايات المتحدة مع أسبانيا وامتداداتها الكاثوليكية فى العالم الجديد .

١١ ـ «فى إحصاء أجرى يوم احد فى عام ١٩٩٠ تبـين ان الذين ذهبوا للكنائس الانجيليكية هم (١,١٤٢,٦٠٠) او حوالى ٢,٤٪ من الشعب بل حتى فـى عيد الفصح لم يذهب الا اقل من ٤٪ من الشـعب بينما الذين يصلون فى الكـنائس الكاثوليكية هم ١,٢ مليـون وهناك ٩٠٠ الف يصلون فى الكنائس الحرة»

١٢ ـ لاشك فى مغـزى توجه وزيرة بريطانية من كنيـسة انجلترا الى كنيـسة كاثوليكيـة لاعلان تحولهـا الى الكاثوليكيـة على يدقسـيس كاثوليكى يخـضع لبابـا روما وهى وزيرة الضـمان الاجتماعى فى حكومة ميجور، السيدة آن وود كومب التى قررت الانفصال عن كنيسة انجلترا والرجوع لكنيسة روما بعـد اربعمائة سنة احتجاجا على قرار كنيسة انجلتـرا برسم قسيسات ، وقد تمت مراسم اعادتها على يد الاب مايكل سيد فى احتفال هز مشاعر الانجليكان فى ابريل ١٩٩٣

١٣ ـ مقالات الاستاذة مايسة نشرت ابتداء من ١٨ مارس ٩٣ ولـم ترد عليها الوزارة وعلق ثلاثة من كـتاب الاهرام فى نفس الجـريدة اثنان هاجـما الوزارة وثالث ايـدها ولم ينكر حرفـا مما نشرته الاستاذة مايسة انما حاول زرع فتنة ،تعرضنا لها فى مقال تال. ومقالنا نشر بعد ذلك مع المقال الثالث ورد الوزارة فى يوم واحد . الحقيقة فى هذا الامـر شابها كثير من الغموض مع البيانات المتضاربة من المدافعيـن عن مركز التطوير والمنتقدين ولكن بيان الوزير لا يمكن قبوله كما علقنا عليه .

الثابت على الاقل ، هـو اشراف أمريكان بعـدد مريب ٢٩ استـاذا أو خبيـرا وبأموال ليست بسيطة فى تطوير برامج التعليم للمـراحل التى يفترض انها من صميم اعـمال السيادة لتعلقهـا بتشكيل عقل وقناعات المواطن فى مرحلة التكوين وذلك فى الفـصول التى تشرف عليها ادارة مصرية منذ سبعين سنة !

والثابت ان غزوات الرسول ضد اليهود حذفت وان كان الوزير يدافع بأنها حذفت قبل ان يتولى الوزارة ، وليس فى النية طبعا اعادتها . .احنا ما صدقنا انها حذفت . . والتطوير هو حذف الحشو الذى وضع فى العصر الناصرى الذى كان الوزير من ابرز رموزه واكثرها كراهية بين الطلاب !ولكن يبدو اننا نتبع ملة وداونى بالتى كانت هى الداء

والثابت ان التطويرقد اتخذ طابع التحدى للاسلاميين . . ولا ندرى لماذا . .الا لأنها سكينة . . وارجع لكتابنا الحوار او خراب الديار حيث سجلنا اعلان الدكتور يونان وغبطته ان اختيار وزير التعليم بالذات هو لتصفية التيار الدينى او تيار التديين بالمدارس،- كما اسماه - كذلك يمكن الرجوع لكتابنا كلام لمصر الصادر سنة ١٩٧٤ حيث اشرنا الى الوزير بما كان شائعا وقتها وسط الطلبة .

واذا عرفت ان جميع الطوائف فى مصر لها مدارس دينية الا طائفة المسلمين وان المسلمين هم الذين يتعرض اولادهم للتبشير ادركت ما يحس به الآباء والامهات .

١٤ ـ قال أحدهم أن عدد الصفحات اربعمائة !

١٥ ـ كان هناك اتجاه فى القصر لابراز ملك مصر وكأنه فى درجة ملك بريطانيا المحتلة للبلاد ، فعلى سبيل المثال اطلقوا على ولى العهد الامير فاروق لقب امير الصعيد على وزن امير ويلز . .

١٦ ـ انظر محمد عمارة و جهالات عصر التنوير : محمد جلال كشك وفصل عبد الرازق من هذا الكتاب .

١٧ ـ وها هو القذافى يدخل الساحة مسلحا باجتهادات الفيهوم والمهدوى فيعلن: أن رسول الله برئ من الخلفاء الذين اتوا من بعده ان كان على خليفة رسول الله فلماذا قاتله نصف المسلمين وقتلوه وقتلوا اولاده من بعده وماذا نصف الذين قاتلوا عليا هل يمكن ان نطلق عليهم انهم كفار ؟ لأننا لو قلنا ان معاوية كافر وهو كتب نصف القرآن فإننا نشك فى القرآن (١٩٩٣/٣/٣٠) نحن نقدر عمر ولكنه ليس بخليفة على الاطلاق بل هو امير المؤمنين والامير كلمة اخذها من فارس (١٩٩٠/٩/٣٠) كيف يمكن لشخص بعمامته ولحيته وعكازه ان يحكم العالم (١٩٩١/٣/٣٠)

١٨ ـ مقال بالاخبار بعنوان:« بل هو دفاع عن الازهر» انظر كتاب الحوار او خراب الديار.

١٩ ـ بالمناسبة فـقد صودر فعلا كـتاب لنا وقدمنا للمحـاكمة ، كما صـودرت النشرة التى كنت اصدرها وحكم على واولادى بسببها بالسجن ثلاثة شـهور فلم نقم مناحة ولا كتبوا حرفا فى استنكار ذلك، بل بالعكس هناك كتاب فى السوق من هذه الجماعة يستنكر مصادرة كتابى ، مما يكشف نوعيتهم ومدى الصدق فى نحيبهم على حرية الفكر!

٢٠ ـ توجد عمليات مشـابهة فقد اعترف عميد احدى الكلـيات انه لكى يمنع الحجاب او النقاب فى كليته استأجر طالبا من كلية اخرى واتفقوا معه على ان يحاول دخول الكلية منقبا ويقبض عليه الحرس وتصبح فضـيحة .وتم ذلك فعلا واستغلها العمـيد فاصدر قرارا بمنع الحجاب او النقاب ودفعوا للطـالب اجرته مع بعض الاقلام والشلاليت !وكان العمـيد يروى هذه القصة مفتخراقائلا بعشرة جنيـه حليت مشكلة الحجاب فى كليتى ! ترى كم يتكلف تلميع خائب وترويج بائر !

٢١ ـ لما انتقدت المستـشار فى جريدة الاخبار لم يدخر نفوذا او اتصـالا لمنعى من الكتابة . وقد نجح.

٢٢ ـ ما جاء فى تفسير آية ان هذان لساحران طه ٦٣

تفسـير الجلالين ص ٣٧٩ (٦٣) قـالوا لأنفسهم إن هذان وهو مـوافق للغة من يأتى فى المثنى بالالف فى احواله الثلاث ولابى عمرو : هذين لساحران يريدان

الطبرى (جامع البيان)

ص١٣٦ قالوا فى نجواهم ان هذين الساحـران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم قالوا ان هذان لساحران يعنون بقولهم ان هذان موسى وهرون لساحران يريدان. كما حدثنا بشر قال حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قـوله ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكما من ارضكما بسحـرهما موسى وهارون وقد اخـتلف القراء فى قراءة قوله ان هذان لسـاحران فقرأتـه عامة قراءالامصار ان هذان بتشديد إن وبالالف فى هذان ، وقالوا قرأنا ذلك كذلك . وكان بعض أهل العـربية من أهل البـصرة يقول ان خـفيـفة فى مـعنى ثقيلة ، وهى لغـة يرفعـون بها ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التى تكون فى معنى ما ، وقال بعض نحويى الكوفة ذلك على وجهين احـدهما لغة بنى الحرث بن كـعب ومن جاورهم يجعلون الاثنين فى رفعـهما ونصبهـما وخفضهـما بالألف ، وقد انشد فى رجل من بنى اسـد من بعض بنى الحرث بن كعب

مساغا لناباه الشجاع لصمما　　　فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى

قال وحكى عنه ايضا هذا خط يد اخى اعرفه قـال وذلك وإن كان قليلا اقيس لأن العرب قالوا مسلمون فجعلوا الواو تابعة للضمـة لأنها لا تعرب ثم قالوا رأيت المسلمين فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم قالوا فلمـا رأوا الياء من الاثنين لا يمكنهم كسر ما قبلها وثبـت مفتوحا ، تركوا الالف تتبعه فقالوا رجلان فى كل حال قال وقد اجتمعت العرب على اثبات الالف فى كلا الرجلين فى الرفع والنصب والخفض وهما اثنان إلا بنى كنانة.

٢٣ ـ انظر رسالة ماجستير للاستاذ خالد كشك من جامعة يوتاه بعنوان :محمد والقبائل اليهودية الثلاث فى المدينة ١٩٨٧

٢٤ ـ ليست الكارثة فى الاخطل المسيحى الذى جعلـه من المهاجرين بل هو يخلط بين عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز خلطا معيبا فاضحا للجهل والتجرؤعلى التاريخ الاسلامى انظر ص ١٥٠/١٥١

٢٥ ـ نعتقد ان المقصود هو تبنى ماركس نظرية فائض القيمة وربطها بالعمل ، وهو تطوير لأخذ البروتسـتانت والبورجـوازية بترجيح العـمل على الامتيازات المـوروثة أو الدم النبيل ، وكله مأخوذ من الاسـلام الذى يجعل العمل وحـده مصدر الحق وأساس الشرعـية ، وهو لذلك يحرم الربا .

٢٦ ـ فلو قال المشرع او الفـقيه ان من حق الملك قتل جميـع الرجال فذلك يعنى انه لا يحق له قتل النساء والاطفال . . مع الاعتذار لضرب مثال اشـبه بطريقة شرشر . لكن أُمرنا بمخاطبة المستشارين على قدر عقولهم !

٢٧ ـ لسوء حظ المسـتشار وجدنا هذا النص من وشنطن عن رويتـر كتب الن السنر ALAN ELSNER يقول ان موظفا كبيرا اشترك اخيـرا فى التحضير لاجتماع يوليو القادم للدول السبعة الصناعية الكبرى فى ميـونيخ ذهب الى هناك مسلحا بتقرير عن الاسلام الاصولى فى حقيبته . وان اول نتيجة لدراسة الولايات المتحدة للمشكلة كانت قرارا بتجنب تعبير الاسلام الاصولى . . . بل تفضيل تعبير الاسلام السياسى!!

يمكن خدوها عن المستشار!! كفى ادعاء إن هو إلا أمر صدر أمر ينفذ وشعار يغير!

٢٨ ـ تغييـر الصفويين لمذهب أهل ايران له تفسيرات طويـلة ولكن نكتفى هنا بالاشارة إلى أن

التشيع كان يعبر عن نزوع القومية الفارسية للخروج من التبعية الروحية للعرب ومذهبهم السنى . ثم اصبح التشيع قضية وجود ازاء خطر الخضوع للترك المنافس الرئيسى فى اسيا المسلمة الى اليوم . ان الاحتماء خلف المذهب الشيعى لمقاومة الامتداد التركى العثمانى السنى يشبه الى حد كبير ظهور كنيسة انجلترا ضد التوسع الاسبانى الكاثوليكى كما اوضحنا فى اول هذا البحث .

٢٩ ـ فى موضع اخر يحاول ترضية القارئ المسلم فبعد العرض الفاسد لتاريخ المسلمين الذى يستغرق صفحتين يسأل مستنكرا «فهل يعنى ذلك ان القيم الاسلامية لم تقم ابدا» ويحكم على نفسه «لأنه هو الذى قال انها لم تقم فى احسن الاحوال الا حوالى ١٢او ٢٢ سنة فى طوال عصور الحكم الاسلامى» ان الذى يقول ذلك هو «جاهلى الخلق جاهلى الفهم»١٢٩ صدقت !!

٣٠ ـ مثل اصرارهم على مناقشة الحجاب على انه التقنع اى لا يرى من المرأة الا العينان . رغم ان الاتجاه العام والغالبية العظمى من المحجبات يرفضن هذا التفسير ويمارسن الحجاب البسيط وهو الزى المحتشم الذى يتميز اساسا بتغطية الرأس والسيقان !

٣١ ـ كان الرئيس كلينتون يتفقه فى اكسفورد ويعد نفسه للعمل السياسى أو الجهاد الاكبر .. ومع ذلك لم يغفر له تخلفه عن «الجهاد» الامريكى فى فيتنام !

٣٢ ـ فى احدى لجان الكونغرس التى تناقش المعونة الامريكية لمصر هذا العام ١٩٩٣ قالت عضو ان جهود مصر فى تحديد نسل المصريين غير مقبولة وأقل مما يجب ووعدها ممثل الحكومة الامريكية خيرا !

٣٣ ـ انظر كتابنا : خواطر مسلم عن الجهاد والاقليات والاناجيل الصادر فى ابريل ١٩٨٤وقد سبق نشر ما فيه فى مجلة التضامن سنة ١٩٨٣ بينما صدر كتاب المستشار ١٩٨٧

٣٤ ـ اسلافه من المستشرقين قالوا ان القرآن ليس كتابا دينيا لما ورد فيه من آيات القتال والتجارة والعقود والميراث والزواج والطلاق .. وهذا يحكى بالمقلوب .. احترت فيكى يا بخره ابوسك منين ؟ !

٣٥ ـ وهو لا يكف عن محاولة ايجاد تعريف جديد للاسلام فيقول :« الاسلام ليس دينا لجماعة ولا شريعة لأمة لكنه دين مفتوح للكافة »٢٣٨

هذا تعريف المسيحـيين الاوائل للمسيحية ولكن الاسلام هو دين اى جـماعة مسلمة وهو شريعة لكل امة مسلمة وهو دين مفتوح للكافة .

٣٦ ـ وسيحاول تخويفنا بتـهمة التهود مرة اخرى عندما يقول لنا ان تعبـير «إسلامى» هو تعبير اسرائيلى !ص ١٣٢

وهو غير صـحيح . . ذلك لو قلنا محمـدى . . اما تعبير اسـرائيلى فهو تعبـير قبلى عنصرى اى اولاد الشخص المســمى اسرائيل المكونين لقبيلة بنى اسرائيل لكن اسـلامى نسبة لدين كل انسان يملك الدخول فيه فيصبح اسلاميا فهو لا يقوم على دم ولا نسب .

٣٧ ـ الحاكمية د/ محمد احمد خلف الله الاهالى ١٧ مارس ١٩٩٣

٣٨ ـ فقد ذكر مؤلف المسيحية السيـاسية فى مصر ان اسقف البحث العلمى الأنبا غوريغوريس « يرى ان الكتاب المقدس هو المصدر الاول لتنظيم حياة البشر من جميع جوانبه» ويضيف وفى عبـارة واضحة ان الكتـاب المقدس شمل ايضـا الاحكام القضائيـة فى شئون الفـرد والاسرة والمجتمع بما يعـرف بالشريعة القضائية وهى اشـارة واضحة الى ان المسيحيـة دين ودنيا بينما يرى الدكتور قـلاده ان المسيحيـة لم تضع قوانين وشرائع ، على عكس ما يذهـب اليه الأنبا غريغوريوس.

٣٩ ـ الحياة عن رويتر ١٩٩٣/٣/٢١

٤٠ ـ انظر كيف يتحايل اليـهود على تشريعاتهم . . وهو الموضوع الذى شغل صـحافة بريطانيا فى مطلع عام ١٩٩٣فـالمعروف ان اليهـودى يحرم عليـه يوم السبت اذا خرج من بيـته ان يستـخدم اى عـجلة او ان يحمل مفـاتيح . .أو يلتقط نضـارته اذا وقعت . . الخ وقـد افتى الحاخامات بجواز حمل المدافع الرشاشةوركوب كل عجلة من الدبابة الى الطائرة لقتل العرب كل سبت!اما علينا . .ولكن الـيهودى فى امريكا وبريطانيا يريد ان يتـحرك يوم السبت دون ان يخالف تعاليم دينه فاخترعوا الحرم او ERUV وهو كما قالت التايمس من اختراع التلمود وينسب للملك سليـمان واضافت الجارديان «انه يوجد جزء كـامل فى التلمود يشرح كيفـية اقامته ووضع الاسـلاك والاعمدة لتأكيـد هويتها اليهـودية دون ان يتأثر الاخرون .» ١٩٩٣/٢/٢٤ «ويسمح بالمشى بعصاية او على كرسى بعجل لأنهـم يعتبرون كما لو كانوا فى بيت كبير حيث يمكنهم داخل هذا الحرم الذى اصطنعه احبارهم حمل مفاتيح ومناديل ونضارات ويدفعوا عـربات المقعدين يوم السبت وعربات الاطفـال . واضافت ان اليهود فى

شمـال برنت بلندن يريدون تحويل ستة امـيال مربعـة الى هذا الحرم ويرفض المجلس البلدى وقالت ان هذا الحـرم مقام فى وشنطن والبيت الابيض نفـسه داخل هذا الحرم وكل كابـيتول هيل وعندما اجتمع ماجور وكلينتون كانا داخل هذا الحرم»(التايمس ٢٥/ ٢/ ٩٣)

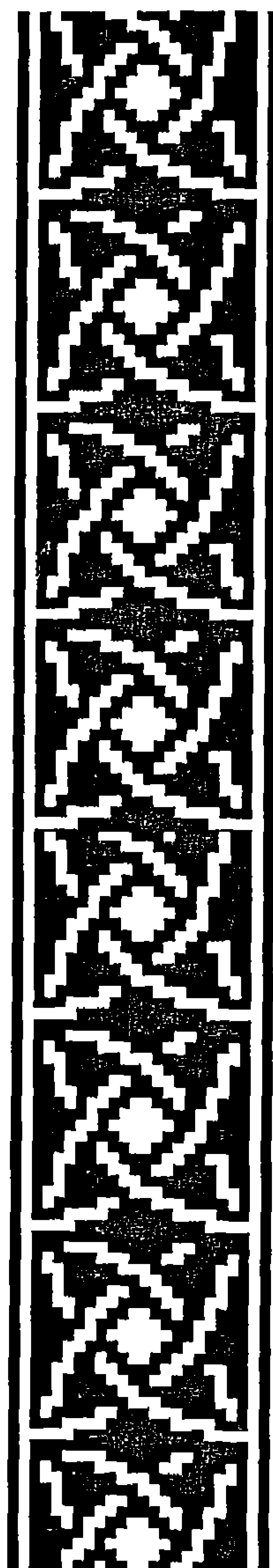
٤١ ـ سيدنا على هو الذى وضع حد الخمر وكـان فى نفسه شئ منه لأنه من تشريعهم ولم يرد حرفيا فى القرآن ولا السنة واشبعناه بحثا وقلنا ان من حق الحاكم اليوم تعديل العقوبة ، بل والاكتفاء باجبار السكير على الدخول فى برنامج علاجى ، ولكن القول بأنه مادام لم يفرض حد فـهى مباحـة او يمكن اباحتهـا هو قول باطل . . انظر كتـابنا خواطر مـسلم فى المسألة الجنسية .

٤٢ ـ انظر مقـالا عن اول تعاون بين المخابرات الروسـية والامريكيـة بعد انتهاء الحـرب الباردة وموضـوعه هو محـاربة الاسلام فى الوشنطن بوست بتاريخ ٢٥ يونـيه ١٩٩٢ بقلم الكاتب الامـريكى جيم هوجـلاند. ،ونشرناه فـى كتـابنا : الحوار أو خـراب الديار . وانظر مقـال صمويل هنتجـون الاستاذ بجامعة هارفارد بعنوان صدام الحضـارات بتاريخ ٩١ اكتوبر ١٩٩٢ المنشور مع الرد عليه فى نهاية هذا الكتاب .

٤٣ ـ انظر مقال العار لعادل سيف النصر وسعد زهران فى الاهالى

٤٤ ـ كان المبشرون يبعثون كل سنة رسالة من قارئ للصحف فى بلد اسلامى يشكو فيها القارئ المزعوم انه وضع امواله فى بنك والتزم بتعليـمات الاسلام ، فلم يأخذ الفائدة ، التى اخذها البنك فبنى بها كنيسة !

تعليق على محاضرة
صمويل هنتغون
عن حرب الحضارات



حرب الحضارات..
بعد حرب الكواكب !

الغرب يعلن الحرب على المسلمين !

بعد حكاية نهاية التاريخ باعلان انتصار الحضارة الغربية ، وبعد الدراسات التى تحدثت عن الحاجة لعدو يتحد الغرب فى محاربته ، وبعد انتهاء حرب الكواكب بسقوط الاتحاد السوفيتى، جاءت نظرية «حرب الحضارات» يعلنها أحد أكبر اساتذة العلوم السياسية فى الولايات المتحدة الامريكية ، ومفهومها ان الصراع الابدى بين البشر، هو صراع حضارات. وان الحرب الدائمة والقادمة هى بين الحضارة الغربية بزعامة امريكا ضد الحضارتين الاسلامية والكونفوشيسية (اى الصين وتوابعها مثل تايوان وهونج كونج. .الخ)

البروفسور هو صمويل هنتينجتون استاذ علم الحكومات ومدير مؤسسة جون اولين للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد. وهذه المحاضرة هى ضمن دراسة استراتيجية ا بعنوان : «المصالح الامريكية ومتغيرات الأمن». وقد نشرت عدة مرات آخرها فى مجلة الشئون الخارجية يونيو ١٩٩٣ وقد احببت أن أطلع عليها القراء فى ما يقرب ان يكون ترجمة كاملة مع بعض التعقيبات . .

وبالنسبة لى ليس فيها من جديد ، بل ازعم اننى طرحت معظم افكارها منذ ربع قرن وكتبى فى السوق لمن شاء التثبت، بل ان بعض الجمل والاطروحات تكاد تكون منقولة حرفيا من كلامى مثل ان الحضارة هى الدين وانه لا خيار فى الهوية الحضارية «القومية والغزو الفكرى٩٦٦» واستعانة روسيا بفلسفة غربية لتحدى الغرب، واتحاد الغرب مع روسيا لضرب الصين «الماركسية والغزو الفكرى ١٩٦٤»

ومثل وهم الزعم بأن العالم يسير الى حضارة عالمية واحدة «الجهاد ثورتنا الدائمة

١٩٦٩» و ان الصراع الدائم هو بين الحضارات ، وان القوميات حقيقة أزلية ليست فى طريقها للزوال ، وان افضل تعبير عن المصالح القومية يتم فى اطار الرسالة الحضارية بالدين «القومية والغزو الفكرى ١٩٦٦ودخلت الخيل الازهر١٩٧٠» . . الخ ولا أزعم أن الرجل سرق افكارى ولكنها كما رأيتها منذ ربع قرن حقائق بديهية ساطعة لمن أراد أن يرى . . ولا شك اننا تأثرنا معا بتحليلات توينبى .

وكل هذه الاراء موجودة وممارسة من قبل الحضارة الغربية المتفوقة منذ اربعمائة سنة ولكن أهمية مقال صمويل الذى اظنه يهوديا انه يعرضها بصراحة وفجور وهو مسلك غير مستغرب بعد أن انفرد الغرب وبالتالى الولايات المتحدة بالسيطرة المطلقة على العالم أو على الاقل على «الاخر» اى الذى ليس من الحضارة المسيحية الغربية، لم تعد المنافسة مع الاتحاد السوفيتى تلزمهم باخفاء النوايا او تخير الاسماء، لم تعد هناك حاجة لانتحال اسم العالم الحر . . بل هو الغرب يواجه الاخرين وهم كل من ليس مسيحيا أبيض !!

ولنترك الدكتور او البروفسور يتكلم فيقول : «نظريتى تقوم على ان التناقض الرئيسى فى النظام العالمى الجديد لن يكون ايديولوجيا ولا اقتصاديا ، بل ان الانقسام الكبير بين الناس والقوة المهيمنة على التناقض بينهم هى الثقافة . ورغم ان الدولة القومية ستظل اقوى عنصر فى الشئون العالمية الا ان التناقض الاساسى فى السياسة الدولية سيكون بين مختلف الحضارات ، والصدام بين هذه الحضارات هو الذى سيسيطر على السياسة العالمية ، حيث تشكل حدود هذه الحضارات ساحات القتال المقبل. ان صراع الحضارات سيكون اخرمرحلة فى تطور صراعات العالم الحديث » « فمنذ صلح وستفاليا الى الثورة الفرنسية كان الصراع يدور اساسا بين الامراء والاباطرة وبين الملكيات المطلقة والملكيات الدستورية، كل منها تحاول مد سلطانها وزيادة قوتها العسكرية والاقتصادية وأهم من ذلك زيادة مساحة الارض التى تحكمها، وخلال ذلك انشأوا الدولة القومية، ومنذ الثورة الفرنسية اصبحت الخطوط الاساسية للتناقض هى بين الامم وليس الامراء ، او كما قيل ؛ انتهت حروب الملوك وبدأت

حروب الشعوب ، وقد استمر ذلك الى نهاية الحرب العالمية الاولى . ليسيطر التناقض الايدلوجى بفعل الثورة الروسية وما اثارته من ردود فعل . . ومع نهاية الحرب الباردة تحركت السياسة الدولية خارج اطارها الغربى واصبح محورها هو بين الغرب والحضارات غير الغربية . »

البروفسور يبدأ نظريته ـ التى هى بلا شك مستمدة من تحليلات توينبى فيلسوف التاريخ ـ بالارتباك فهذا الذى عرضه يوحى كأن الصراع لم يبدأ بين الحضارات وهذه احدى تناقضات البروفسير الكبير ، اذ يرى التاريخ بمنظور التعصب الغربى أعنى أنه يدور فى أوربا فقط أو حتى فى اطار الحضارة الغربية ويجعل من احداث هذا الغرب قوانين ونظريات الكون كله. صحيح ان هذه الحروب قامت فى الغرب وشكلت حروبه الاهلية لكن لا التاريخ ولا العالم كان خارج الوجود فى انتظار ان يفرغ له أهل الغرب، بل اننا تتبعنا فى مؤلفاتنا كما سبقنا غيرنا مراحل الصدام بين الشرق والغرب منذ حروب طرواده ثم الصراع الفارسى اليونانى الذى انتهى بانتصار الغرب على يد الاسكندر وامتدبالرومان ، ثم انتصر الشرق بالاسلام وانتقلت المواجهة والمعركة بين الحضارة الاسلامية والحضارة الغربية المسيحية بشقيها الارثوذكسى فى الامبراطورية البيزنطية ثم البلقان ، والغربية الكاثوليكية فى غرب اوربا، واستمرت الغلبة التامة لحضارتنا ما يقرب من ثلاثة قرون، ثم هجمت أوربا او الحضارة الغربية الكاثوليكية فى ما سموه بالحروب الصليبية وطرح الصليبيون لأول مرة عبارة الحرب المقدسة و ترجموها هم الى الجهاد، ثم فرضوا ترجمتهم على لغتنا ومفاهيمنا وحاسبونا عليها ! .

وكرت الحضارة الاسلامية كرة أخرى فى القرن الرابع عشر على يد الترك الذين تولوا الدفاع عن حضارة الشرق او الحضارة الاسلامية فطردوا أو بالاحرى صفوا الصليبيين من شرق البحر الابيض والبحر الاحمر والخليج الفارسى وواصل الترك زحفهم فوصلوا الى فينا . ولكن الحضارة المسيحية كانت قد بدأت مسيرة النهوض والاستجابة الناجحة للتحدى كما يصفها توينبى ولم تؤثر فيها هذه الهزائم بل اكدت

انتصارها وبدأ الزحف او الكمـاشة بالروس من الشمال الشرقى والاسبـان والبرتغال ثم الهولنديون والفرنسيون والانجليز من الغرب ، وما كاد القرن التاسع عشر ينتصف حتى كـانت الحضـارة المسيـحية بـشقيـها تفـترس العـالم الاسلامى على امـتداده من الجزائرالى جاوه ، وتم اخضـاعه كله تقريبا منذ نهاية الحـرب العالمية الاولى. وخلال ذلك كانـت حروب الغرب وحـروب الشرق او المسلمـين الداخليـة قائمة عـلى قدم وساق . .«انظر كتابنا : فى المسألة الجنسية» ومن ثم لا معنى للقول ان المواجهة بدأت بعد انتهاء الحروب الداخلية . . ولا نوافقه على ان الحروب الداخلية فى الغرب انتهت او مستحـيلة التصور كما يقول ، بل كل الذى حدث ان الـغرب احس بخطر التحدى اللاغربى فـتنادى لوحدة كتلك التى دعـا اليها بابا الحـروب الصليبية ، كـما ان زوال الانقسام بزوال الشيوعية جعل الغرب اكثر لؤما واكـثر صراحة واكثر وقاحة فى التعبير عن سياسته وقيمه التى يمـارسها منذ اربعة قرون على الاقل ان لم نقل منذ كان غرب وشرق .

بل ويمكن القول ان أحد الحلول التى يقـترحها صمويل وامثـاله لمنع القتال داخل الحضارة الغربية هـو تجنيدها لمقاتلة المسلمين والصينيين. . اعادة الاسـتعمار الذى كان فى القرن التاسع عشر المهرب من الصراع الطبـقى فى المجتمعات الغربية ومن حروبهم الداخلية . . انها عودة لدبلوماسية واستعمارية القرن التاسع عشر ونفس الصيحة ضد الوحش الاسلامى والعـملاق الاصفـر. . صيحـات بالمرستون وجلادسـتون والقيـصر الالمانى. . انهم يخشون صراعهم فيما بينـهم فيتداعون للبحث عن عدو يوحدهم ولا يجدون افـضل من العدو التـاريخى اوالمجال الحيـوى فى اسيـا وافريقيـا او الاسلام والصين !

يشـرح الاستاذ نظـريته فـيتسـاءل « : ماذا نعنى عـندما نتـحدث عن حـضارة. . ؟ ويجيب: « فى دراسة للتـاريخ ميز ارنولد توينبى ٢١ حضارة لم يـتبق منهم فى عالمنا المعاصـر إلا ست حضـارات وهى : الغربية والكونـفوشسـية واليابانـية والاسلامـية والهندية والسلاف الارثوذكس» «ان الخلافـات بين الحضارات ليست فقط حقـيقية بل

هى أيضا أساسية، فـالحضارات تختلف عن بعضها بالتاريخ واللغـة والثقافة والعادات واهم من ذلك كله الدين . فالناس المنتمون لحضارات مختلفة ، تختلف نظرتهم حول العلاقة بين الانسان وربه وعن الفرد والجماعة ، المواطن والدولة ،الزواج والعائلة، وكـذلك تختلف النظرة حـول الحقـوق والمسـئوليـات ، الحرية والسلطة ، المسـاواة والطبقات . وهذه الخلافات هى ثمرة قـرون ولن تختفى سريعا وهى اعمق واهم من اى خـلافات سـياسـية او ايديولوجـية او حـتى خلافـات النظم السيـاسيـة . بل ان الخلافات الثقافية والدينية هى التى تخلق الخلافات السياسية . »

ونحن قلنا قبل البروفسـور ان الناس ينقسمون الى حضارات وان الحضـارات تتميز بنفس الصفات التى عددها واهمها الدين ، و قلنا ان هذه الخـصائص الثقافية يحددها ويؤثرفيها الدين وقلنا ان الذين يروجون وَهْم الحضـارة الانسانية الواحدة هم سماسرة الحـضارة المتـوسعـة. ونحن نوافق على الحـضارات التى عـددها نقـلا عن توينبى مع تحفظات سنوردها فى حينهـا ، وبالنسبة لنا نعتبـر ويوافقنا البروفسسور حـرفيا على ان العدو المـباشر والدائـم هو المسيـحية الغـربية بشـقيـها الكاثو-بروسـتانتى والـسلافى الارثوذكسى الروسى اسـاسا ، سواء اعتـبرهما البـروفسور حضـارة واحدة ام تمسك بانقسام الكنيسـة والعنصر كخط انقسام حضارى . . بالـنسبة لنا هذا هو الغرب الذى يقهر الاسلام منذ اربعة قرون ويستعد لابادته فى القرن الحادى والعشرين .

يقول «ان تحديث الاقتصـاد والتغيرات الاجتماعية التى تتم عـبر العالم تبعد الناس عن الهويات التى سـادت طويلا ، كما تضعف دور الدولة القومـية كمصـدر لتحديد هويتهم، ولذا نرى تحرك الدين على نطاق العالم كله، لملء هذا الفراغ. وغالبا ما يتم ذلك فى شكل حـركات توصف بالاصـولية . وهذه الحـركات توجـد فى المسـيحـية الغـربية والـيهـودية والبـوذية والهندوكـية ، كـمـا فى الاسلام . والذيـن ينضمـون للاصولية، فى معظـم البلدان و مختلف الاديان هم من الشباب والجامعـيين والفنيين والمهنيـين من الطبـقة الوسطى ورجـال الاعمـال. .ان مـا يجرى الان ويشكل احـد العناصر المسيطرةعلى الحياة فى نهاية القرن العشرين هو ما وصفه جورج ويجل بعملية

« الغاء علمانية العالم » ان بعث الاديان « او عودة الله» تقـدم قاعدة للهوية والانتماء ، قاعـدة تتخطى حدود القـوميات وتوحـد الحضارة. وفى نفـس الوقت وربما بسبب ذلك فإن ظاهرة العودة لـلجذورتنتشر بين الحضـارات غيرالغربيـة، بالذات، فقد بدأ الحديث يتزايد عن العـودة الى الذات والهوية الاسيوية لليـابان، ونهاية اسطورة نهرو وسيطرة الدعوة لهندكة الهند ، وفشل الافكار الغربية عن الاشتراكية والوطنية ومن ثم اعـادة أسلمة الشـرق الاوسط، والان تجرى فى وطن بوريـس يالتسـين المناظرة بين التغريب او الترويـس. وباختفاء الانقسام الايدولوجى فى اوربا عاد لـلظهور الانقسام الثقافى بين المسيـحية الغربية والمسيـحية الارثوذكسية من ناحيـة وبينهما والاسلام من الناحية الاخرى .»

الحقيقـة ان العودة للهوية الحضارية ، ان كانت قد ضللتـها على الجانب اللاغربى صـراعات القـوميـات والايدلوجـيات سنوات الحـرب البـاردة . . فإن ادراك الهـوية الحضارية - هو كما قلنا قبل عشرين سنة -وكما علمنا توينبى يقترن بالوعى بالتحدى الحضارى والاستجابة الواعية لهذا التـحدى ومن ثم النهوض لمواجهته ، وقد سبق ان قلنا اننا لم نستطع ان نعرف السر او ما سميناه ب«الاستارتر» أو المفتاح أو النفخة التى تهب فى الأمة فتـجعلها تعى التحـدى الحضارى الذى يواجههـا ومن ثم تنشط للفداء والعمل من اجل مواجهته والانتـصار عليه . . وعندما يقع ذلك تكون الأمة قد بدأت مسيرة انتصارها الحضارى ويصعب جدا قـهرها . . فى حالة الصين مثلا تفجر الشعور بالتحـدى ضد الحضارة الغـربية بقسـميهـا الاوربى -الامريكى والروسى . . ومن ثم فرغم الوحدة الايدلوجية والالتحام المذهبى باسم الشيـوعية مع الاتحاد السوفيتى زعيم المعسكر الاشتراكى الا ان اول صواريخ موجهة نصبتها الصين كانت فى اتجاه روسيا ، والقنبلة الذرية الصينية صنعت لردع روسيااساسا وضد معارضة شرسة من الروس . . فالايديولوجيات لم تخدع ولا ضللت الا الغارق فى غـيبوبة العمالة . . ويمكن القول ان غالبية الامة الاسلامـية او الشعوب الاسلامية لم تخفق فيهـا بعد نفخة الحياة هذه ولكن هناك ارهاصات متفـاوتة تدل على ادراك خطورة التحدى . . وان لم تصل بعد للاستجابة الناجـحة، بل يرى البعض ان استجابتنا هى مـن طراز الاستجابة التى ادت

لفناء الديناصور وتجمد مجتمع الاسكيمو وانتحار الحيتان .

فبينما يعلن أحد أكبر اساتذة العلوم السياسية فى الولايات المتحدة فى كبرى واشهر جامعات امريكا وفى دراسة استراتيجية حول الامن والمصالح الامريكية ، ان العالم ينقسم الى حضارات متصارعة وانه لا امكانية لامتزاج هذه الحضارات ولا لتخطى حدودها ، وان الحرب القادمة هى حرب الغرب ضد الحضارتين الاسلامية والصينية. . ومن هنا نتبين جهل وغدر الذين يبشرون بيننا بضرورة استبدال الانسانى بالقومى او الذاتى ، ويدعون لوحدة الثقافة الانسانية وتتميم النوع الانسانى !

اكبر استاذ فى الغرب يعلن انقسام العالم الى ست ثقافات متصارعة ، وان ما يقسم الناس ويفرقهم هو الثقافة . . وهم يتحدثون عن ثقافة واحدة انسانية ! الغرب يعلن انه لا وجود للنوع الانسانى ككتلة موحدة وهم يقولون العكس فمن نصدق ؟ !وماذا يجدى ايماننا او ايمان الانسان البوسنى بكلام الكراسى اذا كان الغرب القوى لا يعترف بإنسانيتنا ولا بوحدة الثقافة العالمية بل يقف متفرجا راضيا واقدم مساجد اوربا تدك دكا واقدم مكتبات واقدم مخطوطات تحرق عن عمد. . لماذا لا يغضب العلمانى لإبادة ثقافتنا فى نهاية القرن العشرين ويحتج على اضطهاد ابن رشد والحلاج قبل عشرة قرون؟! . . اليس الذى يروج للسلم بين صفوف الجيش المحاصر هو عميل للجيش الغازى . . ان كان يؤمن بالسلام والاخوة فليذهب وليبشر بهما فى صفوف الغازى الذى يدق طبول الحرب والقادر فعلا على شنها . . ماذا يجدى الحمل ان يتحلى بكل العواطف النبيلة حول اخوة الجنس الحيوانى . .ان كان الذئب مصمما على التهامه ؟! اى صدق واى شرف عندما يستشهد مسئول عن الثقافة فى زمن القحط بكتاب «اسلام النفط» وهو يعلم ان مؤلفه حاصل على جائزة نفطية وتطبع كتبه دار نشر نفطية وانه شد الرحال لقبض الجائزة من جهول ليس له الا مال النفط . . اذا استنكرتم اسلام النفط فلماذا لا تستنكرون كفر النفط؟! ولماذا تتركون صحافة مصر المفتوحة لكم على البحرى بل ومجلاتكم الخاصة التى نهبتوها من تكية القطاع العام . . تتركون ذلك كله وتهرعون للكتابة فى صحف النفط ؟! وقبل ان نستكمل

حديث البروفسور الحقيقى نقف لحظة عند جهالة خرج بها احدهم الاسبوع الاسبق عندما حدثنا عن الاسلام الحضارى وكأنه يعنى الاسلام المتحضر المتمدين المهذب او كما كانوا يقولون العصرى فى مواجهة الاسلام المتخلف او اسلام المتخلفين . وقديما كنا نقول ليس المطلوب من كل مشتغل بالسياسة ان يكتشف الصواب بل على الاقل ان يستطيع التعرف على الصواب عندما يعرض عليه ، ولكن هاهو من لا يعلم ولا يريد ان يتعلم ويأبى الا ان يعلم الناس ! ولأننا اول من طرح تعبير الاسلام الحضارى باللغة العربية ، نقول انه لا علاقة له بهذا التفسير السوقى بل هو ان سمح المجال باختصار شديد الاسلام الجيوبوليتيكى او الجغرافى اى المنطقة الجغرافية التى شكل الاسلام تاريخها وثقافتها ومن ثم حضارتها ، فكما نقول الحضارة المسيحية الغربية ويشمل ذلك المسيحى الكاثوليكى والبروتستنتى والمورمونى واليهودى المندمج والملحد الذى لا يؤمن بالمسيح اصلا او كما نقول الصهيونية وهى تضم نسبة كبيرة من الملاحدة بل والمسيحيين . . كذلك فالاسلام الحضارى يضم كل شعوب المنطقة الممتدة من المغرب الى اندونيسيا بصرف النظر عن مذاهبهم بل واديانهم بل هو يضم غير المتدينين بل ان بعض هؤلاء اخلص لاسلامهم الحضارى من المتدينين العملاء . ولاشك ان مكرم عبيد المسيحى كان رائدا من رواد الاسلام الحضارى عندما قال انا مسلم وطنا نصرانى دينا .

ونعود للاستاذ الامريكى الذى يقول « ان الغرب الذى هو فى قمة قوته يواجه اللاغربيين الذين بدورهم تتزايد رغبتهم وارادتهم ومواردهم لاعادة تشكيل العالم بطريقة لا غربية . فى الماضى كانت النخبة فى المجتمعات اللاغربية هم الاكثر تغربا ، درسوا فى اكسفورد والسوربون او ساندهيرست وتشربوا مواقف الغرب وقيمه، بينما كانت جماهيرهم عادة لا تزال غارقةفى ثقافتها المحلية ، اما الان فإن النخبة فى هذه البلدان غير الغربية هى التى ترفض التغريب وتتمسك بالهوية بينما تنتشر بين جماهيرها اساليب الثقافة والعادات الغربية والامريكية بالذات . »

وهو بالطبع يقصد النخبة التى فى يدها صنع الاختيار الحضارى . . وفعلا كانت

هذه النخبـة فى القرن التاسع عشر والنـصف الاول من القرن العشرين مـتغربة الروح والقيم والمنهاج فكـانت تفكر على الطريقة الغربية حـتى وهى تحارب الغرب . . ومن ثم فشلت فى تحريك الجماهير التى كانت بمعـزل تام عن ثقافة الغرب وقيمه . . ولكن منذ النصف الثانى للقرن العشرين تصدرت لمعاداة الغرب عناصر لم تدرس فى جامعات الغـرب ولا سافرت للـغرب بل ولا حتـى شاهدت افلام الـغرب. بينمـا الجماهـير، تعرضت لتأثير الاعلام الغربى .

فهل تشكل المعادلة الجديدة سلبيات اكبر او ايجابيات . . ؟

نميل للقول انها تخلق وضعـا افضل لأن القيادة غير مسممـة بالتفكير الغربى وفى نفس الوقت الجماهير اكثر استعدادا لقبول التحديث بحكم اطلاعها على التقدم العالمى وكما يقول باحث مصرى ان التغيير الكيفى او الانتصار الحضارى لا يمكن انجازه الا بمزيج معـتدل من الانعزال والاسـتعلاء والانفـتاح معـا . . ولعلنا نذكر كـيف فشلت القيادات المستغربة فى تركيا ومصر وغيرها فى تحقيق التقدم بسبب رفض الجماهير تحت تأثير عـاملين : شكها فى هذه القـيادات لأنها تتكلـم كعدوها الغـربى ، ولأنها – اى الجماهير – كانـت متخلفة معزولة تماما ومن ثم لا تدرك اهميـة التكنولوجيا . . ومرة اخرى لاحظ ان الاستاذ فى هارفارد لا يخطئ مرة ويقول الحضارة الإنسانية بل العالم عنده ينقسم الى الغرب واللاغربيين .

يقول :«فى الصراع الطبقى والايدولوجى كـان اهم سؤال او مفتاح الموقف . هو فى اى جـانب انت ، وكان الناس بوسـعهم ويخـتارون فـعلا هذا الجـانب او ذاك، ويملكون القدرة على تغيير اختياراتهم . . ولكن فى صراع الحضارات يصبح السؤال هو : من انت ؟ والاجابة عليـه ليست اختيـارية ولا يمكن تغييـرها ، وقد رأينا فى البوسنة والقوقاز والسودان ان الاجابة الخطأ على هذا السؤال يمكن ان تعنى رصاصة فى الرأس . ان الخلافـات الدينية اكـثر حدة من العنصـرية واعمق تفـرقة .ان الدين يفرق بحدة وتماما بين الناس فالشـخص يستطيع ان يكون نصف فرنسى ونصف عربى بل ويمكنه ان يصبح مواطنا فى البلدين ولكن يستحيل ان يكون نصف مسلم ونصف

كاثوليكى.»

ولعل الذين قرأوا كتبنا يذكرون اننا اكدنا انه لا خيار فى الهوية الحضارية -وان اختلفنا بشدة مع الاستاذ كما سنوضح - قلنا ان الهوية الحضارية مثل لون العينين لا يمكن تغييره وانها ليست اختيارا بل قدرا تحدده لحظة الميلاد عند نقطة معينة من خطوط الطول والعرض ، وانت لا تستطيع ان تنتقى او كما يقول البروفسور لا تستطيع ان تكون نصف مسلم ونصف كاثوليكى او مصرى وتنتمى فى نفس الوقت للحضارة المسيحية الغربية ! لن تكون اكثر من عميل او مسخ .وقد ضربنا مثلا قبل عشرين سنة بالغراب الذى اراد ان يحاكى مشية العصفور فنسى مشيته ولم يدخل ابدا فى زمرة العصافير ، بل اصبح اقبح الطير مشيا . ان اردت الانتماء لحضارة اخرى فيجب ان تنسلخ من جلدك ، يجب ان تهاجر اليها وتفنى فى احشائها.

الانتماء الحضارى لا يستورد ولا يستعار ولا يتخذ بقرار ، وقد اراد اسماعيل باشا ان يجعل من مصر قطعة من اوربا ، فتحقق له ما اراد بأن أُلحقت مصر بأوربا ولكن كمستعمرة ! وامامنا تجربة تركيا عبرة لمن يعتبر ، ولن نكرر ما قلناه عن تركيا قبل ربع قرن وانما نترك الكلمة للخواجه الذى يقول : «واذا كانت هناك خطوط واضحة تفصل بين الحضارات فإن هناك تجمعات او دول مشوهة الهوية ممزقة الانتماء ، فهى توجد فى حضارة وتحاول ان تنتمى لحضارة اخرى » «ان تركيا دولة ممزقة فقد اتبع حكامهاحتى اواخر القرن العشرين ، سياسة اتاتورك واصروا على ان تركيا دولةعلمانية حديثة غربية، وضموا تركيا للغرب فى الناتو وحرب الخليج وتقدموا بطلب لعضويةالجماعة الاوربية ، بينما نجد عناصر فى المجتمع التركى تؤيد البعث الاسلامى وتعتبر ان تركيا هى أساسا مجتمع شرق أوسطى ، ويضطر الزعماء المتأوربون الى مجاملة الاسلام «حج اوزال لمكة».

وفى نفس الوقت الذى تصر فيه النخبة التركية على وصف مجتمعها بأنه غربى ، فإن النخبة فى الغرب يرفضون قبول تركيا بهذه الصفة. وقد تأكد للأتراك أنه لا أمل لهم فى الانضمام للسوق الاوربية . . والسبب الحقيقى هو كما قال الرئيس تورجوت

أوزال «لأننا مسلمون وهم مسيحيون ولكنهم لا يقولون ذلك صراحة». فالجماعة الاوربية تقوم على أساس الثقافة الاوربية والمسيحية الغربية.. وأصبح السؤال ..أين تذهب تركيا بعد أن نبذت هى مكة ونبذتها بروكسل «مقر السوق الاوربية» فأين المفر؟! لعل طشقند تكون الجواب ..»

هذه هى النتيجة التى تنبأنا بها لتركيا قبل ثلاثين سنة .. والتى اقتنع بها اخيرا قادتها الذين لم يتركوا قبيحة الا وتجملوا بها ليروقوا فى عين الاوروبى فإذا به يرفضهم فى احتقار، خسروا الدنيا والاخرة كما يقول البروفسور شامتا .. خسروا زعامة الشرق ورفضت اوربا قبولهم ولو غاسل صحون فى مطابخ الغرب .. اوربا لا تكتفى برفض ادخالهم السوق الاوربية وتقبل اليونان وستقبل شرق اوربا بل ترفض وجود الاتراك على ارضها .فالمسلمون البلغار بل والبوسنيون يذبحون بتهمة انهم اتراك بصرف النظر عن مدى صحة ذلك .. والاتراك الذين هاجروا الى اوربا قبل نصف قرن يذبحون هم واولادهم الذين يحملون الجنسية الالمانية .. الان يفيق التركى امام خرافة كل ما سمع وصدق عن علمانية اوربا وحرية العقيدة والمجتمع المتكافئ الفرص والتعايش مع الاخر ووحدة الانسانية وان كل ما عليه ليقبله الغرب هونبذ دينه وتاريخه وثقافته ولبس البرنيطة ومنع تعدد الزوجات والكتابة من الشمال لليمين وترجمة سخافات سلمان رشدى .. ويفعل ذلك كله فيركله الغرب بحذائه .. وها هو يذبح لأنه تركى ، حتى لو كان اكثر علمانية من حليق الرأس الالمانى الذى يذبحه ورجل البوليس المتستر عليه ، بل هو بالتأكيد اقل تدينا منهما .. وهذا جزاء من صدق خرافة العلمانية .. والانتماء لحضارة العصر .. بينما فلاسفة الغرب لا يذكرون الا قرون المواجهة ويشحذون سكاكينهم بمداد التعصب التاريخى ..

أما حكاية أن الطريق الوحيد المفتوح لتركيا هو طشقند بمعنى ان تنزع جمهوريات آسيا الوسطى فهو طريق تم اغلاقه منذ قرون وليس لدى الروس أى أوهام عن استخدام تركيا او علمانيتها .. هذه الاوهام التى حاول الامريكان زراعتها للتغرير بالروس وسحب الجمهوريات منهم بحجة ان تركيا العلمانية اهون واقدر على تصفية

الاتجاه الاسلامى وان تسليمها قيادة هذه الجمـهوريات اقل خطرا من استقلالها بتيارها الاسلامى او ارتباطهـا بايران . . ولكن روسيا العدو التـاريخى للاسلام والتى اقامت امبراطوريتها على اشلاء الممالك الاسلامية فى اسيا الوسطى. وروسيا ايضا ليس لديها مـا تتودد به للغـرب الا ما ذكـره جورباتـشوف عن دورها التـاريخى فى محـاربة الاسلام. ولا ندرى هل اطلع البروفسورعلى مقـال الصحفى الامريكى جيم هوجلاند الذى قال فيه أن تطويق الاسلام الاصولى يأتى فى قائمة اهتمامات الروس قبل اى مخـاوف من البنتاجـون أو المخابرات الامريكيـة . . وينقل عن سيـرجى ستـانكفتش المستشار السياسى للرئيس يالتسين ان روسيا ترفض اى دورلتركيا التى يمكن أن تصبح مركزا لاتحـاد يمتد فى وسط اسيـا مما يشكل عامل خطورة جديدا فى العالم . ويعـتقد مستـشار الرئيس الروسى ان ظهور قوة علمانـية مدعومة من روسيـا يمكن أن تتغلب على الاصوليـين وتمنع فى الوقت نفسـه تدخل تركيـا وايران فى دول الشرق الاوسط المجاورة لروسيـا . والان وقد مر عام على هذه المقالة يبـدو واضحا أن الحل الروسى هو الذى أخـذ به فقد أعـيد الى الحكـم فى الجمهـوريات المسلمـة عملاء المخـابرات الروسيـة والشيوعـيون القدامى الذين سـيحولون هذه الجمـهوريات الى جمـهوريات موزعلى طـراز امريكا اللاتينيـة ، تحكم من موسكو ولكن بيـد محليـة لا تتورع عن انتهاك كل قـانون واستئصـال كل مقاومة دون ان يلوم العالم الـروس بل لعل روسيا تستنكرتلك الاعمال التى تديرها مخابراتها . . فهى تلميذة نجيبة للامريكان .

ولم يقتـصر الامر على رفض الدور التركـى فى القوقاس واسيـا الوسطى والشرق الاوسط ولا رفض انضمامها للسوق الاوربية بل اعتقد انهم قد شرعوا فى تمزيق تركيا نفســها وطردها من اوربا . . وما حوادث العنف التـى اخذنا نسمع عنها والغـريبة عن سلوك الحركـة الاسلاميـة التركيـة والتى مهدت لهـا حركات استـفزازية وقحـة مثل الاحتفال بذكرى علوى او ترجمة كتابات رشدى . او النشاط المتصاعد للاكراد وتزايد قـوة الارمن وتوسعـهم فى اذربيـجان بدعم صـريح من الروس مما يشكل استـقـزازا واذلالا للاتراك . . ومثـله استفـزازالامم المتحـدة للاتراك فى قبرص باصـرارها على انتزاع اراض من القـسم التركى . كل هذه هى مظاهر قرار نقل المعركـة الى التراب

التركى ، شغل تركيا بما يجـرى على ارضها بدلا من ان تتطلع الى دور خارج حدودها

واتوقع ان يجروا تركيا لحرب بلقان يخرجونها بها نهائيا من اوربا .

يقول صـمويل هانتنغتـون : «تاريخياتشكل تركـيا نموذج الدولة الممزقـة الهوية . وعالميا فإن اهم دولة ينطبق عليهـا هذا الوصف هى روسيا ، حيث السؤال الدائم . . هل هى جزء من الغرب ام هى زعيمة حضارة سلافـية ارثوذكسية متميزة ؟هذا السؤال الذى كان قد خفت بانتصـار الشيوعية التى استوردت فلسفة غربيـة وروستها لتوائم الظروف الروسية وتحدت الغرب باسم هذه الايديولوجية ، هذا السؤال يعود الان بعد سقوط الشـيوعية.» «واهم خط للانقـسام فى اوربا كما اقـترح وليم ولاس يمكن ان يكون الحدود الشرقيـة للمسيحية الغربية فـى عام ١٥٠٠ وهذا الخط ينطبق حاليا على الحدود بين فنلندا وروسيا وبين دول البلطيق وروسيا بين روسـيا البيضاء(بيلوروسيا)واكرانيا حيث يفصل اوكرانيا الكاثوليكية الغربية عن اوكرانيا الارثوذكسية الشرقية ثم ينحرف غربا فاصلا ترانسلفـانيا عن بقية رومانيا ثم يتجه الى داخل يوغوسـلافيا فيمر بالضبط حول الخط الذى يفصل الآن كرواتيا وسلوفنيا عن بـقية يوغوسلافيا ، اما فى البلقان فهـذا الخط بالطبع يبرز الحدود التاريخـية بين مملكة الهابسبـورغ والامبراطورية العثـمانية . الذين يقـيمون شمـال وغرب هذا الخط هم بروتستـانت او كاثوليك وهم شركاء فى التراث المشـترك للتاريخ الاوربى . . من الاقطاعية والنهـضة والاصلاحات والتنوير والثورة الـفرنسيـة والثورة الصناعيـة . . . .وهم عمومـا افضل اقتـصاديا من الذين يسكنون شرق هذا الخط ، وهم يتطلعون لزيادة الارتبـاط باقتصاد اوربى ودعم النظم الديموقراطية . اما الذين على الشرق والجنوب فهم اما اورثوذكس او مسلمون ، هم تاريخـيا ينتـمون للامـبراطورية الروسـية أو العثـمانيـة ، لم يتأثروا الا قـليلا بالحوادث التى شكلت بقـية اوربا وهم عمـوما اقل تقدمـا من الناحية الاقتـصادية ، وفرصهم اقل من ناحية تطويرنظم ديموقراطية سيـاسية مستقره .ان الستار المخملى للثقافة قد حل محل الستار الحديدى للايدلوجية كأبرز خط لقسمة اوربا ، و كما دلت

الاحداث فـى يوغوسلافـيا انه ليـس فقط خط تمايز بل ويمكن ايضـا ان يكون خط صدام دموى .»

تعليقنا :

انه بالنسبة للصراع على الهوية فى روسيا لا نعـتقد انه سيطول ولا سيحسم لصالح الحضارة الغـربية ومنذ بطرس الاكبر وروسـيا تحاول ان تقتبس تقـدم الغرب بشرط ان تبقى روسية ، ومـا ان تجتاز ازمتها الحـالية ، وستجتازها ، وتفرغ من خـلق امريكتها اللاتينية التى اشـرنا اليها ،اى الدول التى تدور فى فلكهـا من بقايا الاتحاد السوفـيتى والتى سـتجبـر على الخضـوع لعملاء مـوسكو بالحديد والنار ومـا زرعتـه الامبـريالية الروسـية الشـيوعيـة من عوامـل التمزق مـثل اختـلاط الحدود وتداخـل القومـيات والاقليات الروسيـة (٢٥مليون روسى) الذى يشكل مسمار جـحا او الطابور الخامس ،وبالخطط الاقتصـادية الشريرة التى تجعل الكهرباء او البـترول او حتى الماء فى داخل الجمـهورية الروسـية الكبرى .فـاذا اقتـضت الضرورة لا يتورع الجـيش الروسى عن التدخل .

ما ان تفرغ روسيا من انجاز ثورتها الصناعية الثانية وترتيب بيتها ، حتى تعود للعب دورها التاريخى فى غزو الاسـلام جنوباوغربا والضغط على الصين ، والمشـاغبة مع الغرب الاوربى . .

ووفقـا لنظرية البروفسـور فإن روسيـا لا تستطيع ان تنضم للغـرب الا اذا اعتنقت المسيحـية الغربية وهو ما تحـاوله عشرات الفرق التبـشيرية التى تجتاح روسـيا بمعدلات تفوق محـلات الهامبورجر ! ولكن الكنيـسة الروسية تحركت ودفـعت البرلمان لأن يقر بالاجماع (لم يعارض الا صوت واحد) قانونا يحرم التـبشيروعندما احتدم الخلاف بين الكرملين والبرلمان الروسى دارت المفاوضات فى دير وتحت رعاية بابا موسكو.

يقول صمويل «ان الصـدام حول خطوط الانقسام بين الحضارة الغـربية والحضارة الاسلاميـةلم يخمد منذ الف وثلاثمائة سنة ، ومنذ ظهورالاسـلام فإن زحف العرب والمور لم يوقف الا فى توروز سنة ٧٣٢ ومن القـرن الحادى عشـر الى الثالث عـشر

حاول الصليبيون ونجحوا لفترة فى إعادة المسيحية والحكم المسيحى الى الاراضى المقدسة . ومن القرن الرابع عشر الى القرن السابع عشر قلب الاتراك العثمانيون التوازن ومدوا سيادتهم على كل الشرق الاوسط والبلقان واستولوا على القسطنطينة وحاصروا فينا مرتين . و بعد الحرب العالمية الاولى بدأت الامبراطوريات الاستعمارية فى التراجع . . ثم ظهرت القومية العربية وبعدها الاسلامية الاصولية .واشتد اعتماد الغرب على دول الخليج كمصدر لطاقته . واصبحت الدول البترولية المسلمة متخمة بالاموال وهم يريدون ان يتخموا بالسلاح، وقد وقعت عدة حروب بين العرب واسرائيل التى اقامها الغرب وحاربت فرنسا فى الجزائر معظم الخمسينات ، كما غزت بريطانيا وفرنسا مصر فى ١٩٥٦وذهبت القوات الامريكية الى لبنان فى ١٩٥٨ وعادت اليه. كما هاجمت ليبيا وساهمت فى احتواء ايران. وتؤيد ثلاث دول فى الشرق الاوسط الارهابيين العرب والاسلاميين .واستعرت هذه الحرب بين العرب والغرب عندما ارسلت الولايات المتحدة قوات كثيفة الى الخليج الفارسى للدفاع عن دول عربية ضد عدوان اخرى . .ولا يبدو انه من المحتمل ان ينهار الاسلام ، بل يمكن ان يصبح اكثرتوحشا وافتراسا ، اواذا كانت حرب الخليج قد جعلت بعض العرب فخورين بقدرة صدام حسين على ضرب اسرائيل واستطاعته ان يتحمل نتائج ذلك ، فإن هذه الحرب ايضا قد تركت الكثيريين من العرب يشعرون بالمذلة ، وهم يرفضون الوجود الغربى العسكرى فى الخليج وكذا السيطرة العسكرية الساحقة للغرب فى مقابل عجزهم الواضح عن تقرير مصيرهم . »

ملاحظاتنا :

ها نحن نرى بروفسور علمانى بل ومن اكبرمفكرى السياسة الامريكية ان لم يكن اكبرهم يقسم العالم والصراع بين الامم على اساس دينى ولم يتهمه احد بالتخريف او الجهل والتخلف ولا حتى التطرف . . كما يفعل فينا موظفو روكفلر ومندوبو الاجهزة والمؤسسات العالمية . . وليس فى الامر اى سريستعصى على فهم من اراد ان يفهم ولا تفكير تآمرى ، بل الأمر بكل بساطة انه كما تتسلح الدول الغربية بالاسلحة النووية

والصواريخ ، وتعتبـر امتلاكنا لها فعلا قبيحـا تنهى عنه كل الشرائع والقيم ! ومن ثم تتولى هى تطهـيرنا وتحريمه علينـا بكل الوسائل بل وتركب كاميـرات وتعين مفتـشين لضمـان عدم مـحاولة اى بلد عربى لدخـول نادى الكبار . . كـذلك تمتلك هى الوعى بأهمـية الـدين ودوره في انتصـارهم واخـضـاعنا . . وتحرم ذلك عـلينا لكى يكون نصرها اضمن وارخص. . !

فى اكـبر جـامعـات امريكا يتـحدث البـروفسـور عن الحرب الابدية بين الاسـلام والمسيحـية الغربية منـذ ظهر الاسلام الى حرب الخليج ! ونحن يحـرم علينا ان نهمس بذلك! والغريب ان اكثر من ثلثى العرب وغالبية الدول الاسلامية ،كانوا مع الولايات المتحدة فى حرب الخليج ولكن البـروفسور ومفلسفى السياسـة الامريكية يصرون على انها كـانت حلقة فى مسلـسل الصراع بين الغرب والاسـلام ، وهكذا قدمهـا الاعلام الغربى والامـريكى بالذات لكسب تأييد رجل الشارع وعـضو الكونجرس معـا !! لقد كان الغرب واسرائيل بحاجة لتسجـيل غزوة الخليج كصراع حضارى دينى صليبى ضد المسلمين رغم اختلاط الاوراق . . وفى نفس الوقت كـان ذلك شعور الانسان الغربى مهمـا كان موقعه لأن اى حرب ضـد العرب او المسلمين هى حرب صليبيـة من وجهة نظر الاوروبى والامريكى .

يقول :«ان العديد من الدول العربيـة بالاضافة الى كل الدول المصدرة للنفط بدأت تصل الى مسـتويات من التنمية الاقـتصادية والاجـتماعيـة لم تعد تتلاءم معـها النظم المطلقة وستصبح الحاجة الى الديموقـراطية اقوى ، بل لقدحدث فعلا بعض الانفتاح فى النظام العـربى السـياسى، ولكـن المستـفـيد الاول من هذا الانفـتـاح هو الحركـة الاسلامية فى العالم العربى ، باختصـار إن الديموقراطية الغربية تدعم وتمكن القوى المعادية للغرب .وقد يكون ذلك مجرد ظاهرة مؤقتـة ، ولكنها بالتأكيد تزيد من تعقيد العلاقة بين الدول الاسلامية والغرب. تلك العلاقة التى تعانى ايضا من عقدة العامل الديموغـرافى ، ذلك ان الارتفاع الشديد فى مـعدل زيادة السكان فى البلاد العـربية وبالذات فى شمـال افريقيـا قد ادى الى زيادة الهجـرة لغرب اوربا ، فى الوقت الذى

تتجه فيه اوربا الغربية نحو تقليل الحواجز الداخلية، مما ادى لزيادة المعارضة ضد هذه الهجرة فى كل من ايطاليا وفرنسا والمانيا ، واشتدت الميول العنصرية التى اصبح يعبر عنها علانية ، وبالعنف الذى اصبح اكثر حدة و انتشارا ضد المهاجرين العرب والترك منذ عام ١٩٩٠.»

ونقول نحن : ان الذى يعى التحدى الحضارى يعرف مخاطره ويتوقى هذه المخاطر .. والرجل يتحدث صراحة عن انهيار الاسلام ولكنه ليس مختلا مثل جمعيات التبشير التى تسرق اموال المتعصبين الامريكيين بحثهم على التبرع لتنفيذ برنامج القضاء على الاسلام قبل نهاية القرن!

لا ..هو عالم ويتحدث الى الامريكيين والاوربيين ومن ثم فالرائد لا يخدع اهله لذا يقول ان انهيار او زوال الاسلام لا يبدو محتملا (فى الوقت الحالى على الاقل ..) ومن ثم يطلق صيحة التحذير كالنذير العريان: ان الاسلام يمكن ان يكون اكثر توحشا واقدر على الافتراس بينما يجب ان يبقى فى موضع الفريسة .. بنزع انيابه ومنعه من انبات غيرها ..المسلمون ما بين فخور بمقاومة صدام حسين او مقهور من سيطرة الغرب رافض لاستمرارها والخطر الاسلامى حقيقى يتمثل فى:

* الثروة المالية التى يوفرها النفط والتطلع للتسلح بهذه الاموال ، وهذا الخطر تعهدت حرب الخليج والارغام على شراء السلاح بتصفيته فقد تم نهب احتياطيات دول الخليج باسرع وابشع مما نهبت به ثروات العالم الجديد فى القرنين السادس والسابع عشر

*التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى الدول الاسلامية والعربية يفضى بالحتمية الى تطلعات ديموقراطية والبلاد فعلا مستعدة للسير فى طريق الديموقراطية وهنا الخطر فالديموقراطية تعنى الانتخابات الحرة تعنى وصول اعداء الغرب للسلطة .. وعليه -وان لم يصرح - يصبح من واجب الغرب منع الديموقراطية بعكس كل ما يقال للتغرير بنا واذلالنا .

فالغرب الذى حكم العالم الاسلامى اكثر من قرنين لم يسمح بقيام الديموقراطية

وكـان يملك ان يفعل بنا ولنـا ما يشـاء، ولكنه خرج او طرد دون ان يتـرك ظلا من الديموقراطية فى بلادنا . . بل ودمر الاسس التى كـان يمكن ان تقوم عليها وعصف بالمحاولات الناجحـة التى وجدها ، ثم هو الذى فرض علينا الجانـب الاكبر من النظم الديكتاتورية التى حكمـتنا لصالحه ، منذ زوال حكمه المباشـر. بل لعله يبرر منعنا من التقـدم الاقتصـادى طوال حكمه ووضعـه العراقيل فى طريـقنا بعد الاسـتقلال لقطع الطريق على الديموقـراطية ! وطوال هذه القرون يتـحدث الغرب عن فقـداننا الاهلية للديموقراطية وينعى علينا عجزنا عن اقامة الديـموقراطية او حتى ادراك اهميتها رغم عشرات الالوف الذين استشهدوا ويستشهدون ضد الطغيان الاستعمارى والمحلى . . !

والان عندما بدأت شعـوبنا تحاول الديموقراطية وبدأ النظام العربى يسـتجيب ولو على اسـتحـياء ، يدق الغـرب ناقوس الخطـر ويقول : ممنوع ! لأن ديمـوقراطيـتكم سـتنتـخب من لا احـبـهم . . ويؤيد ضـرب الديـمـوقراطـيـة واحط اشكال الحكم الديكتاتورى تحت ستـار مكافحة الاصوليـة ! حتى روسيا تدعى انها تحـارب الاصولية الاسلامية باعادة عملاء الكى جى بى للسلطة فى جـمهوريات اسيا بل وسفاح الصرب يقول انه يكافح التطرف الاسلامى . . واسرائيل تحارب اصـوليةحماس وتطرف «حزب الله الموالى لايران »لن تجد بيـانا واحدا اسرائيليـا او امريكيا يقـول حزب الله اللبنانى يقاتل جيـشا محتلا لأرض لبنانيـة وانما هو حزب متطرف اصولى يريد اعـادة الامامة الكبرى واسترداد الاندلس وموال لايران !

وخلال قرنين كان الغرب يمنع الديموقراطية فى الشرق المستعمر لانها تأتى بالغوغاء او المتطرفـين او الارهابيين او الشـيوعـيين . .باسـتمـرار شعـوبنا قاصـرة وباستـمرار الديمـوقـراطيـة ثوب فضـفـاض ستتكعـبل فـيـه !واخـيرا هاهى تـقال بصـراحـة : الديموقراطيةمـحرمة على العرب لأنها ستأتى باعداء الغـرب للسلطة ولو كانوا ملاحدة من عبدة النار لقاومـهم الغرب دفاعا عن مصالحه فلا تغرر بـكم الاسماء ! ولا نحتاج لدليل فهاهو الغرب الـديموقراطى ايد عن بكرة ابيه يالتسين الذى اسـمه بالمصادفة هو مقلوب ستالين ايده الغرب وهو يضرب البرلمان المنتخب بالدبابات .

* العلاقة بين العـرب أو بين المسلمين والغرب متوترة بسـبب زيادة تعداد العرب مما يخلق تيارا للهجرة الى الغرب . . يقابل بالتعصب العنصرى والعنف ضد المهاجرين المسلمين مع الترحيب بالمهاجرين من دينهم . وبذلك يسقط اى وهم عن الديموقراطية والانفتاح والحضارة الانسانية الواحدة وحـقوق الانسان . . لقد اجبرونا اربعمائة سنة على قبول جيوش احتلالهم باسم الحضـارة الانسانية الواحدة وهاهم يرفضون المهاجر الاعزل الذى يريد ان يأكل خبـزه بعرق جبينه ويعرض ولاءه المطلق وخضـوعه لقانون الدولة التى هاجر اليها بل والتى استنزفت ثروة وطنه ودم اجـداده واستخدمته هو فى اعادة بناء اقتصادها ثم تلفظه اليوم !

واذا كان حليـقو الرؤوس فى اوربا يقـتلون المهاجر المسلم عنـدما يصل الى اوربا، فإن علمانية الحضارة الغربيـة علمتها ان منع الخطر عند المنبع اضمن واقل تكلفة واقل اثارة . . ولذلك ورغم سلامة بعض سـياسات تحديد النسل التى قد تلجـأ اليها بعض البلاد المتـخلفة كـعلاج مؤقت الا ان الحـركات الوطنيـة معذورة اذ تنظر بـعين الشك لجـهود وتـبرعـات الغـرب لوقف تزايد اهل الجنوب، لوقف خـطراغراقـهم للغـرب بالمهاجرين إن أعجزهم إرسال الجيوش . . من الطـبيعى ان يستريب العربى فى سخاء من يريد خصيه اذا كان يعـلن فوق منابر جامعاته ومؤسساته صيـحة التحذير من تكاثر نسل هذاالعربى المسلم . . هل يمكن وصـف الانسان بالحرص على رفاهيـة الحشرات لأنه يعمل لاكتشاف طريقة تمنع تناسلهـا ؟ وهل نحن بالنسبة للغرب الا حشرات تهدد محاصيله وتعكر اوقاته ؟!

ومن حق المهاجـر العربى أن ينظر بعـين الشك أيضا لكل إجـراء او دعوة تطالب بوضع العراقيل فى طريق هجرته. وللمؤامرات المزعومة التى تريد اثارة الكراهية ضده فى بلاد المهجر . . من حقه ان يعتـبر ذلك كله فى اطار سياسة منع تدفق العربى على الغرب. وهذا الذى يقال عن العربى المسلم يمارس ايضا ضد التركى العلمانى الدولة . وضد الصينى الكونفـشيوسى او الشيوعـى . والولايات المتحدة تعيش الان هيسـتيريا ضد المتطرفين العرب والمهاجرين الصينيين . . وخطة الغرب التى يدعو اليها البروفسور

هى تكسيح المسلمين والصينيين ، منع امتلاكهم للسلاح القادر على حماية استقلاليتهم عن الغرب ، منع تقدمهم الاقتصادى والتكنولوجى أى العلمى منع زيادة عددهم ، منع هجرتهم للغرب ، منع قيام الديموقراطية التى ستزيح طبقة الوكلاء الذين يحكمونهم فى اطار مصالح الغرب .

ولا تظن ان كلام البروفسور هانتنغتون هو مجرد دراسة اكاديمية ، بل هو برنامج عمل يطبق بالحديد والنار فالغرب يقف متفرجا ودولة البوسنة الديموقراطية تزال من الوجود لكى لا يكون على ارض اوربا مقر أو مستقر أو ممر للمسلمين . والغرب يقف متفرجا بل وممولا لروسيا وهى تطيح بكل الحكومات الديموقراطية التى قامت فى مستعمراتها الاسلامية بحجة مكافحة الاصوليين والغرب يؤيد سلطة الجزائر التى اغتالت رئيس الدولة وفصلت رئيس الوزراء واغتالت رئيس وزراء سابق وابنه وسائقه

يقول: «ان العلاقة بين الاسلام والغرب نظر اليها من الجانبين ، كصدام حضارات فالكاتب المسلم الهندى م. ج اكبر يقول إن « المواجهة القادمة للغرب ستكون حتما مع العالم الاسلامى . . ويقول ان االنضال من اجل نظام عالمى جديد يجتاح الدول الاسلامية من المغرب الى باكستان .وقد وصل برنارد لويس الى نفس النتيجة « اننا نواجه ما لا يمكن وصفه بأقل من صراع حضارات ، ربما تكون ظاهرة غير عقلانية ولكنها بالتأكيد ردة فعل تاريخية لصراع قديم ضد ميراثنا اليهودى / المسيحى وحاضرنا العلمانى وضد انتشارهما على نطاق العالم . »

وهذه نقطة أحب أن اقف عندها وأنبه إليها الباحثين واتمنى لو اهتمت بها جامعاتنا وخصصت لها الدراسات . . برنارد لويس هو مستشرق صهيونى بالطبع لا يدخر جهدا فى تزوير التاريخ لخدمة مصالح اسرائيل وهو يعتبر رأس المدرسة التى تعيد كتابة التاريخ الاسلامى وفقا لتعليمات الموساد . . والتى انتشرت فى جامعات امريكا واوربا حتى كادت ان تسيطر تماما على الدراسات الاسلامية . . والحديث عن هذه المدرسة وما تمارسه وما ترتكبه من تشويه يصل أحيانا الى حد الاضحاك حديث طويل جدا

«انظر حكاية اليــهود على دِينهم والمسلمون على دِينهم التى وردت فى دســتور المدينة العام الاول للهجرة وكـيف حرفها حثالة الموساد الى دَينهم بالفـتح لتعنى الديون المالية التى على كل طرف وليـست حرية العقيـدة ! وانظر حكاية أن لقب المهاجـرين أطلقه اليهود على العرب لأنهم من نسل هاجروترحم على الشيخ زبير الذى هوشكسبير!»

أى ميراث مشـترك بين اليهود والمسيحيـين الا الرفض والعداء والدم من العام ٣٢ للميلاد الى عام ١٩٣٢ بعـد الميلاد ! تسعة عشر قرنـا من الحرب الدائمة او الاضطهاد الدائم. . ؟

متى ازدرهت حـضارة او ثقافـة يهودية فى ظل المسـيحيـة قبل القرن العـشرين او تسامـحا التاسـع عشر . . هل لمع يهـودى الا بالاندماج والذوبان والانتـماء ولو على مضض من مجتمعه المسيحى ؟ ولو عدنا لتعريف البروفسور عن التمايز الحضارى فمن حقنا أن نسأل مـا الذى يجمع اليهودى والمسيحى فى حـضارة واحدة . . ؟ لا الدين ولا النظرة للاله ولا عـلاقـه الاله بالانسـان ولا الزواج ولا الاسرة ولا الـعلاقـة مع الانسان الاخر ولا الموقف من الدولـة . . ان الخلاف بين اليهودية والمسيـحية فى هذه القضايا خلاف جوهرى واساسى ولا يمكن ان يجبر او ان يجمع فى اطار واحد حتى يمكن الحديث عن ميراثنا اليهودى/المسيحى او حضارتنا اليهومسيحية. . !

هذه الاكذوبة تروج لهدفين أو تحاول أن تصيب عصفورين بحجر كما يقولون:

الهدف الاول: اقناع الغـرب وبالذات الامريكان بوحـدة الحضارة بين اسـرائيل والغرب وبالتالى وحدة المصـير ووحدة العدو وأن اسرائيل باعتبـارها جزء لا يتجزأ من حضارة الغرب فهى بالواقع تشكل طليعة أو كتيـبة أو القلعة الامامية لهذه الحضارة فى قلب العدو. . ومن ثم على الغرب دعمها وحمايتها وتمكينها من اخضاع العدو العربى الاسلامى. . وأمريكا هى زعيمة الغرب وعلـيه يجب أن تدفع الجانب الاكبر من أعباء هذا الدور . . ونحن لنا رأينا الذى سـنتعـرض له حول مـدى انتمـاء امريكا ذاتهـا لما يسمى بالحـضارة الغربية المسيحية التى تعنـى اوربا الغربية . .إذ أننا نعتـقد أن حكاية انتمـاء امريكا للحضارة المـسيحيـةالغربية واعتـبارها امتـدادا لأوربا هى خدعة فرضـها

البيض البروتستانت . . وانما الحضارة الامريكية بدأت ويجب ان تشكل تميزا عن الحضارة الاوربية فهى كانت تجمع اقليات هاربة من اوربا اساسا . امريكا ليست اوربية بل يفصلها محيط كامل عن اوربا ، وامريكا ليست بيضاء بل ان الجنس الابيض الاوروبى يتحول الان الى أقلية تزداد غربته كل عام . ولم تعد الانجليزية هى اللغة السائدة او على الاقل اللغة الوحيدة ولا اصبحت البوتقة الاوربية قادرة على صهر هذا الحشد الهائل الزاحف على امريكا من اجناس ليس لها علاقة ولا تاريخ ولا ذكريات مع اوربا الا العداء والقهر والمآسى ، فضلا عن العنصر الاسود الذى رفع عنه الحجر وهو لا يمت ولا يقبل ان ينتسب للحضارة الاوربية المسيحية البيضاء حتى لو تنصر . . ليس أمام امريكا إلا ان تقطع الحبل السرى المزيف الذى يربطها بأوربا وتخلق حضارتها المتعددة الاجناس والالوان التى تشكل ارض التلاقى بين اوربا واسيا والى حد ما افريقيا بحكم العنصر الاسود .

فإذا عدنا لمحاولة الصهيونية الزعم بوجود ميراث حضارى مشترك .

الهدف الثانى لهذا الزعم وهو متمم للهدف الاول أو منبثق منه وأعنى تغريب اسرائيل ،القضاء على الطابع اليهودى او الشخصية اليهودية او الثقافة اليهودية لحساب الاقلية المستغربة التى جاءت من اوربا لبناء مستعمرة فى الشرق تكون امتدادا وجزءا عضويا من الحضارة المسيحية الغربية ، وبذلك يتحقق «الحل الاخير» للمشكلة اليهودية تحت شعارات وعبارات شديدة اليهودية ولكنها فارغة المحتوى. . فاليهودى حقا ليس بن جوريون ولا جولدا مائيرولا اسحاق رابين ولا أى صهيونى يعتبر نفسه جزءا من الحضارة المسيحية التى رصفت التاريخ بجماجم اليهود وقضت على وجودهم حيثما استطاعت ، وقامت على استبعادهم ونفيهم من التاريخ واعتبار مجرد استمرارهم اهانة لعقيدتها وتحديا لفلسفتها. . ومازالت ترى المؤامرة اليهودية والاصابع اليهودية خلف متاعبها . . من باريس الى تفليس.

اليهود قسمان . . اليهود الحقيقيون الذين ينحدرون من شعب اسرائيل الذى ظهر فى الشرق ، وتشكل فى مصر وعاش فى الشرق وازدهر فى الشرق واقام مملكته او

دولته فى قلب العـالم العربى او الشرق وطور فكره خلال المنفى فى الـشرق .. فلما انتصرت حضارة الشرق بالاسلام الذى حـمله العرب .. عاش اليهود أطول فترة أمن واستقـرار فى تاريخهم كله واستطاعوا ان يكونوا واحـدة من مائة وردة ازدهرت فى حضارة الاسلام .. وان يبرز منهم فلاسفة وعلماء ولغويون ولاهوتيون او تيولوجيون .. وهذه هى أخصب فترة فى حياة اليهود على جميع المستويات .. وهى الفترة التى لم تشكل تراثهم فقط بل اكدت ايضا انتـماء اليهود للحضارة الشرقـية / الاسلامية أو على الاقل اكدت انفصالهم وتناقضهم مع الحضارة المسيحية الغربية بشقيها.

وكما صعد اليهود وازدهرت ثقافتـهم فى ظل الحضارة الاسلامية، فقد تدهورأيضا وضعهم مع تدهور الحضارة الاسلاميـة واصابهم اضطهاد وعنصرية وتعصب الحضارة الغربية ، فقـتلوا مع المسلمين فى الحروب الصليبية وارتفعـت صرخاتهم مع المسلمين على دواليب العذاب فى محاكم التـفتيش فى اسبانيا مع سقوط الحـضارة الاسلامية فى الاندلس حيث تألق المسلمـون واليهود معـا وهوت حضارتهم وزال وجودهـم معا .. ليطاردوا فى شرق اوربا ويهربان معا الى حمايـة الدولة العثمانية ، لاكثر من ثلاثة قرون حتى بدأت الحضارة الغربيةتقبل ذوبان اليهود فيها .

يهود الشرق او السـفارديم هم اليهود الذين ظلوا على ارتبـاطهم بفلسطين بالشرق .. هم الذين تطلعوا للعودة لاستئناف او بعث حضارتهم الشـرقية وثقافتهم اليهودية السامية ذات الجذور الشرقية العميقة . ولقد تعرضت هذه الثقافة لمحاولات الابادة من الحضـارة الغربية ، مرة بـالغزو الفكرى الهيلينى الذى يتـفق الجميع على أنه اسـوأ ما أصاب الفكر اليـهودى والشـعب اليهودى ، اذ شكل اول مـحاولة لاذابة اليـهود فى جوف الحضارة الغربيـة. . وقد استطاع اليهود مقاومتـه بالانعزال والتشبث بالاصل او نقـاوة العنصـر والفكر بنقـاوة النسل ، ولا شك ان الاصـرار على ان اليـهـودى هو المنحدر من يعقوب أو اسـرائيل هو إصرار على الانتماء الحضارى للشرق فـيعقوب أو حتى ابراهيم من الشرق جاء وفى الشرق عاش ومـات ومازالت قبورهم هنا. .واحيانا اختـاروا الانتحار على الذوبان فى الحضـارة الاغريقيـة او الرومانية .و كانت مـراكز

المقاومة اليهودية فى شرق وجنوب البحر الابيض وليس غربه . .

اما المحاولة الثانية لازالة اليهودية فقد تمت فى القرن التاسع عشر بالانفتاح ، بالديموقراطية الغربية ، التى سمحت لليهودى بأن ينتمى للحضارة الغربية ويذوب فيها وان استمر فى اداء طقوسه اليهودية بلكنة غربية . .

وقد يبدو أن الحركة الصهيونية كانت هى التعبير عن مقاومة اليهود للذوبان ، وربما تكون كذلك فعلا ولكن حيل الحضارات فى ابتلاع مخالفيها لا تنفد ، ذلك ان قيادة الحركة الصهيونية كانوا من صميم الحضارة الغربية ، وفكروا بنفس طريقة هذه الحضارة ، عندما تطلعوا لاستعمار بلد فى العالم المتخلف ، يكون مستوطنة لليهود الراغبين فى الهجرة من اوربا ، والاستيلاء على حصة اليهود الاوربيين فى تركة الشرق التى تقاسمتها اوربا ، بدليل انهم بحثوا عدة بلاد غير فلسطين . . واستقر رأيهم فى النهاية على فلسطين لحسابات سياسية وجغرافية وكما قيل عاطفية لارتباط اليهود بفلسطين مما يسهل اقناعهم بالمشروع ، وليس عن اقتناع بأن هذا هو البلد الوحيد الذى على ارضه يمكن الحديث عن بعث التاريخ اليهودى او ان هذا نص دينى يجب الالتزام به كما زيفت الامور فيما بعد ! . . لم يكن الامر يزيد عن تكرار تجربة استعمار العالم الجديد او المستوطنات الاوروبية فى اسيا وافريقيا والعالم الجديد . . وساعد على ذلك ان الهجرة تكونت اساسا من يهود الاشكناز او طائفة الخزر . . وهم شعب اعتنق اليهودية . . ومجرد هذا الحادث يجعلهم ظاهرة مبتوتة الصلة بالقضية اليهودية . . التى تدور اساسا حول بنى اسرائيل والوعد والتاريخ من موسى الى الميمونيين . . اما ان يعتنق الشعب البولندى اليهودية اليوم فهذه قصة مختلفة تماما عن قضية وتاريخ وارض بنى اسرائيل . .

والغريب ولا غرابة فى تصرف قادة اسرائيل العنصريين الذين يطبقون مذهب النقاء اليهودى على الافريقيين فقط فبينما قبلوا الخزر كيهود نراهم يرفضون الفلاشة ومن يتهود من السود فقد ذكرت الصحف ان « اسرائيل ترفض السماح بدخول اثيوبيين جدد رغم مخاوف الاتهام بالعنصرية الا ان لجنة وزارية اسرائيلية رفضت اعطاء حق

اللجوء لعشرات الالوف من الاثيوبيين المسيحيين الذين قيل انهم ينحدرون من اصل يهودى «جعلوهم مسيحيين؟! مع انهم اعرق فى اليهودية من اسحاق رابين وكل الحاخامات الزرق العيون !!» ما زال المجتمع غير قادر على تمثل ١٤ الف يهودى حبشى نقلوا للبلاد فى مايو ١٩٩١ومازال الآلاف منهم بدون عمل ولا تعليم ويعاملون كأقلية . بينما تم استيعاب ستمائة الف روسى . ويقول الحاخامات ان الفلاشة ليسوا يهودا ويرد الاحباش فى اسرائيل ان الحكاية عنصرية لأن عشرات الالوف القادمين من روسيا لا يسألهم احد اذا كانوا يهودا؟» «نيويورك تايمس ٩٣/١/٢٥»

وبمناسبة حديث الفلاشة نقول تعليقا على الماشى فقد كان تهجير الفلاشا الى اسرائيل من اكثر القرارات ازعاجا لاسرائيل لأنه واجهها بمشكلة عنصرية على جميع المستويات فهم سود من افريقيا ومتخلفون. . والنظام العنصرى الابيض الذى يحكم اسرائيل لا يريد مجتمعا متعدد الالوان والاعراق ولكن اسرائيل لم يكن بوسعها رفض دخول الفلاشا بعد كل الضجة التى قامت حول اكتشاف القبيلة الضائعة اولاد بلقيس وسليمان . . الخ كذلك لم يكن من مصلحة اسرائيل كشف عنصرية الحاخامات الذين رفضوا قبولهم كيهود ولا المعاملة التى تعرضوا لها فلجأت الى سلاحها التقليدى استخدام ثورية العملاء والجهلاء العرب فسربت خبر الجسر الجوى الذى اقيم عبر السودان لتهريبهم !والثابت ان اول من سرب خبر العملية هى الموساد ولصحيفة يهودية ، وانطلقت الحناجر تتهم النميرى بالخيانة العظمى وتوقف تدفق الفلاشا على اسرائيل واحتجت اسرائيل فرحة ! لا احد سأل نفسه ماذا يضر العرب ان يسافر هولاء الافريقيون المتخلفون السود لاسرائيل فيخلقون لها مشكلة حضارية وعنصرية وأيهم اخطر على مصر والعرب وجود علماء الاتحاد السوفيتى أم وجود رعاة الفلاشة فى اسرائيل وأيهما اخطر على العرب طابور خامس يهودى فى الحبشة أم اسفين افريقى فى اسرائيل ؟!

حيوانات!!

اقصد الثوريين العرب طبعا !

القيادة التى أقامت اسرائيل هى النخبة المستغربةالتى تشكل جزءا من الاستعمار الاوربى . . والمهاجرون الذين بادروا بالمجيء لفلسطين وشكلوا الطبقة السائدة فى اسرائيل هم من بقايا الخزر هؤلاء ، الذين يتكلمون لغة غير العبرية . وهذا طبيعى لأن اليهودى العربى او الايرانى او الافغانى لم يكن يحس بالحاجة للهجرة . . ومهما تدهورت الاوضاع فى البلد الاسلامى فلم تكن هناك اية محاولة لابادة اليهود لا بذبحهم ولا بدمجهم كما كان الحال فى شرق اوربا او وغربها . . كانت الحضارة المسيحية تمر بفترة من ابشع فترات اضطهادها لليهود ومن ثم تدفقت الهجرة من اوربا، بينما احتاج الامر الى حرب ضد اسرائيل ونشاط متعدد الابعاد من الموساد لاقناع يهود العالم الاسلامى بالهجرة لاسرائيل . . ورغم انهم اصبحوا اغلبية «مهددة الان بالزحف الروسى» الا ان السيطرة السياسية والثقافية لا تزال لهذه الفئة من المستعمرين الاشكناز الذين يستعمرون حتى اليهود الشرقيين ، ويقضون على ثقافتهم وهويتهم الحضارية . . واذا استمر امثال « برنارد لويس » يتحدثون عن انتمائهم للحضارة الغربية أو التحامهم بها فسيصبح قيام اسرائيل واستمرارها خسارة فادحة ليس لها ما يبررها اذ ان اليهود يمكنهم ان يزدهروا كما شاءوا فى البلدان الغربية الديموقراطية . . أما إذا كان الهدف هو اعادة بعث الثقافة والهوية والشخصية اليهودية فيجب فصم العلاقة مع الحضارة الغربية ، عزل القيادة المستغربة ومنع الهجرة الروسية التى ستؤدى لتحويل اليهود الشرقيين ، اليهود الحقيقيين ، الى اقلية مهملة ، كما كانوا دائما فى ظل سيادة الحضارة الغربية . لابد لمن يريد بعث الهوية اليهودية ان يعمل على سيادة اليهود الشرقيين . . والاندماج فى الواقع الجغرافى والحضارى للمنطقة لا محاولة اخضاعها للحضارة المسيحية الغربية . . بل المساهمة فى اعادة بعث العصر الذهبى للحضارة الاسلامية التى شكلت اليهودية واحدة من ازهى زهراتها . .

هذه ملاحظات شديدة السطحية ارجو ان يوفق الله من يدعمها ويعمقها ويطرحها كنظرية المهم اننى ارفض تعبير الحضارة اليهودية المسيحية واعتبره تعبيرا ضالا مضللا .

يبشر البروفسور صمويل هانتنغتون الغرب بتعدد الذئاب حول حظيرة المسلمين فى نفس الوقت الذى يحاول فيه أن يظهر الاسلام بمظهر المتوحش الذى يقاتل على جميع الجبهات فيقول : «فى افريقيا كان صدام المسلمين مع الوثنيين وعبدة الارواح، والآن مع المسيحيين. فى الماضى كان هذا العداء يتمثل فى صورة جلاب الرقيق والعبيد السود وهو الآن يتخذ شكل الحرب الاهلية فى السودان بين العرب والسود ، والحرب فى تشاد بين المتمردين الذين تساندهم ليبيا والحكومة .والتوتر بين المسيحيين الارثوذكس والمسلمين فى القرن الافريقى والمشاكل والاضطرابات والعنف بين المسلمين والمسيحيين فى نيجيريا . وكمظهر لزيادة هذا التوتريأتى خطاب البابا فى الخرطوم فى فبراير ١٩٩٣ الذى هاجم فيه اعمال الحكومة السودانية المسلمة ضد الاقلية المسيحية هناك .ان تحديث افريقيا وانتشار المسيحية سيفضى فى الغالب للتعجيل باحتمالات العنف على طول خط الانقسام الحضارى.»

«اما على الحدود الشمالية للاسلام فالتناقضات قد انفجرت بالفعل بين الارثوذكس والمسلمين فهناك المذابح فى البوسنة وسيرايفيو ومثلها بين الصرب والالبان والعلاقات المتوترة بين البلغار واقليتهم التركية واعمال العنف بين الاوسيتيان والانجوش والمذابح المتبادلة بين الارمن والاذربيجان والعلاقات المتوترة بين الروس والمسلمين فى وسط اسيا. وارسال القوات الروسية لحماية المصالح الروسية فى القوقاس ووسط اسيا. أن الدين يبرز الهوية القومية، ويعيد اثارة مخاوف الروس حول امن حدودهم الجنوبية . وهذا الاهتمام اثار انتباه ارشى روزفلت الذى قال ان «معظم تاريخ روسيا يدور حول الصراع بين السلاف والاتراك الذى يرجع الى بداية قيام الدولة الروسية منذ اكثر من الف سنة استغرقتها المواجهة بين الروس السلاف وجيرانهم الشرقيين، تلك المواجهة التى تشكل مفتاح فهم لا التاريخ الروسى وحده بل والشخصية الروسية ، ان من يريد فهم الواقع الروسى اليوم يجب ان يمتلك تصورا للتركى الجبار الذى شغل تفكير الروس خلال القرون »

«اما فى اوراسيا فان خط الانقسام بين الحضارات هو أيضا مشتعل الى حد ما على طول الحدود بين الهلال الاسلامى من افريقيا الى وسط اسيا . .وفى العنف الواقع

بين المسلمين من ناحية والارثوذكس الصرب فى البلقان واليهود فى اسرائيل والهندوس فى الهند والبوذيين فى بورما والكاثوليك فى الفلبين كله يؤكد ان حدود الاسلام دامية . »

ونقول إن هذا صحيح من ناحية الحدود وفى جميع الحالات فإن الطرف الاخر هو الذى يتحرك لنقص ارض المسلمين من أطرافها . .

فى افريقيا هو كاذب عن الماضى والحاضر فلم يكن هناك صراع بين العرب او المسلمين والزنوج . . حول العبيد . . .

تجارة العبيد لم تصبح محنة افريقية الا مع اكتشاف الحضارة الغربية المسيحية للعالم الجديد واشتداد الطلب على اليد العاملة السوداء لتحل محل السكان الاصليين الذين ابيدوا . . بخلق سوق العبيد نشأت تجارتهم . . واذا كان قد وجد الدلال او السمسار الذى يسهل للانسان الابيض الحصول على طلبه وحتى لو افترضنا انه كان دائما عربيا مسلما . . فمن العار ان نستمر فى تحميل الجريمة للدلال وننسى البائع المسيحى الابيض الذى حملهم مقيدين الى الشارى فى العالم الجديد الذى استمر يستخدم العبيد السود حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . . ولم يتوقف الا بحرب اهلية ومازال حتى اليوم ينظر الى احفادهم ويلقبهم بالعبيد .

لم يحدث أبدا أن قام خط فاصل فضلا عن أن يكون داميا بين العرب والسود أو بين المسلمين والوثنيين الافريقيين . . أما المواجهة الحاضرة فهى جزء من الزحف المسيحى الغربى ضد الاسلام الزحف الذى يديره الفاتيكان وجمعيات التبشير المختلفة فى اوربا وامريكا وكندا والدول الغربية واسرائيل ذات التطلعات فى القارة والراغبة فى منع انتشار الاسلام فى افريقيا وتطويق العرب .

وهؤلاء يمولون كل حركة تمرد وكل انشقاق فى الدول الاسلامية الافريقية ويستخدمون اخس الوسائل فى تنصير المسلمين واتباع الديانات الافريقية ويزرعون الشقاق . هم الذين صنعوا مشكلة جنوب السودان ويرعونها ويؤججون نارها كلما نجحت حكومة السودان فى اطفائها وقد تكرر ذلك أكثر من مرة ولن يقبل الغرب

واسرائيل الا فصل الجنوب ولو قتل كل من فيه . . وما زيارة البابا وتهجمه على الحكومة السودانية الا احد المظاهر العلنية لهذا التدخل والاصرار على استئصال الاسلام . ولا يمكن اتهام اى نظام سودانى بخلق مشكلة الجنوب فهى قائمة منذ الحكم البريطانى وكنا نكافحها قبل خمسين سنة . اما الحرب فى تشاد فرغم محاولة اعطائها طابع الصراع الاسلامى المسيحى او العربى الزنجى . . الا انها تحتاج لقدر كبير من التزوير . . لأن تشاد غالبيتها العظمى من المسلمين واذا كانت ليبيا قد ايدت المتمردين فقد ايدت مصر دائما والسودان غالبا الحكومة . وفرنسا كانت تحارب هناك ضد امريكا حول الاورانيوم المحتمل . . ثم اختلطت الاوراق اختلاطا شديدا .

والغرب قلب عيدى امين وفرض ستارا حديديا من الصمت على ابادة المسلمين التى جرى تنفيذها بعد اقصائه .

والحبشة المسيحية هى التى تستعبد المسلمين فى اثيوبيا واوجادين . واريتريا لم تستقل الا برئيس مسيحى وتقديم اوراق اعتماده لاسرائيل .

وشركات النفط هى التى اثارت الفتن فى نيجيريا مع جماعات التبشير والاستعمار الذى أراد فرض سلطة مسيحية على أغلبية مسلمة وذبح قيادات المسلمين . ومن قبل فعل القس نيريرى نفس الشىء مع مسلمى زنجبار . .

وها هوالاستاذ يتنبأ بأن «تحديث افريقيا وانتشار المسيحية سيفضى فى الغالب للتعجيل باحتمالات العنف على طول خط الانقسام الحضارى .»

ان تمدين افريقيا وانتشار الاسلام بل وانتشار كنيستنا المصرية الافريقية لم يسبب أى عنف فى الماضى ولكن المسيحية المستوردة هى التى تحمل العنف والانشقاق ! ومما هو جدير بالملاحظة انه يقرن التحديث بازدياد العنف بين الاديان المختلفة مع انهم يروجون فى بلادنا ان العصبية الدينية او القومية هى ظاهرة تخلف تزول بالتحديث !

اما عن الحدود الشمالية مع الروس والسلاف الارثوذكس فكل الذى عدده يشكل عدوانا صريحا لا يحتمل التأويل من جانب روسيا وسلافها ضد المسلمين ، ليس فقط

فى الجمـهوريات التى يفـترض انهـا اصبـحت مستـقلة بل حتى ضـد المواطنين الذين وجدوا مـنذ الازل داخل الكيانات التى يسـيطر عليهـا غيـر المسلمين كـما فى بلغـاريا والروسيا واوكرانيـا والصرب والجبل الاسود او التى يتفوق فيهـا الصرب عسكريا مثل البوسنة ومقدونيا . .وكـوسفو الخ . . وبالنسبة لروسيا فنحن -كمـا قلنا -نعتقد انها تمر بمرحلة مؤقـتة كتلك الفـترة التى مـرت بها من ١٩١٧ الى ١٩٢٢ عندما اسـتقلت الجمهـوريات نفس الجمهوريات المسلمـة بسبب اضطراب الاحوال فى روسيـا بسقوط القيصرية وقـيام النظام البلشفى . . ولكن موسكو كانت ترقب هـذه الجمهوريات او المستعمرات الروسـية بعين الصقر وما كادت القيـادة الجديدة تقبض على زمام الامور حتى اعـادت غزو وضم هذه الجمهـوريات واخضاعهـا لاسوأ انواع الاستعـمار باسم الاخوة السوفيـتية ، وبموافقة الاستعـمار العالمى وبالذات بريطانيا سيدة الاسـتعماريين وقتها «انظر كتابنا المسلمون والروس» واليوم هو الامس بعينه روسيا لن تفرط فى حبة رمل من هذه الجـمـهـوريات . وامـريكا اول المؤيدين لذلـك بل ان اول تنسـيق بين المخابرات الامريكية والكى بى جى الجديدة كان ضـد الحركات الاسلامية التى وصفت بالاصولية فى هذه الجمهوريات وتتعاون مخابرات روسيا وامريكا على تمزيق افغانستان بل لا يمانع الامـريكان فى عودة الشـيوعيـين وعمـلاءالكى جى بى للحكم فى هذه الجمهوريات . والقوات الروسية مازالت داخل هذه الجمهوريات وقد فتكوا باذربيجان بدعم الارمن علانية وسـاعدوا العملاء الروس الشيوعيـين حتى اعادوهم للحكم ولن تمر سنوات تعـد على اصبع اليـد قبل أن تكون الحـركة الوطنيـة قد سحـقت فى هذه الجمهوريات وعـادت الى الطاعة الروسية ولكن فى شكل جديد اقـتنع الروس أخيرا انه الحل لازمتـهم الدائمة وقد شرحت منذ سنوات عـديدة أن أزمة روسيا التى تمنـعها من إقامـة نظام ديموقـراطى على الطراز الغربى هـو تشبث الروسى بالامـبراطورية او المستعـمرات وبالذات فى اسيا وقلت انه بالنسبـة لكون هذه المستعمرات ملتحـمة ارضا مع روسيا، وبالنسبـة لان الاستعمار الروسى القيصرى ثم السوفـيتى أصر على إلحاق هذه المستعمرات وجعلها رسمـيا جزءا من الوطن ، وهذا الضم القسرى لا يتحقق الا بابشع اشكال القهر ، فـقد كان من المستحـيل اقامة ديموقراطية حـقه فى موسكو فى

نفس الوقت مع القهر الوحشى الاستبدادى فى طشقند وهكذا ضحى الروسى بالديموقراطية فى سبيل بقاء الامبراطورية اما اليوم فيبدو ان الروس قد اكتشفوا الحل وهو الصيغة الامريكية أى فصل هذه المستعمرات وحكمها بالعملاء والتدخل عند الضرورة . . وبذاك يمكن للروسى ان يتمتع بالديموقراطية ويدخل نادى الشعوب المتحررة والدول المتقدمة وينال عضوية جماعات حقوق الانسان وفى نفس الوقت يحتفظ بمصالحه الامبراطورية عن طريق اخس العملاء وأحط النظم الديكتاتورية التى يحميها بحجة مواجهة خطر الطاعون الاسلامى . . !!وما هذه الحملة التى يشنها الشيوعيون القدامى من المعروف عنهم الارتباط باجهزة المخابرات الروسية ضد التيار الاسلامى والتهويل فى خطر الاصولية ووصف كل حركة استقلالية فى الجمهوريات الاسلامية بالتعصب الدينى الا جزء من عملية إعادة الاستعمار الروسى الذى ما زالت أجهزته تعمل بكامل نشاطها وإن بدت الصورة من الخارج مضطربة بعض الشئ حتى يحسم صراع السلطة فى موسكو ولكننا نعرف ان هذه الاجهزة فى الدول الكبرى لا تتأثر بخزعبلات السياسيين وصراعاتهم. أما القول بأن الروس يتحكم فى تكوينهم وتاريخهم عداءالاسلام والخوف على حدودهم الجنوبية وأن هذا هو مفتاح فهم شخصيتهم ، فهذا صحيح طالما ظلت العقلية التوسعية الامبراطورية تسيطر على الروسى ، تماما كما كانت مصالح بريطانيا او حماية الهند تسيطر على تفكير البريطانى وتشكل مفتاح فهم السياسة البريطانية والرعب من أى تغيير . . بل واستعمار نصف العالم لتهدئة المخاوف البريطانية على حدودها الهندية . . !

لقد دعونا الروس لتعاون الند مع المسلمين وبناء عالم جديد حقا ولكن غلب عليهم الفكر الامبراطورى واختاروا الاحتفاظ بالمستعمرات الاسلامية . . وفضلت امريكا اطلاق يد الروس فى آسيا المسلمة عن مواجهة احتمالات البعث الاسلامى او التحالف الاسلامى الصينى . . او انبعاث التركى الجبار !!وربما كان النفوذ الاسرائيلى خلف جانب كبير من الاختيار الامريكى . . الذى لا نعتقد انه يمثل فعلا مصالح الشعب الامريكى ولا يعبر عن دور الحضارة الامريكية .

وفى صراحة لا تستخدم الا فى بلادهم ويستأجـرون من يخفون حقائقها عنا يقول اكبر اساتذة العلوم السياسية فى امريكا :

«الروس يحاربون الى جانب المسـيحيين الارمن. وفى يوغوسلافيـا عبر الاوربيون عن تعاطفهم مع المسلمـين ضد فظائع الصرب ، ولكن لم يهتـموا بما ارتكبه الكروات الكاثوليك ضـد نفس المسلمين .فى بداية الازمـة ابدت المانيا اسـتعراضـا غيـر عادى لعضـلاتها الدبلومـاسية وشنـت مبادرة دفـعت ال ١١ عضوا فى المجـموعـة الاوربية للاسراع فى الاعتراف بسلوفـانيا وكرواتيا ، وتأكد تصميم الـبابا على تقديم دعم قوى للدولتين الـكاثوليكيتين فى اعـلان الفاتيكان اعـترافه بالدولتـين حتى قـبل ان تفعل المجموعة الاوربية، وسـرعان ما تبعتهم الولايات المتحدة . وهـكذا فإن قادة الحضارة الغربية تنادوا لمؤازرة شقيقهم فى الدين . وبالتالى فإن كـرواتيا تتسلم كميات قيمة من الاسلحـة من دول اوربا الوسطى وغيـرها من الدول الغربيـة، وقد حاولت حـكومة يالتسـين ان تسلك طريقا وسطا فـتتـعاطف مع الصرب الارثوذكـس ولكن بدون عزل روسيا عن الغـرب . اما المحافظون الروس والجماعات الوطنيـة بما فى ذلك الكثير من النواب فقد هاجموا الحكومة لأنهالا تؤيد الصرب بالقدر الكافى . وهكذا لم يأت عام ١٩٩٣ حتى كـان مئـات الروس يقاتلون مع القـوات الصربية وانتـشرت التـقارير عن اسلحة روسية ارسلت للصرب. ».

وكل الذى قاله صحيح ولكن الطابور الخامس يطوف بمعسكر المسلمين يقول عيب ما تقولشى حرب دينية نام يا شيخ وخليها على مجلس الامن !

يقول : « اذا كانت هناك حرب عالمية قادمة فستكون بين الحضارات، والغرب الان فى ذروة قوته بالنسبة للحـضارات الاخرى، بعد ان اختفى معـارضه الاكبر من على الخريطة، فـقوته العسكرية لا منازع لهـا ، ولا مجال للتـفكير فى اى احتمـال بوقوع صدام عسكرى بين الدول الغربية. »

الحرب بين الحـضارات أو ضد حضـارتنا بالذات قائمة بالفعل وقـد أثبت أن حدود العالم الاسلامى كلها دامية بدماء المسلمين . . ونحن نرى أنه حتى فى القلب وخلف

خطوط القتال مع غير المسلمين تدور معركة ابادة للمسلمين تخدم العدو على خط النار.. والحرب العالمية فى مفهوم الدكتور البروفسور وامثاله هى التى تشترك فيها دول الغرب رسميا .. وباستثناء الحرب مع الصين لا نستطيع تخيل حرب عالمية ضد الدول الاسلامية ،لسبب بسيط هو انه لا توجد لا الدولة ولا الدول الاسلامية التى يمكن ان تحتاج فضلا عن ان تتحمل حربا عالمية لاخضاعها..

من ؟

ايران: !! معزولة تماما ومثخنة بجراح العراق ويمكن ضربها من اذربيجان وتحريك الانقسامات العنصرية فيها .

تركيا: !! بدأوا فعلا خطة تمزيقها لصرفها عن محاولة الانضمام لاوربا او اعطاء دعم ولو وهمىٌ للجمهوريات التركية فى اسيا او التدخل ضد ابادة المسلمين فى اوربا..

باكستان: !! يكفيها الهند وعشرات الاصابع التى تلعب فيها ليل نهار ..

العالم العربى .. ؟! اذا استمر الحال على ما هو عليه عشر سنوات أخرى فلن تقوم فيه قائمة لا لعروبة ولا اسلام ..

أما قوله أن قوة الغرب بلا منازع وأنه لا يتصور وقوع حرب بين دوله .. فهذا زعم معلق على أكثر من اذا ..

اذا فهمنا الغرب على انه كتلة واحدة .. وهو ما لا نعتقده .

واذا قبلنا القول باختفاء روسيا من على الخريطة واستمرار خضوعها لتعليمات وشنطن كما يبدو الحال الان .

ونحن نرفض زعمه بان احتمال وقوع صدام عسكري بين الدول الغربية امر غير قابل للتفكير .. فالصراع الاقتصادى لم يعد خافيا وهو لابد ان يفضى الى صدام عسكرى . والاصرار على استبعاد اليابان من الحضارة الغربية واخضاعها اقتصاديا لاطراف لم تعد قوتها الاقتصادية تسمح بمنافسة اليابان وتريد تعويض ذلك بالقوة

العسكرية ، مما لابد ان يقود اليابان الى امتلاك السلاح لحماية اقتصادها . وهاهى اليابان تبدى رغبة واضحة فى امتلاك السلاح النووى الذى بوسعها انتاجه فورا متى شاءت . .

كذلك رفضت روسيا الانصياع لامريكا فى البوسنة واقر البرلمان الروسى قانونا يحرم التبشير المسيحى الامريكى بعد ان استفز الكنيسة الروسية زحف الامريكيين بالهمبورجر والانجيل وموسيقى الروك .

واوربا تعثرت وحدتها بمجرد زوال الخطر الروسى وبتفتح شهية غرب اوربا على أسلاب أوربا الشرقية . وفى الصومال كاد عسكر الطليان يقاتلون عسكر الامريكان . . الغرب سيتحد ضد المسلمين من أجل استباحتهم ،ولكن سيتنازع على الحصص والحرب غير مستبعدة حتى لو امكن تأجيلها الى ما بعد القضاء على الاسلام .أو على الاقل تحطيم احتمالات النهضة فى البلاد الاسلامية. يتابع البروفسور مصارحته لأهل الغرب فيقول : «القرارات التى تتخذ فى مجلس الامن أو صندوق النقد الدولى تعكس مصالح الغرب وان كانت تقدم وكأنها تعكس رغبات العالم كله ، بل ان تعبير الانسانية قد حل محل اصطلاح « العالم الحر » لإعطاء الشرعية لمصالح الولايات المتحدة والقوى الغربية . ومن خلال صندوق النقد الدولى وغيره من المؤسسات الدولية ينمى الغرب مصالحه الاقتصادية ويفرض على الدول الاخرى السياسات الاقتصادية التى يريدها . ولذلك أصبح صندوق النقد الدولى يوصف بأنه البلاشفة الجدد الذين يصادرون اموال الناس اويفرضون قواعد غير ديموقراطية اقتصاديا وسياسيا. أن سيطرة الغرب على مجلس الامن ، التى لا يؤثر عليها الا امتناع الصين احيانا عن التصويت ، منحت الشرعية لاستخدام الغرب القوة لاخراج العراق من الكويت وازالة اسلحة العراق المتقدمة بل وقدرته على انتاجها ،كما نجحت فى استصدار قرار لم يسبق له مثيل تلبية لرغبة امريكا وبريطانيا وفرنسا يقضى بالزام ليبيا بتسليم المتهمين فى حادثة البان امريكان . وبعد هزيمة اقوى جيش عربى لم يتردد الغرب فى فرض سيطرته على العالم العربى . .وفى الحقيقة فإن الغرب يستخدم

المنظمات الدولية والقوة العسكرية والطاقات الاقتصادية لتسيير العالم على نحو يضمن استمرار سيطرة الغرب وحماية مصالحه والترويج لمعتقداته السياسية والاقتصادية. بينما يريد الاخرون التحديث وليس التغريب . . »

اظن انه لا حاجة للتعليق لكشف زيف وتضليل الذين يتحدثون عن نظام عالمى جديد وانتصار الامم المتحدة والمؤسسات الدولية . . الخ فهذه كلها باعتراف الاستاذ مجرد أجهزة ووسائل لفرض نفوذ الغرب وحماية مصالح وضمان استمرار هذه المصالح واستمرار سيطرته على مقاليد العالم غير الغربى وثرواته . . نفس مفاهيم وآساليب القرن التاسع عشر ولكنها تقال الان باسم الانسانية وحماية البيئة والسلام العالمى والنظام النقدى العالمى والصحة العالمية . . الخ !

وللذين يتحدثون عن حضارة انسانية واحدة وميراث مشترك والانفتاح يقول لهم معلمهم البروفسور الامريكى :« ان العقبة التى تواجه الدول غير الغربية فى محاولة الالتحاق بالحضارة الغربية تختلف فى كل حالة ، فهى عقبة صغيرة بالنسبة لامريكا اللاتينية وشرق اوربا وهى اكبربالنسبة للدول الارثوذكسية فى الاتحاد السوفيتى سابقا، وأكبر كثيرا بالنسبة للمسلمين والكونفوشسيين والهنود والبوذيين. أما عن اليابان فقد خلقت لنفسها وضعا خاصا كعضومنتسب فى نادى الغرب ، فهى فى الغرب من عدة نواحى ولكنها ايضا وبوضوح ليست منه فى كثير من الابعاد المهمة . »

هو ينطق عن المفهوم التقليدى والتاريخى للحضارة الغربية منذ كانت فالاخر بربرى فرصته الوحيدة هى أن يتغرب لا أن يبنى حضارته المتميزة ولو استعان بكل علم الغرب وانفتح بكل ما يطيق لحضارة الغرب لابد ان يلتحق بحضارة الغرب . . ليس هذا فحسب بل والطريق أمامه مسدود فحتى اليابان غير غربية . . او هى المشكل بلغة الفقهاء عن الخنثى . .

يقول :« ان تلك البلدان التى ليست من الغرب ، ولا يستطيعون بسبب الثقافة «هو يقصد الدين طبعا ج» الانضمام للغرب ، تحاول منافسة الغرب بتطوير قواها الاقتصادية والعسكرية والسياسية . انهم يفعلون ذلك بزيادة تنميتهم الداخلية

وبالتعـاون مع الدول غير الغربيـة . واهـم اشكال هذا التعاون هو التعـاون الاسلامى الكونفوشيسى الذى تم بهدف تحدى مصالح وقيم وسلطة الغرب. فبينما نجد ان كل الدول الغربية بلا استثناء تخفض قواتها العسكرية وتفعل روسيا نفس الشىء تحت قيادة يالتسين، فإن الصـين وشمال كوريا وعدة دول شرق اوسطية تـزيد قدراتها العسكرية بشكل ملحوظ وهم يفـعلون ذلك باستيـراد السلاح من الدول الغربيـة وغير الغـربية وبتطوير الصناعـات الحربيـة ، مما ادى الى ظهور مـا سمـاه شارلز كـروتهـمر «دول السلاح» وهى ليست دولا غربية . وفى عالم ما بعد الحرب الباردة فإن الهدف الرئيسى فى قضية السلاح هو منع الدول غير الغربية من امتلاك القدرة العسكرية التى قد تهدد المصالح الغـربية ، والغرب يـحاول تحقـيق ذلك من خلال اتفاقـيات دولية وضـغوط اقتصادية واحكام السيطرة على تكنولوجيا ونقل السلاح .فالتناقض بين الغرب والدول الكونفو/ اسـلاميـة يتركز اسـاسا وان لم يكن فقط حـول امتلاك الاسـلحة النووية والكيماوية والصـواريخ العابرة للقارت والمتعددة المراحل .والوسائل المتطورة لاطلاق هذه الصـواريخ ، وكذلك المعلومـات وكل ما يخـدم هذا الهدف . ويعمـل الغرب لتحقيق مصلحته فى هذا المجال تحت سـتار ادعاء ان المطالبة بعدم انتشار هذه الاسلحة هى رغبة عالمية وان الوسـائل الطبيعية لتحقيق هذه الرغبة العـالمية هى معاهدات عدم الانتشاروالتفـتيش الدولى. اما الدول غير الغربية فتـرى فى امتلاك الاسلحة النووية والكيمـاوية والصواريخ، طريقهـا المتاح لموازنة قـوة الغرب التقليـدية ،ووزير الدفاع الهندى عندما سألوه ماذا تعلمت من حـرب الخليج قال : ان لا تحارب امريكا قبل ان تملك اسلحة نووية.»

«ان الصدام بين المجتمعـات المنتمية لحضارات مختلفة سيكون هو الاكـثر احتمالا والاكثر دواما والاكثر عنفا من التناقضات داخل نفس الحضارة .ان الصدامات العنيفة بين الجماعات المنتمية لحضارات مختلفة هى الاكثر احتمالا والاكثر خطورة فى تشكيل مصادر التصعـيد التى قد تؤدى الى حرب عالمية كبرى . ان المحـور الاساسى للسياسة العالمية سـيكون العلاقة بين الغرب والاخرين .وعلى المدى القـريب سيشكل التناقض بين الغرب وعدة دول اسلامية وكونفوشسية المصدر الاساسى للصدام.»

فى كل صراع يعـيه الطرفان ويرونه مـحتومـا لابد أن يحرص كل طرف على زيادة تسلحه ونزع سـلاح خصمه ليسـهل قهره. وفى حالتنا فـإن البروفسور لا يتـرك مجالا للشك فى وعى الغـرب بهذا الصدام المحـتوم والرغبـة فيه من جـانب الغرب وهو لا يخفى هدف الغرب فـى نزع سلاح خصمه الذى هو نحن والصـين . وهو يقول بكل صراحة ان استـراتيجية او سياسة الغـرب بالنسبة للسلاح فيمـا بعد الحرب الباردة هى منع امـتلاك غـير الغـربيين لما يحـقق توازنهم او قدرتهم علـى حمايـة مصالحـهم او مواقفهم المناقضة لسياسة الغرب ومصـالحه او كما يقولها باصرح صيغة : «وفى عالم ما بعد الحرب الباردة فإن الهدف الرئيسى فى قـضية السلاح هو منع الدول غير الغربية من امتـلاك القدرة العسكرية التى قـد تهدد المصالح الغـربية ، والغرب يحاول تحـقيق ذلك من خلال اتفـاقيات دولية وضـغوط اقتـصادية واحكام السيطرة على تكنولوجـيا ونقل السلاح .فالتناقض بين الغـرب والدول الكونفو/ اسلامية يتـركز أساسا وان لم يكن فـقط حول امتـلاك الاسلحة النووية والـكيماوية والـصواريخ العابرة لـلقارات والمعرفة والتكنولوجيا التى تجعله على قدم المساواة من الناحية العسكرية أو على الاقل تضاعف من حجم خسارة الغرب اذا آثر الاحتكام للسلاح ويقول البروفسور إن الغرب يعمل لتحـقيق مصلحته فى هذا المجـال تحت ستار ادعاء أن المطالبة بعـدم انتشار هذه الاسلحة هى رغـبة عـالمية وان الوسائل الـطبيعـية لتـحقيق هذه الرغـبة العـالمية هى معاهدات عـدم الانتشاروالتفـتيش الدولى .اما الدول غيـر الغربية فتـرى فى امتلاك الاسلحـة النووية والكيـمـاوية والصـواريخ، المعـادل الممكن لقـوة الغـرب العظمى التقليدية »

واذا كان هذا العـرض صحيحا من وجـهة نظر الغرب فهـو غير دقيق بالنسبه لنا، فصحـيح ان الصين تعى هذه الحرب المحتومة وتـدرك انهم لن يسمحوا بقيام مـجتمع الالف مليـون صناعى ولابد من ضرب الصـين ومحـاولة تمزيقهـا . . ولذلك تستـعد الصين وتعمل ليل نهار لامتلاك وسائل الدفاع ، ويحاول عدوها الغرب ان يمنع ذلك بكل الوسائل وتحت كل الشـعارات الزائفة من حقوق الانسـان الى السلام العالمى الى منع انتـشار الخطر الذرى. . الى الاتفـاقيـات التجاريـة وقرارات المجتـمع الدولى او

المنظمات العالمية . . الى هنا لا نختلف مع صمويل . . ولكن بقية القصة مفبركة . . فالعرب او الدول الاسلامية لا تعى هذه المواجهة ولا تتسلح لمواجهة الغرب . وعيب على استاذ فى مثل وظيفته ان يتهم قطر بانفاق نصف ميزانيتها على السلاح «لمنافسة الغرب ومعادلة قوته» او استعدادا للملحمة الكبرى!

وكل تسلح الدول العربية هو مثل تسلح قطر والكويت آخر ما يستهدفه هو معادلة الغرب أو تهديده أو تحسبا لمقاتلته ،هذا يشمل حتى العراق الذى اثبت انه مهما تسلحت تلك النظم فهى لا تستطيع ولا ترغب فى مواجهة الغرب ، حتى باكستان لا يشغل بالها ولا تحاول امتلاك القنبلة الذرية إلا لمواجهة الهند فهى لا تفكر ولا تقدر على مصاولة الغرب ، ولكن فلاسفة الموساد الذين يوجهون الفكر الامريكى لا يريدون تسلح العرب أو المسلمين ولا حتى تحقيقهم لتنمية جادة لمواردهم حرصا على اسرائيل وليس الغرب ولكن اللعبة هى جعل استراتيجية ومصالح اسرائيل تبدو وكأنها مصالح واستراتيجية الغرب ، والى ان يتنبه الغرب لهذه اللعبة ويتحرر من اسر الفكر الاسرائيلى ، فلابد أن يواجه العرب والمسلمون هذه الحرب من الغرب واسرائيل معا.

أما عن التعاون الاسلامى / الكونفشيوسى فلا وجود له الا فى افتراءات البروفسور . .الصين اكثر تعاونا مع اسرائيل منها مع المسلمين ، وهى لا ترى فى العالم العربى او الاسلامى الا سوقا لسلاحها بحكم الحصار الغربى على هذه الدول وتراجع منافسة روسيا المورد التقليدى لمعظم هذه البلدان ، والصين لا تقل اضطهادا للمسلمين تحت سلطتها من البلغار فلا خطة ولا تعاون « تم بهدف تحدى مصالح وقيم وسلطة الغرب . » كذبة كبيرة هذه يا دكتور صمويل !اما خفض الدول الغربية لسلاحها وزيادة الصين والدول الاسلامية تسلحها ففيه مغالطة ومماحكة . المغالطة ان خفض التسلح بين الكبار هو فى اطار المواجهة بينهم اما بالنسبة للعالم اللاغربى فمهما خفضت الدول الغربية من سلاحها فسيظل التفوق ساحقا لصالح الغرب . اما التسلح الاسلامى فكما ذكرنا لا يستهدف ولا يقوى على مواجهة الغرب .واهم من ذلك ان معظمه مفروض على العرب بالذات من جانب الدول الغربية او تجار السلاح فى

الغرب الذين يزودون هذه الدول بالسلاح ويستخدمون كل حيلة لارغام هذه الدول على شراء السلاح وتكديسه . . حتى الحروب المحلية لا يتورع تجار السلاح عن شنها وتأجيجها لارغام الدول العربية والاسلامية على التسلح وزيادة ارباح تجار الموت فى الغرب. الذين تسعدهم استنتاجات البروفسور لأنها تنشط صناعة وتجارة السلاح . فالغرب وامريكا بالذات اخذوا من دول الخليج ما لا يقل عن مائة بليون دولار نقدا ثم ضاعفوا مبيعاتهم من الاسلحة ففى احصائية : «الولايات المتحدة زادت حصتها فى سوق العالم الثلث للسلاح الى ٥٧٪ سنة ١٩٩٢ وكانت ٤٩٪سنة ١٩٩١ ومن بين مجموع صفقات سلاح العالم التى وصلت عام ١٩٩٢الى ٢٣,٩ بليون كانت حصة امريكا وحدها ١٣,٦ بليون واحتلت فرنسا الدولة الثانية والصين اخر دولة فى بيع السلاح للعالم الثالث بعد اسرائيل ! «وشنطن بوست ٢١ يوليو ١٩٩٣».

فاذا كانت بعض الدول العربية تتسلح فعن تدبير من الغرب وبارغام من الغرب ولمصلحة الغرب اما الصين فمعارضتها من قبل الغرب لا خوفا من مؤامرة اسلامية وانما خوفا من مزاحمة اقتصادية او منافسة فى سوق السلاح .

يقول «ان النخبة فى بعض البلدان اللاغربية الممزقة الانتماء ستحاول جعل دولهم جزءا من الغرب ولكن فى معظم الحالات سيواجهون عقبات كبرى تعترضهم. وهناك الذين يحاولون ان يجعلوا دولهم حديثة ولكن ليست غربية، وحتى الان فإن اليابان هى وحدها التى نجحت فى تحقيق ذلك .ان الحضارات غير الغربية ستستمر فى محاولة الحصول على الثروة والتكنولوجيا والخبرات والالات والاسلحة التى هى جزء من التحديث ، وأيضا سيحاولون المواءمة بين هذا التحديث و ثقافتهم وقيمهم التقليديية ، وهذا يعنى انهم ان نجحوا فستنمواقتصادياتهم وقوتهم العسكرية بالنسبة للغرب وستتزايد حتى تقترب من قوة الغرب بينما قيمها ومصالحها تختلف تماما عن مصالح وقيم الغرب .»

وماذا فى ذلك يا استاذ . .؟

متى كانت البشرية تشكل حضارة واحدة ؟!

متى استحال التعايش او لماذا لا نتطلع اليه وقد حقق الانسان - بزعمكم - انجازات حاسمة أخرجته أو يجب أن تخرجه من عالم الصراع الحيوانى على البقاء؟

البروفسور يخشى تحديث وتقدم أى دولة غير غربية وخاصة لو كانت مسلمة ولذلك يعلن هذا البرنامج الاستعمارى :

«من الواضح أنه من مصلحة الغرب تطوير تعاون اكبر وخلق وحدة داخل حضارته وبالذات بين الاوربيين وشمال امريكا ، ومنع تحول الصراعات المحلية داخل هذه الحضارة الى حرب كبرى ،والعمل على جذب مجتمعات شرق اوربا وامريكا اللاتينية ذات الثقافه القريبة لثقافة الغرب الى دائرة الغرب ،وتطوير تعاون مع روسيا واليابان والحد من القوة العسكرية للدول الكونفوشسية والاسلامية. تخفيف معدل خفض السلاح والقدرة العسكرية للغرب، و حماية التفوق العسكرى فى شرق وغرب اسيا. استغلال الخلافات بين الدول الكونفوشسية والاسلامية. دعم الجماعات الموالية للمصالح والقيم الغربية داخل الحضارات الاخرى. وتقوية المؤسسات الدولية التى تعكس وتعطى الشرعية لـلمصالح الغربية والعمل على انضواءالدول غير الغربية تحت جناح هذه المؤسسات. بالنسبة للمستقبل المنظور لن تكون هناك حضار عالمية ولكن عالم من الحضارات المتعددة.»

لا نريد ان نعلق الا على قوله «دعم الجماعات الموالية للمصالح والقيم الغربية داخل الحضارات الاخرى»

هل اقتنعتم لحساب من يعملون ولأى هدف هم من الغرب يدعمون ؟!

ولعل خير ما نختتم به هذا الحديث هو لوعة أحد هؤلاء الذى أبدى جزعه الشديد من غدر البروفسور الذى كشف زيف ما يدعون وأبطل تأثير كتاب وضعه رئيسه فى مركز التهليسات العربية يقترح فيه رئيسه طريقا ثالثا مثل المرحوم زعيمهم الذى توه امة العرب بالبحث عن طريق ثالث ويقول صبى رئيس المركز ان كتابات البروفسور

منجنتون (بالميم كـما سماه) تعزز حجـة الاصوليين وتكشف دور المنفـتحين وبوظت كتاب سى ياسين !

حظك يا مسكين . . ومنذ متى كان الغرب يأبه بستركم . . الا يكفى انه يحميكم ويدعمكم ويضعكم على رأس المؤسـسات التى ترسم استراتيجـيتنا لكى تكون هزيمتنا فى شكل فضيحة . . هل تريدون ان يكذب ايضا فى عقر داره ؟!

هيهات !

الفهـــــرس

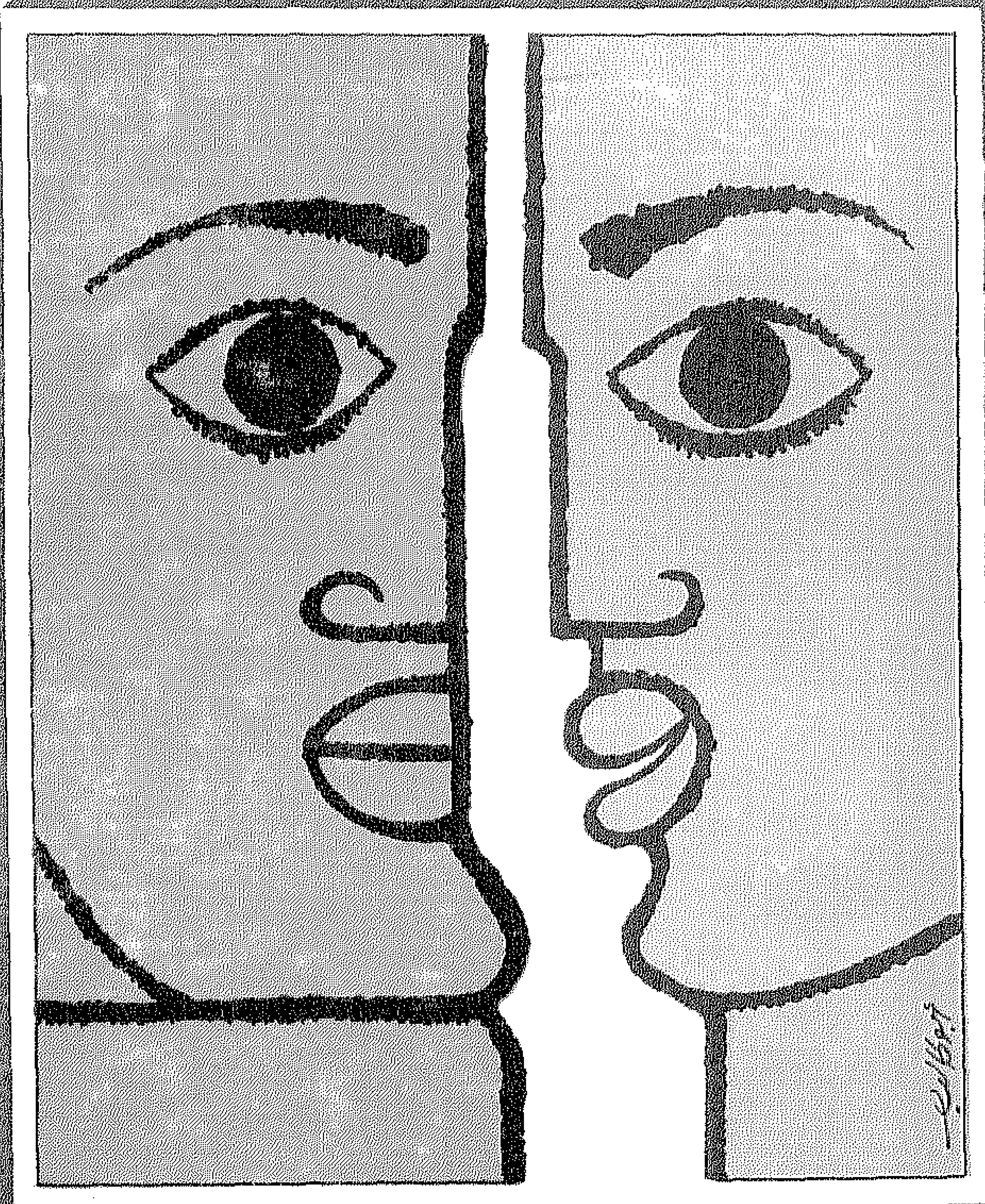
الموضـــــوع	الصفحة

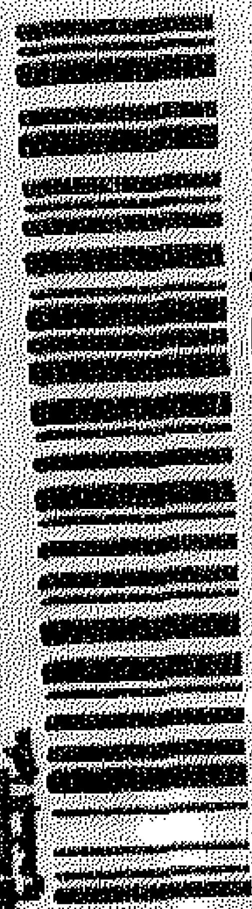
إيداع رقم : ٩٤/٢٦٥١ دولى : ١ - ١٦٢ - ٢٦٠ - ٩٧٧

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
جمهورية مصر العربية - تليفون: ٩٠٤٣٤٢

أخر ما كتب الراحل الكبير

محمد جلال كشك





الحوار أو خراب الديار

بعض ما أمكن نشره